الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
قسم الدراسات العليا
شعبة العقيدة

# الجوانب الاعتقادية في سورة الإسراء

## دراسة للمسائل الاعتقادية البارزة في السورة

رسالة مقدمة لنيل شهادة العالمية العالية
الدكتوراه

بإشراف
فضيلة الشيخ / أبي بكر الجزائري

إعداد
عزام نعماء عبد الرحمن سلهب

## - شكر وتقدير -

أحمد الله تعالى وأشكره وأثني عليه بما هو أهله فهو وحده سبحانه أهل الحمد والشكر وصاحب الفضل والجود ، برحمته تفتح الأبواب المغلقه .

وبتوفيقه وعونه وتثبيته يستمر كل سائر في الطريق الى هدفه ويصل الى غايته وبنعمته تتم الصالحات .

ثم اني أتوجه بخالص الشكر والتقدير الى فضيلة شرفي الفاضل الشيخ أبي بكر الجزائري الذي تشرفت بصحبته في أعداد هذه الرساله وجزاه الله عن اشرافه علي وعما اسداه اليّ من توجيهات وملاحظات خير الجزاء ونفع الله به وبعلمه ومن عليه بالصحة والعافيه وختم له بالخير والسعاده .

ثم اني أوجه الشكر الجزيل عرفانا بالجميل الى استاذي الشيخ محمد نصر الخطيب الذي قرأت عليه الرسالة بتمامها ، فافدت من علمه الغزير ، وتوجيهاته وخبراته السديده سائلا الله تعالى ان يمن عليه بالعافية وأن يختم له بخاتمة السعاده .

كما وأشكر جميع القائمين على أمر الجامعة الاسلاميه المباركه والعاملين بصدق لمصلحتها ، سائلا الله تعالى أن يحفظها وان يديمها ذخرا لشباب العالم الاسلامي ومحضنا لطلاب العلم ودعاته .

وأشكر كل من ساعدني بجهد أو دعاء صالح من اخواني الاحبه وزملائي الاعزه فجزى الله الجميع خير الجزاء .

والحمد لله رب العالمين .

# المقدّمة

## مقدمة الرسالة

ان الحمد لله نحمده سبحانه ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون )[1] .

( يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا )[2] .

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما )[3] .

وبعد : فان دراسة علوم الشريعة الاسلامية لهي أجل وأعظم ما يدرسه الدارسون ويبتغيه الطالبون ، لما في ذلك من معرفة حق الله تعالى على العباد ومعرفة واجبهم في الحياة ووظيفتهم في الوجود ، فعلوم الدين مصابيح هداية تدل الناس على الخير وتشجعهم عليه وتدلهم على الشر وتحذرهم منه .

ثم ان علوم الشريعة تتفاوت درجاتها ، وتتفاضل مراتبها ، فتأتي العقيدة ودراستها على رأس قائمة العلوم وقمتها .

ذلك لأن شرف العلم بشرف المعلوم ، ومجال دراسة العقيدة هو الايمان بالله تعالى وأركانه ، وأسماء الله تعالى وصفاته ، وما يجب في حق الله تعالى وما يمتنع ، ومعرفة الله تعالى هي اشرف المعارف .

---

( ١ ) سورة آل عمران / ٢ ، ١ .
( ٢ ) سورة النساء / ١ .
( ٣ ) سورة الاحزاب ، ٧٠-٧١ .

ثم ان العقيدة هي أهم شيء في الحياة ، فبصلاح العقيدة وسلامتها ، تصلح الحياة وتعمر ، وبفسادها تفسد وتتأخر .

وان مانشهده ونشاهده من مظاهر مرضية في المجتمع المسلم تشمل مختلف نواحيه الاخلاقية أو الاقتصادية أو الفكرية ، ترجع الى ضعف الايمان أو انعدامه ، وفساد العقيدة أو اهتزازها وبرودتها أو خوائها .

وان للعقيدة سلطانا على السلوك والخلق والسعي في الأرض ، ولذا رأينا صحة سلوك الجيل الأول رضي الله عنهم ، وحسن أخلاقهم وصدق تعاملهم وعمـــوم خيرهم وعطائهم وكل ذلك يدل على صحة الايمان وثبات العقيدة وسلامتها وصفائها .

تلك كانت دوافع عامة لاختيار الموضوع وهذا اضافة الى أنني في شعبـــــة العقيدة .

أما الدوافع الخاصة :-

فان سورة الاسراء قد حوت كثيرا من أركان الايمان وأشارت الى مسائـــــل اعتقادية حول القرآن ، والبعث ، والرسول صلى الله عليه وسلم ، والرسالة ، وكـــان للتوحيد فيها نصيب كبير واهتمام بارز ، وصفت حال المؤمنين وحالة المعاندين فـــي الدنيا والآخرة ، وفيها آيات كثيرة تدعو الى تنزيه الله سبحانه وتعالى وتسبيحـــه وتحميده وتعظيمه ، وفيها أمر بدعائـه تعالى بأسمائه وصفاته وفيها آيات الاعجـاز ومعجزات الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، وأشارت الى الشفاعة ، والمقام المحمود وحذرت من الشرك وبينت عجز المعبودات الأخرى من دون الله .

ثم انها تتناول جذور بني اسرائيل التاريخية وبينت أدوار حياتهم وتقلباتهم وفسادهم وطغوهم ونزولهم ، وتسليط الله تعالى عليهم من يؤدبهم .

هذا الحشد من المسائل الاعتقاديه يستحق ان يفرد في رسالة مستقلـه فاستعنت بالله تعالى واستشرت من أثق بعلمه ودينه فوافقني على الموضوع ، فكانت هذه الرسالة .

منهجي في البحث - :-

سلكت في دراستي للعقيدة في سورة الاسراء بأن أضع الآيه أو مجموعة الآيات المتضمنه للمسأله أو المسائل المطلوب بحثها ثم أقدم لها بمقدمة تكون كالاساس للموضوع وكالقاعده له . ثم أرجع الى كتب التفسير لاعطي المعنى الاجمالي أو التفصيلي في بعض الاحيان ، ثم أفصل الموضوع .

فاذا اكتملت الفكرة وتمت جوانب المسأله من خلال ماورد في السوره فانني أكتفي بذلك وان رأيت ان الموضوع لم يكتمل فاستشهد بآيات من غير سورة الاسراء تدعيما للفكره واتماما للموضوع أو توسيعا للبحث لصالحه .

أما الفصول التي توسعت فيها مثل اعجاز القرآن وتفصيل وجوهه نوعا ما ، فقد رأيت أن أقدم دراسة متكامله ليكون أكثر فائده للباحث من جهة ولنفس الفكره من جهه أخرى ، وعلى كل فهي وجهة نظر اجتهاديه وأرجو أن أكون مصيبا فيها .

ثم انني خرجت الأحاديث الشريفه وعزوتها الى مصادرها .

كما ونسبت كل الآيات الى مواضعها من سور القرآن الكريم .

وعملت فهرسا للآيات حسب ترتيب سور القرآن ، وفهرسا للأحاديث الواردة حسب الحروف الهجائيه ، وفهرسا للموضوعات ، وفهرسا للمصادر والمراجع .

وخطتي بالتفصيله ، جاءت كما يلي :-

مقدمه وأربعة مباحث تمهيديه، وأربعة أبواب وخاتمه .

ففي المقدمه : بينت دوافع اختيار الموضوع وأهمية دراسة العقيده ، وخطتي في البحث .

أما المباحث التمهيديه : فهي خمسة مباحث :-

المبحث الأول : احتوى على تعريف بسورة الاسراء ، واسمائها ونزولها .

المبحث الثاني : في فضل سورة الاسراء وقيمتها .

المبحث الثالث : في علاقة السوره بقضية فلسطين ، وعلاقتها بسورة النحل قبلها .

المبحث الرابع : اجملت فيه الجوانب الاعتقاديه في السوره .

المبحث الخامس : عرفت فيه العقيدة لغه وأوضحت مفهومها اصطلاحا .

أما الباب الأول : فهو في توحيد الربوبيه من خلال السوره :-

واشتمل على ثلاثه فصول :-

الفصل الأول : في تنزيه الله تعالى من خلال سورة الاسلاء ، قدمت له بمقدمة عن التنزيه عند الامم الضاله غير المسلمه وقارنت ذلك بالتنزيه الكامل الشامل عند أهل السنة والجماعة والسلف . هذا في المبحث الأول .

وفي المبحث الثاني : تناولت تنزيه الله تعالى في السوره بصيغة التسبيح وبينت مناسبة وروده في كل مقام ورد فيه ثم عرفت التسبيح وبينت آراء العلماء في اعراب لفظ ( سبحان ) . وبينت خلاف العلماء في حقيقة التسبيح هل هو تسبيح دلالة أم تسبيح على الحقيقه ، وفضل التسبيح .

وفي المبحث الثالث : تناولت التنزيه بصيغتي التحميد أو الحمد والتكبير ، وعرفت معنى الحمد لغة واصطلاحا وفضله ، ومواطن وروده في السوره ومناسبة ذلك الورود .

ثم عرفت التكبير وبينت معناه في الاصطلاح وما يشمله من تعظيم الله تعالى في أسمائه وصفاته وذاته المقدسه ،وأفعاله وأحكامه وقضائه .

الفصل الثاني : تناولت فيه رد السورة على اعتقادات المشركين وتفنيدها ،وفيه أربعه مباحث .

فالمبحث الأول : هو الرد على من نسب الشركاء الى الله تعالى .

والمبحث الثاني : الرد على من نسب البنات الى الله تعالى .

والمبحث الثالث : في الرد على منكرى البعث حيث رد تالسورة عليهم في مقامين .

والمبحث الرابع : في الرد على منكرى النبوة والرسالة الى البشر ورد حتى شبهاتهم .

أما الفصل الثالث : فهو في توحيد الاسماء والصفات قد مت له بتعريف لغوى واصطلاحى ثم انه اشتمل على سبعة مباحث :-

المبحث الأول : في الاسماء والصفات عبر التاريخ ، وكيف كانت تتلقى فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من المصدر الواحد الصافى .

المبحث الثاني : في مرحله تكدر النبع واختلاط المصادر ،وبينت أسباب حصول الاختلاف والتخبط في فهم مسائل العقيدة ومنها الاسماء والصفات .

المبحث الثالث : في معنى الاسماء والصفات ، لغة ،واصطلاحا ،وتصحيح اعتقاد الجاهلين بفهمهم تسميه الله تعالى بأكثر من اسم ، وبينت وجه كون لاسماء الالهيه حسنى ومعنى ذلك .

المبحث الرابع : في منهج القرآن في فهم الاسماء والصفات ،وتوضيح معالم هذا المنهج باصلين ،ومثلين .

---

المبحث الخامس : في آثار الايمان بالاسماء والصفات الالهيه على النفس الانسانيه وبينت ان لكل اسم عبودية خاصه .

المبحث السادس : في معنى احصاء أسماء الله الحسنى وهل هي زائدة على التسعه والتسعين وما وجه الحصر .

المبحث السابع : عرض للاسماء الحسنى والصفات العلى الوارده في سوره الاسراء والقاء الضوء على معناها بتركيز واختصار .

أما الباب الثاني فهو في توحيد الالوهية من خلال سورة الاسراء ، قدمت له بتعريف لغوى واصطلاحى ( لمعنى توحيد الألوهيه ) ثم بينت علاقته بانواع التوحيد الأخرى .

وفيه فصلان :-

الفصل الأول : في تقرير التوحيد والدعوة اليه من خلال السوره .

وفيه سته مباحث :-

المبحث الأول : تقرير التوحيد بالادلة العقليه .

المبحث الثاني : تقريره بنصب الآيات الكونيه .

المبحث الثالث : تقرير التوحيد عن طريق التذكير بنعم الله تعالى على الخلق .

المبحث الرابع : تقريره عن طريق تثبيت القرآن وابقائه مع قدرته سبحانه على الذهاب به .

المبحث الخامس: تقريره عن طريق اثبات تفرد الله تعالى في الخلق والكون بلا معقب .

المبحث السادس: تقريره عن طريق الدعوة الى التوحيد باسلوب الحصر والقصر أو نفي الشريك والنظير .

والفصل الثاني: فهو في الشفاعة والمقام المحمود والتوسل والوسيله .

المبحث الأول : في المقام المحمود ماهو وآراء العلماء في ذلك .

المبحث الثاني : معنى الشفاعه لغة واصطلاحا واقسامها في الدنيا والآخره .

المبحث الثالث : اقوال الناس في الشفاعه والرد على من أنكرها من المعتزلة والخوارج .

المبحث الرابع : شفاعات النبي صلى الله عليه وسلم في الآخره وعددها .

المبحث الخامس: شفاعات غير النبي صلى الله عليه وسلم من الملائكة والانبياء والصالحين والشهداء .

المبحث السادس : قيود نوال الشفاعة والانتفاع بها في الآخره .

المبحث السابع : التوسل والوسيله ، معناهما لغة واصطلاحا .

المبحث الثامن : امثلة على التوسل المشروع .

المبحث التاسع : امثلة على التوسل غير المشروع .

الباب الثالث : عن الاسراء والمعراج والمسجد الاقصى والقدس .

وفيه ثلاثة فصول :-

الفصل الاول في الاسراء والمعراج :- واشتمل على سبعة مباحث :-

المبحث الأول : مقدمات الاسراء والمعراج والحالة النفسيه للرسول صلى الله عليه وسلم بعد عودته من الطائف .

المبحث الثاني : حقيقة الاسراء وحقيقة المعراج ، وامكانية الحادث وانه ليس مستحيلا عقلا .

المبحث الثالث : الاحاديث الوارده في الاسراء والمعراج ، وأوردت نص البخاري وذكرت سبب الاختلاف في الروايات .

المبحث الرابع : متى وقع ، وكم مرة حدث في تاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم .

المبحث الخامس : هل كان الاسراء والمعراج بالروح أم بالجسد أم بهما معـــا ؟ وترتيب المسائل الوارده فيه وبيان أدلة كل فريق والرد وفا الواردة عليه .

المبحث السادس : هل رآى النبى صلى الله عليه وسلم ربه ليلة المعراج ؟ ذكـــرت الخلاف فى ذلك مع ترجيح انه صلى الله عليه وسلم رأى بـــه بفؤاده .

المبحث السابع : الحكم والدلالات والعبر المستقاه من الاسراء والمعراج وذكرت انه احتوى على سلف عجيب من العبر ، والمعارف والغيبيات والدروس العظيمه التي تلزم الدعاة في هذا العصر الذى صار فيه الاسلام غريبا كما بدأ ، وحكمة العروج من بيت المقدس .

والفصل الثانى : عن المسجد الاقصى تاريخه وفضله وفيه سبعة مباحث :-

المبحث الأول : التعريف بالمسجد الاقصى معناه ، واسماؤه وسبب تسميته بالأقصى .

المبحث الثانى : فضائل المسجد الاقصى وما ورد من الاشارة اليه والى بركته فـــى الكتاب والسنه .

المبحث الثالث : فى فضائل الشام فهي الدائرة الاوسع لما حول المسجد الاقصى وانها مهاجر ابراهيم عليه السلام وستكون مهاجر المؤمنين فـي آخر الزمان وحث الرسول صلى الله عليه وسلم على الهجرة اليها .

المبحث الرابع : تاريخ بناء المسجد الاقصى ، والتوفيق بين الآراء المختلفة فـى ذلك .

المبحث الخامس : بينت فيه ان القدس مسلمه موحدة عبر التاريخ .

المبحث السادس: اخطاء بعض الكتاب عند حديثهم عن تاريخ القدس وأنبيـــاء بنى اسرائيل عليهم السلام .

المبحث السابع : فتح بيت المقدس ثم تغلبه في ايدي المسلمين حتى أسره أخيرا .

الفصل الثالث : تحقيق في افساد بني اسرائيل في الأرض المقدسة وعقاب الله لهم وفيه خمسة مباحث :-

المبحث الأول : تفسير الآيات الوارده بشأن افساد اليهود في الأرض المقدسه .

المبحث الثاني : من هم المسلطون على اليهود ، ومتى كان الافسادان وآراء العلماء القدامى .

المبحث الثالث : آراء بعض العلماء المعاصرين في الافساد الثاني والتسليط الثاني وان التسليط الثاني لم يحصل بعد وسيكون على أيدينا نحن المسلمين .

المبحث الرابع : المقصود من الآيات اخذ العبره والعظه ومعرفة سنة الله في الامم.

المبحث الخامس : مبررات وحجج اليهود في استيلائهم على فلسطين وفسادها .

أما الباب الرابع : فهو في المعجزات :-

ويشتمل على أربعة فصول :-

الفصل الأول : في معجزات الانبياء والمرسلين :-

وفيه أحد عشر مبحثا :-

المبحث الأول : تعريف الآيات والمعجزات لغة واصطلاحا وان تسميتها بالمعجزات تسمية حديثه .

المبحث الثاني : في الكرامات والفرق بينها وبين الاحوال الشيطانيه .

المبحث الثالث : جواز الآيات عقلا وعدم استحالتها .

المبحث الرابع : الآيات ليست من صنع الأنبياء والادلة على ذلك .

المبحث الخامس : آيات الأنبياء وملاءمتها لازمانهم .

المبحث السادس : آيه صالح عليه السلام والعبره منها ومناسبه ايرادها في سورة الاسراء .

المبحث السابع : آيات موسى عليه السلام التسع، ومناسبة ايرادها ووجه ذكر التسع.

المبحث الثامن : آيات الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم وان أعظمها القرآن .

المبحث التاسع : اقتراح الآيات على الرسول صلى الله عليه وسلم وعدم اجابتهم الى ماطلبوا والحكمة في ذلك .

المبحث العاشر : آيات الرسول صلى الله عليه وسلم والحسبه وعددها واهتمام العلماء بها وثبوتها .

المبحث الحادي عشر : الرد على شبهة ان هذا الدين لا يقوم الا بمعجزة من الله تعالى .

الفصل الثاني : في معجزة القرآن الكريم .

وفيه ستة مباحث :-

المبحث الأول : الاعجاز القرآني ، معناه ، ووجه كون القرآن معجزة عظمى وخالده .

المبحث الثاني : مسألة اعجاز القرآن عبر التاريخ ، اهميتها ونشأتها والتصنيف فيها .

المبحث الثالث : القرآن والتحدي ودراسة آيات التحدي والاعجاز وعلى رأسها آية الاسراء وهي قوله تعالى ( قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ) . واعتبارا للعلماء لها انها أول آيات المعاجزة والتحدي .

المبحث الرابع : الشبهات التي قامت حول اعجاز القرآن قديما وحديثا .

المبحث الخامس : نزول القرآن منجما والحكمة في ذلك .

المبحث السادس: آراء العلماء في وجوه الاعجاز واختلافهم في عددها .

أما الفصل الثالث : وجوه الاعجاز فى القرآن الكريم .

ففيه سبعة مباحث :-

المبحث الأول : الوجه البلاغي والمقصود به وأمثله عليه .

المبحث الثانى : والوجه الثاني الاخبار عن الغيب في القرآن وأمثله على ذلك .

المبحث الثالث : الوفاء بكل ماوعد الله به فى القرآن .

المبحث الرابع : الاعجاز المنهجي ، وجوانبه التشريعي والتربوى والخلقي .

المبحث الخامس : الاعجاز العلمي ، المقصود به والدوافع للتصنيف فيه وآراء العلماء فى التفسير العلمي ، ثم وضعت الضوابط التي يجب التقيد بها عند ملاحظة الاعجاز العلمى ، وأمثلة عليه .

المبحث السادس : الاعجاز العددى المقصود به والتصنيف فيه ومحاذيره .

المبحث السابع : الاعجاز التأثيرى أو النفسي وبيان أهمية هذا الوجه من الاعجاز في العصر الحاضر لجفاف القلوب وقسوتها ولبيان كيف كان الاولون يتأثرون بالقرآن ، والكثير اسلم وحسن اسلامه بتأثير آية أو آيات يسمعها ، والبعض يقطع حياة الضياع واللصوصية ، ويتوب الى الله تعالى ليصبح من كبار الزاهدين وهو الفضيل بن عياض وغير ذلك .

أما الفصل الأخير : فهو عن أحوال الناس مع القرآن .

وفيه مبحثان :-

المبحث الأول : أحوال المؤمنين مع القرآن .

فهو شفاء لهم وهدى ونور ورحمه وموقف أهل العلم من القرآن

فهم يمكون لسماع القرآن ، ويخرون للأ ذ قان ويزيد هم القرآن خشوعا واخباتا ،

المبحث الثاني : فمن أحوال غير المؤمنين مع القرآن :

فهم يزدادون نفورا واعراضا وكفرا . وجعل الله بينهم وبين القرآن وبين أهله حجابا مستورا . وينفرون من كلمة التوحيد ، ويتسمعون للقرآن سرا ، ويهزأون به ، ويطلقون التهم ويضربون الامثال للدعاة اليه .

وبعد فاسأل الله تعالى أن يعلمني ما ينفعني وأن ينفعني بما علمني وأن يزيدني علما .

ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

المدينه المنورة في : ١٤٠٦/٣/١٧هـ .

# مَبَاحِثُ تَمْهِيدِيَّةٌ

## بَيْنَ يَدَى الرِّسَالَةِ

## - مباحث تمهيدية بين يدي البحث -

المبحث الأول : تعريف بسورة الاسراء ، أسلوبها ، وفضلها ، وخصائصها .

المبحث الثاني : علاقتها بالقضية الفلسطينية ، وعلاقتها بسورة النحل قبلها .

المبحث الثالث : محتوياتها في خطوط عريضة .

المبحث الرابع : المقيد في سورة الاسراء .

المبحث الخامس : معنى المقيد لغة واصطلاحا .

## ـ المبحث الأول ـ

## تعريف بالسورة ، أسماؤها ، فضلها ، وخصائصها

### تعريف بالسورة :ـ

سورة الاسراء ... أو سورة سبحان ... أو سورة بني اسرائيل ، بكل هذه الاسماء أورد المفسرون تأويل هذه السورة الكريمة .

ومن تأمل السورة ، وتدبر معانيها ، فلا شك انه يلمس بوضوح أن هناك علاقة وثيقة بين تلك الاسماء ، وبين أحداث معينة وردت فيها ، ويرى أن كل اسم من هذه الأسماء يرتبط بموضوع بارز من مواضيع السورة ، أو حدث مهم ورد في السورة .

فالاسراء ... : سميت السورة به ، لأنه الموضوع الاساسي الذي نزلت فيه هذه السورة ، وابتداء السورة ومطلعها كان به بعد تسبيح الله وتنزيهه وتقديسه وتمجيده .

والاسراء ، أعظم حدث بعد الوحي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم بل من أعظمها في تاريخ البشرية :ـ

أولا : لأنه لم يقع في تاريخ البشرية الا تلك السرة .

ثانيا : لما حدث فيه واثناءه ، من آيات عظام ، ودروس رائعة ، وما كشف فيه للمصطفى صلى الله عليه وسلم من المعاني العظيمة ، فضلا عن فرض الصلوات الخمس في تلك الرحلة المباركة كل ذلك وغيره جعل هذا الحدث من أبرز معالم السورة الاسراء ، وأوضحها ، وبهذا حق أن يكون عنوانا لها .

وسبحان ... :- (١)

هو لفظ الافتتاح الذى افتتح الحق به هذه السوره ، وقد ورد هذا اللفظ كثيرا فى ثناياها ،وفي مواضع كثيرة في السورة .

وبنى اسرائيل :-

أحد أسمائها كذلك .

حيث أن الحديث عن بنى اسرائيل قد احتل قطاعا من السورة ، ولكن بعض العلماء يرى أن اسم بنى اسرائيل ، ليس من أسماء السوره ، ويرون أن هـــذا الاسم دخيل منتحل ، تسلل الى المفسرين وأصحاب السير فيما تسلل مـــن الاسرائيليات التي دسها اليهود على هؤلاء العلماء ،فقبلوها بنية حسنه .

ويستدل أصحاب هذا الرأى : على رأيهم :-

بأن سورا كثيرة من القرآن فيها حديث مستفيض عن بني اسرائيل كسورة الاعراف وطه مثلا ،وسورة البقره ،ومع ذلك لم تسم أى منها بســـــورة بنى اسرائيل (٢) .

---

(١) سبحان :- لفظ سبحان فيه رأيان للعلماء :-
الأول : أن سبحان علم على التسبيح كعثمان .
الثانى : أنه مصدر كغفران ،بمعنى التنزيه البليغ .
من السبح ، وهو الذهاب والابعاد في الأرض ، وفرس سبوح أى واسع الجرى .
انظر تفسير ابى السعود ٤/١٠٤ ، مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد .

(٢) انظر التفسير القرآني للقرآن / عبد الكريم الخطيب جـ٣/٤٠٦ ،دار الفكر العربى .

لكنني أرى أن الموضوع لا يحتمل هذه الضجة المفتعلة وأجيب على أصحاب هذا الرأى بما يأتي :-

أولا :-

سورة الاسراء عندما تناولت موضوع بني اسرائيل ، فانها تميزت عن كل سور القرآن التي تحدثت عنهم .

فالسور الاخرى مثل سورة البقرة والاعراف وطه ، تحدثت عن بعض الأحداث والاوضاع التي تتصل ببني اسرائيل ، وذكرت مخالفاتهم لهدى الأنبياء ، وافسادهم في الأرض ونقضهم للعهود ، وبعض مواقف لهم مع أنبيائهم ، وكل ذلك لا يعدو أن يكون اطرافا متفرقة من سيرتهم وأخلاقهم .

لكن سورة الاسراء تناولت الجذور التاريخية والفكرية للامة اليهودية ، وذكرت قضاء الله عليهم في الازل وتظلمهم في أحقاب التاريخ ، وبينت المواقف التاريخية الحاسمة التي أشرت فيهم تأثيرا مباشرا امتد الى عدة قرون ، ثم ذكرت السورة نهاية دولتهم وفناء جمعهم ، وكل ذلك في آيات قليلة ، لكنها استوعبت تاريخ يهود من المبدأ الى المنتهى بعد أن يكون لهم جولات ودولات في الأرض المقدسة فلسطين .

وحيث ان هذا العرض الذى جاءت به سورة الاسراء لم يظهر بمثله في آية سورة من سور القرآن غيرها ، نجد أن التسمية كانت منطقية وسليمة مع موضوع بني اسرائيل في السورة .

---

ثانيا :-

مانقله الامام البخارى في صحيحه الذى هو أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل ، فقد نقل تسميته سورة الاسراء بسورة بنى اسرائيل ، بل وعنون لها بنفس الاسم عند الحديث عنها في كتاب التفسير (١).

ثالثا :-

ان أسماء سور القرآن توقيفيه لاتؤخذ الا من المعصوم صلى الله عليه وسلم ولقد اشتهرت هذه التسميه عند المفسرين وأقرها أهل التحقيق منهم ولم ينكر أحد فيما أعلم وفيما انتهى اليه بحثي .

رابعا :-

ان في القرآن المجيد سورا كان موضوعها الكفر والكافرين والمنافقين وحطت أسماءهم كذلك ، فتبين أن حمل السورة القرآنية لاسم عدوّ من أعداء الله ، ليس تشريفا له ،ولا اعلاء لقدره ، وفي نفس الوقت فانه لن يخدش من قدسية السورة ، ولن يؤثر على قيمتها وجلال قدرها .

وذلك مثل : سورة الكافرون ، سورة المنافقون .

خامسا :-

ان السورة لم تذكر اليهود باسمهم ،ولكن ذكرتهم باسم بنى اسرائيل ، هذا وقد سماها البيضاوى - سورة (أسرى) (٢) ونقل السيوطي في (الاتقان في علوم القرآن) أنها تسمى سورة (سبحان) (٣).

(١) صحيح البخارى - الجامع الصحيح - أبوعبد الله البخارى جـ٦ / ١٠٣ ، دار احياء التراث.

(٢) انظر تفسير البيضاوى / ٣٧٠.

(٣) انظر ( الاتقان في علوم القرآن ) للسيوطي جـ١ / ٥٤.

تاريخ نزول السورة :-

سورة الاسراء مكيه ، نزلتفي مكه ، وطابع القرآن المكي باد فيها ، واضح في ثناياها .

وأن أهم مايميز السور المكيه عن السور المدنيه ،هو تركيز الأولى على العقيدة ، وأهتمامها بأصول الدين وأسس الاسلام من التوحيد والعقيدة والبعث والجزاء ، والرسالة والرسول .

وفى ذلك تقرير للمنهج الرباني السوى في بناء الأمم ، وتكوين المجتمعات.

وهو المنهج هو : ارساء القاعدة الايمانية ، والبدء بالتوحيد والعقيدة وتركيزها وترسيخها في القلوب ، والاهتمام بها . تربية ورعاية وعناية ، كل ذلك في منهج دقيق ذى خطوات مرحليه ، لتكون النتيجة اساسا متينا وقاعدة قوية يقوم عليها بناء الاسلام العظيم ونظام الشامل في واقع الحياة البشرية.

فضل سورة الاسراء :-

مع أن آيات السورة لاتتجاوز المائة والعشر آيات ،الا أنه قد ورد مايدل على عظيم قدرها ، وجلال مقامها ،وهذا يظهر من الاهتمام الخاص الذى حظيت به هذه السورة من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث روت عنه عائشة عنها :- "أنه كان يقرأ فى كل ليلة ببنى اسرائيل والزمر"(١).

---

(١) رواه الامام أحمد جـ٦/٩٨ .

وروى البخارى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال في بني اسرائيل والكهف ومريم : " انهن من العتاق الأول ، وهن من تلادى "(١).

ومعنى العتاق الأول : انهن من أوائل سور القرآن نزولا حيث نزلن في مكة قبل الهجرة .

قال ابن حجر رحمه الله :-

( ومراد ابن مسعود رضي الله عنه أنهن من أول ما تعلم من العلم وأن لهن فضلا لما فيهن من القصص وأخبار الأنبياء والامم.

ثم قال : والعتاق : جمع عتيق : وهو قديم الملك ، أو ما كل ما بلغ الغاية في الجوده ، والتلاد هو قديم الملك . . )(٢).

وأخرج ابن جرير الطبرى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال :-

" ان التوراة كلها في خمس عشرة آيه من سورة بني اسرائيل "(٣).

وهو يشير بذلك الى الآيات المبتدئه من قوله تعالى : ( وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه ) الى قوله تعالى ( . . . ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة . . . ) .

مكان نزولها وعدد آياتها :-

سورة الاسراء مكية عند جمهور المفسرين . لكن بعضهم يرى أن فيها آيات مدنيه . ولم يتفقوا على المدني منها .

---

( ١ ) رواه البخارى فى كتاب التفسير جـ٦/١٠٣ .

( ٢ ) انظر فتح البارى جـ٨/٣٨٨ - المطبعة السلفية .

( ٣ ) تفسير ( جامع البيان عن تأويل القرآن ) للطبرى جـ١٥/١٨٩ .

فقال أبو حيان الاندلسي منها آيتان :-

قوله تعالى : ( وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك ... ) .

وقوله تعالى ( وان كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها ... ) .

وذكر قولا آخر بأن المدني منها أربع آيات :-

الآيتان السالفتان ، وقوله تعالى :-

( واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس ... ) .

وقوله تعالى : ( وقل رب ادخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق ... ) .

وزاد مقاتل على الآيات السابقة قوله تعالى : ( ان الذين أوتوا العلم من قبله ... ) .

وقال قتادة هي مكية الا ثماني آيات أنزلت بالمدينة وهي من قوله تعالى : ( وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك .... ) الى قوله تعالى : ( سلطانا نصيرا )[1] .

وجزم البيضاوى انها كلها مكية وضعف قول من استثنى[2] .

وآيات السورة مائة وعشر آيات ، وعدها بعض العلماء مائة واحدى عشرة آية[3] .

---

( ١ ) انظر (البحر المحيط ) لأبي حيان الاندلسي جـ٦/ص ٣ .

( ٢ ) تفسير البيضاوى / ٣٧٠ .

( ٣ ) انظر تفسير الألوسي جـ ١٥/ص ٢ .

خصائص السورة :-

ان تنوع موضوعات السورة ،وكثرتها ، جعل سورة الاسراء تتميز بشخصية مستقلة تختلف عن باقي سور القرآن الكريم ، ومع هذا التنوع الا أن هناك طابعا بارزا غلب عليها الا وهو أن غالب موضوعاتها في العقيدة ، ثم حوت كثيرا من قواعد السلوك الفردي والجماعي وآدابها القائمة على العقيدة .

فالهدف الأساسي هو التوحيد ،ثم جاءت المواضيع الاخرى لتدعيم الهدف الاساسي وتركيزه وتثبيته وترسيخه .

وكما أسلفنا آنفا أن سورة الاسراء مكية في الجملة ، الا بعض آيات منها ،ونزلت بعد القصص ،فهي من أواخر القرآن المكي نزولا .

وقد تميزت آياتها بالطول النسبي وبسط الفكرة ، والدعوة الى الآداب ومكارم الأخلاق ، فهي لذلك تختلف عن السور المكية التي نزلت في أوائل البعثة والتي اهم ماتميزت به قصر الفواصل ،ومراعاة السجع ، والدعوة الى التوحيد وسوق أدلة الايمان بالله عز وجل .

أما آيات السور المدنية ،فهي تتميز بالطول وبيان أحكام التشريع،ونظام العبادات والمعاملات .

فسورة الاسراء قد أشتملت على خصائص السورة المكية ،وظهرت فيها خصائص السور المدنية .

والسبب في ذلك والله أعلم ، أنها من أواخر قرآن العهد المكي نزولا كما وضح لنا سابقا ، فهي اذا ممهدة للعهد المدني ، حيث استقرت الدعوة الاسلامية في المدينة ،ونزل القرآن يرسم سياسة المسلمين الداخليةوالخارجية ، ويبين نظام الحرب والسلم وأدب المعاملةوأدب الحديث ،وطريقة الدعوة ومنهاج الحياة(١).

ويمكن فهم هذا الامتزاج بين خصائص السور المدنيه ،وخصائص السور المكيه بما قرره العلماء أهل التفسير وعلوم القرآن ، من أن من القرآن ماهو مدني يشبه المكي ، ومنه ماهو مكي يشبه المدني ، فعلى هذه اللغة العميقة ،تتضح خصائص سورتنا وتكون من القرآن المكي الذى يشبه المدني(٢).

---

( ١ ) تفسير سورة الاسراء ـ د . عبدالله محمود شحاته ،ص ١٤ ،الهيئة المصرية العامة للكتاب .

( ٢ ) انظر البرهان في علوم القرآن ـ للزركشي جـ٧/ ١٩٥ ـ دار المعرفة .

## - المبحث الثانـــي -

## علاقة سورة الاسراء بقضية فلسطين ،وسورة النحل قبلها

**أولا : سورة الاسراء وجذور القضية الاسلامية الفلسطينية :-**

ومن خصائص هذه السورة أنها السورة الوحيده التي تحدثت عن مصير بني اسرائيل ونهاية دولتهم بشكل مفصل ، كما سلف في الصفحات الماضيـــه ، وبهذا فانها - أي السوره - تعتبر مصدرا اساسيا يرجع اليه كل باحث عن الحق والحقيقـة ، اذا أراد ان يتناول الفكر اليهودي وعلاقته بالاســـلام والمسلمين وتطورت الامة الملعونـة في أحقاب التاريخ .

فلقد احتوت سورة الاسراء على ذلك الطف العجيب لتلك الأمـة وكفـــى بالقرآن شاهدا تاريخيا عدلا صادقا من لدن حكيم عليم خبير .

لذا نقول أنه من الضروري على كل باحث أو سياسي أو محلل أو مؤرخ يتناول منطقة الشام وشمالي الجزيرة العربية ،بالبحث أو الدرس أو التحليـــــل -ان أراد الصدق والحق - أن يعود الى سورة الاسراء تأصيلا لبحثه وتعميقـــا لدراسته ،مستنطقا أوثق كتاب على وجه الأرض على الاطلاق .

ان مفتاح حل قضيـة فلسطين ، وما يتصل بها من مشاكل انعكست على كل صراع أو اضطراب في المنطقـة برمتها ، يكمن في تدبر أوائل سورة الاسراء ، وتأمل الآيات الواردة في بيان تاريخ يهود وعلاقاتهم بالأرض المقدسه .

فهي تكشف لنا عن جذور القضيه كما جاءت في كتاب الله .

وبينتطبيعة تلك الامة المنحرفة فطرتها ، المعسوخة سلوكيا ونفســـيا ،

ويتضح ذلك من تكرارهم للافساد والعصيان والطغيان في الأرض ، ويظهر كذلك معدنهم على حقيقة من الزيف والعوج ، وجمّله عنوانها خلف الوعد ، ونقض العهد ، لتتبصر الأمة وسط أمواج هادره تقودها الى التسليم لليهود ، وتزين لها الصلح ووضع الندى في موضع سيف الجهاد .

وشيء آخر فان سورة الاسراء قد حوت من السنن الكونيه ، والقواعد الثابته التي تحكم بين الافراد والجماعات ضمن نظام ثابت يتكرر بتكرر أسبابه ، ومن أهمها أن العصيان مؤذن بهلاك الامم ، وان سنة الله تقف مع العاطلين وتسحق الكسالى والقاعدين ، كما سنراه في فصل مستقل من هذه الرسالة ان شاء الله .

وأخيرا فان في سورة الاسراء تاريخ القضية وتاريخ الطرف المباشر فيها ، وان من لا يدرس التاريخ ولا يتعمق به ، فلابد له من التعثر في السير والتخبط في العمل ، وانه لا حاضر ولا مستقبل لمن لا تاريخ له ولا أصل .

ثانيا : علاقة سورة الاسراء بسورة النحل :-

تناسب هذه السورة سورة النحل قبلها من وجوه عده :-

الأول :-

قال أبو حيان : ( ان الله تعالى لما أمر نبيه عليه الصلاة والسلام بالصبر ونهاه عن الحزن على الكفره وضيق الصدر من مكرهم ، وكان من مكرهم نسبته صلى الله عليه وسلم الى الكذب والشعر والسحر ، وغير ذلك مما رموه به ، أعقب تعالى ذكره في سورة الاسراء بذكر شرف نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم وعلو منزلته عند ربه )[١] .

---

( ١ ) البحر المحيط - لابي حيان الاندلسي جـ٦ / ٤ - مطابع النصر الحديثة - الرياض .

الثاني :-

أن الله تعالى ذكر في آخر سورة النحل اختلاف اليهود في السبت فقال : ( انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه ) سورة النحل / ١٢٤ .

ونجد سبحانه في سورة الاسراء شريعة أهل السبت التي شرعها لهم في التوراه ، فقد أخرج ابن جرير كما مر معنا ، أن التوراه كلها في خمس عشرة آيه من سورة بني اسرائيل ، وهي آيات الحكمة المبتدئه بقوله تعالى ( وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا . . . ) .

الثالث :-

انه ذكر تعالى في السورة السالفه نعما كثيره حتى سميت لاجلها سورة النعم ، وفي هذه السورة ذكر أيضا نعما خاصة وأخرى عامه .

الرابع :-

ذكر سبحانه هناك في سورة النحل قوله تعالى ( يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ) سورة النحل . وذكر هنا انه جعل الشفاء في القرآن الكريم ( ونزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ) سورة الاسراء .

الخامس :-

ذكر سبحانه وتعالى في سورة النحل امره بايتاء ذى القربى ، وأمر هنا فى الاسراء بايتاء ذى القربى مع زيادة في قوله تعالى ( وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ) (١) .

---

( ١ ) انظر الضياء في تفسير سورة الاسراء ٦-٧ د . محمد أبو النور الحديدى . مطبعة الامانه مصر ١٣٩٧هـ .

## ـ المبحث الثالث ـ

## موضوعات السورة ومحتوياتها (١)

سبق وأن عرفنا أن سورة الاسراء هذه مكية تهتم بشؤون العقيدة كشأن سائر السور المكية من العناية باصول الدين ، فعالجت العقيدة الاسلامية في شتى أركانها وقضاياها ، وفي كثير من مظاهرها ، فتراها تكلمت عن الوهية الله عز وجل وربوبيته ومظاهر عظمته في هذا الوجود ، وعن الرسول صلى الله عليه وسلم ورسالته ، وعن القرآن وهدايته وموقف القوم منه ، ثم تحدثت عن الانسان وطبيعته ، وعن أخلاقه وسلوكه ، وبينت أسس المجتمع الاسلامي السليم .

ولكن العنصر البارز في معرض آيات السورة هو شخصية الداعي الأول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وما أيده وأكرمه ربه من المعجزات الباهرة ، والحجج والبراهين القاطعة الساطعة ، الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم فيما بلغ عن ربه .

ويمكننا استمرار الخطوط العريضة لمحتويات السورة :ـ

أولا : تحدثت عن معجزة الاسراء والمعراج .

ثانيا : تحدثت عن بني اسرائيل ، وعصيانهم وتشردهم ، وسنة الله الكونية الماضية في الامم والجماعات ، وان العاقبة للتقوى والمتقين .

ثالثا : بعض الآيات الكونية التي تدل على العظمة ومظاهر الربوبية الحقة ، وعن النظام الدقيق الذي يحكم الليل والنهار وفق ناموس الهي ثابت .

رابعا : بعض مجموعات من الآداب الاجتماعية ، والاخلاق الفاضلة ، الكريمة ، والتي هي بمثابة الاسس الاخلاقية والقواعد السلوكية التي ينبني عليها النظام الاخلاقي في الاسلام .

خامسا : تحدثت عن ضلالات المشركين ، حيث نسبوا الى الله عز وجل الصاحبة والولد . والعجيب في أمرهم أنهم يكرهون البنات ثم ينسبونها الى الله العلي الكبير

---

(١) انظر كتاب ( أهداف كل سوره ومقاصدها ) عبد الله محمود شحاته ١٩١ ـ ٢٠٠ .

المنزه عن الشريك والنظير .

سادسا : تحدثت عن البعث والنشور ، والمعاد والجزاء واقامت البراهين على امكانية وقوعه .

سابعا : حديث عن القرآن العظيم معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتحدت المشركين وطلبهم المعجزات الحسيه الكثيره .

ثامنا : عن بعض السنن الاجتماعيه والفرديه ، التي تحكم سير الجماعات والامم والافراد ، وتتكرر اذا تكررت أسبابها .

تاسعا : عن الشفاعة الثابتة لرسولنا صلى الله عليه وسلم ، وأنها هي المقام المحمود الذى وعد الرحمن خليله .

عاشرا : عن الروح ، وأنها من أمر العليم الخبير .

حادى عشر : تحدثت عن طبيعة الرسالة والرسول ، والصفة البشرية الملازمة له ، وبينت نظرة الاسلام المعتدله الى الرسول بلا غلواً ولا اجحاف .

ثانى عشر : اختتمت السورة بتنزيه الله عز وجل عن الشريك والولد وعن صفات النقص .

ثالث عشر : احتوت السورة على قصص للانبياء مع أقوامهم ، وقصة خلق آدم عليه السلام .

## - المبحث الرابع -

## العقيدة في سورة الاسراء

ان توحيد الله تبارك وتعالى ،واثبات كمال ربوبيته ، وبيان مظاهر هذه الربوبية في النفس الانسانيه ،وفي الكون الفسيح البديع ، واثبات صفاته العلى واسمائه الحسنى سبحانه وتعالى كل ذلك قد احتل المساحة العظمى من آيات السورة .

بل يمكننا القول بأن التوحيد باقسامه توحيد الربوبيه ، والاسماء والصفات ،وتوحيد الالوهية كان المحور الذى تدور حوله مواضيع السورة - سورة الاسراء - والقاعدة التي ترتكز عليها .

والهدف من ذلك هو غرس هذه العقيدة بالصورة الصحيحه ، والوضع السليم ، حيث تتجلى لنا أركان الايمان والعقيده ، وتوضح صفات الخالق الواحد سبحانه ثم تعميق هذه العقيده وترسيخها في نفوس الرعيل الأول رضوان الله عليهم ومن جاء بعدهم بأساليب مختلفة من تقرير نعم الخالق العظيمه الكبيره ، ونصب الآيات الكونيه ، وبيان السنن الاجتماعيه وهدم اعتقادات المشركين وبيان عجز المعبودات الأخرى من دون الله عز وجل ، ثم تربية المسلمين على هذه العقائد ليصوغوا حياتهم وفقها .

ولقد جاء الاهتمام بالعقيده والتركيز على جوانبها وركائزها في السورة المباركة ،ضمن منهج فريد من نوعه ،وأسلوب موضوعي رصين من عند أحكم الحاكمين ، يعتمد على الدخول الى النفس البشرية مباشرة ،فيهزها ويوقظ فيها الوجدان ، ويحيى القلوب لتبصر كثيرا من الحقائق القريبه والبعيدة في النفس وفي الكون ،

غفل عنها هذا الانسان في زحمة الانشغال بدوامة الدنيا ومتاعها ومباهجها ، ولملفت نظره الى هذه الحقائق التي يراها صباح مساء دونما تأمل أو تدبر في خالقها ومدبرها ومنظم شؤونها سبحانه وتعالى .

وسنعرض جوانب العقيدة المبثوثة في السورة الكريمة بشكل مجمل وسنرى التفصيل في الفصل الذي يليه .

اجمال جوانب العقيدة في سورة الاسراء :-

قبل الدخول في تفصيلات المواضيع التي سنتناولها في بحثنا هذا ، لابد لنا من عرض اجمالي للعقيدة وجوانبها والتي دارت حولها السورة ، ودعت اليها أو عالجتها ، لتكون بمثابة شعاع يكشف معالم الطريق ، ولتعطي القارئ تصورا عاما ومجملا عن الجوانب العقدية فيها .

كما ذكرنا سابقا أن السورة مكية ، وبالتالي فانها تركز على قضايا معينة حول الالوهية والبعث واثبات النبوة والرسالة ، وارساء معالم التوحيد الخالص ، وتعالج ماتعالجه السور المكية من حماقات وانحرافات المشركين ، وتصحح اعوجاجهم وتهدم معتقداتهم الباطلة .

ومن تلك القضايا والانحرافات التي عالجتها السورة :-

١ - سوء الأدب مع الله تعالى ، وانكار قدرته في اسراء بنبيه خلافا للمألوف المعتاد ، فعالجتها بتسبيح الله تعالى ، وتنزيهه عن مشابهة أفعاله بأفعال المخلوقين العاجزين ، وركزت على أدلة ومظاهر الربوبية .

٢ - الشرك بالله تعالى ، فقد فندت حجج المشركين في شركهم ، وهدمت فكرة الشرك من أساسها .

٣ - ردت على من أنكر رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى من أنكر القرآن ، وادعى أنه قادر على الاتيان بمثله ، وبينت أنه المعجز الذى يتحدى الانس والجن بوجوه اعجازه التي صرفها الله فيه .

٤ - نظرا لقصر نظر المشركين على الدنيا وعدم اقتناعهم بالآخرة وما فيها من حساب وجزاء ، فقد ركزت السورة على دحض ادلة منكرى البعث الواهيه ، وقصمت ظهورهم .

٥ - ذكرتهم السورة بما جرى للامم قبلهم من بني اسرائيل ، وقوم صالح ، وموسى مع فرعون .

٦ - ذكرتهم بنعم الله تعالى عليهم ، وأنها تستحق منهم أن يشكروا المنعم ويوحدوه .

٧ - عالجت السورة الامراض الاجتماعية التي كان يعج بها المجتمع المكي من المفاسد والمخازى وذكرتهم بالله تعالى ليصلحوا هذا الواقع وليكون ذلك نبراسا للمسلمين في كل زمان ومكان ان المجتمع الصالح والفاضل والنظيف لا يقوم الا على تقوى الله وعلى قاعدة العبودية لله تعالى .

وسنوسع دائرة الاجمال قليلا لتتضح الصورة المجملة أكثر نسبيا .

أولا : توحيد الربوبية في السورة :-

شغل موضوع الربوبية حيزا يليق به في سورة الاسراء :-

ولذا افتتحت السورة بتسبيح الله تعالى وتنزيهه عما يقوله المشركون مما لا يليق بجلاله وعظمته عز وجل ، وقد تكرر التسبيح في مواضع من السوره لتنزيه الله تعالى عن كل سوء وعيب في الاسماء أو في الصفات أو في الذات أو في الافعال .

ثم هي تصل الانسان بخالقه وتحببه اليه من خلال صفات ربوبيته وجلاله، وحسنى أسمائه وكريم وعظيم صفاته .

ثم ان السورة تجلي أمام القارئ ادلة ربوبية الخالق العظيم سبحانه ، وتثبت تفرده عز وجل في ملكوته وتدبيره أمر الخلائق والاحياء .

ومن مظاهر تفرد السورة بمنهج مستقل ومميز ، أنها تجعل التسبيح والتحميد والتكبير هو شعار السورة ، فبالتسبيح ابتدأت تختتم أى موضوع أو قضية يسيء فيها الناس الادب مع خالقهم جل وعز كما سنرى في موضعه من هذه الرسالة باذن الله .

ولا يصح أن يكل البشر في أى زمن ، أمورهم لغير الله تعالى ، فهو سبحانه ولي الخصم ومدبر الامر كله ، وبنو اسرائيل قد غمرتهم نعم الله ، وتولتهم عنايته ورحمته في جميع أحوالهم أولى الناس بأن لا يتخذوا من دونه ربا يكلون اليه أمورهم كما قال تعالى في الآية الثانية : ( ألا تتخذوا من دوني وكيلا ) ولذا ذكرهم الله تعالى بأنهم من ذرية نوح عليه السلام ليثيرهم ويحفزهم الى الايمان بالله وحده .

ونفر الله تعالى في السورة الكريمة من عاقبة الشرك ، حيث ان المشرك يقعد في الدنيا مذموما ، ومن النصير محروما ( لاتجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا ) .

وأما عاقبة الشرك في الآخرة فهي بئست العاقبة وهي الطرد والحرمان والبعد عن رحمة الله كما قال تعالى : ( ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا ) .

وردت على المشركين وعّرت لهم تلك الآلهة والمعبودات التي زعمها المشركون آلهت من دونه فهي لا تستطيع كشف الضر عنهم اذا حاق بهم ،ولا تقدر على تحويله عنهم الى غيرهم ،فكيف يستحقون العبادة وهم في هذا الضعف المخزى ، وأن الذى يستحق العبادة من له القدرة الكاملة على رفع الضر ،وجلب النفع .

( قل ادعو الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ) .

وبينت لكل من يتخذ اندادا من دون الله يحبونهم كحب الله ان أولئك المعبودين سيفتقرون اليه سبحانه في جلب النفع لانفسهم ودفع الضر عنها ، وكلهم يتسابقون الى طاعة الله الواحد ويرجون رحمته ويخشون عذابه .

وذكرت المشركين ولفتت عقولهم ونفوسهم الى أنهم اذا وقعوا في الخطر والمأزق وأحاط بهم الهلاك ، فانهم لا يجدون ملجأ ولا منجى الا الله وحده .

( واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه ) .

وبعد ذلك تؤكد السورة تفرد الحق جل جلاله في ربوبيته وملكه العظيم، فهو سبحانه لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ،ولا ولي من الذل ،ومن كان هذا شأنه فانه يستحق الحمد وكان هو العظيم بحق فيستحق التعظيم والتكبير والتنزيه .

( وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا ) ، وهو ختم للسوره بمثل ما ابتدأت به من التنزيه والتعظيم والتقديس .

وتوحيد الله في أسمائه وصفاته، فبينت السورة كذلك ان لله تعالى أسماء حسنى فهي الكاملة التي لا يعتريها نقص ولا عيب ، وطلبت من الناس أن يدعوا الله بها وبأى اسم منها فهي اسماء وصفات لا تعني تعدد المسمى ولا الموصوف سبحانه .

وصححت اعتقادات المشركين الخاطئة حيث ظنوا انه بدعاء الله تعالى باسم الرحمن واسم الله فانه يعني أن هناك خالقا آخر مع الله تعالى ، فبينت لهم أن الدعاء بهذا الاسم أو ذاك هو سواء لان المدعو واحد لا شريك له سبحانه وتعالى .

وردت السورة على المشركين ودحضت عقائدهم المنحرفة ومنها :-

١ - نسبتهم البنات الى الواحد الأحد ، وهو قول قبيح شنيع لا يصدر عن عقلاء : ( أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما ) .

٢ - ورد تعلى المشركين ودحضت فكرة اتخاذ شريك مع الله تعالى ، والعقل السليم يشهد بأنه لا يكون مع الله غيره ، اذ لو كان معه آلهة أخرى لوقع التنازع والتغالب بينهم ، ومن ثم يفسد أمر الكون ويختل نظامه ، وهذا لم يحدث فهو في غاية النظام والدقة . كما قال تعالى : ( قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا ) ، سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ) .

والكون يشهد لله بالوحدانية ويسبحه وينزهه ويعظمه : " تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده . . . " .

٣ - ورد تالسورةعلى من أنكر البعث من المشركين واستبعده واستهزأ به :-

كما حكى عنهم( وقالوا اءذا كنا عظاما ورفاتا أءنا لمبعوثون خلقا جديدا ) .

ورد الله تعالى عليهم بأن البعث ممكن ، وان اعادة الحياة الى من صاروا عظاما ورفاتا أمر ميسور سهل ازاء قدرة الله وعظم الجبار الذى لا يعجزه شيء ، وحتى لو فرض أنهم صاروا ابعد شيء من الحياة كالحجارة والحديد ، ( قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مره . . . " .

ثم ان الحق جل جلاله يرد على منكرى البعث مرة أخرى في السورة نفسها :-

( ذلك بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا آءذا كنا عظاما ورفاتا أءنا لمبعوثون خلقا جديدا ) .

ويرد الله تعالى بأن القضية واضحة وسهلة الفهم فان الذى قدر على خلق هذه الاجرام الكبيره والعظيمه من سموات وأرضين وجبال فانه سبحانه لا يعجزه خلق امثالنا من المخلوقات الصغيره الضعيفة اذا ما قيست بتلك الكبيرة ( أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه . . . ) .

ومع كل هذه الأدلة المقنعه الواضحه والبراهين القاطعة ، فيتمادون في انكارهم للبعث ولذا كانوا ظالمين ( فابى أكثر الظالمين الا كفورا ) .

وذكرتهم السورة كذلك بمسؤولية كل انسان عن نفسه وعن تصرفاته وسلوكه وانه لا يحاسب يوم القيامة أحد عن أحد ولا يحمل وزره ؛ ( وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ) ( ولا تزر وازرة وزر أخرى ) .

ثالثا : الرسالة المحمدية والقرآن :-

لقد صدرت هذه السورة الكريمة بذكر حدث هام يتعلق بنبينّا عليه الصلاة والسلام الا وهو حدث أو معجزة الاسراء والمعراج ، حيث اطلع الله تعالى رسوله الكريم على بعض آياته في ملكوته الواسع العظيم، مما كان له أكبر الأثر في التسليه والتسرية عن الرسول صلى الله عليه وسلم من الضيق الذي انتابه من صدود قومه .

وكانت معجزة الاسراء والمعراج دليلا قاطعا على صدق رسولنا صلى الله عليه وسلم وأنه مرسل من عند ربّ العالمين .

وكذلك كانت آيات موسى عليه السلام التسع التي أشير اليها في السورة بصائر ودلائل هادية لفرعون وقومه على صدق موسى عليه السلام فيما بلغ عن ربه :-

( ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني اسرائيل اذ جاءهم . . )

ولذا كان للمعجزات التي أعطاها الله تعالى للأنبياء اهتمام كبير في السورة كدلائل للنبوة والرسالة .

وكما أعطي الله تعالى موسى الكتاب وهو التوراه هدى للناس ورحمة ، ( وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل . . . ) .

كذلك كان القرآن لنبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم وأمته ( ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ) .

ولقد كان للمؤمنين مع القرآن مواقف وأحوال ، فهم يزدادون به ايمانا ورحمة وشفاء ، ( وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ) .

والعلماء من أهل الكتاب السابق ؛ اذا يتلى عليهم هذا القرآن يصدقون بوعد الله ، وينزهونه ويسبحونه فتهيج نفوسهم بكاء ويخرون للاذقان سجدا .

( ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا . . . )

أما الكافرون فانهم لم يذكروا بما في القرآن من المواعظ والحكم والاخبار والقصص فهم يستمعون اليه ساخرين لاجادين منصفين :-

( نحن أعلم بما يستمعون به ، اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون . . . ) ويضربون الامثال ويشبهون الرسول صلى الله عليه وسلم بالساحر والشاعر والمجنون فيضلون عن الحق والصواب .

وكيف يمكن أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم مسحورا مختل العقل وقد جرى على لسانه أبلغ كلام وأفصحه ، وأروع بيانه وأبدعه ، ولقد عجزوا عن مجاراته ، وأخفقوا في محاكاته أو الاتيان باقصر سورة من مثله :-

( قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ) .

وللكافرين محاولات لفتن الرسول صلى الله عليه وسلم عن طريقه ، ولكي يركن اليهم شيئا قليلا وينحرف عن صراط الله ، لكن الله تعالى يعصمه من ذلك رحمة منه وفضلا ، وثبته على الطريق .

ويمن الله تعالى على رسوله بأنه هو وحده سبحانه الذي يثبت القرآن في قلب رسوله صلى الله عليه وسلم وهو قادر على اذهابه ( وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك لتفترى علينا غيره ، واذا لاتخذوك خليلا ، ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا ) .

ويزداد المشركون في التعنت والمكابره ،ويشترطون لا يمانهم بالرسول وبالرساله ان تتحقق لهم مطالب ومقترحات ( وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا الأرض ينبوعا ... ) .

ويبين الله تعالى لهم أن الآيات والمعجزات لا تنشيء الايمان في النفوس المغلقه والقلوب المنكوسة المجاهده ،وضرب لهم الامثلة بفرعون حيث جحد بآيات موسى عليه السلام وقوم صالح اذ جحدوا بالآية التي أرسلها الله تعالى بناء على طلبهم :-

( وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون ،وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ،وما نرسل بالآيات الا تخويفا ) .

كذلك تعللوا في عدم ايمانهم وأتباعهم للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه بشر ، كما تعلل من سبقهم من المعاندين والمكذبين للرسل والرسالات ، وقد طلبوا ان يرسل الله اليهم ملكا ، ورد الله تعالى عليهم وصحح لهم الفهم، بأنهم بشر فناسبهم ان يكون الرسول اليهم بشرا ،ولو كانوا ملائكة لارسل الله اليهم ملكا .

( وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا ابعث الله بشرا رسولا ، قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ) .

وذكرت الناس ان البشر قليلوا العلم ،وان عليهم ان يلتزموا حدودهم واقدارهم ولا يسألوا عن كل شيء فان العقول لا تدرك كنه أكثر الاشياء المحسوسة فكيف بالمغيبات (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا ) .

وكل هذه العقائد جاءت في السورة ضمن أسلوب سهل واضح ميسر بعيد عن التعقيد الكلامي الجاف ، أو الأدلة الفلسفية الغريبة عن طبيعة هذه العقيدة ،بل هو اسلوب القرآن الفريد الذي يساير النفس البشرية والفطرة الانسانية ويفهم جميع الناس من كل الفئات لانه من لدن حكيم خبير .

## ـ المبحث الخامس ـ

## معنى العقيدة لغة واصطلاحا

لفظ ( عقيدة ) فعلى لم يرد صراحة بهذه الصيغة في كتاب الله تعالى ، ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيما أعلم .

ولكن أصل مادة هذه الكلمة ( عقيدة ) من عقد قد ورد في غير ما موضع من كتاب الله تعالى ، وكذا في الأحاديث النبوية الشريفة .

أما ورودها في القرآن :ـ

فجاء ( عقد ) في قوله تعالى : ( والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم.. )(١) .

وجاء ( عقد ) في قوله تعالى : ( ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ... )(٢) .

وجاءت ( عقده ) ( ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله )(٣) .

أما في السنة :ـ

فجاء لفظ ( عقد ) في حديث :ـ

" يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم اذ هو نائم ثلاث عقد.. )(٤)

وفي حديث "أشد ضفر رأسي أو أعقده"(٥) وغيرها كثير .

أما في اللغة :ـ

فإني بعد مراجعة قواميس اللغة العربية ومعاجمها لمعرفة معنى العقيدة فانني استنتج مايلي :ـ

---

( ١ ) سورة النساء / ٢٣ .
( ٢ ) سورة المائدة / ٨٩ .
( ٣ ) سورة البقرة / ٢٣٥ .
( ٤ ) رواه البخاري باب التهجد ، ومسلم في كتاب المسافرين ،وأبو داود في باب التطوع ، وابن ماجه في باب الاقامه .
( ٥ ) رواه مسلم في كتاب الطهاره .

ان مادة ( عَقَدَ ) يعقد تدور حول الشد والربط والتوثيق والتأكيد (١) . فكأن العقيدة هي العهد المشدود ، والعروة الوثقى ، وذلك لاستقرارها في القلب ورسوخها في الاعماق .

العقيدة في الاصطلاح :-

أما تعريفها الاصطلاحي :- فقد اختلفت عبارات العلماء المحدثين في تعريفها : فمنهم من عرفها : ( بأنها الامور التي يجب أن يصدق بها قلبك ، وتطمئن اليها نفسك ، وتكون يقينا عندك لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك (٢) ) .

وعرفها آخر : قائلا : ( هي الايمان بحقيقة معينه ، ايمانا قطعيا لا يقبل الشك أو الجدل ، أو هي ما تؤمن به وتراه عن اقتناع قلبي اكيد ، وعلى أساس هذا الذي تؤمن به وتراه تذهب في حياتك ، اى تسير وتذهب ...) (٣) .

وتعريف ثالث يقول :-

( العقيدة : هي مجموعة من قضايا الحق البديهية ، المسلمة بالعقل والسمع والفطرة ، يعقد عليها الانسان قلبه ، ويبني عليها صدره ، جازما بصحتها قاطعا بوجودها وثبوتها ، لا يرى خلافها انه يصح أو يكون أبدا ) (٤) .

والكثير من العلماء يعني بالعقيدة ( الايمان ) فيفسرون كلا منهما بالآخر . فالعقيدة والايمان عندهم بمعنى واحد يدور حول التصديق والاعتقاد ، وانه ضد الكفر .

( ١ ) انظر لسان العرب لابن منظور جـ٥ / ٣٠٣١-٣٠٣٢ دار المعارف ، والقاموس المحيط للفيروزآبادى جـ١ / ٣٢٧ - دار الجيل - بيروت . ، ومختار الصحاح للرازى ٤٤٥ - دار الكتاب العربي .

( ٢ ) العقائد الاسلامية - سيد سابق - ٧ مطبعة حسان - الطبعة الثانية .

( ٣ ) العقيدة الاسلامية / د . عبد الغنى عبود / ١٧ الطبعة الاولى - دار الكتاب العربى .

( ٤ ) عقيدة المؤمن / أبوبكر الجزائرى / ٢١ مكتبة الكليات الازهرية .

والرسول صلى الله عليه وسلم فسر الايمان في حديث جبريل عليه السلام بالأمور الستة وهي أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر .

وأطلق العلماء على هذه الامور الستة ، بأنها (أصول الايمان ) أو (أركان الايمان ) . وهذا يعني أن الايمان له أركان هي بمثابة القواعد والأصول التي يقوم عليها الشيء ، والايمان كما جاء في الصحيح أنه يشمل بضعا وستين شعبه ، أو بضعا وسبعين شعبه (١) .

فاذاً يمكننا أن نطلق ( لفظ ) العقيدة على أركان الايمان الستة ، وتكون دائرة الايمان أوسع وأشمل من دائرة العقيدة ، لان الايمان يشمل الاركان ويشمل الشعب الأخرى .

وبذا فيمكن اعتبار العقيده تختص بالأمور العلمية التي أخبر الله تعالى عنها بالوحي . وهي تقابل الشريعة ، مجاراة للتقسيم الحديث للاسلام بانه قسمان : عقيدة وشريعة .

ويقصدون بالشريعة : التكاليف العملية من العبادات والمعاملات والأخلاق (٢) .

ويكون (الايمان ) يشتمل على الجانبين العلمي والعملي أو العقيدة والشريعه فهو اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالاركان حسب مفهوم وتعريف السلف له . هذا عند اجتماع اللفظين ، لكن عند الاطلاق العام فانه ينوب أحد اللفظين عن الآخر في المعنى والله أعلم .

---

( ١ ) في حديث صحيح رواه البخاري جـ١/ ٩ - ومسلم جـ١/ ٤٦ .

( ٢ ) انظر كتاب - العقيدة في الله - عمر الاشقر / ١٠ مكتبة الفلاح - الكويت .

# البَابُ الأَوَّلُ

## فى توحيد الربوبية والأسماء والصفات
## مِن خِلال السّورة

## ـ الباب الأول ـ

في

## توحيد الربوبية والاسماء والصفات من خلال سورة الاسراء

وفيه فصول :ـ

الفصل الأول : تنزيه الله تعالى من خلال السورة .

الفصل الثاني : الرد على اعتقادات المشركين وتفنيدها .

الفصل الثالث : في توحيد الاسماء والصفات من خلال السورة .

## ـ الفصل الأول ـ

## تنزيه الله تعالى من خلال سورة الاسراء

وفيه مباحث :ـ

المبحث الأول : تنزيه الخالق عند غير المسلمين .

المبحث الثاني : تنزيهه تعالى بصيغة التسبيح .

المبحث الثالث : تنزيهه تعالى بصيغتي التحميد ،والتكبير .

معنى توحيد الربوبية :-

توحيد الربوبية : مركب اضافي ينحل الى لفظين : توحيد وربوبية وسنعرف كل لفظ منهما من حيث اللغة .

معنى التوحيد لغة :-

التوحيد مصدر وحّد الشيء يوحده توحيدا ، أي جعله واحدا .
ووَحِدٌ ، ووَحيدٌ ،ومتوحد اى منفرد (١) .

معنى الربوبية لغة :-

الربوبية مصدر ربّ يربّ ربا .

والرب في اللغة : بمعنى مالك الشيء وصاحبه ،ومنه ( فلان رب الدار ) أي صاحبها ومالكها وكل من ملك شيئا فهو ربه (٢) .

قال في تاج العروس( الرب هو الله عز وجل ، وهو رب كل شيء اى مالكه ولـه الربوبية على جميع خلقه لا شريك له وهو وحده رب الأرباب ، ومالك الملوك والا ملاك (٣)

ويكون الرب بمعنى المصلح للشيء ،والقائم بأمره ،وبمعنى السيد المطاع .

هذا في اصل اللغة لكن في الاصطلاح عند علماء الشريعه فانه يفيد معانـي أخر :

قال الطبري : ( وقد يتصرف ايضا معنى الرب في وجوه أخرى غير ذلك ، غيرانها تعود الى بعض هذه الوجوه الثلاثه ،فربنا جل ثناؤه : السيد الذي لا شبيه له ولا مثل في سؤدده ،والمصلح امر خلقه بما اسبغ عليه من نعمه والملك الـذي له الخلق والأمر ) (٤) .

---

( ١ ) القاموس المحيط للفيروز آبادي ج١/ ٣٥٦ ،دار الجيل - بيروت .
( ٢ ) انظر لسان العرب - لابن منظور ج٣/ ١٥٤٦ والقاموس المحيط ج١/ ٧٣ .
( ٣ ) تاج العروس- محمد مرتضى الزبيدي ج١/ ٢٦٠ ،دار مكتبة الحياة بيروت/ ١٣ .
( ٤ ) تفسير (جامع : البيان عن تاويل القرآن ) لابن جرير الطبري ج١/ ٦٢ .

وهي دخلت الالف واللام على لفظ ( رب ) اختص الله تعالى به ، لانهما للعهد واذا حذفتا صار مشتركا بين الله وبين عباده ، فيقال : الله رب العباد ، وزيد رب الدار (١)

وأما الربوبية : قال في القاموس : ( هي النسبة الى الرب سبحانه ، وهي على غير قياس ) (٢) .

معنى توحيد الربوبية :-

يقصد بتوحيد الربوبية الاعتقاد الجازم بان الله تعالى وحده هو رب كل شيء ومليكه ، وهو الخالق الرازق المحيي المميت الضار النافع ، المعطي المانع المتصرف في هذا الكون بمشيئته المطلقة ، وليس معه رب آخر يشركه في شيء من تلك الخصائص والصفات .

والقلوب مفطورة على الاعتراف بالرب الخالق سبحانه أكثر من اعترافها باي شيء آخر ، ولذلك اجاب الرسل عليهم السلام مستنكرين جحودهم لله سبحانه :-

( قالت رسلهم افي الله شك فاطر السموات والأرض ) (٣) .

ذلك ان الاقرار بالخالق المدبر أمر فطرى جبلت عليه النفس البشرية ، والتوحيد سابق واصيل في البشر وأول البشر آدم عليه السلام خلقه الله تعالى مؤمنا سويا كاملا في فكره ، وتوحيده ومعرفته لربه سبحانه وانما الشرك والانحراف طرأ بعد ذلك لعوامل متعددة .

---

( ١ ) انظر تفسير ( الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ) جـ ١ / ٣٧ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ ١ / ٢٣ .

( ٢ ) القاموس المحيط جـ ١ / ٧٢ .

( ٣ ) سورة ابراهيم / ١٠ .

ولقد كان المشركون مقرين بتوحيد الربوبية ، ووضح ذلك في ادلة كثيرة جدا في القرآن الكريم ومنها :-

قوله تعالى ( قل من يرزقكم من السماء والأرض امن يملك السمع والابصار ، ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر ، فسيقولون الله فقل أفلا تتقون )(١) .

وقوله سبحانه ( ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ، قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون )(٢) .

وقوله سبحانه كذلك ( قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تتقون ، قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون )(٣) .

وربوبية الله تعالى تعني تفرده سبحانه وتعالى بخصائص الربوبية التي ذكرناها آنفا فهو سبحانه متفرد في شؤون خلقه وملكهم وتدبير شؤونهم ، فلا شريك له في الخلق ولا شريك له في تصريف الامور ، ولا يتدخل في تصريفه لشؤون الكون والحياة أحد ، ولا يرزق الناس معه أحد ، ولا يضر أو ينفع غيره أحد ، ولا يتم شيء في هذا الوجود صغير أو كبير الا ما يأذن به ويرضاه وصدق الله ( ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين )(٤) .

وقد أفصح القرآن عن هذا النوع من التوحيد جد الافصاح ، ولا تكاد تخلو سورة من سور القرآن من ذكر أو الاشارة اليه ، فتوحيد الربوبية هو الاساس بالنسبة

---

( ١ ) سورة يونس / ٣١ .
( ٢ ) سورة لقمان / ٢٥ .
( ٣ ) سورة المؤمنون / ٨٤-٨٩ .
( ٤ ) سورة الاحزاب / ٥٤ .

لانواع التوحيد الاخرى ـ الالوهيه ـ والاسماء والصفات كما سنراها في بابها ـ .

ولهذا نجد ان الله تعالى ذكر توحيد الربوبية في مقام الحمد لله فقال سبحانه :ـ

( الحمد لله رب العالمين (١) ) وقال ( فلله الحمد رب السموات والأرض رب العالمين (٢) ) . وذكره في مقام الاستسلام لله تعالى والانقياد له :ـ

( قل ان هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين (٣) ) .

وهذا التوحيد لا يكفي العبد الاقرار به اذا لم يؤمن ويعتقد ويعمل بمقتضى انواع التوحيد الاخرى ، فان المشركين في الجاهلية ذكر الله تعالى كما أسلفنا انهم يقرون ويعترفون بالخالق الرازق ولكنهم لم يتوجهوا اليه بالعبادة ، ولم يفردون بالوهيته بل اشركوا معه غيره في العبادة والتوجه فلم ينفعهم ولم يفدهم . فتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الالوهية كما سنرى فيما بعد .

---

( ١ ) سورة الفاتحه / ٢ .
( ٢ ) سورة الجاثية / ٣٦ .
( ٣ ) سورة الانعام / ٧١ .

## ـ المبحث الأول ـ

## تنزيه الخالق سبحانه عند غير المسلمين

ان الايمان بالله وبوجوده ، والاعتراف بربوبيته ، أمر فطرى جبلت عليه النفس البشريه منذ أن خلقها الله تبارك وتعالى . ومع أن الكثيرين ممن لم يؤتوا قسطا من علم أو فهم ينكرون هذه الحقيقه ، ويدعون أن الشرك سابق على التوحيد ، وأن التدين مر على مدى التاريخ في سلسلة من المراحل والتطورات ابتدأ بعباده وتقديس العديد من الأرباب والآلهه والمعبودات ، ثم يقول هؤلاء بأن التطور في الأمور الحيويه يلحقه التطور في التدين ، فكانت فكرة التثليث ، وأخيرا انتهى عهد التطور العقدى الى القول باله واحد عندما نضجت البشريه وأصبحت قادره على استيعاب فكرة التوحيد بعد أن لم تكن قادرة على ذلك .

وهذه الأقوال والآراء انما هي أضغاث أقوال ، وواضحه الزيف والبطلان ولقد تكفل علماء مقارنة الأديان بدحض هذه الأخيله والأوهام في غير ما كتاب ، مما لا يتسع اليه المقام (١) .

والذى يهمنا من هذه التقدمه هو أن الايمان بوجود اله خالق رازق عند الامم فان الصورة الصحيحه للدين الحق ، حين ينزل رسل الله الى العباد والأقوام فيعرفون الناس بربهم المعرفة الصحيحه ويعلمونهم تنزيه خالقهم وتقديره حق قدره فاذا قضى رسل الله وطال العهد على الأمم انحرفت شيئا فشيئا عن الجاده ، وانتشر التحريف وعم الانحراف حتي يصيب العقيده في الخالق سبحانه ، وسنحاول في السطور التالية ، معرفة التنزيه عند الديانات القديمة وسنتطرق الى أهم هذه

---

(١) انظر كتاب الدين ( لمحمد عبد الله دراز ) فقد حلل هذه الآراء ورد عليها ردا علميا قاطعا .

الديانات والفلسفات :

مذاهب الناس في التنزيه[١] :-

كان التنزيه عند الأمم الأخرى يختلف باختلاف انحرافهم : عن هدى الأنبياء والرسل ، فكلما ابتعد الناس عن تعاليم رسل الله وأنبيائه ركب الشيطان على عقولهم وقلوبهم فأخذوا ينتحلون لخالقهم من الصفات والخصال مالا يقبله حتى الخيال ، ولكنه الجنوح والانحراف عن دين الله أعاذنا الله من ذلك .

فالفلاسفة : كان التنزيه عندهم مجملا ، فكان أشبه بخيالات جامحه وخبطا وهذيانا منه الى التنزيه الحق الذى يليق بربه خالق مدبر .

فهذا أفلوطين[٢] : كان ينكر صفة الوجود ، وأن الله على رأيه لا يوصف بأنه موجود تنزيها له عن صفة العدم المقابله والتي تشترك فيها المخلوقات الأخرى .

وأما أرسطو[٣] : فكان ينزه الله عن العمل والاراده ، لأن العمل طلب الشيء والله غني عن كل طلب . وينزه الله عن الاراده ، لأن الاراده على رأيه هي اختيار بين شيئين والله سبحانه قد اجتمع عنده الأصلح الأفضل من كل شيء .

ففكرة التنزيه عند أرسطو هي تجريد مطلق للاله ، فهو أشبه شيء بالعدم المطلق ، لا عامل ولا مريد ولا عالم سوى النعمه والسعادة .

أما اليونان : فصورة رب الأرباب عندهم المسمى ( جوبيتر ) كانت أقرب الى صورة الشيطان منها الى صورة الأرباب المنزهين فهو رب حقول مشغول بشهوات

---

( ١ ) بتصرف من كتاب ( الله ) جل جلاله لسعيد حوى ( ١٧٠ - ١٨٠ ) وهو نقل عن كتاب ( الله ) للعقاد .

( ٢ ) انظر الملل والنحل للشهرستانى جـ٢ / ١١٩ مؤسسة البابى الحلبى وشركاه / القاهره .

( ٣ ) انظر المصدر السابق جـ٢ / ١٤٦ .

الطعام والغرام والبطش بالخصوم .

الأديان الهندية : احتوت معابد وهياكل الهند على طوائف من الأرباب منها ما يلحق بالحيوان وعناصر الطبيعة ، ومنها ما يلحق بالأوثان والأنصاب وصور الآلهة عند الهنود لا تبعد كثيرا عن صورة الشياطين والعفاريت والأرواح الخبيثة القديمة الى غير ذلك من عبادتهم للبقرة وتقديسهم لها ، وعبادتهم الأشياء الخسيسة التي يستحيي الانسان العاقل من ذكرها فضلا عن تقديسها وعبادتها .

الفرعونية : وهي وان كانت أرقى الديانات القديمة في التنزيه كما يقول العقاد ، فهي تهبط الى عبادة الاصنام والأنصاب والأرواح الخبيثة والشياطين ، ويشركون مع ربهم في العبادة الشمس فيقيمون لها التماثيل ويصورونها على الجدران والمعابد لتقديسها .

والنصارى : تصوراتهم الكنيسة عن طبيعة المسيح وارادته وتلبسها باللاهوتية فهي وثنية عجيبة لم يجرؤ عليها حتى الوثنيون ، فالثالوث المقدس عندهم خلط عجيب بين صفات الآلهة وصفات المخلوق .

واليهود : يصفون آلهتهم بصفات البشر ، بل بأسوأ ما يمكن أن يتصف به البشر فهو اله غيور يثور ويغضب ويخصم وينتقم ، ويصارع يعقوب عليه السلام ، وغيرها من الاعتقادات الباطلة والزائفة التي لا يستسيغها عقل ولا يقبلها ذوق سليم (١) .

---

( ١ ) انظر بتوسع كتب ( مقارنة الأديان لمحمد شلبي ) و ( الله ) للعقاد ، واظهار الحق لرحمة الله الهندي ( الباب الرابع ) وخصائص التصور الاسلامي لسيد قطب ( فصل : تمهيد وركام ) .

والعرب في الجاهلية : كانوا يتخذون من الأحجار أصناما فيعبدونها من دون الله وبعضهم يعتقدون أن هذه الأصنام انما هي شافعة لهم عند ربهم لتقربهم اليه زلفى ، والأعجب والأغرب أن بعضهم كان يتخذ من التمر والعجوة صنما فان جاع أكله .

فهذا الخليط العجيب من التصورات والاعتقادات هو جل تنزيههم للاله الخالق سبحانه ، .

فجاء كما رأينا خبطا وخرافات ، فهذا يلحق الهه بالعدم المطلق ، وذاك يشرك معه البشر ويلتبس عنده الحال بين الخالق والمخلوق ، وذاك الهه في صوره وحس منتقم أو شيطان خبيث مجرم أو عاشق وما الى ذلك مما لا يصلح للايمان بذاك الاله الموصوف ولا للاقتناع به على هدى الفهم والعقل السليم .

أسباب الخبط في التنزيه والضلال فيه :-

وسبب ذلك التخبط في الاعتقاد فضلا عن تسميته تنزيها للاله ، هو قصور العقل البشري عن ادراك صفات الاله الحق وصفاته العلى مستقلا عن هدى من شريعة الهيه أو وحي صادق صحيح . وانى للعقل القاصر المحدد العاجز أن يدرك الكلي اللامتناهي اذا صح التعبير ، فهو الله الواحد الأحد الفرد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، فالعقل مهما سما وكبر فانه يضل اذا لم يهتد بنور الوحي .

والذي حصل هو أن كل قوم كما أخبر الحق تعالى قد أرسل اليهم رسولا يعرفهم بربهم الحق ، ويبين لهم سبيل عبادته وتوحيده ، ولكن عوامل كثيرة ومتعددة بالاضافة

الى محدوديته تلك الرسالات وعدم تكفل الله ببقائها ، حتى اذا طال العهد على الناس انحرفوا عن الحق وحادوا عن الجاده فضلوا والعياذ بالله .

ان صفات الله الحقه ،ومعرفته المعرفة الواجبه الصحيحه ،وأداء حقوقه كما أراد سبحانه وتعالى وكما يليق بجلال قدره وربوبيته وعظمته ،انما يعرف ذلك من كتب الله المنزله بوحيه الصادق والمأمون الى رسله الكرام ومن ابتغى الوصول الى الغيب في غيرها زل وضل .

تنزيه الله سبحانه عن صفات النقص والسوء وعن مشابهة المخلوقين :-

تمهيد :-

افراد الله تبارك وتعالى بكمال ربوبيته على خلقه ،وتنزيهه سبحانه عن صفات النقص ومثل السوء ،والاقرار بكماله المطلق ، هذا الافراد الكامل والتنزيه الشامل لله تبارك وتعالى في ذاته وصفاته وأفعاله ،قاعدة أصله وأصل ثابت أجمع عليهما كل من تمرس لعلوم أصول الدين .

وهذه القاعدة - قاعدة تنزيه الخالق سبحانه - قد ميزت أهل السنه والجماعة عن الفرق والطوائف التي ضلت في التنزيه وتخبطت عندما حكمت عقلها فيما لا مجال للعقل البشرى أن يقحم نفسه فيه ، وحين استعطت قوالب الفلاسفة وأساليبهم في تقرير قواعد العقيده ،وفهم الأسماء والصفات ،واثبات وجود الخالق وصفاته .

وميزت كذلك عقيدتنا الحنيفية السمحة البيضاء النقيه عن العقائد الأخرى الباطله من يهوديه أو نصرانيه أو بوذيه أو غيرها والتي حرفت هذا الأصل - التنزيه فلم تنزه الخالق الواحد ، فضلت ووقعت في أباطيل وانحرافات طوحت بتلك العقائد وجنحت بها بعيدا في مسالك الضلال والهوى والانحراف عن دين الله الذى ارتضاه لعباده في الأرض .

## ـ المبحث الثانـي ـ

## التنزيه من خلال سورة الاســراء

ان تنزيه الله تعالى في اسمائه وصفاته ،وتقديســه عن كل مالا يليق بجلاله وعظمته وتنزيهــه كذلك في أوامره ونواهيه ،وأحكامه وأفعاله كان أهم مواضيــع العقيدة في سورة الاسراء وسنحاول ان نتناول ذلك من خلال تنزيه الله تعالــى بألفاظ التسبيح ،ثم بألفاظ الحمد والتحميد ثم بعبارات التكبير والتعظيــم والله المستعان .

أولا : تسبيح الله عزوجل :ـ

ولفظ ( سبحان ) هو لفظ الافتتاح الذي ابتدأ الحق جل جلاله هذه السورة به ، ولقد كثرت الفاظ التسبيح ، والدعوة اليه في السورة المباركة أكثر من أي سورة في القرآن الكريم ، حيث ان مادة ( سبّح ) وردت سبع مرات في ثنايا الآيات على ان بعض الآيات قد تكرر فيها لفظ التسبيح ثلاث مرات حتى اصبح شعار السوره و حدائهــا الرباني الخالد : استمع الى قوله تعالى :

( تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ، وان من شــيء الا يسبح بحمده ،ولكن لا تفقهون تسبيحهم ) .

معنى التسبيح :ـ

قال في القاموس : ( سبحان الله ، تنزيها لله من الصاحبة والولد ، وهــو معرفة ،ونصب على المصدر ،أي أبرئ الله من السوء براءة )[1] .

---

( ١ ) القاموس المحيط للفيروزبادي ، جـ١/ ٢٣٤ ـ دار الجيل / بيروت .

وقال الراغب في المفردات : ( السَّبح : المرّ السريع في الماء وفي الهواء يقال سبح فلان سبحا وسباحة ، واستعير لمر النجوم في الفلك نحو ( وكل في فلك يسبحون ) سورة يس/ ٤٠ ، ولجرى الفرس نحو ( فالسابحات سبحا ) سورة النازعات / ٣ ، والسرعة الذهاب في العمل ( ان لك في النهار سبحا طويلا ) سورة المزمل / ٧ ، ثم قال والتسبيح تنزيه الله تعالى وأصله المرّ السريع في عبادة الله )[١].

قال ابن جرير الطبري رحمه الله ( سبحان الذي أسرى ) : تنزيها للذي أسرى بعبده وتبرئة له مما يقول فيه المشركون من أن له من خلقه شريكا ، وان له صاحبة وولدا ، وعلوا وتعظيما عما أضافوه اليه ونسبوه من جهالاتهم ، وخطأ أقوالهم )[٢].

ولفظ سبحانه : اختلف المفسرون في اعرابه :-

فقال بعض المفسرين : هو علم للتسبيح ، وذلك كعثمان للرجل ، وان انتصابه بفعل متروك الاظهار تقديره : اسبح الله سبحان ، وفيه من الدلالة على التنزيه البليغ ، .

وقال آخرون هو مصدر كغفران بمعنى التنزيه ، ففيه مبالغة من حيث اضافة التنزيه الى ذاته المقدسة[٣].

---

( ١ ) المفردات في غريب القرآن - للراغب الأصفهاني ، / ٢٢١ وطبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٩٦١ ، وانظر مختار الصحاح - للرازي - ص ٢٨٢ مادة سبح دار الكتاب العربي - بيروت .

( ٢ ) جامع البيان عن تفسير القرآن - للطبري - جـ ١٥/ ١ مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

( ٣ ) تفسير أبي السعود جـ ٤/ ١٥٤ مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد .

وقد لخص هذه الآراء وغيرها أبوبكر بن العربي في أربعة أقوال :-

الأول : ان سبحان منصوب على المصدرية .

والثاني : منصوب على النداء .

والثالث : انه موضوع موضع المصدر .

والرابع : انها كلمة رضيها الله لنفسه ،ومعناها عندهم ابراءة الله من السوء وتنزيهه منه .(١)

والخلاصة : أن ( سبحان ) تدور معانيها حول تنزيه الله تعالى من كل سوء ونقص سواء كان ذلك في الذات المقدسة ، أو الأسماء الحسنى ، أو الصفات العلى .

وصيغة ( سبحان ) في السورة هي أساس التنزيه الذى يجب ان ينهجه الخلق لتقدير ربهم حق قدره ،وكما قلنا بان هذا التعبير قد تكرر في السورة في مواطن معينه ، كان الهدف منها تعليم البشر وتربيتهم على التزام حدودهم عند ذكر قدرة وعظمة خالقهم سبحانه ،وما يجب عليهم عندما يرون او يسمعون من يسيء الادب مع ربهم .

وفيما يلي نحاول أن نشير بايجاز الى اسباب مجيء لفظ التنزيه في السورة عند كل مقام ورد فيه ،وربطه بالمقام وبيان مناسبته له .

---

(١) انظر / أحكام القرآن - لابن العربي - جـ٣ / ١١٩١ ، مطبعة عيسى البابي الحلبي .

وانظر الكشاف للزمخشري جـ٢ / ٤٤٦ ، دار المعرفة / بيروت .

وانظر تاج العروس للزبيدي جـ٢ / ١٥٦ .

ورود لفظ سبحان في السورة :-

المقام الاول : في الآية الاولى من السورة :-

قوله تعالى ( سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ... ) .

فهنا نجد أن المقام هو مقام استغراب واستعجاب لحادث الاسراء والمعراج لمخالفته لمقاييس البشر ، وحزقه لما اعتادوه ، لذا قدم الحق سبحانه تنزيهه وتسبيحه لعلمه بأن بعض خلقه سيسيؤون الادب مع قدرته وعظمته وينكرون ذلك الحدث ، فنزه الله عز وجل نفسه عن العجز ، فالرب عز وجل له القدرة المطلقة على فعل ما يشاء كيف يشاء .

المقام الثاني : في الآية ( ٤٣ ) :-

فى قوله تعالى (سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ) .

جاءت بعد أن ادعى مشركوا الجاهلية ، أن الله تعالى اصطفى من الملائكة اناثا ، وأساؤوا الادب ، وتهجموا بوقاحة وجهالة على الذات المقدسه ، وانضمت اليها دعوى اخرى وهي ان الله سبحانه له شريك كما حكى عنهم :-

( أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا ، انكم لتقولون قولا عظيما ، وقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا ، قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا ، سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ) (١) .

---

(١) سورة الاسراء ٤٠-٤٤ .

المقام الثالث : في الآيه ( ٤٤ ) :-

وهو قوله تعالى ( تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا ) .

فجاء هذا السياق الكريم كذلك بعد دعوى الجاهليين من نسبتهم البنات الى الله عز وجل في حين انهم انفسهم يأنفون من البنات أنفة جاهلية منتنه ، ويعتبرونهن عارا ، فيرد الحق تبارك وتعالى عليهم ، ويعلمهم قدرهم ويلزمهم حدهم ويدعوهم كذلك الى الالتزام بالفطرة العامة في الكون المسبح المطيع لله المسلم اسلاما اضطراريا وهو جماد ، فما بال هذا الحي العاقل بعد عن القاعده ويشذ عنها .

المقام الرابع : في الآيه ( ٩٣ ) من السورة :-

في قوله تعالى ( قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا ) .

وهذا الأمر بتسبيح الله سبحانه وتعالى ، جاء بعد ان اشترط القوم المشركون لايمانهم برسولهم وتصديقهم بمن أرسله ، وبما أرسله به من الهدى ، اشترطوا عليه ان يأتيهم بالآيات الحسيه من تفجير الانهار وسط الحدائق ، وبيوت من زخرف وذهب أو عروج في السماء الى آخر تلك الاقتراحات التي سنراها فيما بعد ان شاء الله ، فاطمن الرسول صلى الله عليه وسلم بشريته وانه بشر مثلهم كلفه الله تعالى بالرسالة اليهم .

وفي نفس الوقت هي تعجيب من سخافة عقولهم التي اشترطت هذه الشروط المتعنته ، ولانهم خلطوا بين مقام الرسول ومقام الرب الآمر الذي بيده الآيات وهو الحكيم الخبير - .

---

ويمكن أن يكون المعنى : اسبح الله تعالى وأنزهه عن ان يشترط عليه عبد من عبيده ، أو يلزم الجبار القهار ملك الملوك بأمر من الأمور سبحانه في ملكه ، فمقام الربوبية مقام الامر والالزام ومقام العبودية هو مقام الخضوع والاستسلام .

المقام الخامس : في الآية ( ١٠٨ ) :-

ورد التسبيح : في قوله تعالى ( ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ) فهنا يحكي القرآن عن الجاهليين انهم يؤمنوا بالقرآن ، ثم يسلي نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عن موقف قومه ، حاكيا له موقف العلماء وأهل العلم من الاديان السابقة لعلمهم ببعث الرسول صلى الله عليه وسلم ووعد الله تعالى به وبرسالته .

فكان موقف هؤلاء مناقضا لموقف العرب الذين وقفوا موقف الرافض للقرآن وان هؤلاء العلماء من أهل الكتاب السابق ، نزهوا الله تعالى عن إخلاف وعده ، وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما أنزل عليه ، فقالوا سبحان الله ، ولم يكتفوا بذلك بل هاجت نفوسهم وذلت قلوبهم لعظمة الله وخشيته في مقام العبودية فخروا ساجدين باكين .

## ـ المبحث الثالث ـ

## ثانيا : حمده سبحانه وتعالى

## الفرق بين الحمد والمدح والشكر

معنى الحمد لغة :ـ

قال الراغب :( الحمد لله تعالى : الثناء عليه بالفضيلة ، وهو أخص من المدح ، وأعم من الشكر .

فان المدح يقال فيما يكون من الانسان باختياره ،ومما يقال عنه وفيه بالتسخير .

فقد يمدح الانسان بطول قامته وصباحة وجهه ، كما يمدح بهذل ماله وسخائه وعلمه .

والحمد يكون في الثاني دون الاول ، والشكر : لا يقال الا في مقابلة نعمه .

فكل شكر حمد ،وليس كل حمد شكرا .

وكل حمد مدح ،وليس كل مدح حمدا .

وقوله تعالى ( انه حميد مجيد ) يصح أن يكون في معنى المحمود وان يكون في معنى الحامد .

ويقال : فلان محمودا اذا حمد ،وأحمد اذا كثرت خصاله المحمودة ،ومحمد اذا وجد محمودا (١) .

قال في تفسير المنار : ( ومعنى الحمد : هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري .

فالله عز وجل يحمد لذاته باعتبار انها مصدر جميع الوجود الممكن وما فيه من الخيرات والنعم ويحمد لصفاته باعتبار تعلقها وآثارها ، فالله تبارك وتعالى متصف

---

( ١ ) المفردات ـ للراغب الاصفهاني / ١٣١ ـ .

بكل ما يحمد عليه الحامدون ، فصفاته سبحانه أجل الصفات ،واحسانه عم جميع الكائنات ،ولان جميع ما يصح أن يتوجه اليه الحمد مما سواه فهو منه جل ثناؤه اذ هو مصدر الكون كله فيكون له ذلك الحمد أولا وبالذات .

والخلاصة : ان اى حمد يتوجه الى محمود ما فهو لله تعالى ؛ سواء لاحظ الحامد أو لم يلاحظ .(١)

وقال في الكواشف الجليه(٢) :

( والحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختيارى على وجه التعظيم والتبجيل )

وعرفا : هو فعل ينبيء عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما على الحمد وغيره .

والالف واللام للاستغراق ، فجميع المحامد كلها لله ،ومن أسمائه تعالى الحميد ، كما قال ابن القيم رحمه الله في نونيته :-

وهو الحميد فكل حمد واقع ... أو كان مفروضا مدى الازمان

ملأ الوجود جميعه ونظيره ... من غير ما عدد ولا حسبان

هو أهله سبحانه وبحمده ... كل المحامد وصف ذى الاحسان

قال شيخ الاسلام :-

( والحمد ضد الذم ،والحمد خبر بمحاسن المحمود مقرون بمحبته ،ولا يكون حمد المحمود الا مع محبته ،ولا ذم المذموم الا مع بغضه .

وهو سبحانه له الحمد في الأولى والآخره ،فلا تكون عباده الا بحب المعبود ، ولا يكون حمد الا بحب المحمود ،وهو سبحانه المعبود المحمود ،ولهذا كانت الخطب

---

(١) تفسير المنار : للشيخ محمد رشيد رضا جـ١/ ٤٩-٥٠ ط٤ دار المنار .

(٢) الكواشف الجليه عن معاني الواسطيه - لعبد العزيز السلمان ١٧-١٨ ، الطبعة الحادية عشره ١٤٠٢هـ .

في الجمع والاعياد وغير ذلك مشتمله على هذين الاصلين ،تحميد الله وتوحيده ، وافضل الذكر لا اله الا الله وأفضل الدعاء الحمد لله )[١] .

وحمد الله تعالى والحث عليه والامر به قد ورد في ثنايا السورة في أكثر من موضع :-

منها في قوله تعالى في الآية (٥٢) ( يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا ) .

وجاء التعبير بالحمد ،بعد أن رد الله تعالى على منكرى البعث بأدلة قاطعة واضحه ،ثم يقرر الحق تباركت اسماؤه هذه الحقيقة وهي بعثهم يوم القيامة عندما يدعوهم فيستجيبون طيبين بحمده وحده لا اله الا هو ، واختلف المفسرون في معنى قوله تعالى ( يوم يدعوكم ) .

قال الطبرى : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، ان يقال معناه ،فتستجيبون لله من قبوركم بقدرته ودعائه اياكم ولله الحمد في كل حال . كما يقول القائل : فعلت ذلك الفعل بحمد الله )[٢] .

وكذا في قوله تعالى : ( وان من شيء الا يسبح بحمده ) .

فيها الاشارة الى ان الخلائق كلها تتوجه الى الله تعالى بالحمد والثناء عليه .

وقوله تعالى ( وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ) وهذا أمر من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ولمن يبلغه القرآن ،بان يحمده حق الحمد ، فهو أهل الحامد كلها ،

---

( ١ ) المصدر السابق ١٩ .

( ٢ ) تفسير الطبرى جـ ١٥/ ١٠١ .

يقول : احمد الله تعالى الحمد الكامل من كل وجه ، فهو كامل لأنه لم يتخذ ولدا ولم يكن له شارك في ملكه على الاطلاق ، لان هذه الاشياء كلها نقص في مقام الربوبية فاحمده لانهم لم يتطرق اليه سبحانه وتعالى شيء مما لا يليق بعظمته وربوبيته .

ونلاحظ في صيغة التحميد الآنفة الذكر في الآيات المباركات ، ان الله عز وجل رتب الحمد بعد كل تلك المواقف للدلالة على انه المستحق لجميع المحامد لكمال ذاته وعظيم نعماه ، وتفرده في صفاته ، فهو أهل الحمد والشكر والثناء ، وفي ذلك من التنزيه ماهو واضح .

فضل حمد الله تعالى ومكانته :-

ان حمد الله تعالى هو واجب المؤمنين العارفين بالله حق المعرفة ، وهو شعار الصالحين ، الذين يحمدونه سبحانه في السراء والضراء ، ويحمدونه على كل حال ، فقد أثنى الله تعالى على الذين يحمدونه في مواضع كثيرة في القرآن .

وجرت كلمة الحمد على لسان الانبياء عليهم السلام ، فهم أولى الناس بشكر ربهم كما قال ابراهيم عليه السلام : ( الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق )(١) .

وقال داود وسليمان عليهما السلام : ( وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين )(٢) .

وقال الله تعالى لنوح عليه السلام ( وقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين )(٣) .

---

( ١ ) سورة ابراهيم / ٣٩ .
( ٢ ) سورة النحل / ١٥ .
( ٣ ) سورة المؤمنون / ٢٨ .

وفي الحديث : بين رسول الله صلى الله عليه وسلم فضيلة التحميد والتسبيح :-

( من سبح في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ، وحمد الله ثلاثا وثلاثين ، وكبر ثلاثا وثلاثين فتلك تسعة وتسعون ، وقال تمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر )(١) .

وكذا ما روى عن جويرية ام المؤمنين رضي الله عنها :-

" أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح ، وهي في مسجدها ، ثم رجع بعد أن اضحى ، وهي جالسة فقال : ما زلت اليوم على الحال التي فارقتك عليها ؟ . قالت : نعم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لقد قلت بعدك اربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه ، وزنة عرشه ومداد كلماته )(٢) .

والحمد لله كلمة أهل الجنة حين يقولون : ( الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن )(٣) .

ثالثا : التكبير :-

وهو شعار السورة كذلك ، وقد كان ضمن الآية الأخيرة منها .

وهي قوله تعالى : ( وقال الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا ) .

---

( ١ ) رواه مسلم جـ٢ / ٩٨ .

( ٢ ) رواه أحمد جـ١ / ٢٥٨ .

( ٣ ) سورة فاطر / ٣٤ .

معنى التكبير في اللغة :

قال في القاموس : التكبير من : كبّر تكبيرا وكبارا بالكسر : الشيء اى جعله كبيرا ، والكِبْر : معظم الشيء والشرف والرفعة والعظمة والتجبر (١) .

وقال الراغب : اكبرت الشيء رأيته كبيرا ، والتكبير : يقال لذلك ولتعظيم الله تعالى بقولهم الله أكبر ، ولعبادته ، واستشعار تعظيمه وعلى ذلك قوله تعالى ( ولتكبروا الله على ماهداكم ) سورة البقره / ١٨٥ وقوله تعالى (وكبره تكبيرا) (٢) .

قال القرطبي رحمه الله : ( كبره تكبيرا ) : اى عظمه عظمة تامه ، ويقال : ابلغ لفظ قالته العرب في معنى التعظيم والاجلال (اللهأكبر) : أى صفة بانه أكبر من كل شيء قال الشاعر :-

رأيتالله أكبر كل شـــــيء محاولة وأكثرهـــــم جنـــــودا

وكان النبي صلى اللهعليه وسلم : اذا دخل في الصلاة قال : الله أكبر ، وقال عمر بن الخطاب : قوله العبد : الله أكبر خير من الدنيا وما فيها (٣) .

ويكون تكبيره عز وجل في أمور كثيرة منها :-

١ - تكبيره سبحانه بذاته ، باعتقاد انه واجب الوجود لذاته ، وانه غني عن كل موجود .

٢ - بتكبيره في صفاته : بان يعتقد ان كل صفة من صفاته سبحانه صفة كمال وعظمة وعز ، وانه منزه عن كل عيب ونقص .

٣ - بتكبيره في افعاله ، فتعتقد انه لا يجرى في ملكه شيء الا وفق حكمته وارادته .

---

( ١ ) انظر القاموس المحيط جـ٢ / ١٢٩ ، دار الجيل - بيروت .

( ٢ ) المفردات في غريب القرآن - للراغب الاصفهاني / ٤٢٢ .

( ٣ ) تفسير القرطبي - الجامع لاحكام القرآن - جـ ١ / ٣٤٥ ، ط. دار الكتاب العربي .

٤ - بتكبيره في أحكامه ، بأن يعتقد أنه لك مطاع له الأمر والنهي والخفض والرفع وأنه لا اعتراض لأحد عليه في أحكامه ، فهو يعز من يشاء ويذل من يشاء ، قال تعالى ( لا يسأل عما يفعل وهم يسألون )[١].

٥ - بتكبيره في اسمائه الحسنى ولا يوصف الا بصفاته المقدسه .

٦ - من التكبير أن يعترف الانسان أنه مهما بلغ في التكبير والتعظيم والتقديس فانه محدود بمقدار عقله وخاطره وأنه لا يفي بمعرفة جلال الله ، ولسانه لا يفي بشكره ، وجوارحه وأعضاؤه لا تفي بطاعته ، فهو مهما عظّم ربه فهو عاجز ضعيف عن تقديره حق قدره[٢].

تسمى آية العزّ : كما روى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : آية العز قوله تعالى : ( وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا )[٣].

وورد أن هذه الآيه ( خاتمة الاسراء ) هي خاتمة التوراة :-

فقد روى مطرف بن عبد الله بن كعب قال : افتتحت التوراة بفاتحة سورة الانعام وختمت بخاتمة هذه السوره )[٤].

روى الطبرى رحمه الله تعالى في تفسيره : أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعلم أهله الصغير والكبير هذه الآيه ( وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا )[٥].

وروى كذلك ( عن القرظبى : أنه كان يقول في هذه الآيه " اتخذ الله ولدا " قال : ان اليهود والنصارى قالوا : اتخذ الله ولدا ، وقالت العرب : لبيك لبيك

---

( ١ ) سورة الانبياء / ٢٣ .
( ٢ ) تفسير النيسابورى جـ١٥ / ١٠٤ ، وتفسير المراغي جـ١٥ / ١١١ والرازى جـ٢١ / ٧٢ .
( ٣ ) رواه الامام أحمد جـ٣ / ٤٣٩ .
( ٤ ) تفسير القرطبى جـ١٠ / ٣٤٥ .
( ٥ ) تفسير الطبرى جـ١٥ / ١٨٩ .

لا شريك لك الا شريكا هو لك . . .

وقال الصابئون والمجوس : لولا أولياء الله لذل الله (سبحانه) فأنـــزل الله ( وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك . . . ) (١) .

وبعد فحق على كل مسلم أن يتعزز بآية العز هذه ، بل ويرددها في الصباح وفي المساء ، وذلك لما اشتملت عليه من توحيد العلي الكبير ، وتفرده بالربوبيـــة وتنزيهه عن الولي والشرك والولد ، وهو العزيز المستغني عمن سواه ، ولا يستغنـــى عنه سبحانه أحد ، فهو الحق الواحد الأحد ، العلى الكبير وما عداه مخلوق صغير حقير .

فتسبيح الله اذا : هو تنزيهه عن كل سوء أو نقص أو ذم .

وحمده عز وجل : هو ثناء علي باللسان وبالجوارح واقرار بكمالاته وانعامه سبحانه .

وتكبيره عز وجل كذلك تعظيمه عن كل ماسواه ، وان كل ماعداه صغير محتاج مفتقر الى العظيم الجليل ، .

وأخيرا بقي علينا أن نرى جوانب هذا التنزيه الآخرى وشمول مفهومه .

تنزيه أهل السنة تنزيه شامل لرب الكون :-

فان التنزيه يشمل تنزيه الله سبحانه في ذاته المقدسه ، وفي اسمائه وفـى صفاته وفي افعاله وأوامره ونواهيه واليك بعض التوضيح لذلك :-

---

( ١ ) تفسير الطبرى جـ ١٥ / ١٨٩ - وابن كثير جـ ٥ / ١٢٩ .

تنزيه الله في ذاته :-

فان الله عز وجل منزه بذاته عن كل ما يسوء ، ويشين وهو كذلك سبحانه وتعالى يخالف مخلوقاته الحادثه فهو سبحانه أحد فرد صمد .

قال تعالى : ( قل هو الله أحد ، الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ) سورة الاخلاص .

وقال سبحانه ( ليس كمثله شيء وهو السميع البصير )[1] .

وهو سبحانه منزه عن الشرك والنظير والصاحبة والولد ، ونحن البشر عقولنا قاصرة وعاجزة عن ادراك ذات العظيم الجليل رب السموات والأرضين .

وتنزيه الله في صفاته :-

يعني أن صفات الخالق العلي كاملة لا يعتريها نقص ، ولا سوء ولا عيب ، بأي حال من الاحوال ، فالله هو العليم الذي يحيط بكل شيء علما ، وقدرته لا تحد ولا تقاس بقدرة المخلوقين العاجزين ، وهكذا كل صفاته العلي .

وتنزيه الله في افعاله :-

فهو الخالق الرازق المدبر ، سبحانه ، يفعل ما يشاء وهو فعال لما يريد ، وافعاله كلها حق تليق بجلاله وكماله وقدرته ، لا يقوى عليها غيره ولا يرومها سواه .

وتنزيه الله في اسمائه :-

فاسماؤه سبحانه منزهة عن النقص ، ومبرأة عن كل ما يخدش عظمة ربوبيته ، وكمال جلاله وجماله سبحانه .

---

( ١ ) سورة الشورى / ١١ .

وتنزيه الله تعالى فى احكامه وأوامره :-

فهو عز وجل منزه عن العبث واللهو ، ولكل أحكامه في الوحين حكمة ، قد ندركها بما أوتينا من وسائل الادراك البشريه ،وقد لا ندركها ولا نفقهها ، لكن شعارنا الدائم هو التسليم لله والسمع والطاعة لامره ونهيه .

فالحق جل جلاله له الكمال المطلق ،وهو منفرد بالعظمة والجلال في كل شأنه وأمره .

وهكذا نرى ان السورة ابتدأت بتنزيه الله تعالى ، واختتمت بتنزيهه كذلك.

تسبيح غير العاقل هل هو على الحقيقة أم تسبيح دلاله ؟ :-

اختلف العلماء في هذه المسألة على رأيين (١) :-

الأول : أن تسبيح غير العاقل من جبال أو شجر أو دواب أو السموات والأرض انما هو تسبيح دلالة ،اى ان تسبيحها ليس على الحقيقة ،بل انها بخلقها ودقة صنعها تدل على صانعها وخالقها عز وجل .

الثاني : انه تسبيح على الحقيقة ، ولكن لا نفقهه ولا نعقله كما قال تعالى ( ولكن لا تفقهون تسبيحهم ) وهذا هو الراجح والصحيح اذ لو كان تسبيح دلاله لفقهناه والله تعالى أخبر أننا لا نفقهه،ولما سنرى من الادلة على تسبيح غير العاقل بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضى الله عنهم.

وهؤلاء الذين قالوا بان التسبيح على ظاهره وحقيقته قسمان :-

قسم : قالوا بان كل شيء يسبح حتى الجماد .

والقسم الآخر : قصروا التسبيح على الاحياء دون الجمادات .

واستدل الاولون بما يلي :-

١ -بما جاء في البخارى في كتاب المناقب عن ابن مسعود رضى الله عنه قال :-

---

( ١ ) انظر أحكام القرآن -لابن العربى جـ٣/ ١٢١٥.

( كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل ) . ولذلك كان السلف يقولون ان صرير الباب تسبيحه ، وخرير الماء تسبيحه والاسطوانة تسبح والشجرة تسبح والجبال تسبح .(٢)

٢ - وبما رواه الامام أحمد : أن الرسول صلى الله عليه وسلم مر على قوم وهم وقوف على دوابلهم وروا حل ، فقال : " اركبوها سالمة ودعوها سالمة ، ولا تتخذوها كراسي لاحاديثكم في الطريق ولا سواق ، فرب مركوبة خير من راكبها ، وأكثر ذكراً لله تعالى منه "(١) .

٣ - وبما رواه النسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان الرسول صلى الله عليه وسلم : نهى عن قتل الضفدع وقال : نقيقها تسبيح .(٣)

أما الذين قالوا بان الذى يسبح ماكان فيه روح فقط ويعنون الحيوانات والنباتات، فيستدلون على ذلك بما قال صلى الله عليه وسلم في جريدة النخل الرطبة التي غرزها على قبرى الرجلين الذين كانا يعذبان حيث قال صلى الله عليه وسلم : " لعله يخفف عنهما مالم ييبسا "(٤) لانهما تسبحان .

والراجح عموم التسبيح لكل المخلوقات وانه على ظاهره وحقيقته لقوة أدلتـــه .

قال ابن العربي رحمه الله : ( وأكمل التسبيح تسبيح الملائكة والآدميين والجن ، فانه تسبيح مقطوع بانه كلام معقول مفهوم للجميع ، من ركوع وسجود أو بمجموعهما وهـــي صلاة الآدميين ولذا سميت الصلاة سبحة )(٥) .

---

( ١ ) انظر تفسير ابن كثير جـ٥ / ٧٦-٧٧ .
( ٢ ) رواه أحمد جـ٣ / ٤٣٩ .
( ٣ ) تفسير ابن كثير جـ٥ / ٧٧ .
( ٤ ) رواه البخارى جـ١ / ٦٤ ، وجـ٢ / ١١٩ ومسلم جـ١ / ١٦٦ .
( ٥ ) احكام القرآن جـ٣ / ١٢١٦ .

## ـ الفصل الثانى ـ

## الرد على اعتقادات المشركين وتفنيدها

وفيه مباحث :ـ

المبحث الأول : نسبة الشركاء الى الله عزوجل والرد عليهم .

المبحث الثانى : نسبة البنات والولد الى الله تعالى .

المبحث الثالث : انكار المشركين للبعث واستبعادهم له .

المبحث الرابع : انكارهم النبوة والرسالة الى البشر .

## ـ المبحث الأول ـ

## نسبة الشركاء الى الله تعالى

الشرك بالله تعالى هو أعظم الذنوب ، وأشد الموبقات ، واغلظ المعاصي والفواحش ، ونتحدث عن الشرك ومعناه اللغوى والاصطلاحى واقسامه باختصار لندخل الى الرد على المشركين من خلال سورة الاسراء .

معنى الشرك لغة واصطلاحا :ـ

الشرك في اللغة :ـ

قال في القاموس : الشرك هو المشارك (١) .

وقال الراغب : الشركة والمشاركة : خلط الملكين .

وقيل هو ان يوجد شيء لاثنين فصاعدا في عين أو معنى ومنه قوله تعالى : (وأشركه في امري) (٢) سورة طه / ٣٢ .

أما في الاصطلاح :ـ

فالشرك هو ضد التوحيد :ـ

وهو في اصطلاح علماء العقيدة الاسلامية يشمل نوعين من الشرك : شرك أكبر ، وشرك أصغر ، ولكل منهما صور واشكال .

والشرك قد يكون في الربوبية وقد يكون في الالوهية :ـ

أقسام الشرك :ـ

ينقسم الشرك الى قسمين : شرك أكبر ، وشرك أصغر .

---

( ١ ) القاموس المحيط جـ٣ / ٣١٨ .

( ٢ ) المفردات للراغب / ٢٥٩ .

القسم الاول : الشرك الاكبر :-

وهو يشمل صورا شركيه كثيره نجملها في ما يلي[١] :-

أ - شرك الربوبية :-

١ - من يجعل مع الله ربّا آخر ، وذلك كشرك النصارى حيث جعلوه ثالث ثلاثه .

٢ - اسناد حوادث الخير والشر الى الهين النور والظلمه ،وهو شرك المجوس .

٣ - نسبة تدبير احوال العالم الى النجوم والكواكب ، مثل شرك الصابئه .

٤ - الاعتقاد بارواح المقبورين من أولياء أو صالحين ،وانها تنفع وتضر ،وتفرج الكربات وتقضى الحاجات بذاتها .

٥ - شرك التعطيل : وهو من اقبح انواع الشرك ،كشرك فرعون عند ما قال : ( وما رب العالمين )[٢] . فهو اشهر من انكر الصانع ،مع كونه في الباطن مستيقنا بصدق موسى عليه السلام في الدعوة لربوبية الله تعالى . قال تعالى فيه وفي قومه : ( وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا )[٣] . ولذلك كان رد موسى عليه السلام عليه ( قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والأرض بصائر )[٤] .

وكذلك القائلون بالصدفه والطبيعه ،والدهريون الذين قالوا ( ماهي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر )[٥] .

وكذلك الفلاسفة القائلون بقدم العالم وازليته وان العقل الفعال هو الخالق المدبر لكل ماتحته[٦] .

---

( ١ ) انظر العقيدة في الله /لعمر الاشقر/ ٢٣٧ مكتبة الفلاح - الكويت - .
( ٢ ) سورة الشعراء / ٢٣ .
( ٣ ) سورة النحل / ١٤ .
( ٤ ) سورة الاسراء / ١٠٣ .
( ٥ ) سورة الجاثيه / ٢٤ .
( ٥ ) انظر مجموع الفتاوى ج٣/ ٩٦ .

ب - اما الشرك في الالوهية :-

فهو اعطاء بعض صفات الرب الخالق الواحد المنفرد بالامر والتشريع لغير الله ، وصرف اى نوع من أنواع العبادات لغيره ،أو لله ولغيره .

فاعطاء اى من خصائص المعبود الواحد سبحانه لاى من مخلوقاته سواء كان ملكا أو وليا أو حجرا أو شجرا أو بشرا فذلك شرك في الالوهيه .

قال تعالى :( قل ان صلاتي ونسكي ومحياى ومماتي لله رب العالمين لا شريك له .. )(١) .

خطورة هذا الشرك :-

ان الشرك الاكبر أمره كبير ، وخطره عظيم ، فهو محبط للعمل مهدر لثوابه وأجره ، قال تعالى ( ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون )(٢) .

وقال تعالى : ( ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين )(٣) .

والله تعالى لا يغفر لمن اشرك اذا مات بلا توبه مستمرا على شركه :-

( ان الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء )(٤) .

والمشرك محروم من الجنه :-

قال تعالى : (لقد كفر الذين قالوا ان المسيح هو عيسى ابن مريم وقال المسيح يابني

---

( ١ ) سورة الانعام ١٦٢-١٦٣ .

( ٢ ) سورة الانعام / ٨٨ .

( ٣ ) سورة الزمر / ٦٥ .

( ٤ ) سورة النساء / ٤٨ .

اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ،ومأواه النار ،وما للظالمين من أنصار )[١] .

الشرك الاكبر اعظم جرم ،وأفظع ظلم :-

ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال : سألت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ان الذنب اعظم عند الله ؟ قال : "ان تجعل لله ندا وهو خلقك"[٢] .

وقال تعالى ( ان الشرك لظلم عظيم )[٣] .

وقال تعالى ( ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما )[٤] .

النوع الثاني : الشرك الأصغر :-

والشرك الأصغر : كيسير الرياء ،والتصنع للمخلوق ، وعدم الاخلاص لله تعالى في العبادة ،بل يعمل لحظ نفسه تارة ،ولطلب الدنيا تارة ،ولطلب المنزلة والجاه تارة أخرى .

فللّه من عمل هذا المخلوق نصيب ، ولغيره نصيب .

ويتسمى الشرك الأصغر ، الاشراك بالله في الالفاظ : كالحلف بغير الله وقول : ماشاء الله وشئت ،وما لي الا الله وأنت .

هذا وقد يتحول هذا الشرك الى شرك أكبر بحسب حال قائله ومقصده ، وهو - أي الشرك الأصغر - وان كان لا يخرج من الملة فان صاحبه

---

( ١ ) سورة المائدة / ٧٢ .
( ٢ ) صحيح البخاري جـ٦/٢٢ ومسلم جـ١/١٤١ وأحمد جـ١/٣٨٠ .
( ٣ ) سورة لقمان / ١٣ .
( ٤ ) سورة النساء / ٤٨ .

على خطر عظيم ، وقد يحبط عمله كليا ، كما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه جاء رجل فقال : الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن في سبيل ؟ قال صلى الله عليه وسلم : " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله "(١) .

وروى الامام أحمد في مسنده فيما يرويه الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه : " انا خير الشركاء ، فمن عمل عملا اشرك فيه غيري فانا بريء منه وهو للذي أشرك "(٢) .

وفي المسند أيضا : ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر ، قالوا : وما الشرك الاصغر يارسول الله ؟ قال : ( الرياء ) يقول له يوم القيامة اذا جزى الناس باعمالهم ( اذهبوا الى الذين كنتم تراؤون في الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء ) "(٣) .

وقد نهى الله تعالى عن هذا الشرك في قوله تعالى : ( فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا )(٤) .

تلك كانت مقدمة عن الشرك ضرورية قبل ان ندخل الى الموضوع : وهو نسبة الشركاء الى الله عز وجل .

ولقد رد الله تباركت أسماؤه على من يشرك مع غيره في العبادة أو الدعاء أو التوجه ، رد الله عليهم دعواهم ، وفند مزاعمهم ، ملزما اياهم

---

( ١ ) رواه البخاري كتاب الجهاد جـ٤ / ٢٥ ، ومسلم في كتاب الامارة جـ٦ / ٤٦ ، وأحمد جـ١ / ٤١٦ .
( ٢ ) رواه الامام أحمد جـ٢ / ٣٠١ .
( ٣ ) رواه الامام أحمد جـ٣ / ٧٠ .
( ٤ ) سورة الكهف / ١١٠ .

الحجه ،وقاطعا كل تعللاتهم الفارغة الفاسده .

ويرد الله على هؤلاء المشركين ،سواء منهم من عبد صورا وتماثيل أو قال بالوهية بشر من البشر ،فيأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بيان يواجههم بحقيقة هذه الالهة المزيفة قائلا :

( قل ادعو الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ) الآيه ٥٦ .

فى هذه الآية الكريمة يرد الله بها على المشركين لما جاءوا يشكون الى رسول الله سنتى القحط التي ضربت اهل مكه واستمرت سبع سنين ،اى : ادعوا الذين تعبدون من دون الله وزعمتم انهم آلهة فانهم لا يملكون كشف الضر أى القحط على قول مقاتل رحمه الله ( ولا تحويلا ) : من الفقر الى الغنى ومن السقم الى الصحة )(١) .

فانه لا يقدر على ذلك الا رب قادر لا اله الا هو وحده لا شريك له ،له الخلق والامر ،وبيده كشف الضر سبحانه .

اما المقصود بالآلهة المزعومة في الآية السابقة ،فقد اختلف المفسرون فيهم : فعن ابن عباس رضى الله عنهما : انها : الملائكة والمسيح وعزير ، حيث كان المشركون واليهود والنصارى يعبد كل واحد منهم معبودا منها من دون الله .

وقيل : هم نفر من الجن كان يعبدهم ناس من الانس .

وقيل : هم الشمس والقمر بالاضافة الى ماسبق )(٢) .

والآية عامه في كل معبود اشركه الناس في العبادة مع الله سبحانه .

---

( ١ ) تفسير القرطبى جـ ١٠ / ٢٧٩ .

( ٢ ) تفسير ابن كثير جـ ٥ / ٨٦ .

وقد نهت السورة كذلك عن الشرك في اكثر من موضع ، وقبحت عاقبته .

قال تعالى في السورة : ( لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا ) ٢٢ . وقال سبحانه كذلك ( ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ، ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا ) - ٣٩ - .

ووضحت هذه الآيات ان عاقبة الشرك الذم والخذلان في الدنيا والآخرة ، بالاضافة الى اللوم والطرد والاندحار والالقاء في جهنم وبئس القرار .

فالشرك مهانة للنفس الانسانيه ، وانحطاط لقدر ومنزلة البشر ، وأى اهانة وضعة ومذله أكبر من أن نرى الى يومنا هذا مئات الملايين من البشر يعبدون البقرة البهيمة ، التي سخرها الله تعالى للانسان للانتفاع بها ، وقد صور القرآن كيف ينحط الشرك بأهله فيؤدى بهم الى الضياع والتردى في المتاهات السحيقة .

قال تعالى ( ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق ) (١) .

والمجتمع المشرك يكون وكرا للخرافات والاباطيل ، وقبول الخيالات الجامحه والاساطير الكاذبه ، والشرك ظلم عظيم للنفس الانسانيه ، وظلم للحقيقه ، لان أعظم الحقائق ( لا اله الا الله ) ولا رب غيره ولا حاكم سواه ، وظلم للنفس لان الشرك جعل نفسه عبدا لمخلوق مثله أو دونه وقد خلقه الله حرا ، وظلم للغير لان من اشرك مع الله غيره فقد ظلمه حيث اعطاه من الحق ما ليس له .

ولقد استجدت في العصر الحديث صور للشرك جديده اضافة الى الصور الساذجه القديمه ، ولقد راج الالحاد في العصر الحديث بدعم من المنظمات اليهودية الخبيثه ، حتى عبدا الناس - وحتى من ابناء الامة الاسلامية - عبدوا معبودات اخرى غير الله تعالى ، فاعتقدوا بان النصر أو الهزيمة والضر أو النفع منوط بالركوع أما المعسكر الشرقي أو

---

( ١ ) سورة الحج / ١٣ .

الغربي ، واستجدت معبودات جديده من عباد الدنيا أو الدولار أو عبادة الاهواء والنساء أو شهوات النفس الطاغيه ، وتقديس كل ذلك الى درجة العبودية الحقيره لتلك الاهواء وصدق الله تعالى اذ يقول : ( أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا )[1] .

فهذا الركام بجميعه وهذه الصور الشركيه برمتها وغيرها يجمعها قاسم مشترك واحد هو التوجه لغير الله في طلب الحاجات ، واستجلاب النصر أو العون ، أو رفع القهر أو الضر ، أو اعطاء الولاء لغير الله تعالى ورسوله وجماعة المسلمين والطاعة المطلقة لاعداء الاسلام .

وكيف انحرف الناس عن التوحيد الى هذا الحد ، وغابت عن قلوبهم وعقولهم ، حقيقة الايمان الصحيح ، بأن الله تعالى واحد في ملكه وتصرفه في خلقه ( ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل ) .

وهو واحد سبحانه في ذاته وفي اسمائه وصفاته وصدق الله : حين يقول : ( هل تعلم له سميا ) مريم ٦٥ . ( ولم يكن له كفوا أحد ) الاخلاص ، ( وليس كمثله شيء وهو السميع البصير ) سورة الشورى ١١ .

فرب هذه صفاته كيف تختلط على بعض الناس ، فلا يميزون بين الخالق والمخلوق فيصرفون بعض صفات الخالق العظيم الى مخالبق من خلق الله ضعيفة هزيله . انه الجهل والهوى ، والكبر والتقليد والغفله وغياب العلماء الربانيين .

---

( ١ ) سورة الفرقان / ٤٣ .

## المبحث الثاني

### نسبتهم البنات والولد الى الله سبحانه

قال تعالى ( أفأصفاكم[1] ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما ) الآية ( ٤٠ ) .

في هذه الآية رد على افك المشركين - عليهم لعائن الله - اذ ادعوا ان الملائكة بنات الله . فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ، ثم ادعوا انهم بنات الله ، ثم عبدوهم فأخطأوا في كل من المقامات الثلاث خطاء عظيما[2] .

نهي سفاهة عجيبة تلك التي صدرت عن القوم ، ففي حين انهم يأنفون من نسبة البنات اليهم بل ويتخلصون منهن بالوأد والقتل خوف العار أو خشية الاملاق ، فينسبونهن الى الله سبحانه وتعالى .

فالله عز وجل يستنكر عليهم هذا الادعاء الشنيع والافتراء الوقح معبرا عنه بقوله تعالى : ( انكم لتقولون قولا عظيما ) .

فهو قول عظيم في القبح والبشاعه والنكاره ان يكون لله الواحد الأحد المستغني عن جميع خلقه رب السموات والأرضين ان يكون له ولد بلة ، أن يكون هذا الولد هو الضعيف الذى يأنفون هم من نسبته اليهم .

---

( ١ ) اصفاكم : الاصفاء بالشيء جعله خالصا ، لكن هنا تضمن معنى خصكم ، والمعنى افخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بافضل الاولاد وهم الذكور واتخذ دونهم وهن البنات ؟ .

( ٢ ) تفسير ابن كثير جـ٥ / ٧٤ ، وانظر الطبرى جـ١٥ / ٩٠ .

فكيف يتجرأ الالتزام المهازيلي من البشر على مقام الجبار القهار شديد المحال جل جلاله .

ولقد رد التبارك وتعالى على هذه الفرية في أكثر من موضع في كتابه الكريم: فقال في سورة مريم : ( وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادّا ، تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ، ان دعوا للرحمن ولدا ، وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ، ان كل من في السموات والأرض الا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا ، وكلهم آتيه يوم القيامة فردا )(١) .

وقال أيضا سبحانه وتعالى داحضا فرية من قسم الاولاد قسمة على مزاجه الاعوج ، وهواه الضال الكافر ، فجعل لنفسه الولد ، ولربه ما يكره ويبغض وهن الاناث ، ( ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى )(٢) .

وأكد بهم الحق تبارك وتعالى في أول سورة الكهف قائلا :

( وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا مالهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا )(٣) .

ورحم الله الباقلاني - حين تحاور مع قسّيس نصراني في مجلس القيصر: حيث سأله الباقلاني : كيف انت وكيف الاهل والاولاد ؟ .

فقال له القيصر وقد عجب من قوله : ذكر من أرسلك في كتاب الرسالة انك لسان الامة ، ومتقدم علماء الملة ، اما علمت اننا ننزه هؤلاء ( يقصد الرهبان والقساوسة ) عن الأهل والولد ؟ .

---

( ١ ) سورة مريم ٨٨-٩٥ .
( ٢ ) سورة النجم ٢١-٢٢ .
( ٣ ) سورة الكهف ٤-٥ .

فقال الباقلاني رحمه الله : أنتم لا تنزهون الله سبحانه وتعالى عن الأهل والاولاد وتنزهون الرهبان والقسس ؟ .

فكأن هؤلاء عندكم اقدس وأجل وأعلى من الله تعالى !!

فسقط في ايديهم ، ولم يحروا جوابا (١) .

وصدق الله تعالى اذ يقول في آخر سورة الاسراء :

( وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل ... ) .

فان اتخاذ الولد عيب ومنقصه لا تليق بجلال العظيم الكامل المستغني عما سواه وكل ماسواه مفتقر اليه ومحتاج ، فينفي تنزيهه سبحانه عما لا يجوز في حقه ولا يليق به فسبحانه هو اهل المحامد كلها .

---

( ١ ) اعجاز القرآن ـ للباقلاني ، تحقيق أحمد صقر ( مقدمة الكتاب ) ط. ٤ دار المعارف .

## المبحث الثالث :-

## انكار المشركين للبعث واستبعادهم له والرد عليهم

تمهيد :-

ان بعث الاجساد من القبور ، واخراجها الى ربها لتمثل بين يديه سبحانه لفصل القضاء لهو من جملة الايمان باليوم الآخر والذي هو ركن من أركان الايمان .

وقد أنكر المشركون والملحدون على مر العصور امر البعث والنشور ، حيث جحدوا ان تكون هناك حياة بعد هذه الحياة مع أن العقل والنقل اجتمعا في الدلالة على ثبوته .

وقد حكى الله تعالى انكارهم في أكثر من آية :-

( زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا ) التغابن ٧ .

( أئذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد ) الرعد ٥ .

وقالوا أيضا ( ماهي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر... ) الجاثيه / ٢٤ .

وقد رد الله تعالى عليهم في كثير من الآيات بل ان الحق جل جلاله امر رسوله بالقسم بالله ربه ان البعث حق وواقع .

قال تعالى ( قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبئون بما عملتم وذلك على الله يسير )[1]

وقبل الدخول في تفنيد شبهات المشركين حول البعث سنعرفه لغة واصطلاحا .

معنى البعث لغة واصطلاحا :-

البعث في اللغة : قال الراغب : ( البعث اثارة الشيء وتوجيهه ، يقال بعثته فانبعث ويوم البعث : يوم الحشر .

---

( ١ ) سورة التغابن / ٧ .

والبعث ضربان : بشرى ،والهى .

البشرى كبعث الانسان في حاجة وكبعث الرسل .

والهى : وذلك ضربان .

الأول : ايجاد الاعيان والاجناس عن ليس .

والثانى : احياء الموتى (١) .

وجاء في اللسان : البعث له معان كثيرة : منها الارسال ،ومنها الحمل على فعل الشيء مثل قوله تعالى ( بعثنا عليكم عبادا لنا ) . ويقال : بعثت البعير فانبعث : اى اثرته فثار .

والبعث أيضا الاحياء من الله للموتى ،وبعث الخلق ببعثهم : اى نشرهم (٢) .

والبعث في الاصطلاح :

هو اعادة احياء الله تعالى للبشر وتهيأتهم للحياة الآخرة بما فيها من حشر وحساب وجزاء ثم صراط ثم استقرار ، اما في الجنه واما في النار والعياذ بالله .

ولقد كانت قضية البعث مثار جدل طويل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين ، ولقد حوى القرآن الكريم كثيرا من هذا الجدل ، وهنا في سورة الاسراء يعرض الحق جل جلاله قضية البعث في موضعين :-

الموضع الأول : في الآيات من ٤٩-٥٣ :-

قال تعالى ( وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا ، قل كونوا حجارة أو حديدا ،أو خلقا مما يكبر في صدوركم ،فسيقولون من يعيدنا ؟قل الذى فطركم أول مره ،فسينغضون اليك رؤوسهم ويقولون متى هو ؟ قل عسى ان يكون قريبا ) .

---

( ١ ) مفردات القرآن / ٥٣ .

( ٢ ) انظر لسان العرب جـ١ / ٣٠٧ ، وانظر القاموس المحيط جـ١ / ١٦٨ .

والشبهة التي يتمسك بها منكروا البعث والحشر هي :-

استبعاد عودة الانسان وحياته بعد صيرورته ترابا ورميما ورفاتا ، فاجابهم الله عز وجل باجوبة كثيرة دحضت شبهاتهم وبرهنت على جواز هذا الامر وانه سهل في ميزان الله عز وجل .

ومع أن القضية سهلة وواضحه في تصور المؤمن وفي عقيدة المسلم ، بل في نظر كل العقلاء ، لكن القوم استغلقت عقولهم ، وعميت بصائرهم عن رؤية الحق ، فهم يقولون في سورة أخرى كما حكى عنهم الله عز وجل :

( يقولون أئنا لمردودون في الحافرة ، أئذا كنا عظاما نخرة ، قالوا تلك اذا كرة خاسرة )[1] .

وهنا في سورة الاسراء يمدون في غاية الاستغراب والدهشة ( وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا ) .

وهنا يأمر الله تعالى رسوله الكريم بان يجيب القوم بالجواب الدامغ الصخم ( قل كونوا حجارة أو حديدا ، أو خلقا مما يكبر في صدوركم ) وللمفسرين أكثر من رأى في تأويل قوله تعالى ( قل كونوا حجارة أو حديدا ) :-

الأول : اى ان عجبتم من انشاء الله لكم عظاما ولحما فكونوا أنتم حجارة أو حديدا .

الثاني : انكم لو كنتم حجارة أو حديدا لم تفوتوا الله عز وجل ، اذا أرادكم ، الا انه خرج مخرج الامر لانه ابلغ في الالزام .

الثالث : معناها : لو كنتم حجارة أو حديدا لاعادكم كما بدأكم ، ولأماتكم ثم أحياكم .

---

( ١ ) سورة النازعات ١٠-١٢ .

الرابع : ان معناها : كونوا ماشئتم ، فستعادون ، فانهم لا يستطيعون أن يكونوا حجارة ، وانما المعنى : أنهم قد أقروا بخالقهم ، وأنكروا البعث فقيل لهم ، استشعروا ان تكونوا ما شئتم ، فلو كنتم حجارة أو حديدا لبعثكم كما خلقكم (١) .

والآراء متقاربة تدور حول معنى واحد هو اثبات عجزهم وفشلهم الذريع ، وتعريفهم بحقيقة انفسهم وعدم قدرتهم على أن يكون اى شيء ، فليسلموا امرهم لله ، وليؤمنوا بقدرة الله العظيم وانه سبحانه لا يعجزه شيء .

قال في الظلال :-

( قل كونوا حجارة أو حديدا ) : والعظام والرفات فيها رائحة البشرية وذكرى الحياة ، والحديد والحجارة أبعد عن الحياة ، فيقال لهم : كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا آخر أو غل في البعد عن الحياة من الحجارة والحديد مما يكبر في صدوركم ان تتصوروه ، وقد نفخت فيه الحياة . . . فسيعيدكم الله (٢) .

وقوله تعالى : ( أو خلقا مما يكبر في صدوركم ) .

قال مجاهد : يعني السموات والأرض والجبال لعظمها في النفوس .

وقيـــــل : هو البعث لانه كان اكبر شيء في صدورهم .

وقال الجمهور : هو الموت ، لا نه ليس شيء أكبر في نفس ابن آدم من الموت .

قال امية بن أبي الصلت : وللموت خلق في النفوس فظيع .

أى كونوا ماشئتم ، فلو خلقتم من حجارة أو حديد أو كنتم الموت نفسه ، لا ميتنكم ولأبعثنكم لان القدرة التي بها انشأتكم بها أعيدكم (٣) .

---

( ١ ) انظر تفسير القرطبي جـ ١٠ / ٢ / ٢٧ .

( ٢ ) في ظلال القرآن جـ ٤ / ٢٢٣٣ .

( ٣ ) تفسير القرطبي جـ ١٠ / ٢ / ٢٧ ، وتفسير ابن كثير جـ ٥ / ٨٢ ، والطبري جـ ١٥ / ٩٨ .

فاذا تصورنا العظمة الالهيه والقدرة الربانية ،هان علينا تصور مبدأ القضية ومنتهاها ،حيث أن العظام والرفات فيها رائحة البشريه ،وفيها ذكرى الحياة .

أما الحديد والحجارة فابعد عن الحياة ، ولذلك فانهم سيسألون عن الذى يعيدهم ان صاروا كذلك :-

( فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مره ) .

فهنا يعيد الله تعالى القضية الى بساطتها ،ويرد المشلكة الى الاصل الواضح المنزع ،فالذى انشأكم أول مرة من العدم ولم تكونوا شيئا مذكورا ،فصرتم بشرا اسوياء ، قادر سبحانه وهو العظيم القادر القوى ذو السلطان ان يعيدكم بعد البلى احياء ،فكما بدأكم تعودون ،لكنها الغفله عن الاصل ، تنسي الانسان كيف كان ، وكيف أوجده اللهعز وجل من شيء لا يذكر حقارة وصغرا .

قال تعالى ( كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا )(٢)

وقال أيضا : ( وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الاعلى في السموات والأرض )(٣) .

وهذا الكون من حول الانسان يشهد بعظمة الله وقدرته فيحوله من حال الى حال وليلمس التحول والحدوث في المخلوقات وفي مظاهر الكون فهذا الليل يتحول الى نهار والنهار يتبعه الليل وهكذا وكل ذلك لا يقدر عليه الا من بيده مقاليد كل شيء ،وصدق الله تعالى اذ يقول ( ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحده ان الله سميع بصير )(٤) .

---

( ١ ) سورة الانبياء / ١٠٤ .
( ٢ ) سورة الروم / ٢٧ .
( ٣ ) سورة لقمان / ٢٨ .

واستمع أيضا الى قوله تعالى : ( وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم ، قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم. الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون ، فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون ) (١) .

ولكنهم لا ينتفعون من الادلة المعروضة والحجج الواضحه ، والامثلة الحيه المحسوسه ، فقلوبهم منكوسه مغلقه ، وعقولهم تائهة فى الضلال البعيد ، فيعرضون عن الحق ويستهزؤون به .

ولهذا قال سبحانه واصفا حالهم من الاعراض والاستهزاء :

( فسينغضون اليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا ) .

ومعنى ينغضون : قال ابن باس وقتاده : اى يحركونها استهزاء ، والانغاض هو التحرك من أعلى الى أسفل ، ومن أسفل الى أعلى ، يقال : نغضت سنه ، اذا تحركت وارتفعت من منبتها ، قال : الراجز : ونغضت من هرم اسنانها (٢) .

الموضع الثاني في الرد على منكرى البعث :-

الآيتان ( ٩٨و٩٩ ) وهي قوله تعالى :

( ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا ، أولم يروا ان الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لا ريب فيه فابي الظالمون الا كفورا ) .

ففى المرة الاولى رد الله تعالى عليهم بانكم مهما عظمتم وكنتم في الصلابه والقوة فان الله سيعيدكم لانه هو الذى فطركم أول مرة كما قدمنا .

---

( ١ ) سورة يس / ٧٨ - ٨٣ .

( ٢ ) تفسير ابن كثير جـ٥ / ٨٣ .

وهنا يرد الله تعالى على منكرى البعث باسلوب آخر وهو أنه قرب لهم المسألة واجابهم تعالى قاطعا شبهتهم السخيفه حيث ينبههم الى قدرته الهائله ، ويلفت نظرهم الى قوة الجبار التي ابدعت هذا الوجود ، وأقامت السموات والأرض وما فيهن .

ان الذى قدر على خلق السموات وما أودع فيها من كواكب ومجرات هائلة العدد وضخمة الحجم والكبر ، والأرضين بما فيها من برّ وبحار ، ونبات وحيوان وانانسي ، وهيّئ فيها سبل العيش واحتياجات الخلائق كلها ، فان الذى يفعل كل ذلك الفعل الجبار ، لا يعجزه ان يعيدهم باعيانهم مرة أخرى ، هذا الرأى الأول في تفسير الآيه (١) .

والرأى الآخر يقول : (انه تعالى قادر على ان يخلق عبيدا آخرين يوحدونه ويقرون بكمال حكمته وقدرته ، ويتركون ذكر الشبهات الفاسده (٢) ، ويقول اصحاب هذا الرأى بان هناك آيات تؤيده مثل قوله تعالى : ( ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد (٣) ) .

وقوله تعالى ( يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم (٤) ) .

والجمهور على الرأى الاول :-

ولو حكم منكرو البعث عقولهم لخرجوا بالنتيجة الواضحه والصحيحه لانهم ليسوا اشد خلقا من السموات والأرض وهم الصغار بالنسبة اليها ، كما قال تعالى في سورة النازعات ( أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها ... (٥) ) .

---

( ١ ) انظر تفسير ابن كثير جـ٥ / ٨٣ ، وتفسير القرطبى جـ ١٥ / ٢٧٤ ، والطبرى جـ ١٥ / ٩٩ .
( ٢ ) تفسير الرازى جـ ١ / ٦٢ ، وفتح القدير للشوكانى جـ٣ / ٢٦١ ، دار المعرفه .
( ٣ ) سورة فاطر / ١٦ .
( ٤ ) سورة محمد / ٣٨ .
( ٥ ) سورة النازعات / ٢٧ .

وكما قال أيضاً في سورة غافر ( أولم يروا أن الله خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى ... )[١].

وقال أيضا سبحانه : ( أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم )[٢].

والمؤمنون وكل عاقل سليم التفكير لا بد وان يجيب على الاستفهام بأن يقول ( بلى قادر ) .

تأكيد السورة الكريمة لقضية البعث والجزاء[٣] :-

لم تكتف السورة المباركة بالتدليل على امكان البعث بالادلة العظيمة وضرب الامثلة لتقريب صورته أمام المنكر - بل ورد في السورة تأكيد على البعث والحشر والجزاء بأساليب مختلفة وفي مواطن متفرقة لتقرير القضية وترسيخها في القلوب والعقول :-

فقد أوضحت السورة ان هذه الحياة لا ينبغي الاغترار بها فانها هي رحلة قصيرة الحدى ، محدودة الزمان ، ( من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ) . ( ١٨ ) .

وتحدثت السورة عن الرحلة الطويلة للانسان منذ خلق الله تعالى آدم عليه السلام وأمر الملائكة أن يسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس عليه لعنة الله ،

---

( ١ ) سورة الاحقاف ٣٣ .

( ٢ ) سورة يس / ٨١ .

( ٣ ) انظر كتاب - تأملات في سورة الاسراء - د . حسن باجوده / ١٢-٢٠ ، دار الاعتصام .

الى أن يدخل الناس يوم القيامة حسب أعمالهم ، وعفوالله تعالى أو تعذيبه اما الجنة واما النار .

واثبتت السورة الكريمة المسؤولية الفردية الملقاة على عاتق كل انسان ، والواجب العيني المنوط في عنق كل فرد ، فقد بين الله له الطريق ، ووضح له معالمه ، وبعد ذلك فانه سيتحمل نتيجة عمله وسلوكه .

( من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى ) .

وبناء على ذلك فان النتيجة كما قال تعالى في السورة :

( ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا ) . ( ٧٢ ) .

وبهذا فان الانسان يبذر البذور في الدنيا بعمله وسلوكه ، اما الحصاد وجني الثمر فانه في الآخرة ، ولا يكون الحصاد أو الثمر الا من جنس البذور ، ومن يزرع الشوك لا يجني به العنب ، فطائر كل انسان في عنقه :-

( وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ) ١٣ .

ويصور الله تعالى لهم مشهد البعث المرعب المهول حيث يلبون داعي الله دون اختيار منهم وتلهج السنتهم بحمد الله حيث تنكشف الاقنعة ووقع الحق وزالت الشبهات .

قال تعالى ( يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا ) ٥٢ .

قال سعيد بن جبير : يخرج الكفار من قبورهم وهم يقولون سبحانك وبحمدك ولكن لا ينفعهم اعتراف ذلك اليوم .

وروى ابن كثير رحمه الله أنه جاء في الحديث "ليس على أهل لا اله الا الله وحشه في قبورهم ، كأني باهل لا اله الا الله يقومون من قبورهم ينفضون التراب عن رؤوسهم يقولون لا اله الا الله"(٢).

وهي طريقة القرآن الفريده حيث انه يخاطب العقل والقلب معا ، فلم يكتف الحق جل جلاله بسوق الادلة العقلية المقنعه على امكان البعث بل هز القلوب والفطر وشخص امام ناظريهم يوم البعث فطبق على النفوس اقطارها وقطع تعللات القوم وفلسفاتهم .

---

( ١ ) تفسير القرطبي جـ ١٠/ ٢٧٦ .

( ٢ ) تفسير ابن كثير جـ ٥/ ٨٣ - ٨٤ .

## ـ المبحث الرابع ـ

## انكارهم للنبـوه والرسالة الى البشر

قال تعالى في السورة : ( وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهـدى الا أن قالوا ابعث الله بشرا رسولا . قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ، قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا ) الآيات من ٩٤-٩٦ .

ذكر الله سبحانه وتعالى عن منكرى النبوة والرسالة انهم استبعدوا ان يبعث الله الى الخلق رسولا من البشر .

وشبهتهم الاولى : في ذلك انهم اعتقدوا ان هذا الامر ـ اى الرسالة الى البشر ـ لا يليق بجلال الله سبحانه ، فالله سبحانه وتعالى في نظرهم اجل وأعظم من أن يكون له رسول من البشر ، فهو السفه والجهل بالله عز وجل ، وبحكمته وسننه في الكـون والرسالات .

وهذه الشبهة ذكرها الله تبارك وتعالى في القرآن في أكثر من موضع .

قال تعالى : ( أكان للناس عجبا ان أوحينا الى رجل منهم ان أنذر الناس وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم )(١) .

وقال سبحانه ( ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا )(٢)

وحكى عن فرعون وملئه قولهم ( انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون )(٣) .

وكذلك قالت الامم لرسلهم ( ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا ، فاتونا بسلطان مبين )(٤) .

---

( ١ ) سورة يونس / ٢ .
( ٢ ) سورة التغابن / ٦ .
( ٣ ) سورة المؤمنون / ٤٧ .
( ٤ ) سورة ابراهيم / ١٠ .

وغيرها كثير ،وكلها تذكر نفس الشبهه وهي استنكار الكافرين أن يختار الله من البشر رسلا .

فكيف يخضع البشر لأمثالهم من البشر .

وكيف يتبعون انسانا من جنسهم ،سنرى ذلك من خلال الأسباب الآتيه :-

١ - فالمثليه : أى الأنفة والاستكبار عن الانقياد الى المثل من بنى البشر هي الدافع في الانكار وهي السبب في التولي عن الرسول البشر . وقد بين الله ذ فيهم كما قال (أنؤمن لبشرين مثلنا )(١) .

(ان انتم الا بشر مثلنا )(٢) .

وهذا الأمر قد حصل في كل الأمم السابقه كما سجل ذلك القرآن الكريم وهوالشاهد الصادق والناطق العادل ، ولم يكن العرب وحدهم قد وقفوا هذا الموقف من رسولهم .

ومحمد صلى الله عليه وسلم كان بينهم يتيما فقيرا ،وهم يظنون جهالة أن هذا الأمر العظيم ، أى أمر الرساله والنبوة لا يليق برجل في مستواهم يأكل الطعام ويمشي في الأسواق فلابد أن يكون متميزا عنهم وأقل ما يتميز به كونه عظيما في قومه سيدا مطاعا ذا جاه عريض مثل أمية بن أبي الصلت الذى تمنوا أن تكون الرسالة له أو لمثله من العظماء كما قال تعالى : ( وقالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم )(٣) .

---

( ١ ) سورة / المؤمنون ٤٧ .

( ٢ ) سورة / ابراهيم ١٠ .

( ٣ ) سورة الزخرف ٣١ .

٢ ـ ثم السبب الآخر قد ينضم الى السبب الأول في معارضة الرسول :

هو الحسد وهو داء فتاك يحمل صاحبه على بطر الحق وغمط صاحبه ولا ريب بعد ذلك أن نرى السلوك غير العاقل ، والتصرف الأرعن السفيه الذى يصدر عن القوم فهم رضوا بالألوهيه لحجر من الأحجار أو شجرة من جنس الاشجار ، لكنهم لم يرضوا بالرساله لبشر من جنسهم .

٣ ـ والسبب الثالث لاعراضهم عن الرسول ، وتوليهم عن الهدى هو عدم ادراكهم لقيمة الانسان عند الله تعالى هذا من جهة ومن جهة أخرى لعدم علمهم بسنن الله في الكون ، وجهلهم بطبيعة الملائكة وان الجنس لا يتلاءم الا مع جنسه .

قال صاحب الظلال / معلقا على الآية الكريمة :

( وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا ) .

قال : ( وقد نشأ هذا الوهم من عدم ادراك الناس لقيمة بشريتهم ، وكرامتها على الله ، فاستكثروا على بشر أن يكون رسولا من عند الله .

كذلك نشأ هذا الوهم من عدم ادراكهم لطبيعة هذا الكون وطبيعة الملائكه وانهم ليسوا مهيئين للاستقرار في الأرض وهم في صورتهم الملائكية هذه (١) فاذا انضم الى الاسباب السابقه الكبر والانفة من الانقياد للحق أو التنازل عن رأيه ومعتقده ، ثم اذا طغى الهوى اضل صاحبه ولم يهده طريق الرشاد والصواب ، وان كان في القوم من تقليد الآباء والتعصب للأجداد مع وضوح الطريق كانت هذه العوامل كلها مجتمعه أو حتى بعضها حصل العناد والاعراض ، وركوب

---

(١) في ظلال القرآن جـ٤ / ٢٢٥٠ .

من الضلاله ،ومعاداة الرسل والانبياء عليهم السلام ،واثارة الشبهات حولهم وحول ما أرسلوا به واطلقوا عليهم التهم المختلفة .

ولقد تضمنت الآيات الاولى في الموضوع - من سورة الاسراء - أكثر من جواب على هذه الشبهه ، سنراها فيما يلي (١) :-

الجواب الأول :-

في قوله تعالى ( وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ) اننا لو سلمنا جدلا بالله سبحانه انزل الى البشر ملكا رسولا ،فالبشر انما يعرفون انه رسول من عند الله ، لاجل قيام المعجز الدال على صدقه ، فان ذلك المعجز هو الذي يهدي بهم الى معرفة ذلك الملك المدعي للرساله ،فالمراد من قوله تعالى : ( اذ جاءهم الهدى ) هو المعجز فقط .

وهذا المعجز سواء ظهر على يد الملك أو على يد البشر وجب الاقرار والايمان برسالته ،فثبت ان اشتراطهم ان يكون الرسول من الملائكه تحكم فاسد وتمنت باطل .

الجواب الثاني :-

هو أن اهل الأرض لو كانوا ملائكة لوجب ان يكون رسولهم من الملائكة لان الجنس الى الجنس اميل ، اما لو كان أهل الأرض من البشر مثلكم لوجب أن يكون رسولهم من البشر وهو المراد من قوله تعالى : ( قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ) .

ذلك ان الله سبحانه وتعالى جعل نواميس محدده في الوجود ،وبرأ خلقه على وفق تلك النواميس بقدرته وحكمته واختياره سبحانه ،وقدر عز وجل ان تمضي

---

( ١ ) تفسير الرازي ج ٢١ - ٦٠ .

النواميس في طريقها لا تتبدل ولا تتحول ، لتتحقق حكمته في الخلق والتكوين كما قال سبحانه في سورة الانعام :

(ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم )[١] .

والانس لا يستطيعون رؤية الملك ، أما الرسل عليهم السلام فقد اقدرهم الله سبحانه وخلق فيهم ما يقدرون به على رؤية الملك ليكون له ذلك آية ومعجزه )[٢] .

الجواب الثالث : من الاجوبة المذكورة في الآيات :-

قوله تعالى : ( قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ) .

وتقريره أن الله سبحانه لما أظهر المعجز على وفق دعواه كان ذلك شهادة من الله تعالى على كونه صادقا ، ومن شهد الله على صدقه فهو صادق ، ولو كان الرسول صلى الله عليه وسلم كاذبا لانتقم الله من رسوله اشد الانتقام[٣] كما قال تعالى :

( ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين )[٤] .

انها رحمة الله بعباده ولطفه بخلقه ان بعث اليهم الرسول من جنسهم ليفقهوا عنه ويفهموا منه ، لتمكنهم من خاطبته ومكالمته ، ولو بعث الله سبحانه الى البشر رسولا من الملائكة لما استطاعوا مواجهته ، ولا الأخذ عنه[٥] .

---

( ١ ) سورة الانعام / ٩ .
( ٢ ) في ظلال القرآن جـ٤ / ٢٢٥١ .
( ٣ ) تفسير الرازي جـ٢١ / ٦١ .
( ٤ ) سورة الحاقة / ٤٥ .
( ٥ ) تفسير ابن كثير جـ٥ / ١١٩ .

والمهم ان الله تبارك وتعالى رد عليهم في شبهتهم السابقة بقوله تعالى ( كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ) فأوضح الله تبارك وتعالى انه أنزل هذا الكتاب على هذا النهج لتثبيت فؤاد حبيبه ورسوله صلى الله عليه وسلم . ثم رفقاً بالبشرية فقد تدرج معها حتى تتربى عليه ،وحتى لا تنفر عنه اذا ووجهت بجميع الفرائض مرة واحده . وهو ما بينه الحق في الآية الاخرى :

( وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا ) - ١٠٦ - .

فرحمة بالناس انزله ربالناس منجما نجما بعد نجم ،ومفرقا حسب ما يمرون من أحداث ومشاكل في مسيرتهم الى الله عز وجل ، كما سنرى ذلك فيما بعد .

الشبهة الثالثة :عدم اتيان الرسول صلى الله عليه وسلم الخوارق والمعجزات الحسيه :-

رأينا فيما سبق كيف واجهوا الحق وردوا القرآن مع وضوح الحجه ، ولم ينفعهم تصريف القرآن للاشال ، والتنويع في عرض الحقائق لكنهم لجوا في كفرهم وتعنتوا في اقتراحاتهم ،فراحوا يطلبون تلك الخوارق المادية في قوله تعالى : ( وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ، أو تكون/للأجنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا ) . الآيات من ٩٠-٩٣ .

وواضح من تلك الاقتراحات وطلب الخوارق انها للمنت والتعجيز ، ولدفع الحق وصده بأي حجة ولم يكونوا صادقين لاشتراطهم لا يمانهم بالرسول وما جاء به

ان يحول لهم صحراء مكه وجبالها الى جنات تجرى خلالها الانهار الى آخر تلك الاقتراحات التى يجمعها كلها الصنت والمكابره فى سذاجه وخلط غير العقلاء وسنفصل ذلك فى مكان آخر .

وهذه الشبهة رد الله تبارك وتعالى عليها ، بقوله ( وبالحق أنزلناه وبالحق نزل . ) .

فهذا القرآن نزل بالحق اى متضمنا للحق .

والحق هو الثابت الاصيل الذى لا يزول ولا يتغير ، ولئن كانت الرسالات السابقه فيها من الخوارق الحسيه الكثيره ، فان فى هذا الكتاب المجيد من الاصول الثابته والعقائد الحقه ، والمعجزات المعنويه الدائمة الباقية مالا يتغير بتغير الازمان ولا ينقطع بموت الرسول صلى الله عليه وسلم .

يقول الرازى عند تفسير الآيه السابقه ( وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ) .

وهذا الكتاب الكريم مشتمل على اشياء لا تزول ، وذلك لانه مشتمل على دلائل التوحيد ، وصفات الجلال والاكرام ، وعلى تعظيم الملائكه ، وتقرير نبوة الانبياء واثبات الحشر والنشر والقيامه ، وكل ذلك لا يقبل الزوال ، ومشتمل أيضا على شريعه باقيه لا يتطرق اليها النسخ والنقص والتحريف ، وايضا فهذا الكتاب تكفل الله بحفظه عن تحريف وتبديل الجاهلين .

وكما قال تعالى ( انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون )(١) فكان هذا الكتاب حقا من كل الوجوه(٢) .

---

( ١ ) سورة الحجر / ٩ .

( ٢ ) التفسير الكبير - للرازى جـ٢١ - ٦٧ مطبعة ؛ التراث عبد الرحمن محمد .

معجزة القرآن الكريم :-

ان القرآن الكريم الذى أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وجعله آخر الكتب وخاتمها لهو أكبر معجزه ،وأعظم خارقه ،بل انه المعجزة الخالدة على الدهر غير الله بها نفوسا واحيا قلوبا وانار بصائر ، وبنى امة وكون دوله فى مدة وجيزه ، واذا كان قلب العصا حيه معجزة فان تغيير العقول والقلوب أبلغ فى الاعجاز واذا كان احياء الميت من الخوارق التي ايد الله بها بعض انبياءه فان احياء أمة أميّه من الجهل والرذيلة ،وجعلها مصدر اشعاع وهدايه ، هو الخارق الذى تتضاءل فى جوانبه جميع المعجزات(١) .

وسنفصل موضوع اعجاز القرآن ووجوه اعجازه في فصول مستقله من الرسالة باذن الله .

هذا القرآن حق ونزل بالحق :-

يقول ابن كثير رحمه الله عند تفسير قوله تعالى ( وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ) يقول تعالى مخبرا عن كتابه العزيز وهو القرآن أنه بالحق نزل اى متضمنا للحق ، كما قال تعالى ( لكن الله يشهد بما أنزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون )(٢) .

أى متضمنا علم الله الذى اراد ان يطلعكم عليه من أحكامه وأمره ونهيه وقوله ( بالحق نزل ) أى : ونزل اليك يامحمد محفوظا محروسا لم يشب بغيره ، ولا زيد فيه ،ولا نقص منه ،بل وصل اليك بالحق فانه نزل به شديد القوى الامين المكين المطاع في الملأ الاعلى )(٣).

---

( ١ ) العقائد الاسلامية - سيد سابق ٢١٣-٢١٤ ،ط٠/٣ مطبعة : حسان القاهره .
( ٢ ) سورة النساء / ١٦٦ .
( ٣ ) تفسير ابن كثير جـ٥ / ١٢٥ .

وأخبرا بأمر اللهرسوله صلي اللهعليه وسلم أن يرد علي من لميؤمن بهذا القرآن العظيم بأنه سواء آمنتم به أم لا ، فهو حق في ذاته ، واذا جحدتم هذا الحق المبين ولم تقدروه قدره فان الذين أوتوا العلم (١) من قبل بعثته الرسول صلى الله عليه وسلم يؤمنون به عند سماعه ،ويوقنون انه الحق الموعود وبه من الله عز وجل على ألسنة رسله الكرام ، لما يجدونه من التبشير به في كتبهم .

قال تعالى : ( قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ،ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلي عليهم يخرون للاذقان سجدا ) ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا ) ١٠٧-١٠٩ .

فهذه الآيات خطاب شديد ، يحمل الانكار والتهديد للذين لم يؤمنوا بالحق والهدى ،واشترطوا لايمانهم حصول المعجزات الحسيه ،فان الله عز وجل قد أوضح طريق الحق وازال الغشاوة ،واقام الادلة على وجوب الإيمان بالكتاب واتباع رسوله فاختروا ماتريدون ،آمنوا او اكفروا فان عاقبة ذلك على انفسكم ولن تضروا الله شيئا .

وأخيرا يضع امام انظارهم نموذجا ومثالا لمن يتعاطون بصدق مع القرآن فهي صورة وحال من أحوال اهل الصلاح من أهل الكتاب وانهم كانوا يتفاعلون مع الكتاب عند سماعه ويترجمون هذا التفاعل بالسجود والتضرع والبكاء ويزيدهم خشوعا وخضوعا لمنزل الكتاب وهم أهل علم فحري بالعربوهم الامون الذين لميؤتوا علما ولا كتابا ان يقتدوا بهم وبهم يأتسون وبالرسول يصدقون وبالرسالة يؤمنون .

---

( ١ ) اختلف المفسرون في هؤلاء (الذين أوتوا العلم) :فبعضهم قال :هم مؤمنوا أهل الكتاب وصالحوهم .
وقال بعضهم : هم قوم من ولد اسماعيل تمسكوا بدينهم حتى بعث محمد صلى اللهعليه وسلم.
وقال مجاهد : هم اناس من اليهود كانوا اذا سمعوا القرآن خروا سجدا وبكيا وهو الراجح مع الرأى الاول .
انظر تفسير القرطبي جـ ١٠-٣٤ وتفسير ابن كثير جـ٥/ ١٢٥ .

## ـ الفصل الثالث ـ

## اسماء الله تعالى وصفاته وبيان منهج السلف في الايمان بها

وفيه مباحث :ـ

المبحث الأول : الاسماء والصفات وسائل العقيدة عبر التاريخ ، مرحلة الصفاء ووحدة المصدر في التلقي .

المبحث الثاني : مرحلة تكدر النبع واختلاط المصادر ، وأسباب الاختلاف والخبط في العقيدة .

المبحث الثالث : في معنى الاسماء والصفات ،لغة ،واصطلاحا ،وتصحيح اعتقاد الجاهليين،ووجه كونها حسنى .

المبحث الرابع : منهج القرآن في فهم الاسماء والصفات ،وتوضيح معالم هذا المنهج ، باصلين ومثلين .

المبحث الخامس : آثار الايمان بالاسماء والصفات على النفس البشرية .

المبحث السادس : احصار اسماء الله الحسنى ،معنى الاحصاء ،وضبط عدد الاسماء الحسنى .

المبحث السابع : عرض للاسماء والصفات الواردة في سورة الاسراء .

تمهيد :-

بين يدي الفصل :-

توحيد الاسماء والصفات : يقصد به : أن نعبد الله تعالى باسمائه وصفاته ونوحده فيها .

فنصف الله تعالى بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسله نفيا واثباتا ، فنثبت ما أثبته الله لنفسه ، وننفي ما نفاه عن نفسه سبحانه من غير تكييف ولا تمثيل ، ومن غير تحريف ، ولا تعطيل ولا الحاد في اسماء الله تعالى .

قال تعالى : ( ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها ، وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون )(١) .

فهو اثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل قال تعالى : ( ليس كمثله شيء وهو السميع البصير )(٢) .

وهو سبحانه ليس كمثله شيء ، لا في نفسه المقدسه المذكوره باسمائه وصفاته ، ولا في افعاله ، فكما نتيقن ان الله سبحانه له ذات حقيقة ، وله افعال حقيقة ، فكذلك له صفات حقيقة لكنها لا تشبه صفات المخلوقين كما أن ذاته ليست كذات المخلوقين سبحانه وتعالى ، وكلها أوجب نقصا أو حدوثا فان الله تعالى منزه عنه حقيقة ، لانه سبحانه مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه ويمتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه واستلزام الحدوث سابقة العدم ، ولافتقار المحدث الى محدث ولوجوب وجوده سبحانه(٣) .

فهو الله الخالق المنزه عن كل عيب و نقص فاوصافه اوصاف كمال وجلال واسماؤه اسماء عز وجمال هي الحسنى اى التي بلغت غاية الحسن والجلال والجمال ولا يتطرق اليها نقص أو عيب كما سنرى في هذا الفصل ان شاء الله .

---

( ١ ) سورة الاعراف / ١٨٠ .
( ٢ ) سورة الشورى / ١١ .
( ٣ ) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام - ابن تيمية جـ٥ / ٢٦-٢٧ .

## ـ المبحث الأول ـ

## الاسماء والصفات وسائل العقيدة عبر التاريخ

## ومرحلة الصفاء والتلقي عن المصدر الواحد

كان الرعيل الاول من الصحابة الكرام الذين تربوا في مدرسة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يتربون على مائدة القرآن الكريم ،ويصاغون بمنهجه الفريد الذى يخاطب النفس مباشرة .

وكانت التربية تتم باشراف وقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الدعاه وافضل المربين .

ولقد تربت تلك النفوس على النبع الصافي الطاهر الطيب في ظل القرآن وهدى آياته الكريمه .

وقد سلك القرآن كما اسلفنا مع البشر منهجا دقيقا فريدا يتعامل مع العقل الانساني والنفس البشريه ،ويجيب عن الاسئلة الملحه التي تدور في عقول الناس حول عالم الغيب والشهاده عن قضايا الالهيات وقضايا الكون والانسان والحياه ، فيعرفهم بحقيقة الوجود ،وبعظمة الرب الخالق سبحانه وتعالى وباثبات البعث والجزاء وترسيخ قضايا العقيدة في القلوب حتى يسلس قيادها فتستسلم لاوامر الخالق جل جلاله ،وتخضع لامره وحكمه ،وتتبع نبيه صلى الله عليه وسلم .

فتلقى الجيل الاول من المؤمنين قضايا التوحيد والعقيده ،وصفات الخالق واسماءه عز وجل من المصدر الوحيد الخالص من الكدورات وآراء البشر وفلسفاتهم ومناهجهم ،وكان صلى الله عليه وسلم يبين ما يحتاج اليه اصحابه ويعلمهم أمور دينهم ، وكان صفاء هذا المنهج ،ووحدة التلقي عنه ينعكس على الفئة المؤمنة استسلاما لربها ، وتفاعلا مع الدين الجديد ،وحماسا للدفاع عنه والجهاد في سبيل نشره .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم حازما في تربيته للجماعة المسلمة في ضرورة الالتزام بوحدة المصدر ،وحصر التلقي منه ،لان تلك المرحله في اعداد الجماعه المسلمه الاولى كانت المرحلة الحساسة والخطيره ،فكان اعدادا قويا مركزا ضمن ضامين فكريه ،واسس عقديه جاده ، اذ لا مجال فيه للترف الفكرى ، أو التميع في التلقي عن المصادر المختلفه المشوبه ،والتي تخل ببناء الشخصية المسلمة وتؤدى بحياة الجماعة الاولى .

كل هذا نفهمه من استغراق اكثر من نصف عمر البعثة النبوية في العهد المكي كله واهتمامها فقط بترسيخ العقيده ،وتثبيت ( لا اله الا الله ) في النفوس المؤمنه وتربيتها على مقتضياتها ومستلزماتها تحت مطارق المحنه والابتلاء والامتحان .

ونفهمه كذلك من غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم الشديد عندما رأى عمر ابن الخطاب يقرأ في صحيفة من التوراة ،فينتهره صلى الله عليه وسلم ويقول : ( ياعمر والله لو كان موسى حيّا بين اظهركم لما كان له الا أن يتبعنى )[1] .

وهو صلى الله عليه وسلم لم يكن يخشى على ايمان عمر رضي الله عنه ،انما كان يحمي افكار وعقول وقلوب الجماعة الاولى من كدورات الافكار الخارجيه الوافده ،وليحصن الفئة المؤمنه في مرحلة التكوين الاولى من المؤثرات المفسده والتي تكدر الصفاء وتشوش الافكار ،وتبلبل العقائد .

وقد اثمر هذا المنهج في الصحابة الكرام حيث كانوا ينظرون لقضايا التوحيد ، واثبات صفات خالقهم عز وجل نظرة حق ،ويتعاطون معها بصدق ،دونما ضجة أو تطرف أو غلو أو تقصير .

---

( ١ ) رواه الامام أحمد جـ٣/ ٣٣٨ .

فآمنوا بالله وحده لا شريك له ، له الاسماء الحسنى والصفات العلى الستي لا تشبه صفات المخلوقين . فوفر عليهم هذا المنهج في الايمان والاعتقاد جهودا واوقاتا ضخمه استغلوها في فهم الدين الجديد وزيادة ايمانهم به ،وتعلم أحكامه والنظر والتفكر في آيات الله التي تنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم ، ووجهوا كل جهودهم وطاقاتهم وافكارهم توجيها خارجيا لنشر الدين الحق والجهاد في سبيل الله لاحقاق الحق وابطال الباطل .

ذلك الجيل استقى اذن من ذلك النبع وحده ،فكان له في التاريخ ذلك الشأن الفريد ، ثم ماذا حدث؟ اختلطت الينابيع ، صبت في النبع الذى استقت منه الاجيال التاليه فلسفات الاغريق ومنطقهم ،واساطير الفرس وتصوراتهم واسرائيليات اليهود ولاهوت النصارى ،وغير ذلك من رواسب الحضارات والثقافات ـ كما سنرى ـ واختلط هذا هذا كله بتفسير القرآن الكريم وعلم الكلام ، كما اختلط بالفقه والأصول أيضا ، وتخرج على ذلك النبع العشوب سائر الاجيال بعد ذلك الجيل فلم يتكرر ذلك الجيل (١) .

أسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم في الاجابة على مسائل العقيدة :ـ

كان صلى الله عليه وسلم يبين مسائل العقيدة باجابات واضحة سهله لمن يقصد باسئلته معرفة وجه الحق ،فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يجيبهم على قدر ما يحتاجون اليه من البيان والتوضيح .

وسنرى أمثلة على ذلك :ـ

---

( ١ ) انظر كتاب ـ علاقة صفات الله تعالى بذاته ـ د . راجح الكردى ط. الاولى دار العدوى ـ عمان ص ٣٧ ـ ٥٠ .
وكتاب معالم في الطريق ـ لسيد قطب ـ فصل ( جيل قرآني فريد ) .

١ - روى البخارى عن عمران بن الحصين رضى الله عنه ؛ أنه قال ؛ " دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقلت ناقتي بالباب ، فأتاه ناس من بني تميم ، فقال ؛ اقبلوا البشرى[1] يابنى تميم . فقالوا ؛ قد بشرتنا فاعطنا ، مرتين ، ثم دخل ناس من أهل اليمن ، فقال ؛ اقبلوا البشرى يا أهل اليمن اذا لم يقبلها بنو تميم ، قالوا ؛ قد قبلنا يارسول الله ، قالوا ؛ جئناك نسألك عن هذا الامر ؛ قال ؛ كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء ، وخلق السموات والارض ".

٢ - روى البيهقي فى الاسماء والصفات ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ان اليهود اتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا ؛ صف لنا ربك ، فانزل الله تعالى : ( قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ) فقال ؛ هذه صفة ربي عز وجل[2] .

٣ - ولما سئل صلى الله عليه وسلم ؛ لقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فننادي ؟ انزل الله تعالى هذه الآية ( واذا سألك عبادى عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعاني ) الآية ( ١٨٦ ) من سورة البقرة[3] .

---

( ١ ) رواه البخارى فى كتاب التوحيد جـ٩ / ١٥٢ .

( ٢ ) المراد بالبشرى الخير العظيم الذى يترتب على الاسلام ، والنجاة من الخلود فى النار ، وبنو تميم يظهر انهم لم يفهموا مقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أراده بالبشرى ، أو أن رغبتهم في العاجله ، فعلقوا آمالهم بها .
انظر : كتاب فتح لبارى جـ٦ / ٢٨٨ ، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخارى لعبدالله الغنيمان ٣٧٦ .

( ٣ ) الاسماء والصفات للبيهقى ص ٢٧٩ ، وانظر صحيح البخارى كتاب التوحيد جـ٩/ ١٤١ .

( ٤ ) انظر تفسير ابن كثير جـ١ / ٣١٣ .

وهكذا أوضح الرسول صلى اللهعليه وسلم لاصحابه أمور الايمان وجلى لهم مسائل العقيده وأكمل الله به الدين وأتم النعمه .

فهم الصحابة الكرام للتوحيد والاسماء والصفات :-

بينما فيما سلف ان الصحابة رضي الله تعالى عنهم كانوا يتعلمون من رسول الله صلى اللهعليه وسلم قضايا في دينهم ودنياهم ،وكانوا يسألونه في ادب جم ،وبرغبة صادقة في زيادة العلم والايمان ،ولم يكونوا رضوان الله عليهم يسألونه ليجعلوا من تلك المسائل مذاهب مختلفه وان استغلت فيما بعد فاصبحت هناك فرق مختلفه تتبنى هذه الاقوال .

ومع هذا كله لا تجد سوءالا واحدا منهم للرسول صلى الله عليه وسلم أو فيما بينهم يصلح لان يكون اساسا لمسألة علاقة الصفاتبالذات مثلا ،والتي صارت مثار خلاف وجدل عنيف بينعلماء الكلام والفلاسفه .

ولا نجد موقف الصحابةالكرام من الذات المقدسه والصفات الكريمه سوىاثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه ،وما أثبته رسول الله صلى اللهعليه وسلم من الاسماء والصفات من علم وقدره وسمع وبصر الخ ... ونفي مانفاه تعالى عن نفسه ،واطلقوا ما اطلقه الله تعالى على نفسه من الوجه واليدين والاعين والمجيء والرؤيه في الآخره .

فاثبتوا لله تعالى الصفات بلا تشبيه ، كما نزهوه تعالى عن الشريك والمثيل بلا تعطيل ، ولم يثبتعنهم انهم خاضوا في مسائل الاسماء والصفات خارج المنهج السالف الذكر .

يقول ابن القيم : في اعلام الموقعين (١) : يوضح موقف الصحابة الكرام من الاسماء والصفات :-

( قد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الاحكام ، وهم سادات المسلمين ، وأكمل الامة ايمانا ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الاسماء والصفات والافعال ، بل كلهم على اثبات ما نطق به الكتاب العزيز والسنة النبوية كلمة واحدة من أولهم الى آخرهم ، لم يسموها تأويلا ، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلا ، ولم يبدوا بشيء منها ابطالا ولا ضربوا لها امثالا ، ولم يوقعوا في صدورها واعجازها ، ولم يقل منهم احد يجب صرفها عن حقيقتها وحملها على مجازها ، بل تلقوها بالقبول والتسليم ، وقابلوها بالاجلال ) .

وقال المقريزي في ( خططه ) ، يبين فهم الصحابة لآيات الصفات .

( ان القرآن الكريم قد تضمن اوصافا لله تعالى فلم تثر التساؤل عند أحد من العرب عامة قريبهم وبعيدهم ، ولم يستفسروا عن شيء ، يصدونها ، كما كانوا يفعلون في شأن الزكاة والصيام والحج وما اليه ولم يرد في دواوين الحديث وآثار السلف ان صحابيا سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن صفات الله ، أو اعتبرها صفة ذات أو صفة فعل ، وانما اتفقت كلمة الجميع على اثبات صفات ازلية لله تعالى من علم وقدرة وحياة وسمع وارادة وبصر وكلام ومجيء واستواء ونزول .. الخ ) (٢) .

---

( ١ ) اعلام الموقعين عن رب العالمين جـ١/ ٥٥ ، طبعة منير الدمشقي - القاهرة .

( ٢ ) خطط المقريزي جـ٤/ ١٨٠ ، وانظر مقالات الاسلاميين - للأشعري جـ١/ ١٤٠ .

وكان الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم يحرصون على حماية افكار الامة وعقائدها من رياح الفتن ، والافكار المشككه والمضلله حرصا منهم على استمرار الصفاء في المصدر ، ولضمان استمرار صفاء العقول والقلوب ، وكان يضربون بقوة كل محاولة لبث الشكوك وبلبلة الافكار .

ولما جاء رجل يدعى ( صبيغ بن عسيل ) الى المدينة وأخذ يسأل عن متشابه القرآن بهدف التشويش واثارة البلبله ، وبث الشكوك في صفوف المسلمين ، ارسل اليه عمر رضي الله تعالي عنه وهو يومئذ أمير المؤمنين ، وقد أعد له عراجين النخل ، فقال : من أنت ؟ قال : عبد الله بن صبيغ أو ( صبيغ بن عسيل ) فاخرج عمر عرجونا من تلك العراجين فضربه حتى دمي رأسه ، ثم نفاه عن المدينة الى البصره ، وفي رواية انه كتب الى أبي موسى الاشعري بعد ضربه بألا يجالسه احد من المسلمين (١) .

ولقد خلا الصدر الأول ، عهد الصحابه وشطر من حياة التابعين رضى الله عن الجميع من المظاهر المرضية واستمر على صفائه واستقامة فكره ومنهجه في التفكير والايمان في الجمله .

ويذكر لنا التاريخ قصة الرجل الذى سأل الامام مالكا رضي الله عنه عن قوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى ) كيف استوى ؟ فقال امام دار الهجرة رحمه الله : ورضى عنه : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول وتروى ( الاستواء غير مجهول والكيف غير معلوم ) والايمان به واجب والسؤال عنه بدعه ، واظنك رجل سوء ثم نادى على

---

(١) لوامع الانوار البهية - للسفارينى - جـ١/ ، وكتاب : نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلاميه - يحيي فرغل - ٤٥/ .
وصبيغ : قال ابن حجر في الاصابه : بوزن عظيم ، ويقال بالتصغير ، بن سهل الحنظلي ( .
الاصابه في تمييز الصحابه جـ٢ / ١٩٨ ، دار احياء التراث العربى - بيروت .

الشرطي وامره أن يخرج الرجل من المجلس ،ويمعده عن حلقة العلم[1]. حتى لا يكدر على الناس صفاء ايمانهم ،ويثير الشكوك في نفوس ضعاف الايمان والذين لا يخلو منهم قرن ،ولكن بنسب متفاوته .

وهكذا نرى الامام مالكاً (رحمه الله ) يجيب السائل بفطرة المؤمن ، وفكر وفهم الراسخين في العلم بحقائق ومعاني آيات الصفات ،ومن ثم عكس لنا جانبا مهما من طريقة التفكير في الصدر الأول ، ومنهج مناقشة قضايا العقيدة ،فوضع لنا بذلك حقائق جديره بالتأمل :-

<u>الأولى :-</u>

أن السؤال عن كيفية الصفات بدعه ،وهو على حق في حكمه رحمه الله فلم يحدث ولم يرو لنا التاريخ كما اسلفنا ،ان أحدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سأله مثل هذا السؤال ،وكذا في عهد الخلفاء الراشدين ،وشطر من حياة التابعين .

<u>الثانيه :-</u>

ان البحث في هذه القضايا تحركه دوافع غير سليمه ،ويفتح امام الفكر الاسلامي ابوابا أولى ان تسد ،لأنه في غنى عنها ،ويكفينا ماتوحي به من معاني الجلال والكمال ، وما تؤثره في النفوس آثار الايمان بالاسماء والصفات كما سنرى فيما بعد .

---

( ١ ) انظر مجموع الفتاوى جـ٥ / ٤٠-٤١ .

## ـ المبحث الثانـــي ـ

## مرحلـة تكدر التبســع واختلاط المصادر

ليس من السهوله تحديد الفترة الزمنية التي بدأ فيها التحول ، ودخل الخوض والجدل في ميادين العقيدة ومنها مسائل الاسماء والصفات على وجه التحديد ، ولكن يمكن القول بانها تبدأ تطل برأسها في أوائل القرن الثاني ،وتشغل فـــترة ضئيلـة من نهاية الدولة الاموية ، ثم تنشط وتتضخم وتزدهر في أيام الدولـــة العباسية ، حيث بدأت تخرج فيها المذاهب والفرق وتظهر الخلافات التي هـزت كيان الدوله المسلمه وفرقت صفوف الامه ، وان ماتراه من اصطراع عجمت به كتـــب الكلام في الاسماء والصفات ،ومسائل الايمان ،وقضايا القدر ،واعجاز القرآن ،وما الى ذلك من جوانب العقيدة وقضاياها ، لأكبر دليل على مانقول .

ويمكننا ان نلخص اسباب هذا الخبط والخلاف فيما يلي :ـ

أسباب الاختلاف والتطاحن في مسائل الاسماء والصفات بالذات :ـ

أولا :ـ

بعد استقرار الخلافة الاسلاميـة ،وميل حركة الفتوح والجهاد الى الركود والهدوء نسبيا ،نشطت حركة الانفتاح الفكري ،وواجهت الترجمة للعلوم المختلفة المصادر والميادين .

ففزى الفكر اليوناني والروماني والهندى والفارسي الساحة الاسلاميـــة ، ودرس كثير من علماء المسلمين ومفكريهـــم المنهج اليوناني الذى يقوم على الجـــدل والمنطق في اثبات العلل والمعلولات ،وافتتن العقل المسلم بتلك الفلسفات الجافـــه والمعقدة ـ تماما كما يفتتن في عصرنا كثير من المسلمين بافكار الحضارة الغربيـــة الملحدة ـ .

وظن العلماء الذين استقوا هذا المنهج الجديد الجدلي والفلسفي ان في هذا المنهج حلولا لمشاكل بدأت تطل برأسها في المجتمع الاسلامي الجديد الذى صار يضم خليطا هائلا من الافكار والحركات والمذاهب السياسية والفكرية .

واعتقدوا ان قوالب الفلاسفة واساليب اليونان والرومان وطرق الهنود والفرس تصلح لدعم الفكر الاسلامي والعقيدة الاسلامية باسماكهم باسلحة تناسب المستجد من الاعداء ،والمستجد من الشبهات التى وجهت الى جوانب العقيدة الاسلامية وأركانها ، بما فيه الجانب الالهي وما يتصل بالاسماء والصفات .

ومن الطبيعى ان تلوث تلك القوالب والمناهج والاساليب الفلسفية ، الفكر الاسلامي لفترة استمرت قرونا تفرخت خلالها كما اسلفنا فرق هائله ، ومذاهب وآراء لا يحصيها الا الله تعالى ، فتكدر النهج الذى يستقى منه المسلمون دينهم وفكرهم وثقافتهم وتغير حال ذلك الجيل وبدأ ينزل عن القيمة السامقة التي كان يتسنمها الجيل الاول في عهد الصفاء ووحدة المصدر .

ثانيا:-

ان حركة الفتوح التي خفت الى درجة كبيرة ، كما سلف ذكره ، كان لها تأثير مباشر في ظاهرة التوجه الداخلي في صرف الطاقات البدنية والفكرية ، والامكانيات الهائلة لتستعمل في غير مجالها الصحيح المنتج المعطاء وهو نشر دعوة الله وقيادة الشعوب الى الحق . مما أدى الى نشوء الطرق الكثيرة والمذاهب المتعددة التي بدأت سياسية ثم انتهى بها الحال مذاهب فكرية وعقدية ،

كونت بمجموعهـــا الفرق الاسلامية على اختلافها من روافض وباطنيه ،ومعتزلة ، وخوارج ،ومذاهب اسلاميه منسلف واشاعره أو خلف ،حيث خاضت الصراع .

فتشعب البحث في الاسماء والصفات ،واتخذ آراء وأقوالا ثم افرزت فى النهاية هذه الاصناف من مسؤولة الى معطله ،الى مشبهة ،الى مفوضـــه ، وكانتالنتيجة هذا الجدل المسرف ، وهذه الكتب الضخمه التي تسمى كتب عقيدة ، وهيالتيعقدت التوحيد والعقيدة وشوهت جمالها ،وكدرت صفاء التوحيد السهل فهمه ،الميسور هضمه ولا حول ولا قوة الا بالله ، ويشهد لهذا الصوف الكتب التي تتكدس علىرفوف مكتباتنا .

ثالثا :-

ساهم في اشعال نار الخلاف حول الاسماء والصفات أهل الديانـــــات الاخرى الباطله من يهود ونصارى وفرس وهنود .

فاليهودية نشطت مدارسها ودعاتهـا فى المجتمع الاسلامى المترامـى الأطراف ، فنقلـت فكرة التجسيم والتشبيه ونظرتها الى الاله والانبياء الكرام .

والنصارى : نقلوا مسائل حلول الرب فى البشر ، أو الاتحاد بين الناسوت واللاهوت في كيان واحد .

والهنود : انتقلت آراؤهم في ( بوذا ) وكتابهم( الفيدا ) وتصوراتهـــم الدينية .

والفلاسفة اليونان : كذلكنقلوا افكارهم حول ( واجب الوجود ) والذى كانوا يتصورونه ذاتا مجردة عن الصفات ولا يعلم الجزئيات .

فساهمت كل الافكار في تلويث الفكر الاسلامي كما قلنا ،والى تسرب هذه القضايا الى عقول وأفكار هواة الجديد الغريب لتصبح آراء يقولون بها ويدافعون عنها ويلتفت حولهم الأتباع والمؤيدون (١) .

كانت هذه مقدمة لبيان المراحل التي مرت بها مسائل الاسماء والصفات عبر التاريخ الاسلامي منذ عصر النبوة الى العهد الراشدي الى مرحلة الاختلاط واسبابه ، والآن سندخل الى موضوع الاسماء والصفات في سورة الاسراء والله المستعان .

---

( ١ ) انظر نشأت الآراء والمذاهب والفرق الكلامية ص ٤٥ وما بعدها .
وكتاب ـ علاقة صفات الله بذاته ص ٦٠-٦٨ .

## ـ المبحث الثالث ـ

## معنى الاسماء والصفات لغة واصطلاحا
## وتصحيح اعتقادات المشركين ، ووجه كون الاسماء حسنى ،لا حسنه

قال تعالى في سورة الاسراء :ـ

( قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا ) (١١٠) .

سبب النزول :ـ

عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ابا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : يا الله يارحمن : فقال ان محمدا ينهانا ان نعبد الهين ،وهو يدعو الها آخر .

وقيل ان أهل الكتاب قالوا : انك لتقل ذكر الرحمن ،وقد أكثر الله في التوراة هذا الاسم ،فنزلت الاية (١) . وأكثر المفسرين على أن سبب النزول هو الرأى الاول .

المعنى الاجمالي :ـ

يقول تعالى : ( قل يا محمد لهؤلاء المشركين المنكرين اسم الرحمن ،ودعاء الله به ، فقل لهم ادعو الله ايها القوم او ادعوا الرحمن لا فرق ، فهو سبحانه ذو الاسماء الحسنى .

(أيا ما (٢) معناها :باى اسماء جل جلاله تدعون ربكم فانما تدعون واحدا لا شريك له

---

(١) الطبري جـ١ / ٢٢١ وابن كثير جـ١ / ١٢٧ والخازن جـ٤ / ١٥٤ .

(٢) دخول ( ما ) في قوله تعالى ( أيا ما ) له وجهان :ـ

أحدهما : أن تكون صله كما قيل ( عما قليل ليصبحن نادمين ) .

والآخر : أن تكون في معنى ( ان ) كصورتها اختلف لفظاهما . كما قيل : ( ما ان رأيت كالليلة ليله ) .

الطبري جـ١ / ٢٢٠ .

وله الاسماء الحسنى . فالآية رد على الجاهلين الذين انكروا تسمية الرب جل جلاله بالرحمن وتصحيح لاعتقادهم ولفهمهم ،واذن من الحق تعالى بتسميته بـــذلك الاسم ،اى سموه بهذا الاسم أو بهذا الاسم ،و ( أو ) للتخيير في قوله تعالى ( أو ادعوا الرحمن ) .

معنى الاسماء والصفات : لغة واصطلاحا :-

الاسم فى اللغة : قال في القاموس : يقال : اسم الشيء (بالكسروبالوصل ) وَسِمُه ، وَسُمه ،وسُماه ،يقصد به علامة الشيء ، أو العلامة الدالة على الشيء-

ويعرفه اللغويين : بأنه اللفظ الموضوع على الجوهر والعرض للتمييز (١) .

أما الصفة : لغة :-

قال فى القاموس : وصف الشيء يصفه وصفا اى نعته (٢) .

وفى اللسان : وصف الشيء له وعليه : اذا حلاه ، وقيل الوصف مصدر ، والصفه هي الحليه ،ويطلق على الخادم والخادمه وصيف ووصيفه (٢) .

وجاء فى مختار الصحاح : استوصف الطبيب لدائه : سأله أن يصف لـــه علاجا .

والصفة : كالعلم والجهل والسواد والبياض ، وعند النحويين الصفة هـــي النعت (٣) .

وقال الراغب : الوصف : ذكر الشيء بحليته ونعته .

والصفة : الحالة التي عليها الشيء من حالته ونعته .

---

( ١ ) القاموس المحيط جـ٤-٣٤٦ ، دار الجيل ، ولسان العرب جـ٤ -٤٠١١ ، دار صادر - بيروت .

( ٢ ) القاموس المحيط جـ٣/ ٢١١ ، ولسان العرب جـ٦/ ٤٨٤٩ .

( ٣ ) مختار الصحاح -للرازى - / ٤٢٧ - دار الكتاب العربي .

المعنى الاصطلاحي ،للاسم والصفة :-

الاسم : هو مادل على المسمى .

والصفه : هي حال وراء الذات ، أو ماقام بالذات من المعاني والنعوت ، وهي في حق الله تعالى : الاسماء الحسنى ونعوت الجلال والعظمه والكمال كالقدرة والارادة والعلم والحكمة .

وكل اسم تسمى الله تعالى به فانه يدل على صفه الله تعالى ،لأن الاسماء مشتقه من الصفات ،وقوله تعالى ( لله الاسماء الحسنى ) فيها اثبات الاسماء لله تعالى ، واذا ثبتت / الاسماء فقد ثبتت الصفات لان الاسماء تشتق منها (١) .

علاقة اسماء الله تعالى وصفاته بذاته المقدسة :-

ماهي علاقة اسماء تعالى وصفاته بذاته سبحانه ؟ .

هل صفاته سبحانه هي عين ذاته ، أو غير ذاته المقدسة ؟ .

وهل الاسم هو نفس المسمى أو هو غيره ؟ .

ولقد دار جدل طويل وعنيف بين الفرق والطوائف الكلاميه حول هذه الاسئلة لا مجال لسردها . ضلت فيه المعتزله حين نفت الصفات لان اثباتها يؤدي في نظرهم الفاسد الى تعدد القدماء ،والجهمية الذين يقولون ان الاسم غير المسمى واسماء الله غيره وماكان غيره فهو مخلوق (٢) .

---

( ١ ) انظر فتح الباري -لابن حجر العسقلاني جـ١٣/ ٣٥٦ .

( ٢ ) انظر في تحقيق هذه المسائل و علاقة صفات الله بذاته ) د .راجح الكردي . الباب الثاني .
وكتاب شرح العقيد قالاصفهانيه -لشيخ الاسلام ابن تيميه .
وكتاب لوامع الانوار البهية للسفارينى جـ١/ ١٨٠ .
ومجموع فتاوى شيخ الاسلام جـ٦-٥ ١٨-٢١ .

والراجح عند علماء السلف ؛ والمذهب الحق :

أن الاسم غير المسمى ،وان الصفة غير الموصوف ، والادلة على ذلك كثيره .

منها : أن الله تعالى قال في الآية الكريمة ( ظه الاسماء الحسنى ) اضاف الاسماء الى نفسه تعالى فلو كانت الاسماء هي ذاته تعالى ، لكان في ذلك اضافة الشيء الى نفسه وهذا محال .

لكننا لا نتصور في الخارج وفي الذهن ذاتا مجردة عن الاسماء والصفات لانها حينئذ تلحق بالمعدومات .

والمهم أن أئمة اهل السنه لم يكونوا يستعملون هذه العباره فلا يقولون عن صفات الله تعالى : انها غيره ،ولا يقولون انها ليست غيره فهو تعبير مجمل موهم ومبتدع .

ويوضح هذا المعنى بجلاء شارح الطحاويه اذ يقول :-

(ولهذا كان ائمة السنه رحمهم الله تعالى لا يطلقون على صفات الله وكلامه أنه غيره ولا أنه ليس غيره ، لان اطلاق الاثبات قد يشعر بأن ذلك مباين له ،واطلاق النفي قد يشعر بأنه هو هو ، اذ أن لفظ الغير فيه اجمال فلا يطلق الا مع البيان والتفصيل .

فان أريد ان هناك ذاتا مجردة قائمة بنفسها ،منفصلة عن الصفات الزائدة فهذا غير صحيح .

واذ أريد ان الصفات زائدة على الذات التي يفهم من معناها غير ما يفهم من معنى الصفةفهذا حق ، ولكن ليس في الخارج ذات مجردة عن الصفات، بل الذات

الموصوفة بصفات الكمال الثابتة لها ،لا تنفصل عنها ، وانما يفرض الذهن ذاتا وصفة كلا لوحده ،ولكن ليس في الخارج ذات غير موصوفه ،فان هذا محال .

ثم يقول :-

وقد يقول بعضهم : ان الصفة ليست ذات الموصوف التي يفرضها الذهن مجردة بل غيرها ، وليست غير الموصوف ، بل الموصوف بصفاته شيء واحد غير متعدد ، فاذا قلت أعوذ بالله ، فقد عذت بالذات المقدسة الموصوفة بصفة الكمال المقدسة الثابتة التي لا تقبل الانفصال بوجه من الوجوه .

واذا قلت أعوذ بعزة الله ، فقد عذت بصفة من صفات الله تعالى ولم أعذ بغيره سبحانه)(١).

فاسماؤه سبحانه هي مادلت على ذاته المقدسه .

وصفاته هي ماقام بذاته من الأحوال . فالذات واحده والاسماء والصفات كثيره ولا شبهه ولا غموض لمن هداه الله للمنهج السليم .

أسماء الله تعالى كلها حسنى ومعنى ذلك :-

قال القاسمي : ( حسنى : أى : انها مستغله بمعاني التقديس والحمد والتعظيم )(٢) .

وهنا بين الله تعالى انه مختص بالاسماء الحسنى ، وليست الحسنه فقط لجواز أن يلزمها عيب او نقص أو ذم .

بخلاف أسماء الله تعالى فانها كاملة المعاني ،لا يلحقها نقص ولا عيب بحال من الاحوال . وان اتصاف المخلوق ببعض مايتصف به الرب تعالى من المعاني أو الاسماء فان ذلك من باب الاشتراك اللفظي العام اذ لكل اسماء وصفاء تليق به وتناسبه .

( ١ ) شرح الطحاوية/ ٦٧-٦٨ ، وبدائع الفوائد جـ١/ ١٨٤ .
( ٢ ) تفسير القاسمي جـ ١٠/ ٤٠١١ .

ولا يلزم من ذلك نقص أو عيب في أسمائه تعالى أو صفاته ، لانها حسنى ،كامله تناسب عظمته وكبرياءه ، وأما المخلوق فانه اسماء وصفات لكنها ليست حسنى ولا كامله فهي تناسب ضعفه وعجزه .

ولا يتوهم في ذلك تشبيها كما زعم من نفى الصفات حيث ظنوا لصفر تفكيرهم وتلبيس الشيطان عليهم ، ان مجرد المشاركة في الاسماء أو المعاني العامه يفيد التشبيه .

ثم ان اسماء الله تعالى منطبقه على صفاته ،وليس شيء من اسمائه مخالفا لصفاته ولا شيء من صفاته مخالفه لاسم من اسمائه تعالى .

وهذا بخلاف اسماء وصفات المخلوق ؛ فقد يسمى الرجل حكيما وهو جاهل ، وحكما وهو ظالم ، وعزيزا وهو ذليل ، وحقير ، وكريما وهو لئيم ، وصالحا وهو طالح وحبيبا وهو بغيض .(١)

وقال ابن القيم : ( فاسماؤه كلها مدح وثناء وتمجيد ،ولذلك كانت حسنى ، وصفاته كلها صفات كمال )(٢) . وهي تكون في غاية الشرف والكمال والجمال ولا يتخللها نقص أو عيب بحال من الاحوال .

---

( ١ ) معارج القبول ـ لحافظ حكمي ـ جـ١/ ٨٠-٨١ مطبوعات دار الافتاء ـ السعودية .

( ٢ ) مدارج السالكين جـ١/ ١٢٥ .

## ـ المبحث الرابع ـ

## المنهج الذى رسم القرآن لفهم الاسماء والصفات

في رسالته القيمة ( منهج ودراسات لآيات الاسماء والصفات ) ذكر الشيخ محمد الامين الشنقيطى رحمه الله ان القرآن العظيم دل على ان مبحث الاسماء والصفات يرتكز على ثلاثة أسس ، من جاء بها كلها فقد وافق الصواب وكان على الاعتقاد الذى كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ومن اخل بواحد من تلك الاسس الثلاثه ، فقد ضل في الفهم وبعد عن الصواب.

وذكر رحمه الله ان تلك الاسس التي دل عليها القرآن العظيم هي :ـ

الأساس الأول :ـ

تنزيهه جل وعلا عن ان يشبه شيء من صفاته شيئا من صفات المخلوقين . وهذا الاصل يدل عليه قوله تعالى : ( ليس كمثله شيء وهو السميع البصير )[١] .

وقوله تعالى : ( قل هو الله أحد .... الى قوله ولم يكن له كفوا أحد ) سورة الاخلاص .

وقوله تعالى ( فلا تضربوا لله الامثال )[٢] وقوله تعالى : ( هل تعلم له سميا )[٣] .

الاساس الثاني :ـ

هو الايمان بما وصف الله به نفسه ، لانه لا يصف الله اعلم بالله من الله ، قال تعالى ( أأنتم أعلم ام الله )[٤] .

---

( ١ ) سورة الشورى / ١١ .
( ٢ ) سورة النحل / ٧٤ .
( ٣ ) سورة مريم / ٦٥ .
( ٤ ) سورة البقرة / ١٤٠ .

وكذا الايمان بما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، لانه لا أعلم بالله بعد الله من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال الله تعالى في حقه "(وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى )[١] .

ضلال الذين أخذوا بأحد هذين الاساسين دون الآخر :-

يقول المؤلف رحمه الله : وحيث أخل المكلف بأحد هذه الاصلين وقع في هوة ضلال ، لان من تنطع بين يدى رب السموات والأرض ،وتجرأ على الله بهذه الجرأة العظيمه بان نفى عن ربه وصفا اثبته لنفسه ،فهذا ضال والعياذ بالله ، فالله تعالى يثبت لنفسه صفات جلال وكمال ، فكيف يليق بمسكين جاهل ان يتقدم بين يدى رب السموات والأرض ويقول : هذا الذى وصفت به نفسك لا يليق بك ، ويلزمه من النقص كذا وكذا ، فأنا أؤول والغيه ، وآتي ببدله من تلقاء نفسي ، من غير استغناء الى كتاب وسنه ، سبحانك هذا بهتان عظيم .

سلوك الصراط السوى :-

يقول المؤلف رحمه الله : ومن آمن بصفات ربه جل وعلا منزها ربه عن مشابهة صفاته سبحانه لصفات الخلق ، فهو مؤمن منزه سالم من ورطة التشبيه والتحليل .

وقد دلت على هذا المنهج آية واحدة من كتاب الله ،وهو مضمون قوله تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ) فهذه الآية فيها تعليم يحل جميع الاشكالات ، ويجيب عن جميع الاسئله حول الموضوع .

ذلك لان الله تعالى قال : ( وهو السميع البصير ) بعد قوله ( ليس كمثله شيء ) ومعلوم ان السمع والبصر من حيث هما سمع وبصر يتصف بهما جميع الحيوانات

---

( ١ ) سورة النجم ٣ - ٤ .

فكأن الله تعالى يشير للخلق الا ينفوا عنه صفة سمعه وبصره ، بادعاء أن الحوادث تسمع وتبصر ، وان ذلك تشبيه ، بل عليهم ان يثبتوا له صفة سمعه وبصره على أساس ( ليس كمثله شيء ) .

فالله عز وجل له صفات لائقة بكماله وجلاله ، والمخلوقات لهم صفات مناسبة لحالهم ، وكل هذا حق ثابت لا شك فيه ، ان صفة رب السموات والأرض اعلى وأكمل من أن تشبه صفات المخلوقين .

الاساس الثالث : -

قطع الطمع عن ادراك حقيقة الكيفيه ، لان ادراك حقيقة الكيفيه مستحيل ، وهذا نص الله تعالى في سورة ( طه ) حيث قال :-

( يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ولا يحيطون به علما )[1] .

يقول الشيخ محمد الامين رحمه الله : فقوله ( يحيطون ) فعل مضارع ، والفعل الصناعي الذى يسمى بالفعل المضارع والماضي والامر ، ينحل عند النحويين عن ( مصدر ، وزمن ) وزاد علماء البلاغة أنه ينحل الى مصدر وزمن ونسبه .

فالمصدر كامن في مفهومه اجماعا ، فيحيطون ، تكمن في مفهومها ( الاحاطه ) فيتسلط النفي على المصدر الكامن في الفعل ويكون معه كالنكره المبنيه على الفتح .

فيصير المعنى ( . . . لا احاطة للعلم البشرى برب السموات والارض ، فينفى جنس أنواع الاحاطه عن كيفيتها ، فالاحاطة المسندة للعلم منفية عن رب العالمين .

فالعقل الانساني مهما كبر في ذكائه وقوة ادراكه يبقى قاصرا غاية القصور ، وعاجزا غاية العجز عن معرفة حقائق أكثر الاشياء ، فهو عاجز عن معرفية حقيقة

---

( ١ ) سورة ( طه ) / ١١٠ .

المادة ، وحقيقة الذرات التي تتألف منها المادة ، وعاجز عن معرفة حقيقة الضوء ، وعاجز عن معرفة كيفية وحقيقة الروح التي تتردد بين جنبيه ، فكيف يطمح الى معرفة حقيقة الذات وكيفية الصفات (١) .

وقد أوضح شيخ الاسلام ابن تيميه المنهج السليم لفهم الاسماء والصفات بأصلين ومثلين .

أما الأصلان :-

فالأصل الأول : القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر .

اذ لا فرق بين ما نفاه النفاة ، وبين ما أثبتوه من الصفات ، بل القول في أحدهما كالقول في الآخر ، فاذا أثبتم له سبحانه السمع والبصر والكلام والحياة والقدرة والارادة فلابد من اثبات محبة الله ورضاه ، وغضبه وكراهيته لا فرق بينهما .

الاصل الثاني : القول في الصفات كالقول في الذات :-

فان الله تعالى ليس كمثله شيء في اسمائه ولا في صفاته ولا في افعاله ، فاذا كان لذات حقيقته لا تماثل الذوات ، فالذات متصفة بصفات حقيقيّة لا تماثل سائر الصفات .

فاذا قال قائل كيف استوى على العرش ؟ قيل له كما قال : ربيعة ومالك وغيرهما رضي الله عنهما :-

---

( ١ ) بتلخيص من كتاب منهج ودراسات لآيات الاسماء والصفات ، للشيخ محمد الامين الشنقيطي رحمه الله ، وهي رسالة صغيرة الحجم عظيمة الفائدة والعلم .

( الاستواء معلوم والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعه )

وكذلك اذا قال : كيف ينزل ربنا الى السماء الدنيا ؟ .

قيل له : كيف هو ؟ فاذا قال : لا أعلم كيفيته ، قيل له : ونحن لا نعلم كيفية نزوله ، اذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف ، وهو فرع له وتابع له ، فكيف تطالبني بالعلم بكيفية سمعه وبصره وتكليمه واستوائه ونزوله ، وانت لا تعلم كيفية ذاته )[1] .

وضرب شيخ الاسلام رحمه الله مثلين لفهم الاسماء والصفات والايمان بها مع عدم ادراك كيفيتها .

المثل الأول :-

هو ما أخبر الله تعالى به مما في الجنه من نعيم :-

فان الله سبحانه اخبر عما في الجنة من المخلوقات ، من اصناف المطاعم والملابس ، والمناكح والمساكن ، فاخبر ان فيها لبنا وعسلا ، وخمرا ، وماء ، ولحما ، وحريرا ، وذهبا ، وفضه ، وفاكهة ، وحورا وقصورا .

ومع ذلك قال ابن عباس : ليس في الدنيا شيء مما في الجنه الا الاسماء .

واذا كانت تلك الحقائق التي اخبر الله عنها متوافقه في الاسماء للحقائق الموجوده في الدنيا وليست مماثلة لها ، بل بينهما من التباين والاختلاف مالا يعلمه الا الله تعالى مما لم تره عين ولم تسمع به اذن ولا خطر على قلب بشر .

فالخالق سبحانه وتعالى أعظم مباينة للمخلوق ، ومن مباينة المخلوق للمخلوق . ومباينته لمخلوقاته اعظم من مباينة موجود لموجود آخر ، اذ المخلوق اقرب الى المخلوق

---

( ١ ) بتلخيص من الرسالة التدمريه - لشيخ الاسلام ابن تيميه ص ٢١-٣١ - ط/٢ المكتب الاسلامي .
وانظر مجموع الفتاوى جـ٣ / ١٧-٢٧ .

الموافق له في الاسم من الخالق للمخلوق .

المثل الثاني : وهو ( الروح ) التي فينا :-

فهي قد وصفت بصفات ثبوتيه وسلبيه ، وقد اخبرت النصوص عنهـــا انها تعرج وتصعد من سماء الى سماء ، وانها تقبض من البدن وتسلّ منه كما تسل الشعرة من العجين .

والناس مضطربون فيها :-

فمنهم طوائف من أهل الكلام يجعلونها جزءا من البدن ، أو صفة من صفاته ، وقول بعضهم انها النفس أو الريح التي تتردد في البدن .

وقول بعضهم انها الحياة ، أو المزاج ، أو نفس البدن .

ومنهم طوائف من أهل الفلسفة ، يصفونها بما يصفون به واجب الوجود عندهم ، فيقولون : لا هي داخل البدن ولا خارجه ، ولا مباينه ولا مداخلة له ، ولا متحركة ولا ساكنه ، ولا تصعد ولا تهبط ، ولا هي جسم ولا عرض ، وهي صفات ممتنع الوجود .

وبعضهم قال ان الروح جسم لانه يشار اليها وتتحرك ، وبعضهم قال ليست جسما .

واضطراب النقاة والمثبتة في الروح الكثير :-

والمقصود من المثل :-

أن الروح اذا كانت موجودة حية ، عالمة قادرة سميعة بصيرة تصعد وتنـــزل وتذهب وتجيء ، ونحو ذلك من الصفات ، والعقول قاصرة عن تكييفها وتحديدها لانهم لم يشاهدوا لها نظيرا ، والشيء انما تدرك حقيقته بمشاهدته أو مشاهدة نظيره .

فهي من أمر الله لا يعلم حقيقتها ولا كيفيتها الا هو :

وصدق الله اذ يقول في سورة الاسراء ( ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا )[١].

فاذا كانت الروح متصفه بهذه الصفات مع عدم مماثلتها لما يشاهد من المخلوقات .

فالخالق اولى بمباينته لمخلوقاته ، مع اتصافه بما يستحقه من اسمائه وصفاته ، وأهل العقول ، اعجز من أن يحدوه أو يكيفوه منهم عن أن يحدوا الروح أو يكيفوها[٢].

---

( ١ ) سورة الاسراء / ٨٥ .

( ٢ ) بتلخيص وتصرف من الرسالة التدمرية - لشيخ الاسلام ابن تيمية - ٣٢ - ٣٨ ، وانظر مجموع الفتاوى ج٣ / ٢٨-٣٤ .

## ـ المبحث الخامس ـ

## آثار الايمان باسماء الله وصفاته على النفس البشريه

هناك فوائد عظيمه يجنيها المسلم من دراسته لاسماء الله تعالى وصفاته وفهمه وايمانه بها ضمن المنهج السليم الذى ذكرناه آنفا وسنوجز هذه الفوائد في النقاط الآتيه :ـ

فائدة العلم بالاسماء والصفات :ـ

١ ـ التعرف على الله سبحانه وتعالى ،فالاسماء والصفات هما الوسيلة الهامة التي تعرفنا بربنا سبحانه وتعالى ،وبدون ذلك سيبقى الايمان بالله تعالى فكرة غامضة ولا تعطي ثمارا طيبه .

اما اذا عرفنا اسماءه سبحانه وصفاته فقد عرفناه سبحانه وعرفنا قدر انفسنا فلزمنا مقام العبود يه لثبوت مقام الربوبية له سبحانه ،فله تعالى يد ووجه تليق بجلاله وكماله ، وله قدرة فهو على كل شيء قدير ،وهو يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور .

٢ ـ تمجيده سبحانه والثناء عليه ،باسمائه الحسنى وصفاته العلى . وهي أعظم ما نمجد الله به ونثني عليه سبحانه ،وهو من أعظم الذكر الذى امرنا به فى قوله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا )(١) .

٣ ـ ومن فوائد العلم بالاسماء والصفات : دعاؤه سبحانه وتعالى باسمائه وصفاته والتوسل اليه بها كما قال سبحانه :ـ

( ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها )(٢) .

---

( ١ ) سورة الاحزاب / ٤١ .

( ٢ ) سورة الاعراف/ ١٨٠ .

وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم في أكثر من حديث ان من دعا الله سبحانه باسمه الاعظم الذى اذا دعى به اجاب واذا سئل به أعطي ، أجيب دعاؤه ولبي طلبه باذن الله . فعلمنا بها وصدقنا واخلاصنا في الدعاء ، يجعل دعاءنا مستجابا عند الله تعالى .

٤ - العلم باسماء الله تعالى وصفاته العلى ، ينجي العباد من سوء الظن بالله تبارك وتعالى فان أكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم ، وفيما يختص بغيرهم ، فقلّ من يسلم من ذلك الا من عرف الله وأسماءه وصفاته كما تعرف هو سبحانه وتعالى الى خلقه ، فيقدره قدره ، ويؤمن بحكمته وعدله وحبه لعباده وتقديره ما فيه المصلحة والخير لعباده وان خفي عليهم ذلك .

وكثير ممن يظنون بالله ظن السوء ، يقولون انه كان ينبغي ان يكون كذا وكذا ، ويتألّى - اى يكذب - بعضهم على الله حين يقول :-
ان الله لن يغفر لفلان ، ولا يرضى عن زيد ، وما اطلع على الغيب ولا علم خاتمة الناس ، فعلى المؤمن ان يرضى دائما عن الله تعالى واحكامه وقضائه وقدره وان يقول : قدر الله وماشاء فعل ، ويقول : ان الله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، وهذا يعرفه المسلم اذا تعرف على اسماء الله وصفاته وآمن بها حق الايمان .

٥ - ومعرفتنا بالله وباسمائه وصفاته تجعلنا على علم بما يجب وما يمتنع في حق الله تعالى ، فتجعلنا نصف خالقنا سبحانه بكل اسمائه الحسنى وصفاته العلى الواردة شرعا في الكتاب والسنه ، وننفي عنه صفات النقص التي لا تليق بجلاله وكماله وعظمته ونتوقف عن اطلاق الالفاظ التي لم ترد والتي تشعر بسوء الادب مع الله سبحانه وتعالى .(١)

---

(١) انظر كتاب ( الله ) جل جلاله لسعيد حوى / ٣٨١ .

٦ - الاسماء والصفات تقتضي آثارها من العبودية لله :-

ذلك ان لكل اسم أو صفة للحق جل جلاله عبودية خاصة تناسب ذلك الاسم وتلك الصفه ،وقد فصل ذلك ابن القيم في مفتاح دار السعادة :-

( فلكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ،ومقتضياتها ، أعني من موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها ،وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح . فاذا علم العبد بتفرد الرب تعالى ( بالضر والنفع والعطاء والمنع ،والخلق والرزق والاحياء والاماته ) .

فان هذا يثمر له عبودية التوكل عليه باطنا ،ولوازم التوكل وثمراته ظاهرا .

وعلم العبد ( بسمع الله وبصره وانه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وانه يعلم السر وأخفى ،ويعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ) . فان هذا يثمر للعبد حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل مالا يرضي الله وان يحرص على ان يجعل تعلق هذه الاعضاء ، بما يحبه ويرضاه .

ويثمر له ذلك الحياء باطنا ، والحياء يثمر له اجتناب المحرمات والقبائح .

ثم يقول رحمه الله :

ومعرفة العبد ( بغنى خالقه سبحانه ،وجوده وكرمه وبره واحسانه ،ورحمته ، توجب له سعة الرجاء ،وتثمر له من انواع العبودية الظاهره والباطنه بحسب معرفته وعلمه .

وكذلك معرفة المسلم ( بجلال الله تعالى وعظمته وعزه ) .

تثمر له الخضوع والاستكانه والمحبه ،وتثمر له تلك الاحوال الباطنه أنواعا من العبودية الظاهره هي موجباتها .

وكذلك علمه ( بكماله وجماله وصفاته العلى ) يوجب له معرفة خاصة بمنزلة أنواع العبودية ،فرجعت العبودية كلها الى مقتضى أسمائه وصفاته )[1] .

---

( ١ ) مفتاح دار السعادة - لابن قيم الجوزيه - جـ٢ / ٩٠ ، دار الكتب العلميه ، بيروت .

وانظر - كتاب العقيدة الاسلاميه واسسها - للجديدي ١٥٥-٢٤٢ .

## ـ المبحث السادس ـ

## احصاء أسماء الله الحسنى ومعناه وفضله ، وضبط العدد

ورد الترغيب والحث على احصاء اسماء الله الحسنى ، فقد وعد الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنه لمن احصاها .

ورد في الحديث الصحيح : قوله صلى الله عليه وسلم " ان الله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من أحصاها دخل الجنه "(١).

وهذا قطب السعادة ومدار النجاة والفلاح ، ولنتدخل في الموضوع لنرى معنى هذه الصفقة المباركة التي نتيجتها الفوز بجنة عرضها السموات والأرض .

لقد اختلف العلماء في معنى احصاء اسماء الله الحسنى :ـ

قال الخطابى : يحتمل وجوها :ـ

أحدهـا :ـ

ان يعدها حتى يستوفيها بمعنى ان لا يقتصر على بعضها فيدعو الله بهـا كلها ويثني عليه بجميعها ، فيستوجب الموعود عليها من الثواب .

وهذا الوجه هو الذى اختاره الامام البخارى حين فسر الاحصاء بالحفظ بقوله بعد الحديث ( احصيناه حفظناه ) .

ثانيهـا :ـ

المراد بالاحصاء الاطاقه ، والمعنى : من اطاق القيام بحق هذه الاسماء والعمل بمقتضاهـا وهو ان يعتبر بمعانيها فيلزم نفسه بوجبها ، فاذا قال (الرازق) وثق بالرزق ، وكذا سائر الاسماء .

---

( ١ ) رواه البخارى في كتاب التوحيد جـ٩ / ١٤٥ .

ثالثها :-

المراد بها الاحاطه بجميع معانيها .

وقيل احصاها عمل بها ، فاذا قال ( الحكيم ) سلم لجميع أوامره ، واقداره وانها جميعا على مقتضى الحكمة )[1].

وقال ابن بطال : طريق العمل بها : بأمور :-

أ - أن ماكان يسوغ الاقتداء به كالرحيم والكريم ، فيحمون العبد نفسه على ان يصبح له الاتصاف بها - يعني فيما يقوم به .

ب - وماكان يختص به نفسه كالجبار والعظيم ، فعلى العبد الاقرار بها والخضوع لها ، وعدم التحلي بصفة منها .

جـ - وماكان فيها معنى الوعد يقف فيه عند الطمع والرغبه .

د - وماكان فيها معنى الوعيد يقف منه عند الخشية والرهبه[2].

وذكر العلامة ابن القيم - رحمه الله - لاحصائها ثلاث مراتب :-

الاولى : احصاء الفاظها وعددها .

الثانيه : فهم معانيها ومدلولها .

الثالثه : دعاؤه بها كما قال تعالى : ( ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها ) .

والدعاء نوعان :-

الاول : دعاء ثناء وعباده ، فلا يثنى عليه الا باسمائه الحسنى وصفاته العلى .

الثانى : دعاء طلب ومسأله ، فلا يسأل الا بها ويسأل بها في كل مطلوب بما يناسبه[3].

---

( ١ ) انظر فتح البارى جـ١٣/ ٣٧٨ .
( ٢ ) معارج القبول جـ١/ ٨٤ .
( ٣ ) انظر بدائع الفوائد - لابن القيم - جـ١/ ١٦٤ .

أدب الدعاء بالاسماء والصفات :-

للدعاء باسماء الله تعالى ادب يجب مراعاته ولا يتم ذلك الا بفهمها وتعلم معانيها .

فلا يقول عند الدعاء : ياشيء ياموجود أو ياذات اغفر لي وارحمني ، بل يسأل الله تعالى في كل مطلوب باسم يكون مقتضيا لذلك المطلوب ، فيكون السائل متوسلا الى الله تعالى بذلك الاسم (١) .

قال ابن القيم : ( وهذه العبارة " التوسل بالاسماء " ) اولى من عبارة من قال تتخلق باسماء الله ، فانها ليست بعبارة سديدة ، وهي منتزعة من قول الفلاسفة حيث يقولون : الفلسفة : هي التشبه به على قدر الطاقة .

والحاصل ان لهم اربع مراتب في معنى دعاء الله باسمائه :-

١ - اشدها انكارا عبادة الفلاسفة : وهي التشبه به تعالى .

٢ - ثم تليها عبارة من قال : التخلق باسماء الله تعالى .

٣ - وأحسن منها عبارة ابي الحكم بن برجان ، وهي التعبد فلكل اسم أو صفه عبودية خاصه .

٤ - وأحسن من الجميع الدعاء بها ، وهي المطابقة للامر القرآني ( فادعوه بها ) (٢) .

والظاهر ان معنى حفظها واحصائها هو معرفتها والقيام بعبوديتها والتعظيم لها وليس الاقتصار على سردها وتعدادها دونما فهم أو عبودية أو دعاء الله بها .

---

( ١ ) لوامع الأنوار البهية جـ١/١٠٨ .

( ٢ ) بدائع الفوائد جـ١/١٨٥ .

فكما أن القرآن لا ينفع حفظ الفاظه من لا يعمل به ، بل جاء في صفة المارقين من الدين انهم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم . وكذلك عد اسماء الله تعالى دون القيام بمقتضى ما أمر الله من الدعاء بها أو فهمها فانه لا ينفع صاحبه والله أعلم .

هل عدد كل ( تسعة والتسعين ) يفيد الحصر ؟ :-

ان اسماء الله تعالى كثيرة لا تدخل تحت حصر ، وليست مقتصرة على التسعة والتسعين المذكورة في الحديث المتقدم .

ذلك ان تخصيص عدد معين بالذكر لا يدل على الحصر أو القصر ولا ينفي الزائد عليه . والقصد من ايراد العدد السابق هو ترتيب الحكم عليها وهو دخول الجنة (١) .

هذا هو الراجح من اقوال اهل العلم ان الاسماء الحسنى غير منحصرة في العدد المذكور ولهم ادلة على ذلك :-

١ - ماروا الامام أحمد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

" ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن ، فقال : اللهم اني عبدك وابن عبدك ابن امتك ، ناصيتي بيدك ، ماض في حكمك عدل في قضاؤك ، أسألك بكل اسم سميت به نفسك ، أو علمته أحدا من خلقك او انزلته في كتابك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، ان تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني وذهاب همي ، الا اذهب الله همه وحزنه ، وابدله مكانه فرجا " (٢) .

والشاهد قوله : أو استأثرت به في علم الغيب عندك ومعناه أن هناك اسماء الله تعالى استأثر بها فلم يطلع عليها أحدا من أنبيائه أو رسله أو ملائكته

---

(١) انظر فتح الباري جـ١١ / ٢٢٠ وانظر مجموع الفتاوى جـ٦ / ٣٨١ .

(٢) رواه الامام أحمد جـ١ / ٣٩١ و ٤٥٢ .

فهي سوى ما نعرفه في الكتاب والسنه .

٢ - ومن أدلة عدم حصرها في ( التسعة والتسعين ) :-

ما ذكر في حديث الشفاعة الصحيح حيث قال صلى الله عليه وسلم " فيفتح علي من محامده ما لا أحسنه الآن ) والمحامد هي الثناء باسمائه الحسنى .

٣ - وقوله صلى الله عليه وسلم لا أحصي ثناء عليك انت كما أثنيت على نفسك[1] والثناء باسمائه الحسنى .

من هذا نستنتج ان ما استأثر الله بعلمه أو اختص به بعض خلقه غير التسعة والتسعين ، اذ لو أحصى الرسول صلى الله عليه وسلم اسمائه تعالى من خلال التسعة والتسعين لم يقل "لا أحصي ثناء عليك " .

وليس معنى ذلك ان نطلق على الله تعالى اسماء من عندنا لم ترد في الشرع لان اسماءه تعالى وصفاته توقيفيه فلا مجال فيها للاجتهاد والاستحسان .

---

( ١ ) رواه مسلم في كتاب الصلاة جـ١/٣٥٢ ، وأبو داود جـ٢/١٣٤ .

## ـ المبحث السابع ـ

## عرض للأسماء والصفات الواردة في سورة الاسراء

أسماء الله تعالى وصفاته مبثوثة في ثنايا القرآن الكريم والأحاديث الشريفة .

ولقد ورد في سورة الاسراء كثير من أسمائه تعالى وصفاته ، ويمكننا أن نستعرضها فيما يلي :ـ

من أسماء الله تعالى الواردة في السورة :ـ

السميع والبصير والخبير سبحانه .

وردت في قوله تعالى ( أنه هو السميع البصير ) الآية (١) .

وقوله تعالى ( وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا ) (١٧) .

وقوله سبحانه ( انه كان خبيرا بصيرا ) (٣٠) .

وقوله سبحانه ( انه كان بعباده خبيرا بصيرا ) (٩٦) .

وصفة السمع وصفة البصر ثابتتان لله تعالى على الحقيقة دون تأويل ، وهما تليقان بجلاله وعظمته وربوبيته سبحانه ، باتفاق جميع العقلاء .

قال البيهقي :ـ

السميع من له سمع يدرك به المسموعات ، والبصير منه له بصر يدرك به المرئيات ، وكل منهما في حق الباري صفة قائمة بذاته ) وقد تقرر في العقول والفطر أن نقص صفات السمع والبصر والأرجل والأيدي عيب ونقص .

وقد دل العقل والسمع والفطرة واجماع أهل العلم والايمان ولم يشذ الا المعتزله والجهميه الذين نفوهما كما نفوا باقي الصفات بدعوى الفرار من التشبيه .

---

(١) ( الاعتقاد ) للبيهقي / ٢٨ تصحيح أحمد محمد مرسي الناشر ـ المطبعة العربية ـ الباكستان .

وقال ابن جرير :-

( ان الله لم يزل سميعا بما تقولون وتنطقون ،وهو سميع لذلك منكم اذا حكمتم بين الناس ، ولما تحاورتم به ) .

و( بصير ) بما تفعلون فيما ائتمنتم عليه من حقوق رعيتكم ،لا يخفى عنه شـــيء من ذلك )(٢) .

ورد اسم( الله ) جل جلاله ، ( قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ) ١١٠ .

ولفظ الجلاله ( الله ) هو علم على الذات الالهيه المقدسه المستحقه لجميـــع المحامد ،وأما بقية الأسماء فكل اسم منها يدل على صفة ، ولهذا اصح أن تكـــون وصفا للذات وأن يخبر بها عنها .

وورد اسم( الرحمن ) وصفة الرحمه :-

في قوله تعالى (عسى ربكم أن يرحمكم ) (٨) .

وقوله تعالى ( انه كان بكم رحيما ) (٦٦) .

وقوله سبحانه ( قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لأمسكتم ) ١٠٠ .

وقوله عز وجل ( ان يشأ يرحمكم ) (٥٤) .

وقوله تعالى ( قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ( ١١٠ ) .

وقوله تعالى ( الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا ) ( ٨٧ ) .

( والرحمة ) صفة حقيقيه لله عز وجل تليق بعظمته وجلاله ، وليست كرحمـــة المخلوق التي تدل على ضعف ورقة قلب كما فهم من أولها . فانها صفة كمال للـــه تعالى وهي حسنى لا يلحقها نقص وقد أثبتها الله لنفسه .

---

( ١ ) تفسير الطبري جـ٢٨ / ٤٩٤ .

ونحن نثبتها ونؤمن بها ونسأل الله أن يشملنا برحمته .

صفة العلم :-

وردت في قوله تعالى ( ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم ) (٥٤) .

وفي قوله سبحانه ( ربكم أعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين .. ) ( ٢٥ ) .

وقوله تعالى ( نحن أعلم بما يستمعون به ) (٤٧) .

وقوله سبحانه ( وربك أعلم بمن في السموات والأرض ) (٥٥) .

فصفة العلم ثابتة لله على الحقيقة بما يليق بجلاله وعظمته .

ومعناها : ادراك الاشياء على ماهي عليه ، وانه سبحانه احاط بكل شيء ، فلا يخفى ولا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء .

صفة الرزق واسم الباسط :-

في قوله تعالى ( الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ) (٣٠) .

وقوله سبحانه ( نحن نرزقهم واياكم ) ٣١ ) .

وقوله عز وجل ( ورزقناهم من الطيبات ) (٧٠) .

والرازق :-

هو المتكفل بارزاق جميع خلقه وهو سبحانه خالق الارزاق وخالق اسبابها .

والرزق معناه العطاء .

والباسط :- هو موسع الرزق على من يشاء .

قال ابن كثير : هذا اخبار من الله تعالى انه هو الرزاق ، القابض الباسط ، المتصرف في خلقه بما يشاء فيغني من يشاء ويفقر من يشاء بحكمته (١) .

---

( ١ ) تفسير ابن كثير جـ٥ / ٦٩ .

اسم الله ( القادر ) وصفه ( القدرة ) :-

في قوله تعالى ( أولم يروا ان الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم ) . ( ٩٩ )

والقادر : هو الذى لا يعجزه شيء .

اسم الله ( الهادى ) في قوله تعالى :-

( ومن يهد الله فهو المهتدى ) ( ٩٧ ) .

الهادى : هو الموفق للايمان وخالق الهداية في القلوب والمرشد الى الحق والخير ، والمرشد الخلق الى ما يحفظ وجوده هي من أسماء الله ( الخالق ) في قوله تعالى :-

( خلق السموات والارض ) ( ٩٩ ) .

والخالق : هو الموجد للمخلوقات ، أو المبدع لها من العدم .

ومن الأسماء الواردة :

( الغفور ) ( والحليم ) :- في قوله تعالى :-

( انه كان للأوابين غفورا ) ( ٤٤ ) .

والحليم :- هو الذى يصفح مع قدرته على الانتقام ولا يتعجل بالعقوبة .

والغفور :- كثير الغفران ، وستر الذنوب والعيوب .

ومن أسماء الله تعالى :-

اسم ( الرب ) واسم ( الوكيل ) :- في قوله تعالى : ( وكفى بربك وكيلا ) ( ٦٥ ) .

وقوله سبحانه على لسان موسى عليه السلام : ( قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والأرض ) ( ١٠٢ ) .

والرب : هو المالك ، وهو السيد ، وهو المعبود المطاع ، والمصلح للأشياء القائم عليها .

والوكيل : هو القائم بأمور عباده وما يحتاجون اليه .

ومن أسماء الله تعالى ( المحيط ) في قوله تعالى : ( ان ربك أحاط بالناس ) ٦٠ .

قال الطبري : ( اى أن الله أحاط بالناس قدرة ، فهم في قبضته لا يقدرون على الخروج من مشيئته .

ويقول الله لرسوله : أحطتك بالعرب أن لا يقتلوك فمنعه منهم حتى يبلغ رسالة ربه ( ١ ) .

ومن أسماء الله ( الحميد ) :-

ورد في قوله تعالى ( يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده ) ( ٥٢ ) .

والحميد : هو المحمود المستحق للثناء .

اسم الله ( العلي ) :- في قوله تعالى ( سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ) ٤٣ .

العلي : هو من له العلو على خلقه ، وهو سبحانه فوق عرشه فوق سماواته فينزه الله تعالى نفسه الكريمة ويقدسها عن قول هؤلاء الجهلة الظالمين ويتعالى عن ذلك تعاليا كبيرا بل هو الله الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ( ٢ ) .

من أسماء الله تعالى ( المنعم ) ( ٣ ) :-

ورد في قوله تعالى ( واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى ) ( ٨٣ ) .

والمنعم : هو المتفضل بالنعم ، والأنعام على خلقه .

ومن أسماء الله سبحانه ( الباعث ) : ورد في قوله سبحانه : ( عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ) ( ٧٩ ) .

---

( ١ ) انظر تفسير الطبري جـ٥ / ١٠٩ - ١١٠ .
( ٢ ) تفسير ابن كثير جـ٥ / ٧٥ .
( ٣ ) انظر فتح الباري جـ١١ / ٢١٢ .

وقال سبحانه ( وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ) ( ١٥ ).

والباعث : هو باعث الرسل ، وباعث الهمم ، وباعث من في القبور .

ومن أسمائه تعالى ( الشهيد ) :-

ورد في قوله تعالى ( قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ) ( ٩٦ ).

والشهيد : هو الذي يشهد لأنبيائه بالبلاغ . وهو العالم بكل مخلوق وهو الحاضر لكل شيء .

( أي أن الله شاهد علي وعليكم بما جئتكم به فلو كنت كاذبا لانتقم مني أشد الانتقام ) (١) .

اسم الله ( الكريم ) : جاء في قوله تعالى :-

( ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ) ( ٧٠ ).

الكريم : هو المعطي من غير سؤال ، ولا عوض .

من أسمائه تعالى الكبير :

ورد في قوله تعالى : ( وكبروه تكبيرا ) ( ١١١ ).

والكبير : هو العظيم الذي لا تدركه العقول ولا الحواس فهو ذو العظمة المطلقة سبحانه .

من أسمائه سبحانه ( فاطر السموات والأرض ).

ورد في قوله تعالى : ( قل الذي فطركم أول مرة ) ( ٥١ ).

الفاطر : هو الخالق ، والبارئ الخلق من العدم .

ولله صفات سلبية : وردت في قوله تعالى :-

( لم يتخذ ولدا ، ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الذل ) ١١١ .

ومعنى صفات سلبية : أي التي تسلب عن الله تعالى مالا يليق بجلاله وعظمته وكماله .

---

( ١ ) تفسير ابن كثير جـ٥ / ١١٩ .

وتثبت لله تعالى كمال أضدادها .

فهو سبحانه واحد أحد فرد صمد لم يتخذ ولدا ،وهو سبحانه المتفرد في ملكه والمتحكم وحده في ملكوته ( ولم يكن له شريك في الملك ) .

وهو سبحانه : عزيز قوي في سلطانه ( ولم يكن له ولي من الذل ) ليعينه وينصره .

وبعد :

فمن مجموع هذه الاسماء الحسنى والصفات العلى ، وغيرها مما جاء في الكتاب الكريم ،وزخرت به السنة المطهرة ، تستطيع العقول التي وفقها الله ان تؤمن بوجود من اتصف بها سبحانه وتعرفه سبحانه كمال المعرفة ،ويظهر لها كمال هذه الاسماء والصفات وبعدها وتنزههما عن مشابهة امثالها من صفات المخلوقين .

وأخيرا فان النفوس الصافية ،والفطرة المستقيمة ،اذا سمعت صفات ربها هذه فانها تعنو له وتخبت ،وتتقرب اليه وتحبه سبحانه وتعالى ،وتحبّ ما يحبه ، وتبغض ما يبغضه ،فتتبع مراضيه وتجتنب ساخطه .

## - الباب الثانـــى -

## فـــى

## توحيد الألوهية من خلال سورة الاسراء

وفيه فصـــول :-

الفصل الأول : تقرير التوحيد والدعوة اليه فى الســـورة .

الفصل الثانـــى : في الشفاعـــة والتوســـــل والوســـــيلة.

## ـ الفصل الأول ـ

## تقرير التوحيد والدعوة إليه في السورة

وفيه مباحث :ـ

المبحث الأول : تقرير التوحيد بالأدلة العظيمة .

المبحث الثاني : تقرير التوحيد بنصب الآيات الكونية .

المبحث الثالث : تقرير التوحيد عن طريق التذكير بنعم الله .

المبحث الرابع : تقرير التوحيد عن طريق تثبيت القرآن وإبقائه مع قدرة الله على الذهاب به .

المبحث الخامس : تقرير التوحيد عن طريق إثبات تفرده تعالى بالخلق والكون بلا معقب .

المبحث السادس : الدعوة إلى التوحيد ونفي الشريك .

## معنى توحيد الالوهية :-

معنى الاله في اللغة :

قال في القاموس : أَلَهَ الاهة والنوهة والوهيبة : عبد عبادة ،والالوهية نسبة الى الالٰه .

واختلف في لفظ ( الٰه ) وكونه علما أو مشتقا على عشرين قولا واصحها انه علم غير مشتق ،وأصله (إلٰه ) فعال بمعنى مألوه : وهو ما اتخذ الهما ويقال : الالوهة والالهانية بالضم ،والالهية (١) .

وقال غيره من العلماء انه مشتق من أَلِهَ يألَهَ على وزن تعب يتعب : اى عبد يعبد ، والإلٰهة : العبادة : يقال أَلَهَ الرجل ،وتألّه اذا تعبد ،فالاله هو المعبود ،والتألّه التعبد ،والتأله التعبد والتنسك (٢) .

قال الطبرى : ( ولا شك ان الاله على ما نصه ابن عباس ومجاهد صدر من قول القائل : أَلِهَ والله فلان إلٰاهة ،كما يقال عبد الله فلان عبادة ) (٣) .

مع ان هناك آراء اخرى في اشتقاق لفظ ( إلٰه ) : قيل انه من : لاه يلوه ليها : اذا احتجب ،وقيل هو من ألهت الى فلان : اى سكنت اليه .

وقيل هو من أَلَهَ يألَهَ : اذا تحير ... وغير ذلك (٤) .

---

( ١ ) انظر القاموس المحيط جـ٤/ ٢٨٢ .

( ٢ ) انظر لسان العرب جـ١/ ١١٤-١١٦ .

( ٣ ) تفسير الطبرى جـ١/ ٥٤ .

( ٤ ) انظر تفسير ابن كثير جـ١/ ١٩ وانظر كتاب ( عقيدة التوحيد فى القرآن ) د . محمد أحمد عبد القادر طكاوى . ٧-٩ ط. الاولى دار ابن تيمية - الرياض .

والظاهر ان كل المعاني والاشتقاقات تعود الى الرأى الأول وهو انه مشتق من أَلَه يألَه اذا عبد وتدخل تحته الاقوال الاخرى .

قال شيخ الاسلام : " اذ الاله هو الذى يؤلَه فيعبد محبة وانابة واجلالا واكراما ، فالاله من يستحق ان يألَهُهُ العباد ، ويدخل فيه محبتهم له وخوفهم منه ، فما كان من توابع الإلهية فهو حق الله المحض "(١) .

ومعنى توحيد الالوهية :-

ان يعتقد العبد اعتقادا جازما ان الله تعالى هو وحده المعبود المطاع دون غيره ، فهو المستحق لجميع أنواع العبادة ، ولا يصرف شيء منها لغيره ، وقد عبرت عن هذا المعنى كلمة الشهادة ( لا اله الا الله ) ؛ اى لا معبود بحق الا الله تعالى .

وهذا التوحيد هو الذى جاءت به الرسل وهو مدار الرسالات والنبوات ، فالرسل عليهم السلام مقررون لتوحيد الربوبية داعون لتوحيد الالوهية ، كما أخبر الله تعالى ( وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون )(٢) .

وقال تعالى : ( ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت )(٣) .

وهذا النوع من التوحيد هو الذى وقع الصراع من أجله بين الرسل الكرام وأممهم حيث انكر المشركون الدعوة الى افراد الاله المعبود بالألوهية دون سواه قائلين : (اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب)(٤) .

( ١ ) مجموع الفتاوى جـ١ / ٢٠-٢٢ .
( ٢ ) سورة الانبياء / ٢٥ .
( ٣ ) سورة النحل / ٣٦ .
( ٤ ) سورة ( ص ) / ٥ .

ولقد ركز القرآن على توحيد الالوهية تركيزا شديدا وهذا التركيز يتمثل في طريقين ؛ اما بالدعوة الى عبادة الله وحده لا شريك له واخلاص التوجه اليه . واما بنفي استحقاق غير الله للعباده . فلا يتم توحيد الالوهية الا بهذين الطريقين .

وتوحيد الالوهية متضمن لتوحيد الربوبية والاسماء والصفات دون العكس فمن لا يقدر ان يخلق يكون عاجزا والعاجز لا يصلح ان يكون الها يعبد (١) .

والعلاقة بين انواع التوحيد بعضها ببعض :-

ان التوحيد قسمان ؛ توحيد علمي اعتقادي ،أو توحيد في المعرفة والاثبات وهذا يشمل توحيد الربوبية وتوحيد الاسماء والصفات .

وتوحيد في القصد والطلب وهو توحيد الالوهية ويسمى بالتوحيد العملي ، والعملي متضمن للعلمي ،فاذا علم العبد ان ربه لا شريك له في خلقه وأمره ولا شبيه له في اسمائه وصفاته ،استلزم منه هذا ان يعمل بطاعة ربه وعبادته .

ومن عبد الهه ووحده في عبادته يكون قد اعترف اولا بأنه لا رب غيره يشركه في خلقه وأمره ،ولا يجوز العكس ،لان الطلب يتعلق أولا بتوحيد الربوبية ثم يرتقي الى توحيد الالوهية (٢) .

---

( ١ ) انظر مجموع الفتاوى جـ١ / ٢٨ - ٢٩ .

( ٢ ) انظر ( مدارج السالكين ) لابن قيم الجوزيه جـ١ / ٤١١ .

تمهيد :-

لقد جاء القرآن بالتوحيد ، واهتم بالعقيدة اهتماما لا يساويه أو يقاربه اهتمام باى موضوع آخر سواه ، ولا جرم فان العقيدة او التوحيد هو اساس الدين والقاعدة الصلبة الراسخه التي يقوم عليها بناء الشامخ .

لذا نجد ان القرآن سلك الى تقرير العقيدة وايضاح قضاياها ، طرقا شتى ، وأساليب متنوعه ووسائل متعدده ، وما ذلك الا ليتم التذكير بالتوحيد ، والعقيدة ، كما قال تعالى في السورة :-

( ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا ، وما يزيدهم الى نفورا ) الاية ( ٢١ ) .

وقال ( ليذكروا ) لان النفوس في الاصل مفطورة على معرفة خالقها ، ومجبولة على الاقرار له بالربوبية دون سواه كما قال سبحانه : ( فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون )(١) .

وهذا ان كانت النفوس سليمة ، والفطر سويه مستقيمه ، اما اذا تلوثت بشبهات وضلالات الشياطين كما قال صلى الله عليه وسلم : " يقول الله تعالى اني خلقت عبادى حنفاء كلهم وانهم اتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم "(٢) .

فاذا ران على هذه الفطرة ما يحجبها عن النظر الصحيح ، وشوه تصورها لمبدأها ومنتهاها ، ومعرفتها لخالقها وراز قها حق المعرفه ، ففي هذه الحالة يكون التذكير بالله عن طريق الآيات المبثوثه في الكون الشاهدة على خالقها الناطقة بعظمة ربها ومدبر أمرها ، لتتذكر وتهتز لطقه عنها غبار الشكوك وسحب الضلال ، فتصحوا من غفلتها لتعود الى قارب نجاتها .

---

( ١ ) سورة الروم ( ٣٠ ) .

( ٢ ) رواه مسلم في كتاب الجنه جـ٨/ ٥٩ وأحمد جـ٤/ ١٦٢ .

## - المبحث الأول -

## تقرير التوحيد بالادلة العقلية

لقد أقام الحق جل جلاله في القرآن الكريم الادلة الباهرة ،والبراهين الساطعة ، والحجج القاطعه على ربوبيته وحده لا شريك له ،ووجه هذه البراهين الى العقول والالباب ،بحيث لا تملك العقول السليمه والفطرة المستقيمه ازاءها الا أن تخـــر ساجده لخالقها وخالق الكون من حولها ،فتؤمن به سبحانه وتخبت له قلوبها .

وجاء في السورة بعض هذه الادلة العقلية التي تقرر التوحيد ومنها :-

ماجاء في قوله تعالى ( قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا) الايتان( ٤٢-٤٣ ) .

وقوله ( اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا ) .

قال القرطبي رحمه الله : ( قال ابن عباس رضي الله عنهما : لطلبوا مع الله منازعة وقتالا كما تفعل ملوك الدنيا بعضهم مع بعض ) .

وقال سعيد بن جبير رحمه الله : المعنى : اذا لطلبوا طريقا الى الوصول اليه ،لمزيلوا ملكه لانهم شركاؤه .

وقال قتاده : المعنى اذا لابتغت الآلهة القربة الى ذى العرش سبيـــلا ، والتمست الزلفة عنده لانهم دونه ،والقوم اعتقدوا ان الاصنام تقربهم الى الله زلفى ، فاذا اعتقدوا في الاصنـام انها محتاجـة الى الله تعالى فقد بطل كونها آلهـة ) انتهى (١) .

وقال ابن كثير رحمه الله في شرح الآيه : قل يا محمد لهؤلاء الزاعمين ان لله شريكا من خلقه العابدين معه غيره ليقربهم اليه زلفى : لو كان الأمر كما

---

( ١ ) تفسير القرطبي جـ ١/ ٢٢٦ ( دار الكتاب العربي ) .

تقولون وان معه آلهة تعبد لتقربهم اليه ،وتشفع لديه فيهم ،لكان أولئك المعبودون يعبدونه ويتقربون اليه ويبتغون اليه الوسيلة والقربه ،فاعبدوه أنتم وحده كما يعبده من تدعونه من دونه ولا حاجتكم الى معبود يكون واسطة بينكم وبينه ،فانه لا يحب ذلك ولا يرضاه بل يكرهه ويأباه ،وقد نهى عن ذلك على السنة جميع رسله وانبيائه ثم نزه الله تعالى نفسه الكريمه وقدسها فقال : ( سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا )(١) .

فوضح من أقوال المفسرين في معنى لابتغوا الى ذى العرش سبيلا ان هذه الآلهة التي ادعيت لها الربوبية والالوهية ،لو كانت آلهة حقا لنازعت الله تعالى في ملكه ،واتخذت اليه سبيلا لمنازعته ومشاركته ،وادعاء الربوبية ، ولما كان هذا باطلا ،بطل ما أدى اليه ،وثبت نقيضه ،وهو ثبوت الانفراد للواحد القهار سبحانه وتعالى .

ويشهد لهذا المعنى آيات كريمة أخرى في غير سورة الاسراء :-

مثل قوله تعالى : ( ما اتخذ الله من ولد وماكان معه من اله اذاً لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض )(٢)

وقوله تعالى أيضا في سورة أخرى : ( لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون )(٣) .

فهذه الآيات تدل كذلك دلالة واضحة على انه تعالى متفرد بالربوبية ولا اله حقا معه وتقرير ذلك :

---

( ١ ) انظر تفسير ابن كثير جـ٥ / ٧٥ ، والطبرى جـ٥ / ٨١ .

( ٢ ) سورة المؤمنون / ٨١ .

( ٣ ) سورة الانبياء / ٢٢ .

بأنه لو كان معه آلهة لحصل التنازع بين هذه الآلهة ، ولأدى هذا التنازع والاختلاف الى فساد العالم ، ولكننا نرى العالم بمنتهى النظام والدقة ،فهو كما قال تعالى :-

( الذى خلق سبع سموات طباقاً ماترى في خلق الرحمن من تفاوت )(١)

ومادام الامر كذلك والكون في نظامه وجماله وعظمته ، دل ذلك على انفراده تبارك وتعالى بالربوبية ،وكان مانسبه بعض الناس من الجاهليين الى الاوثان وغيرها بأنها آلهة ، كانت هذه النسبة باطلة لانها لاتضر ولا تنفع ولا تنازع الله تعالى فى ملكه فسبحانه المتفرد بالربوبية وبصفات الكمال والجلال .

فما أقبح البشر وما أقل أدبهم حين يساوون بمن ربهم وخالقهم ومربيهم بالنعم ، بمن هو مخلوق هزيل ضعيف لا يملك لنفسه شيئا فضلا عن أن يملكه لغيره .

قال في ظلال القرآن :-

قوله تعالى : ( قل لو كان معه آلهة كما يقولون ) و ( لو ) كما يقول النحاة ، حرف امتناع لامتناع ،فالقضية كلها ممتنعة ،وليس هناك آلهة مع الله - كما يقولون - والآلهة التي يدعونها ان هي الا خلق من خلق الله ، سواء أكانت نجما أو كوكبا ، أو انسانا أو حيوانا ، نباتا أو جمادا .

---

( ١ ) سورة الملك / ٣ .

وهذه كلها تتجه الى الخالق حسب ناموس الفطرة الكونيه ، وتخضع للارادة التي تحكمها وتصرفها ، وتجعد طريقها الى الله سبحانه عن طريق خضوعها لناموسه ، وتلبيتها لارادته » . وقوله تعالى : ( اذن لابتغوا الى ذى العرش سبيلا ) .

قال رحمه الله :

وذكر العرش هنا يوحي بالارتفاع والتسامي عن هذه الخلائق التي يدعون انها آلهة مع الله ، وهي تحت عرشه ، وليست معه ويعقب على ذلك بتنزيه الله في علاه )[1] .

---

( ١ ) في ظلال القرآن - لسيد قطب - جـ٤ / ٢٢٣٠ طبعة دار الشروق .

## ـ المبحث الثاني ـ

## نصب الآيـات الكونيـــة

فالكون المنظور ، خلقه الله تبارك وتعالى ونسقه وابدعه وأجله وكمله بكل ما يحتاج اليه البشر في عمرانهم للأرض ، وذلك لأ ن الله عز وجل لم يخلق هذا الكون عبثا ،ولا لهوا بلا غاية ولا حكمه . ولكنه سبحانه خلقنا وخلق الكون من حولنا لغاية سامية وحكمة عظيمة بالغة هي عبادته وحده لا شريك لـــه وتحكيم د ينه وشرعته في الحياه .

وشيء آخر ، حتى يكون هذا الوجود بسمواته وأرضه ،ونجومه وكواكبه وأنوائه موقظا للانسان اذا غفل ، ومذكرا له ان هو نسي ربه ،وهو في د وامـــة الا نشغال بالد نيا ومباهجها وزخارفها وزينتها ،ليتأمل في آيات الله المبثوثة في الكون والتي تلف وجوده وتكتنفه من كل نواحيه ،فيستد ل من الصنعة على الصانع الحق ،ومن المخلوقات على الخالق المد بر ، فيعود الى رشده ،ويلتزم منهـــج ربه سبحانه وتعالى .

ومن الآيات التي تد لعلى هذا المعني :

قوله تعالى في سورة الاسراء : ( وجعلنا الليل والنهار آيتين[1] فمحونا آية الليل وجعلنا آيةالنهار مبصرة ،لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عد د السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا )[2] .

---

( ١ )آيتين : أي علامتين على وحد انيتنا ووجود نا ،وكمال علمنا وقد رتنا ،والآية فيهما : اقبال كل واحد منهما من حيث لا يعلم ،وادباره الى حيث لا يعلـــم ، ونقصان احد هما بزيادة الآخر وبالعكس آية ايضا ،وكذلك ظلمة الليـــل وضوء النهار " .
انظر تفسير القرطبي جـ١٠/ ٢٢٧ . دار الكتاب العربي .

( ٢ ) الآيه ـ ١٢ ـ من سورة الاسراء .

فالليل والنهار آيتان من آيات الله ،تنطق كل واحدة منهما بعظمة الخالق المدبر ،وقدرة الله وحكمته سبحانه .

فقد جعل الله في اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما في نظام محكـــــم ، وقانون دقيق ، بحيث لا تحيدان عن هذا النظام الكوني الرباني قيد شعره ،فمثل في ذلك آية عظيمة على وجوده سبحانه وحكمته وتدبيره .

ثم ان في تعاقب الليل والنهار فوائد عظيمة للعباد :-

منها ماذكر في الآية الكريمة ( وهو قوله تعالى : ( لتبتغوا فضلا من ربكم، ولتعلموا عدد السنين والحساب . . . ) .

فذكر أول فائدة من تعاقبهما وهي : ان يبتغي الخلق ارزاقهم ويسعوا في طلب فضل الله ،ولهذا جعل الله تعالى النهار مبصرا ،ليبصر فيه الناس ولتتم لهم مصالحهم .

ثم ذكر الله تعالى ان من فوائدهما : ان يعلم الناس عدد السنين والحساب فيحسبون بهما .

قال ابن كثير في شرح الآية وبيان هذا المعنى (١) :-

( يمتن الله تعالى على خلقه بآياته العظام ،فمنها مخالفته بين الليل والنهار ليسكنوا في الليل وينتشروا في النهار للمعايش والصنائع والاعمال والاسفار ،وليعلموا عدد الايام والجمع والشهور والاعوام ،ويعرفوا مضي الآجال المضروبه ،للديون ، والعبادات والمعاملات والاجارات وغير ذلك )

---

( ١ ) تفسير ابن كثير جـ٥/ ٤٦ ، وتفسير الرازي جـ٢٠ / ١٦٥-١٦٦ .

أما قوله ( ولتعلموا عدد السنين والحساب ) فقال رحمه الله : ـ فانه لو كان الزمان كله نسقا واحدا واسلوبا متساويا لما عرف شيء من ذلك كما قال تعالى : ( قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامه من اله غير الله يأتيكم بضياء ؟ أفلا تسمعون )(١) .

ويشهد لهذا المعنى آيات كثيره في كتاب الله تعالى ومنها : قوله تعالى : (ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ، وان الله سميع بصير ، ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل وان الله هو العلي الكبير )(٢) .

يقول الطبرى رحمه الله معلقا على هذه الآيات :ـ

( يقول الله : فعلت هذا الفعل من ايلاجي الليل في النهار ، وايلاجي النهار في الليل لأني أنا الحق الذى لا مثل له ولا شريك ، ولا ند له ، وان الذى يدعونه هؤلاء المشركون الٰهها من دونه هو الباطل الذى لا يقدر على صنعة شيء بل هو المصنوع )(٣) .

والليل والنهار مرتبطان بالشمس والقمر في تلازم لا انفكاك معه ولذا وجه الله تعالى عباده الى تدبرها :ـ

قال تعالى فى سورة ( يس ) ( وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون ، والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون )(٤) .

---

( ١ ) سورة القصص / ٧١ .
( ٢ ) سورة الحج / ٦١-٦٢ .
( ٣ ) تفسير الطبرى جـ١٧ / ١٩٦ .
( ٤ ) سورة يس ٣٧-٤٠ .

فكل هذه الآيات شاهدة بحق ، وناطقة بصدق لمن تأملها ، لتدله مباشرة على خالقها ، ومدبر أمرها بنظام دقيق ، وناموس ثابت مطرد ، لا يصيبه خلل ولا ينتابه عطل ، فسبحان من دبر أمرها ، وجل من رسم لها طريقها .

ولهذا نرى ان الله تبارك وتعالى دعا الى التفكّر في ملكوته وآياته المنتشرة في الوجود .

قال تعالى ( قل انظروا ماذا في السموات والأرض )[1] .

وكرر عز وجل دعوته للعقول ان تتفكر وتتدبر ، وللابصار ان تنظر ، وللالباب ان تستنتج وللقلوب ان تعقل فقال تعالى في أكثر من موطن :-

ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون .

ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون .

ان في ذلك لآيات لاولي الألباب .

ان في ذلك لآيات لأولي النهي .

وكل ذلك دليل واضح على أن ديننا الحنيف يشجع الناس على أعمال عقولهم واستعمالها في خلق الله ، لتدرك سر وجودها ، ووجود الكون من حولها ، وذلك حتى يتأهلهم استعمار هذه الأرض ويتمكنوا من اداء وظيفة الاستخلاف التي اسندها الله للبشر عندما خلق ابا هم عليه السلام . ومن ثم ليسخروا ماتتفتق عنه عقولهم وما تستنتجه قدراتهم وطاقاتهم ليسخروا كل ذلك ويوظفوه لاعلاء كلمة الله في الأرض ونصر دينه ونشره .

---

( ١ ) سورة يونس / ١٠١ .

ان المسلم المتأمل عندما يرى ويدرك ان الكون بما فيه ومن فيه مسخر من قبل الله رب الكون وخالقه ، ويدرك كذلك ان هذا الملكوت الواسع البديع يسير وفق نظام محكم من عند العليم الحكيم ، من ثم يأتي الى النتيجة الهامة في عقيدته وهي انه مسلم لله رب العالمين اسلاما اختياريا ينبني عليه التكليف والامر والنهي ، والكون من حوله كذلك مخلوق لله ، وهو مسلم لله ربه وخالقه اسلاما اضطراريا فهو يسبح ربه بلغة لا نفقهها ، ومن هنا يحصل التفاعل بين هذا الانسان وبين الكون من حوله .

قال تعالى في هذا المعنى : ( تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ... ) (١) .

وفي سورة أخرى قال سبحانه : ( .... وله اسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها ... ) (٢) .

وحكى سبحانه عن عبده ورسوله داود عليه السلام ان الجبال والطير تسبح بتسبيحه : ( وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وألنا له الحديد ... ) (٣) .

والحق سبحانه وتعالى يبين لنا كيفية أعمال فكرنا ، واستعمال عقلنا في التأمل في مظاهر الكون حولنا لنذكر الله دائما فلا نغفل ، ونرجع اليه في جميع احوالنا ونشكره على نعمه الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى وصدق الله تعالى اذ يقول :

---

( ١ ) سورة الاسراء / ٤٤ .

( ٢ ) سورة آل عمران / ٨٣ .

( ٣ ) سورة الانبياء / ٧٩ .

( ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار )(١) .

فأولي الألباب عندما يتفكرون في مظاهر ربوبية الله في الكون ، يدركون سر وجودهم في الحياة ، وانه لحكمة يريدها الله فعليهم ان يسيروا على صراط الله المستقيم ليسعدوا في الدنيا ويفوزوا في الأخرى بالنجاة من النار ودخول الجنان .

---

(١) سورة آل عمران / ١٩٠ - ١٩١ .

## ـ المبحث الثالث ـ

## تقرير التوحيد عن طريق التذكير بنعم الله

ان الله عز وجل قد انعم علي خلقه بنعم كثيرة لا تحصى ( وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار )(١) .

والتذكير بالنعم يوقظ القلب الغافل ، وينبه النفس الساهيه اللاهية الى النعم الجليله والخيرات العظيمه التي تشملها ، فيكون ذلك ادعى للاستجابه لهدى الله والدخول في طاعته .

وقد أكثر الحق جل جلاله من الحديث عن النعم في القرآن الكريم ، ووجه الانظار وقرر عباده بها ليحثهم على التفكير في مصدرها وموجدها ، وانه جدير بالعبادة والشكر .

ولذلك ذكر الأنبياء أقوامهم بنعم الله المشهوده من حولهم ، طالبين منهم توحيده ونبذ ما يعبدون من دونه من الانداد والاوثان .

فهذا هود عليه السلام يذكّر قومه بنعم الله تعالى ؛ اذ يقول :

( أوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ، واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطه ، فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون )(٢) .

فذكّرهم بنعمة الاستخلاف من بعد قوم نوح ، وبنعمة القوة الجسمانية التي خصهم الله بها .

---

( ١ ) سورة ابراهيم / ٣٤ .

( ٢ ) سورة الاعراف / ٦٩ .

وهذا نبيّ الله صالح عليه السلام يقول لقومه :

( واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد ، وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا ، فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين )[1] .

فذكرهم عليه السلام بنعمة الاستخلاف في الأرض بعد قوم هالكين ، وبنعمة بناء القصور ونحت الكهوف في الجبال .

نعم الله تعالى في سورة الاسراء[2] :-

ذكر الله تعالى في سورة الاسراء نعما كثيرة على عباده ، وبعض هذه النعم كان خاصا وبعضها كان عاما ، وكان من عباده من عرفوا حق نعم الله تعالى عليهم فحمدوه حمدا يليق بعظمة فضله وواسع عطائه ، ومن عباده من لم يزدادوا بنعم الله الا جحودا وكفرانا .

القسم الأول من النعم : النعم الخاصة والتي اختص الله تعالى بها بعض عباده فاكرمه بها :-

ومنها :-

١ - انعم الله تعالى على عبده ومحمد صلى الله عليه وسلم بنعمة الاسراء والمعراج ، وأراه من آيات ربه الكبرى ، واظهر كرامته وفضله عند الله عز وجل وفي الملأ الأعلى الكريم .

٢ - اعطاه الله تعالى القرآن هدى للناس ، وجعل الله تعالى فيه الشفاء والرحمة وهي نعمة لا يعرفها الا من ذاقها من المؤمنين ممن عاش في ظلاله الوارفة ( وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة ) .

---

( ١ ) سورة الاعراف / ٧٤ .

( ٢ ) انظر الضياء في تفسير سورة الاسراء / د . محمد أبو النور الحديدي / ١٩-٢٠ مطبعة الامانة - مصر .

٣ ـ والله تعالى هو الذى ثبت رسوله صلى الله عليه وسلم وعصمه مما دعاه اليه قومه وقصدوا به فتنته عن بعض ما أوحي الله اليه فرحمه الله بعنايته وفضله ( ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا ) .

٤ ـ ومن نعم الله عليه ان ابطل كيد المشركين لما هموا باخراجه من مكه فلم يخرج تنفيذا لكيدهم ، وانما خرج بنفسه بعد ذلك تنفيذا لامر ربه وتدبيره .

( وان كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا ) .

٥ ـ ذكّر الله تعالى بني اسرائيل بانعامه عليهم حين امدهم بالاموال والبنين الكثير ، وجعلهم اكثر نفيرا ، لكنهم لم يرعوا حقها ، ولم يستصلحوها فيما خلقت له بل راحوا يفسدون ويعصون .

٦ ـ ذكر بني اسرائيل كذلك بانقاذهم من براثن فرعون الجبار لما أراد استئصالهم فانجاهم وأغرقه وقومه ( فاراد أن يستفزهم من الأرض فاغرقناه ومن معه جميعا ، وقلنا من بعده لبنى اسرائيل اسكنوا الارض ) فهي نعمة ثانية لهم بعد نجاتهم من فرعون ان أورثهم ملكه .

ومن النعم العامة لجميع البشر ، فقد اشتملت السورة على كثير منها :ـ

١ ـ عموم فضل الله تعالى ورزقه كل أحد من خلقه ، فان الله تعالى لا يمسك عن أحد مهما كانت درجة الجحود والكفران عنده ، فالخالق سبحانه فضلا منه ورحمة يمد من عطائه من اراد العاجلة ، كما يمد من أراد الآخره .

( كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا ) .

وهو سبحانه المتصرف بارزاق عباده ، وهو القابض الباسط بحكمته وتدبيره ومشيئته :ـ

٣ - والله تعالى هو الذى ثبت رسوله صلى الله عليه وسلم وعصمه مما دعاه اليه قومه وقصدوا به فتنته عن بعض ما أوحي الله اليه فرحمه الله بعنايته وفضله ( ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا ) .

٤ - ومن نعم الله عليه ان ابطل كيد المشركين لما هموا باخراجه من مكه فلم يخرج تنفيذا لكيدهم ، وانما خرج بنفسه بعد ذلك تنفيذا لامر ربه وتدبيره .

( وان كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا ) .

٥ - ذكّر الله تعالى بني اسرائيل بانعامه عليهم حين امدهم بالاموال والبنين الكثير ، وجعلهم اكثر نفيرا ، لكنهم لم يرعوا حقها ، ولم يستعملوها فيما خلقت له بل راحوا يفسدون ويعصون .

٦ - ذكر بني اسرائيل كذلك بانقاذهم من براثن فرعون الجبار لما أراد استئصالهم فانجاهم وأغرقه وقومه ( فاراد أن يستفزهم من الأرض فاغرقناه ومن معه جميعا ، وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض ) فهي نعمة ثانية لهم بعد نجاتهم من فرعون ان أورثهم ملكه .

ومن النعم العامة لجميع البشر ، فقد اشتملت السورة على كثير منها :-

١ - عموم فضل الله تعالى ورزقه كل أحد من خلقه ، فان الله تعالى لا يمسكه عن أحد مهما كانت درجة الجحود والكفران عنده ، فالخالق سبحانه فضلا منه ورحمة يمد من عطائه من اراد العاجلة ، كما يمد من أراد الآخره .

( كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا ) .

وهو سبحانه المتصرف بارزاق عباده ، وهو القابض الباسط بحكمته وتدبيره ومشيئته :-

(انربك يبسط المرزق لمن يشاء ويقدر ،انه كان بعباده خبيرا بصيرا ) .

٢ - ومن نعم الله تعالى على الخلق : ان هيأ لهم وسائل التنقل والحركة في البر والبحر ، ليبتغوا من فضله :

( ربكم الذى يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما ) .

٣ - تكريم بني آدم ،وحملهم في البر والبحر ،واسباغ الطيبات من الارزاق عليهم ، وتفضيلهم ورفع درجتهم فوق كثير من خلق الله ،لعلهم يستشعرون هذا الفضل العظيم والنعمة الكبرى من الله عليهم فيكونوا سادة في الاخلاق واحترام شرع الله ،ولا ينحطوا الى أسفل سافلين . ( ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ) .

ومع كل هذه النعم التي تستدعي الشكر وحمد الله تعالى ،فان كثيرا من الناس يقابلون نعم الخالق عز وجل ،بالاعراض عن شكرها ،وعدم القيام بحقها .

واذا حصل ان مسهم ضر أو شر ،أو فاتهم نعمة منها ،لم يتحملوا ، بل اصابهم القنوط ،واستولى عليهم اليأس :-

واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه ،واذا مسه الشر كان يؤوسا )

وكذلك فان هذا الانسان لو ملك خزائن رحمة الله لشح بها ،وقبض يده عليها بخلا وتقتيرا ،مع انها نعم الله ،وليست منه والله هو الذى يعوضه عنها .

(قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا ) .

٣ - ومن مظاهر تكريم الله للانسان ان كرمه بذلك الاستقبال العظيم والحفاوة البالغة فأول ما استقبل به وجوده ذلك الموكب العظيم الكريم من الملائكة كلهم أجمعين والذين امروا بالسجود احتراما واكراما وتحية اجلال واكبار لهذا المخلوق الكريم

على الله تعالى فسجدوا استجابة لأمر الله الا ابليس اللعين : .

قال تعالى في السورة : ( واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا ) ٦١ .

فعلى ذريته آدم عليه السلام ان يحذروا من مكر ابليس وكيده وانه يستخدم كل الوسائل والمكائد لاضلال الناس وإغوائهم ،وافسادهم وجرهم معه الى النار.

كما قال تعالى : ( واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا ) .

ثم يبين الله تعالى نعمته وفضله على عباده المتقين حيث يعصمهم من كيد الشيطان : ( ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ) .

وبعد فان النعمة لابد لها من منعم ،وهذه النعم الكثيرة التي تلف حياته انما هي من عند المنعم المتفضل الواحد الأحد ، فوجب على العباد شكر المنعم والقيام بحقوق نعمه وتوجيهها اليه وحمده تعبدا وطاعةً واستقامة فهو أهل ذلك ومستحقه .

## ـ المبحث الرابع ـ

## تثبيت الله تعالى للقرآن
## في صدر نبيّه مع القدرة على الذهاب به

قال تعالى : ( ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك ثم لا تجد لك علينا به وكيلا ، الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا ) الآيتان : ٧٦-٧٧ .

مناسبة الآية لما قبلها :-

ذكر الرازي في تفسيره : (ان الله تعالى لما بين في الآية السابقة انه ما آتاهم من العلم الا قليلا ، بين هنا أنه سبحانه لو شاء أن يأخذ منهم ذلك القليل لقدر عليه ، وذلك بأن يمحوا حفظه من القلوب ، وكتابته من الكتب ، وهذا وان كان أمرا مخالفا للعادة الا أن الله تعالى قادر عليه )[١] .

اي والله لئن شئنا لنمحون القرآن ولا نترك له أثرا ، وتصير كما كنت لا تدري ما الكتاب والا يمان وفي هذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن :-

قال الزمخشري : ( وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه ، فعلي كل ذي علم الا يغفل عن هاتين المنتين والقيام بشكرهما ، وهما منة الله تعالى عليه بحفظ العلم ورسوخه في صدره ، ومنته عليه في بقاء المحفوظ )[٢] .

فهنا يذكر الله تعالى نعمه وفضله على عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم في ايحائه اليه القرآن الكريم ، وفي حفظه كما رأينا اقوال المفسرين ، وانه سبحانه لو شاء محوه من الصدور ومن المصحف حتى لا يبقى له اثر لفعل فانه سبحانه قادر على ذلك ،

---

( ١ ) تفسير الرازي جـ٢١ / ٥٣ .

( ٢ ) الكشاف ـ للزمخشري ـ جـ٢ / ٤٦٥ ـ دار المعرفة ـ بيروت .

ولو فعل الله تعالى ذلك فان الرسول صلى الله عليه وسلم لن يجد من يعيد القرآن اليه ومن يلتزم رده بعد رفعه ، كما يلزم الوكيل في ذلك فيما يوكل اليه ، الا أن يرحمه الله فيرده عليه ، ولن يجد صلى الله عليه وسلم ناصرا ينصره في ذلك الا رحمة من ربه .

والقرآن الكريم نعمة كبرى ومنة وفضل من الله تعالى على رسولنا لصلى الله عليه وسلم وعلى أمته ، فهي تتربى على ملكته ، وفيه خيرها وهداها وصلاحها جيلا بعد جيل .

وهذه النعمه هي من مظاهر رحمة الله وقدرته تبارك وتعالى ، فان رفع القرآن كما ذكرنا ، من الصدور ، ومحوه من السطور كل ذلك من شأن الحق جل جلاله كما ثبت ان هذا الامر حاصل في آخر الزمان حين يهجر القرآن .

وقد ذكر هنا المعنى في آيات اخرى من سور أخرى مثل :-

قوله تعالى : ( قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به ، فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون )(١) .

والله عز وجل وعد رسوله صلى الله عليه وسلم بانه سيعصمه من نسيان الوحي والقرآن حيث ثبته في قلبه ورسخه في فؤاده مع قدرته سبحانه على عكس ذلك كما قلنا ، قال تعالى : ( سنقرؤك فلا تنسى الا ماشاء الله )(٢) .

فهو أمر يستحق التفكر والتدبر فالأمر أمر الله تعالى ومرد كل شيء اليه ، والله تعالى لا يحابي أحدا اذا اراد شيئا ، فليتق الله خلقه وليحذروا مواقع غضبه وليجتنبوا مساخط الجليل عز وجل .

---

( ١ ) سورة يونس / ١٦ .

( ٢ ) سورة الاعلى / ٧ .

## ـ المبحث الخامس ـ

## تقرير التوحيد عن طريق اثبات تفرده وتحكمه سبحانه في شؤون الكون والخلائق بلا معقب

ان من أهم مظاهر ربوبية الخالق سبحانه ، هو تصرفه في شؤون خلائقه بلا معقب . فما من دابة الا آخذ هو سبحانه بناصيتها ، يوجهها حيث يشاء ، ويصرفها كيفما اقتضت حكمته .

فبيده سبحانه الضر كما ان بيده النفع ، وهو وحده عز وجل الرازق المنعم على عباده بصنوف النعم ، وكل ذلك نابع عن علم الله الشامل والسابق والمحكم بكل مخلوق ، وبما يصلح له من فقر أو غنى من خير أو شر ، فيبتليهم بالمصائب والمحن المختلفة لمصلحتهم .

ويخبرنا الحق جل جلاله ان ما قضاه على الخلق هو الذي يكون وانه لا يحدث شيء في الوجود الا باذنه وارادته سبحانه .

ونحن البشر لا نشاء شيئا الا بعد مشيئة ربنا : ( ما تشاؤون الا أن يشاء الله )(١) .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : " واعلم ان الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الاقلام وجفت الصحف "(٢) .

---

( ١ ) سورة التكوير / ٢٩ .

( ٢ ) رواه الترمذي وقال حسن صحيح ، كتاب القيامة جـ٤ / ٧٦ ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان .

قال تعالى في سورة الاسراء : ( واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا ) الآية ( ٦٧ ) .

فمن الذى يقدر على انقاذ هؤلاء الذين هاج بهم البحر فكانوا على ظهره أشبه ببيدور على عود ، وحتى لو كانوا على متن عابرات المحيطات الجباره ، فمن ذا الذى ينجيهم غير الله وحده وقد اصبحت بهم الامواج العاتيه امثال الجبال فتصبح معها تلك الظلك العظيمه كريشة في مهب الرياح تتلاعب بها أمواج الخضم ، في تلك الساعة تنقطع كل الاسباب العاديه فلا مجير ولا منجي ولا كاشفا للضر سوى القادر على ذلك وهو وحده رب كل شيء ومليكه .

هذا حال الناس في البحر ، اما في البر فالبشر كذلك ليسوا بمنأى عن قدر الله ، فهم في قبضة الجبار اينما اتجهوا ، وسواء كانوا في البحر أم كانوا في البر فكيف يأمنون مكر الله ؟ .

استمع الى قوله تعالى ( أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ، ثم لا تجدوا لكم وكيلا ، أم امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ، ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا[1] ) الاسراء ٦٨-٦٩ .

قال صاحب الظلال عند تفسير هذه الآيات : ( ان البشر في قبضة الله في كل لحظة وفي كل بقعه ، انهم في قبضته في البر كما هم في قبضته في البحر ، فكيف يأمنون ؟ كيف يأمنون ان يخسف بهم جانب البر بزلزال أو بركان ، أو بغيرهما

---

( ١ ) قال ابن عباس - تبيعا - ان نصيرا .
وقال مجاهد : نصيرا ثائرا أى يأخذ بثأركم بعدكم .
وقال قتاده : ولا تخاف أحدا يتبعنا بشيء من ذلك .
انظر تفسير ابن كثير ( جـ٣/ ٩٤ ) والطبري جـ١٥/ ٨٥ ) .

من الاسباب المسخرة بقدرة الله ؟ أو يرسل عليهم عاصفة بركانية تقذفهم بالحمم والماء ،والطين والاحجار ،فتهلكهم دون ان يجدوا لهم من دون الله وكيلا يحميهم ويدفع عنهم ؟ .

أم كيف يأمنون ان يردهم الله الى البحر فيرسل عليهم ريحا قاصفة ،تقصف الصواري وتحطم السفين ،فيغرقهم بسبب كفرهم واعراضهم ، فلا يجدون من يطالب بعدهم بتبعة اغراقهم ) (١) .

ويقرر الله سبحانه انه هو وحده المتفرد بمصائر عباده فاليه الرجعى وحده واليه المنتهى .

وبحكمته ورحمته يشاء الهداية او الغواية ،فيضله ويرحمه من يشاء ، وبعدله يعذب من استحق العذاب بانحرافه عن صراط الله .

قال تعالى : ( ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيلا ) الاية ٥٤ .

وقال تعالى مؤكدا أن الهدى والضلال كل ذلك بارادته وحده بناء على علمه السابق بمن يستحق كلا منهما :-

( ومن يهد الله فهو المهتد ،ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ، ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما كلما خبت زدناهم سعيرا ) الاية ٩٧ .

---

( ١ ) ظلال القرآن - سيد قطب - ج٤ / ٢٢٤٠ - دار الشروق .

والله عز وجل يتحدى كل من يستطيع ان يقدم نفعا ، أو يؤخر ضرّا اراده الله بمخلوق سواه ( قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ) الآيه ٥٦ .

فان كل ماسوى الله عز وجل مربوب مقهور مملوك لله وحده ،لا يملك النفع أو الضر لنفسه فضلا عن أن يملكه لغيره فكل الذين يدعونهم من البشر منحرفين عن التوحيد انما هم يشركون مع الله آخرين سواء كان المدعو من دون الله طاغوتا من بشر أم معبودا من حجر أو شجر أو ملك أو جن فكل أولئك تحت عرش الرحمن وفي قبضته وحكمه :

وهم خلق من خلق الله يحاولون ان يجدوا طريقهم الى الله يتسابقون الى رضاه ، يرجون رحمته ويخافون عذابه كما أشرنا فيما مضى/هذا المعنى .

كل ذلك يجلي لنا بعضا من عظمة الخالق سبحانه ،وتفرده بالربوبية دون سواه فاليه وحده يتجه الخلق جميعا انسهم وجنهم ، من في الأرض منهم ومن في السموات ،وهو وحده المتفرد بالعلم والمتصرف بمصائر عباده ،وفي شؤون خلقه بلا معقب .

وصدق الله تعالى في سورة الفرقان اذ يقول :

( الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا ، واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا )(١) .

---

(١) سورة الفرقان ٢ -٣ .

وهكذا يقرر الحق جل جلاله التوحيد في نفوس عباده ، فيجلي امامهم مظاهر عظمته وربوبيته في الكون ، ليظهر في المقابل عجز كل من عبد أو دعي من دون الله سواء كان حجرا أو شجرا أو بشرا ، فهي قاصرة عاجزة عن نفع من عبدها أو كشف اى ضر أو شر عنه ، فالكون كله مربوب مقهور ، تحت حكم الجبار ، ولا يخرج عما اراده وقدره في الازل وهو مفتقر الى الله تعالى وحده .

لذا وجب على الخلق الدخول في طاعته والانضمام الى حزبه ، والاستسلام لأمره وشرعه ، وأين يذهبون من الجبار القهار وهم في قبضته سواء كانوا في البحر أم في البر والدنيا بما عليها له والآخرة مرجعها اليه سبحانه فلا طريق اذا الا الاستسلام له والسير على المنهج الذى دلت عليه رسله عليهم السلام .

## ـ المبحث السادس ـ

## الدعوة الى التوحيد في السورة

لقد زخرت سورة الاسراء بالآيات العديدة في الكثير التي تدعو الخلق الى توحيد الله جل جلاله ، والى افراده سبحانه وتعالى بالالوهية والعبادة دون سواه .

ولقد جاءت الدعوة الى التوحيد في اساليب مختلفة متنوعة :-

أولا : اسلوب النهي المباشر : عن اتخاذ مع الله الها آخر :-

قال تعالى : ( لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا ) الآية ٢٢ .

ففي هذه الآية الكريمة ينهى الحق جل جلاله عباده عن الاشراك به ، ويحذرهم من عاقبة الشرك الوخيمة . ويصور لنا شناعة عاقبة من يشرك به بمن قعد مذموما على فعلته الذميمة القبيحة ، ومقطوعا عن النصر والمعونة وهو مخذول مهزوم ، ومن لا ينصره الله فهو المنهزم المخذول ، ولو كثر اتباعه وأعوانه في الظاهر .

قال ابن كثير رحمه الله عند تفسير هذه الآية[1] ( لا تجعل مع الله الها آخر . . ) ( والمراد المكلفون : اى لا تجعل ايها المكلف في عبادتك ربك له شريكا ، فتقعد ( مذموما ) اى باشراكك به ( مخذولا ) لان الرب تعالى لا ينصرك ، بل يكلك الى الذى عبدت معه ، وهو لا يملك ضرا ولا نفعا ، عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من اصابته فاقة فانزلها بالناس لم تسد فاقته ، ومن انزلها بالله أوشك الله له بالغنى اما أجل عاجل ، واما غنى عاجل "[2].

---

( ١ ) تفسير ابن كثير جـ٥ / ٦٥ وتفسير الطبرى جـ١٥ / ٤٦ .

( ٢ ) رواه الامام أحمد ١ / ٤٠٧ ، وأبو داود جـ٢ / ٢٢ ، والترمذى . انظر تحفة الاحوذى جـ٦ / ٦١٧ .

وفي آية أخرى يكرر الله تبارك وتعالى النهي عن الشرك بقوله تعالى : ( ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا ) الآية ٣٩ .

أى لا تشرك مع الله غيره ، سواء كان هذا الغير وثنا أو صنما ، من حجر أو شجر ، أو كان بشرا يعبد من دون الله أو مع الله عز وجل ، فانك ان فعلت ذلك كان جزاؤك جهنم فتلقى فيها والعياذ بالله وأنت في حال لا تحسد عليها تلوم نفسك ، ويلومك الله سبحانه ، ويلومك الخلق وانت مندحر مبعد عن الله وعن كل خير ، وعن كل تأييد .

وهذه الآية ختمت مجموعة من الاوامر والنواهي والآداب الاجتماعية وقد سبقتها كذلك الآية الاولى في النهى عن الشرك .

فهذه الاوامر المبتدئة بقوله تعالى ( وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ) الخ .

قد ابتدأت بقوله تعالى : ( لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا ) وختمت بقوله تعالى ( ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا ) .

قال الصاوى رحمة لبيانا سر ذلك : ( ختم به الاحكام - اى بالتوحيد - كما ابتدأها اشارة الى أن التوحيد هو مبدأ الامور ومنتهاها ، وهو رأس الاشياء وأساسها ، والاعمال بدون باطله لا تفيد شيئا )(١) .

ويؤكد الحق تبارك وتعالى على هذه القضية - التحذير من الشرك في مواضع كثيرة من كتابه الكريم :-

---

( ١ ) حاشية الصاوى على الجلالين جـ٢ / ٢٩٦ ، مطبعة دار احياء الكتب العربية .

قال تعالى : ( واذ أوحينا اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ... )[١] .

وفي بيان ان الشرك جريمة منكره ، عاقبتها شنيعه قبيحه هي الضياع والهلاك ثم التردى في المتاهات السحيقه .

قال تعالى : ( ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق )[٢] .

والله تبارك وتعالى اعز وأكرم من أن يقبل من العبد عملا دخله الشرك وجانبه الاخلاص ، أو دخله الرياء أو قصد صاحبه منه السمعة أو حب الظهور

يقول تعالى في الحديث القدسي :-

( أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا اشرك معي فيه غيري تركته وشركه )[٣] .

الدعوة الى التوحيد باسلوب الحصر والقصر :-

قال تعالى : ( وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ... )[٤] فهنا يأمر الحق جل جلاله عباده بعبادته وحده لاشريك له ، فان القضاء بمعنى الامر .

قال مجاهد ( وقضى ) بمعنى ، ووصّى ، ولهذا قرن بعبادته بر الوالدين[٤] .

قال صاحب الظلال : ( أمر بتوحيد المعبود بعد النهي عن الشرك ، امرا في صورة قضاء ، فهو أمر حتمي حتمية القضاء ، ولفظة ( قضى ) تخلع عن الامر معنى التوكيد ،

---

( ١ ) سورة الزمر / ٦٥ .
( ٢ ) سورة الحج / ٣١ .
( ٣ ) رواه أحمد ٢ / ٣٠١ .
( ٤ ) تفسير ابن كثير جـ٥ / ٦١ .

الى جانب القصر الذى يفيده النفي والاستثناء ( الا تعبدوا الا اياه ، فتبدو في جو التعبير كله ظلال التشديد والتوكيد )[١] .

وقد جاء اسلوب الحصر هذا في اكثر من موضع من كتاب الله :-

ففي دعوة اهل الكتاب الى الاسلام قال سبحانه : ( قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا . . . )[٢] .

وقال تعالى في سورة الأنعام : ( قل انما هو الله واحد وانني بريء مما تشركون )[٣] . ( قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد )[٤] .

اسلوب الامر المباشر بتوحيده سبحانه :-

امر بالصلاه ،والدعاء ،والتكبير والحمد والتسبيح .

فهذا الدين لا يكتفي بمجرد اقراره لتوحيد الله تعالى ومحاربة الشرك نظريا ، بل ان للاسلام منهجا عمليا، حيث طلب من اتباعه عبادات وفرائض وواجبات تعمق التوحيد في نفوسهم ،وتزيد الايمان في قلوبهم .

وقوله تعالى : ( قل ادعوا الله او ادعو الرحمن أيّاما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا ) الاية ١١٠ .

هنا يأمر الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يقول للمشركين ادعوا الله باسمه او صفته فهو الله وهو الرحمن ،ذلك لان المشركين كانوا ينكرون صفة الرحمن لله ، ويمنعون تسميته بالرحمن جهلا منهم وسفها كما قال تعالى عنهم: ( واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا )[٥] .

---

( ١ ) في ظلال القرآن جـ٤ / ٢٢٢١ .
( ٢ ) سورة آل عمران / ٦٤ .
( ٣ ) سورة الانعام / ١٩ .
( ٤ ) سورة الكهف / ١١٠ .
( ٥ ) سورة الفرقان / ٦٠ .

والمهم أن الآية فيها أمر بالتوجه لله تعالى وعبادته والتوسل اليه باسمائه الحسنى وصفاته العلى ، وطلبت كذلك التوسط والاعتدال في اداء هذه العبادات ومنها القراءة في الصلاة ،فلا يرفع صوته اكثر مما ينبغي ، ولا يخفضه أكثر من اللازم .

وكذلك امر الله تعالى باقامة الصلوات في أوقاتها ، وبالتهجد في الليل لادراك المقامات العالية المحمودة :-

قال تعالى : ( أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا ،ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ) الآيتان ٧٨-٧٩ .

ومعنى اقامة الصلاة ،اداؤها كاملة الاركان ، تامة الواجبات والسنن ،مع حضور القلب في مناجاة الرب ،والخشية منه في السر والعلن .

والصلاة لب العبادة لما فيها من مناجاة الخالق ،والتبتل اليه ،والقيام بتواضع وعبودية بالركوع والسجود بين يدي الله ،فهي راحة للمؤمن ،وقرة عين له وصلة له بربه سبحانه .

والدعوة الى الحمد : كذلك وردت في السورة ، كما أسلفنا :-

فحمده سبحانه وتعالى على آلائه الكثيرة ، ونعمه المتكاثرة فهي تملأ مابين السماء والأرض ، وتغمر الانسان وتكتنفه اني توجه . فيقول الله تعالى : ( وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا ) الآية الأخيرة .

فالآية فيها أمر بالتوجه الى الله عز وجل اهل كل ثناء ،ومستحق كل حمد من جميع الوجوه ،لانه تبارك وتعالى اهل المحامد والثناء ، فهو المنزه عن النقائص التي لا تليق بجلاله ،وكماله من الولد والشريك وهو المنزه عن الحاجة الى الولي أو النصير أو المعين فهو الله الواحد الاحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

وأخيرا في السورة دعوة وأمر من الله لعباده بخطاب الرسول وأمته بأن (يكبره تكبيرا ) فهي تأمر بتعظيم الله عز وجل ،واجلاله وتكبيره ،عما يصفه الواصفون أو يقول فيه السفهاء الجاهلون .

فكما أمر سبحانه بتسبيحه في أول السورة واوسطها يأمر هنا في الخاتمة بتعظيمه واجلاله وتقديره حق قدره ،فسبحان من لا تحصى ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه .

## - الفصل الثاني -

## في الشـــفاعة والوســـــيلة

وفيه مباحث :-

المبحث الأول : ماهو المقام المحمود .

المبحث الثاني : معنى الشفاعة لغة واصطلاحا وأقسامها في الدنيا والآخره .

المبحث الثالث : اقوال الناس في الشفاعة والرد على منكريهـا .

المبحث الرابـــع : شفاعات النبي صلى الله عليه وسلم في الآخره .

المبحث الخامس : شفاعات غير النبي صلى اللهعليه وسلم من الملائكة والانبيـــاء والصالحين والشهداء .

المبحث السادس : التوسل والوسيلة ، تعريف ذلك لغة واصطلاحا .

المبحث السابـــع : التوسل المشروع ،والتوسل غير المشـــــــروع .

## ـ المبحث الأول ـ

## في المقام المحمـــود والمقصود به

قال الله تعالى في سورة الاسراء : ( ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ) (٧٩) .

قوله تعالى ( عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ) .

المفردات :ـ

(عسى ) : قال الطبرى ( وعسى من الله واجبه وانما وجه ذلك انها تفيد الاطماع. والله تعالى اكرم من ان يطمع أحدا ثم لا ينجزله ما اطمعه ووعده )(١).

( يبعثك ) : يقيمك ،ومعناها : مكان القيام ،وهو مقام الشفاعه ،اى المحل الذى يكون فيه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حين يشفع للناس لفصـــل القضاء .

(محمودا ) : اى يحمده ويثني عليه ويغبطه فيه الاولون والآخرون .

المعنى :ـ

افعل هذا الذى أمرت به ـ وهو التهجد في الليل ،لنقيمك يوم القيامة مقاما يحمدك فيه الخلائق كلهم وخالقهم تبارك وتعالى :ـ

ولقد اختلف اهل التأويل في معنى ذلك المقام المحمود ،فقال أكثر أهل العلم هو المقام الذى يقومه صلى الله عليه وسلم للشفاعة العظمي ، ليريح الناس من الكرب الشديد في الموقف العصيب .(٢)

---

( ١ ) تفسير الطبرى جـ١ / ١٤٣ .

( ٢ ) تفسير الطبرى جـ١ / ٩٧ ،وابن كثير جـ٥ / ١٠١ ،والقرطبى جـ١٠ / ٣١٠ .

قال النيسابوري : ( والاولي أن يخص ذلك المقام المحمود بالشفاعه ، لأن المحمد يكون بازاء انعام ، ولا انعام للنبي صلى الله عليه وسلم على امته في الآخره الا انعام الشفاعة ، أو لا انعام أجل منها ، لان السعي في تخليص الغير من العقاب أهم من السعي في ايصال الثواب ، ويؤيد ذلك رواية ابي هريرة ، رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ( عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ) قال : هو المقام الذى اشفع لامتي فيه (١) .

وروى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال :

" ان الناس يصيرون يوم القيامة جثا (٢) ، كل امة تتبع نبيها يقولون : يافلان اشفع ، يافلان اشفع ، حتى تنتهى الشفاعة الى محمد صلى الله عليه وسلم ، فذلك يوم يبعثه الله مقاما محمودا .

وفى رواية ( ان الشمس لتدنوا حتي يبلغ العرق نصف الاذن ، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ، فيقول لست بصاحب ذلك ، ثم موسى ، فيقول : كذلك ، ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم فيشفع بين الخلق ، فيمشي حتى يأخذ بحلقة باب الجنه ، فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا ، يحمده اهل الجمع كلهم ، .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة آت محمدا الوسيله والفضيله وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته ، حلت له شفاعتى يوم القيامة (٣) .

---

( ١ ) رواه الامام أحمد جـ٢ / ٤٤٤ وانظر تفسير النيسابورى جـ١٥ / ٧٠ ، تحقيق ابراهيم عطوه والرازى جـ٢١ / ٣١ .

( ٢ ) رواه البخارى جـ٦ / ١٠٨ وجثا جمع جثوه بضم أوله وسكون الثاء .
وعند مسلم ( ضبائر ضبائر ) اى مجموعات من الناس كل مجموعة تتبع نبيها .

ففي الاحاديث الماضيه : سمى قيامه للشفاعة العظمي مقاما محمودا ، وفي الرواية الثانيه جعل استفتاح الرسول صلى الله عليه وسلم لباب الجنه مقاما محمودا .

كما جاء في روايات أخرى انه ( اى المقام المحمود ) اعطاء الله له لواء الحمد وغير ذلك (١) .

والصحيح انه يجوز ان يطلق المقام المحمود على كل تلك المقامات والتشريفات التي تكون للمصطفى صلى الله عليه وسلم ، فان للرسول صلى الله عليه وسلم يوم القيامة مقامات وتشريفات كثيره لا يساويه فيها أحد كما جاء عن ابي بن كعب رضى الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم :-

" اذا كان يوم القيامة كنت امام الانبياء ، وخطيبهم ، وصاحب شفاعتهم غير فخر " (٢) .

لكن مقام الشفاعة الكبرى أو العامة أو العظمي هو اجلها وأعظمها وأظهرها واشرفها لذا خص اطلاق المقام المحمود به ، مع وجود مقامات اخرى غيره .

لذا سنتناول الشفاعة في مباحث تفصيليـــة .

---

( ١ ) انظر فتح الباري لابن حجر جـ ١٤/١٠ .

( ٢ ) رواه أحمد جـ ٥/١٣٧ .

## ـ المبحث الثاني ـ

## معنى الشفاعة وأقسامها

الشفاعة لغة : من شفع يشفع شفاعة .

من الشفع ، والشفع ضد الوتر .

قال الراغب : الشفع ضم الشيء الى مثله (١) .

ومن معانيها في اللغة الوسيلة والطلب .

الشفاعة اصطلاحا : عرفها البعض بانها سؤال الخير للغير (٢) .

والحق انها مشتقة من الشفع كما قلنا ، فكأن الشافع ضم سؤاله الى سؤال المشفوع له . ذلك بان صاحب الحاجة كان واحدا وترا فضم اليه آخر فصارا اثنين شفعا .

وأكثر ما يستعمل الاستشفاع في انضمام من هو أعلى حرمة ومنزلة الى من هو أدنى ومنها الشفاعة يوم القيامة .

فالاستشفاع والتشفع والشفاعة هذه الكلمات مدلولها واحد وصورتها :ـ

ان يطلب انسان من آخر التوسط له عند ذي ملك او سلطان أو مسئولية ليقضي له حاجته في اعطائه ماهو في حاجة اليه ، أو في التجاوز عنه في ذنب اقترفه أو جريمة ارتكبها (٣) .

وقوله تعالى : ( ومن يشفع شفاعة حسنة ) .

قال الراغب : اى من انضم الى غيره وعاونه ، وصار شفعا له أو شفيعا في الخير والشر ، فقواه وعاونه وشاركه في نفعه وضره .

---

( ١ ) المفردات ـ للراغب / ٢٦٣ والقاموس جـ٣ / ٤٧ .

( ٢ ) لوامع الانوار البهيه جـ٤ / ٢٠٤ ، والكواشف الجليه / ٥٩٠ .

( ٣ ) انظر عقيدة المؤمن ـ ١٥٣ .

ويقال : استشفعت بفلان على فلان ، فتشفع لي ، وشفعه : اجاب شفاعته[1]

خلاصة القول :-

الشفاعة : ان يتدخل واحد في أمر من الأمور ، ليكون عونا لشخص فيجلب له الخير ، أو عونا عليه فيجلب عليه الشر ، فيؤجر بالاولى ويأثم بالثانية كما سنرى في اقسامها .

أقسام الشفاعة :-

تنقسم الشفاعة الى قسمين :-

١ - شفاعة دنيوية .  ٢ - شفاعة اخروية .

الشفاعة الدنيوية :-

وهي تنقسم الى قسمين أيضا هما خاصان بالعباد ، ويقع لبعضهم من بعض لانهم يملكونها ، وتدخل في نطاق القدرة البشرية .

القسم الأول من الشفاعة الدنيوية :-

وقد سماها القرآن الشفاعة الحسنة . قال تعالى :-

( ومن يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها[2] ) .

ومثالها : ان يظلمك شخص ، فتطلب من شخص آخر التدخل فينضم اليك ، فاظهر الله الحق على يديه ، وازال عنك الضرر ، وأعاد اليك ظلامتك .

حكم هذه الشفاعة :-

انها جائزة بل ومندوبة في الشرع بل قد حث عليها الرسول صلى الله عليه وسلم واخبر ان الشافع يؤجر على شفاعته ، حتى ولو لم تقض حاجة من شفع له .

---

( ١ ) انظر المفردات للراغب ٢٦٣ .

( ٢ ) سورة النساء / ٨٥ .

قال صلي الله عليه وسلم « اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ماشاء »(١).

والاصل في المجتمع الاسلامي ان تقضى حوائج الناس بلا وسائط ودون شفاعات، لان المسؤولين والولاة تنتقيهم الامة انتقاء ،أو يعينهم الخليفة وقد وثق بدينهم وعدالتهم وحرصهم على قضاء حوائج المسلمين وايصال الحقول الى أهلها .

وتكون الشفاعة في الوضع الطبيعي للمجتمع الاسلامي حالات فردية خاصه وذلك لعجز صاحبها أو خموله وقصوره عن الوصول الى حقه ،فيستشفع بآخر لذى منصب أو مسؤوليه ليوصله الى حقه .

اما ان ينعكس الوضع وينقلب الحال ،فتصبح الشفاعات والوسائط أو ( الواسطات ) هي القاعده المطردة ، بحيث لاتقضي الحاجات ولا تنال الحقوق في الغالب الا بالمعرفة او الواسطة فهذا وضع وحال غير سليم ولا صحي بل هي ظاهرة مرضيه يضيع في زحمتها الضعيف الذى لا يعرف أو لا يملك الواسطة ذات الثقل .

ورحم الله امير المؤمنين عمر ورضي عنه حيث كان يطلب ولاته وعماله ،لموافوه في موسم الحج فيحاسبهم ،ويرد ظلامات الناس وحقوقهم منهم وعن طريقهم ان كانت هناك مظالم او حقوق وكان هو بنفسه ينقب عن أحوال المسلمين ويتفقد أمور رعيته التي سيسأله الله تعالى عنها كما سيسأل كل ذى ولاية ، حفظ أم ضيع .

هذا وجواز هذه الشفاعة وشرط كونها حسنه يؤجر فاعلها ،ان تكون في طلب حق ضائع أو حق يخشى ضياعه أو في شيء مباح ،والا كانت شفاعة سيئة سنراها الآن .

---

(١) رواه الشيخان البخارى٢ /١٤٢ ومسلم٨ /٣٧ ،وكذا روى ابن ماجه في كتاب النكاح حديث " من افضل الشفاعه ان يشفع بين الاثنين في النكاح " .

القسم الثاني الشفاعة السيئة :-

وهي أن يكون الاستشفاع في اثم باسقاط حق من الحقوق ، أو تعطيل حد من الحدود فان فاعلها عليه اثم ،وبناله من وزرها كما قال تعالى : ( ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها )(١).

ومثالها : ان ينضم شخص الى من ظلمك واعتدى عليك ليعينه على ايقاع الشر بك ، أو ابعاد الخير عنك .

أو أن يكون استشفاعا في اسقاط حق من حقوق العباد ،واحقاق باطل ، أو تعطيل حد من حدود الله بعد وصوله الى السلطان .

وهي محرمه لما ورد من التغليظ في هذا النوع من الاستشفاع قال تعالى : ( ولا تعاونوا على الاثم والعدوان )(٢).

ولقوله صلى الله عليه وسلم : " اذا بلغت الحدود السلطان فلعن الله الشافع والمشفع "(٣).

وان في الشفاعة السيئة اقرارا بالظلم والباطل ، بل سعي واجتهاد في ايجادهما في المجتمع . هذا سوى ما يترتب عليها من الاخلال في وضع المجتمع الاسلامي وأكل حقوق الناس بالباطل .

القسم الثاني : الشفاعة الاخروية :-

وهي خاصة بالله تعالى وحده ولا يملكها الا هو سبحانه

---

(١) سورة النساء / ٨٥ .

(٢) سورة المائدة / ٢ ، انظر شرح الزرقاني على الموطأ جـ٥/ ١١٣ ط. الاولى ١٣٨٢ تحقيق ابراهيم عطوه .

(٣) رواه البخاري ٨/ ١٦٩ ،اخرجه في الموطأ ٣/ ٤٩-٥٠ ، وانظر عقيدة المؤمن / ١٥٤ .

( قل لله الشفاعة جميعا )[١] ولا يستطيع اى مخلوق مهما عظم شأنه ،ان يملك الشفاعة الاخرويه ،لانها تتصل بحقوق الله وحده ، وهي في حدود قدرته وسلطانه وملكه تبارك وتعالى ، ويوم القيامة يتجرد كل ذى سلطان من سلطانه ، وينخلع كل ذى ملك من ملكه فلا ملك يومئذ الا لله وحده ( لمن الملك اليوم لله الواحد القهار )[٢] ولا يشركه فيه أحد .

لذا فانه لا يشفع أحد بين يدى الله تعالى الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى . فمن يرتضيه الرحمن ،ويرضى عن اعماله وطاعته وطهارته من الشرك والكفر يأذن بالشفاعة فيه ( لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا )[٣].

والشفاعة الاخرويةقسمان : مثبته ومنفيه :-

<u>أما المثبته :-</u>

فهي التي اثبتها الله تعالى لاهل الاخلاص ولها شرطان مذكوران في قوله تعالى : ( وكم من ملكفي السموات لاتغنى شفاعتهم شيئا الا بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى )[٤] .

هما : اذن الله للشافع ، ورضاه عن المشفوع لبه .

وقال سبحانه : ( يومئذ لاتنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا )[٥] .

وهي التي اثبتها الله تعالى لعباده الصالحين من الانبياء والشهداء والمتقين ، ولهذا كان سيد الشفعاء صلى الله عليه وسلم اذا طلبت منه الشفاعة يوم القيامة ، يأتي ربه ويسجد تحت عرش الرحمن ،ويتضرع الى ربه ،ويحمده بمحامد يفتحها عليه سبحانه ، ثم يأذن له قائلا سبحانه : ( ارفع محمد وسل تعط واشفع تشفع )[٦] .

---

( ١ ) سورة الزمر / ٤٥ ( ٢ ) سورة غافر / ١٦ .
( ٣ ) سورة مريم / ٨٧ . ( ٤ ) سورة النجم/ ٢٧ .
( ٥ ) سورة طه / ١٠٩ .
( ٦ ) مجموع الفتاوى جـ١/ ٣٣٢ والكواشف الجليه ٥٩٠ .

وهذه الشبهة تشمل شفاعات النبي صلى الله عليه وسلم الكبرى وغيرها مما سنتعرض له فيما بعد ، وتشمل شفاعة الملائكة والانبياء والعلماء والشهداء والاتقياء وغير ذلك كما سنرى .

أما الشفاعة المنفية :-

فهي التي تطلب من غير الله تعالى ، أو بغير اذن ، أو لاهل الشرك والكفر ممن استوجبوا الخلود في النار فقد نفاها الله سبحانه وتعالى بتلك الاحوال في اكثر من موطن في كتابة الكريم وأخبر في غير واقعه قال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعه والكافرون هم الظالمون )[٢] .

وقال أيضا في آية أخرى ( واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون )[٢] .

---

( ١ ) سورة البقرة / ٢٥٤ .

( ٢ ) سورة البقرة / ١٢٣ .

## ـ المبحث الثالث ـ

## أقوال الناس في الشفاعة

انقسم الناس في الشفاعة الى طرفين ووسط .

١ ) فقسم توسعوا في اثباتها ، وتجاوزا الحد في ذلك حتى اثبتوها لمعبودات من دون لله حتى للاصنام وهم المشركون والنصارى .

وحكى الله حالهم بقوله : ( ويعبدون مالا يضرهم ومالا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ) .

وكالمبتدعين الذين يغالون في المشايخ وغيرهم حيث يجعلون شفاعة من يعظمونه عند الله كالشفاعة المعروفة في الدنيا (١) .

٢ ) وقسم نفوا الشفاعة : وهم الخوارج والمعتزله .

٣ ) وقسم توسطوا وهم أهل السنة والجماعه حيث يقرون بشفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم وغيره في أهل الكبائر لكن بشروطها كما سنرى .

نفاة الشفاعة : وهم المعتزلة والخوارج والزيدية (٢) :ـ

وهؤلاء لا ينكرون الشفاعة على الاطلاق ، فهم يؤمنون بالشفاعة الكبرى ، ويؤمنون برفع درجات اهل الجنة في الجنه فوق ما يستحقون جزاء اعمالهم .

ولكنهم ينكرون نوعين من الشفاعة :ـ

أ ـ الشفاعة فيمن استحق النار من المؤمنين ان لا يدخلها .

ب ـ الاستشفاع فيمن دخل النار من أهل الكبائر لكي يخرج منها .

فكذبوهما ونفوهما مع ثبوت ادلتهما وتواتر احاديثهما كما سنرى فيما بعد .

---

( ١ ) شرح العقيدة الطحاوية / ٢٦٠ .

( ٢ ) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيميه ص ١٠ ـ المطبعة السلفيه .

أدلة من نفى الشفاعة :-

يستدل من نفى الشفاعة بقوله تعالى : ( واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ... )[١] .

وقوله عز وجل : ( ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع )[٢] .

وزعموا أن من دخل جهنم يخلد فيها ، لانه اما كافر ، أو صاحب كبيره ومات بلا توبة منها .

وهو رأى فاسد ، ومذهب باطل ، ترده الاخبار الصحيحة الصريحة التي سنراها ، واجماع اهل الحق .

وأجاب العلماء عن الآية[٣] وهي ( ... ولا يقبل منها شفاعة ) :

( بأنها مخصوصه بالكفار ) ويؤخذ هذا ان سياق الخطاب معهم ، والآيه نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان آباءهم تشفع لهم )[٤] وكذلك فانه نفي للشفاعة التي يعتقدها أهل الشرك وغيرهم الذين يعتقدون ان للخلق عند الله من القدر فيشفعون بغير اذنه كشفاعة الدنيا .

وأجاب العلماء عن قوله تعالى : ( ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع )[٥] بأن المراد بالظالمين : الكفار . فان الظالم على الاطلاق هو الكافر .

واستدل المعتزله والخوارج كذلك بقوله تعالى ( انك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار )[٦] .

---

( ١ ) سورة البقرة / ٤٧ .
( ٢ ) سورة غافر / ١٨ .
( ٣ ) انظر لوامع الانوار البهية جـ٢ / ٢١٧ ومعارج القبول ، لحافظ حكمي جـ٢ / ٣١٥ .
( ٤ ) تفسير ابن كثير جـ١ / ١٢٧ .
( ٥ ) سورة غافر / ١٨ .
( ٦ ) سورة آل عمران / ١٩٢ .

ورد العلماء على ذلك بما روى عن انس رضى الله عنه قال معنى من (تدخل النار) من تخلد .

وقال قتادة ( تدخل ) مقلوب ( تخلد ) ولا نقول كما قال أهل حروراء يعنى الخوارج .

ونفى النصرة لا يستلزم نفى الشفاعة هذا لو سلمنا بأن الآية في عصاة الموحدين ويكون الخزى بمعنى الحياء من دخول النار (١) .

أما ادعاء المعتزلة بأن الفاسق غير مرضي عند الله . فكيف يقبل الله الشفاعة في اناس لا يرضى عنهم .

قال اهل العلم : ان الفاسق لا يسلم بانه غير مرضي مطلقا بل هو مرضي من جهة الايمان والعمل الصالح ، وان كان مسخوطا من جهة عصيانه ، وذنوبه ، وهذا بخلاف الكافر (٢) .

وبعد فان الشفاعة في عصاة المؤمنين وأهل الكبائر من امته صلى الله عليه وسلم ، ممن دخل النار فيخرجون منها ادلتها قوية وقد تواترت الاحاديث بهذا النوع ، وقد خفي على ذلك على الخوارج والمعتزله فخالفوا في ذلك ، جهلا منهم بصحة الاحاديث ، وعنادا ممن علم ذلك واستمر على بدعته وعلى اصول وقواعد وضعها وحكمها في دين الله (٣) . وأحاديث هذا النوع ثابته كما قلنا يتعذر احصاؤها أو عدها ولنذكر أمثلة منها :-

---

( ١ ) لوامع الانوار البهية جـ٢ / ٢١٧ ، والتذكرة للقرطبي / ٤١٤ .

( ٢ ) انظر لوامع الانوار البهيه جـ٢ / ٢١٨ .

( ٣ ) انظر شرح الطحاويه / ٢٥٨ .

١ ـ ما أخرجه البخارى عن عمران بن الحصين رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :ـ

" يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ويدخلون الجنة ويسمون الجهنميين (١) ".

٢ ـ روى الامام أحمد عن انيس بن مالك قال : قال صلى الله عليه وسلم : "شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى (٢) ".

٣ ـ اخرج الشيخان عن جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :ـ

" ان الله يخرج قوما من النار بالشفاعه فيدخلهم الجنه (٣) ".

وغيرها أحاديث كثيره جدا اوضحها أحاديث الشفاعة الصحيحة التى ذكرت مراجعة الرسول صلى الله عليه وسلم ربه مرات ليخرج منهم من فى قلبه ذرة أو برة أو شعيره من الايمان والخير من النار الى الجنه كما سنرى.

أهل السنة توسطوا في أمر الشفاعة :ـ

كما هو سبيلهم في كل الأمور انهم وسط ، فالوسطيه ميزة هذه الأمه في عقيدتها وفي شريعتها وفي كل أمورها فان خير الامور أوسطها ،وكذلك هم في أمر الشفاعة .

فأهل السنة كما تقدم يثبتونها بشرطيها وهما اذن الله للشافع ان يشفع ،ورضاه عن المشفوع له ،ولا يرضى سبحانه من العمل الا الخالص الطيب الصواب .

---

( ١ ) صحيح البخارى جـ٨/ ١٤٣ - ١٤٤ .

( ٢ ) مسند الامام أحمد ٣/ ٢١٣ ،ورواه الترمذى جـ٤/ ٤٥ .

( ٣ ) البخارى جـ٨/ ١٤٣ ، ومسلم جـ١/ ١١٢ كتاب الايمان .

ويؤمنون بان اللهتعالى يخرج من النار اقواما بغير شفاعه ،كما جاء عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : " قال الله تعالى شفعت الملائكه وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضه من النار فيخرج منها اقواما لم يعملوا خيرا قط ،قد عادوا حمما ، فيلقيهم في نهر في افواه الجنه يقال له نهر الحياه ، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ، فيقول : اهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين ادخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه "(١).

هذا وتنقسم الشفاعة المثبته في الآخره الى قسمين :-

١ - شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم .

٢ - شفاعة غيره من الانبياء أو الملائكة أو الشهداء والمؤمنين .

وسنتناول في ما يلي هذه الشفاعات بشيء من التفصيل .

---

(١) حديث صحيح أخرجه مسلم ١/ ١١٥-١١٦ وأحمد ٣/ ٩٤ .

## ـ المبحث الرابع ـ

## شفاعات النبي صلى الله عليه وسلم

للنبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة شفاعات كثيره كما مر معنا ـ فقد عدها البعض ثلاثة أقسام رئيسيه (١) وعددها اخرون خمسا (٢) وأوصلها البعض كما في الطحاويه الى ثمانية أقسام ؛ هي :ـ

١ ـ الشفاعة العظمى .

٢ ـ شفاعته صلى الله عليه وسلم في أهل الجنه ان يدخلوها .

٣ ـ الشفاعة فيمن استحق النار ان لا يدخلها ،وهذه له صلى الله عليه وسلم ولسائر الشافعيين .

٤ ـ وفيمن دخلها ان يخرج منها .

٥ ـ في رفع درجات من يدخل الجنه .

٦ ـ الشفاعة في أقوام ليدخلوا الجنة بغير حساب .

٧ ـ الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه ،كشفاعته في عمه أبي طالب .

٨ ـ شفاعته في أهل الكبائر من امته ممن دخلوا النار فيخرجون منها .

وسنتعرض لهذه الشفاعات بشيء من التوضيح والتفصيل :ـ

### أولا : الشفاعة العظمى :ـ

وتسمى الشفاعة العامة ،ويطلق عليها المقام المحمود ،وهي للاراحة من طول الموقف ،ولاجل فصل القضاء من الله تعالى بين عباده ، وهي مجمع عليها لم ينكرها أحد .

---

(١) انظر الكواشف الجليه عن معاني الواسطيه / ٥٩٠ .

(٢) لوامع الانوار البهية جـ٢ / ٢٠٨-٢١٣ .

وهذه الشفاعة يستشفع فيها رسولنا صلى اللهعليه وسلم لاهل الموقف بعد أن يتدافعها الانبياء أصحاب الشرائع من أولي العزم من الرسل من آدم الى نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ، فكل نبي منهم يذكر ذنبا آتاه لعظم الموقف وشدة وهول الوقوف بين يدى الله ، ويقول لست هناكم ، اذهبوا الى غيرى ، وكلهم يقول نفسي نفسي فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقول : "انا لها ، أنا لها ..." الخ الحديث .

وهذه الشفاعة خص الله بها نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من بين سائر الانبياء كما قال صلى الله عليه وسلم : "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي : "نصرت بالرعب .... الى أن قال وأعطيت الشفاعة"(١) .

وحديث الشفاعة متفق عليه وكذا رواه كل أصحاب السنن والمسانيد بروايات مختلفة بعضها مطول وبعضها مختصر . وسأنقل رواية البخارى رحمه الله عن أنس رضى الله عنه :-

قال الامام البخارى حدثني معاذ بن فضاله قال ، حدثنا هشام عن قتاده عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : " يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كذلك ، فيقولون : لو استشفعنا الى ربنا ، حتي يريحنا من مكاننا هذا " .

فيأتون آدم ، فيقول : يا آدم أما ترى الناس؟ خلقك الله بيده ، واسجد لك ملائكته ، وعلمك اسماء كل شيء ، اشفع لنا الى ربنا حتي يريحنا من مكاننا هذا فيقول : لست هناك ، ويذكر خطيئته التي اصاب ، ولكن ائتوا نوحا ، فانه أول رسول بعثه الله الى أهل الأرض ، فيأتون نوحا ، فيقول : لست هناكم ، ويذكر خطيئته

---

(١) متفق عليه رواه البخارى جـ١ / ٩١ ، ومسلم جـ١ / ٣٧٠ .

التي أصاب ، ولكن ائتوا ابراهيم ـ خليل الرحمن ـ فيأتون ابراهيم فيقول : لست هناكم ويذكر خطاياه التي اصاب ، ولكن ائتوا موسى ،عبدا آتاه التوراة وكلمة تكليما ، فيأتون موسى ،فيقول : لست هناكم ،ويذكر لهم خطيئته التي أصاب ، ولكن ائتوا عيسى ـ عبد الله ورسوله ـ وكلمته وروحه .

فيأتون عيسى ،فيقول : لست هناكم ، ولكن ائتوا محمدا ،عبدا غفر له ماتقدم من ذنبه ،وما تأخر ،فيأتون فانطلق ،فاستأذن على ربي ،فيؤذن لي ، فاذا رأيت ربي وقعت له ساجدا ،فيدعني ماشاء الله ان يدعني .

ثم يقال لي : ارفع محمد ،وقل يسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع. فاحمد ربي بمحامد علمنيها ، ثم اشفع ،فيحد لي حدا فادخلهم الجنه ،ثم ارجع فاذا رأيت ربي وقعت ساجدا ،فيدعني ماشاء الله ان يدعني ،ثم يقال : ارفع محمد ،وقل يسمع وسل تعطه ،واشفع تشفع ،فاحمد ربي بمحامد علمنيها ربي ،ثم اشفع ، فيحد لي حدا فادخلهم الجنه .

ثم ارجع فاذا رأيت ربي وقعت ساجدا ،فيدعني ماشاء الله ان يدعني ثم يقال : ارفع محمد ، قل يسمع ، وسل تعطه ،واشفع تشفع ،فاحمد ربي بمحامد علمنيها ،ثم اشفع فيحد لي حد ،فادخلهم الجنه .

ثم أرجع فأقول : ياربي مابقي في النار الا من حبسه القرآن ، ووجب عليه الخلود .

قال النبي صلى الله عليه وسلم :

يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير مايزن شعيره .

ثم يخرج من النار من قال : لا اله الا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يزن بره .

ثم يخرج من النار ، من قال : لا اله الا الله ، وكان في قلبه ما يزن من الخير ذره (١) .

الثانية : شفاعته صلى الله عليه وسلم في أهل الجنة أن يدخلوها :-

وهي استفتاح باب الجنه ، وهي أيضا خاصة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

فقد روى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :-

" انا أول الناس يشفع في الجنه ، وأنا أكثر الانبياء تبعا (٢) .

وعنده أيضا :-

" أنا أكثر الانبياء تبعا يوم القيامه ، وأنا أول من يقرع باب الجنه (٣) .

الثالثة : شفاعته صلى الله عليه وسلم في من استحق النار بعمله ، فلا يدخلها :-

وهذه الشفاعة له صلى الله عليه وسلم ولسائر النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وغيرهم .

الرابعة : شفاعته صلى الله عليه وسلم فيمن دخل النار ان يخرج منها :-

اخرج الشيخان عن جابر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ان الله يخرج قوما من النار بالشفاعه فيدخلهم الجنه (٤) .

---

( ١ ) رواه البخاري جـ٩ / ١٤٤-١٤٥ .
( ٢ ) رواه مسلم بحديث / ٣٣٠ والامام أحمد جـ٣ / ١٤٠ .
( ٣ ) رواه مسلم جـ١ / كتاب الايمان حديث رقم ٣٣١ .
( ٤ ) رواه البخاري جـ٨ / ١٤٣ ، ومسلم جـ١ / ١١٢ .

الخامسة : شفاعته صلى الله عليه وسلم في رفع درجات من يدخل الجنة فوق ما يستحقون من ثواب أعمالهم ، وهذه وافقت المعتزلة عليها .

السادسة : الشفاعة في أقوام ان يدخلوا الجنة بغير حساب :-

كما جاء في الصحيح " فيقال : يا محمد ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من أبواب الجنه وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك "(١) .

السابعة :-

الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه كشفاعته في عمه أبي طالب كما جاء في صحيح مسلم ان العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال : يارسول الله : ان أبا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك فهل نفعه ذلك ؟ ، قال : نعم هو في ضحضاح من نار ولولا انا لكان في الدرك الاسفل من النار(٢) .

الثامنة :-

شفاعته في اخراج عموم امته من النار حتى أهل الكبائر من امته ممن دخلوها فيخرجون منها حتى لا يبقى منهم أحد ، لكن بعد أن يقضوا في العذاب ما يعلمه الله .

---

( ١ ) رواه البخاري جـ٦ / ١٠٧ .

( ٢ ) رواه مسلم جـ١ / حديث رقم ٣٥٧ ، والبخاري في كتاب الادب جـ٧ / ٥٧ .

## ـ المبحث الخامس ـ

## ا القسم الثاني من الشفاعة الثبتة

## شفاعة غير النبي صلى الله عليه وسلم

فالشفاعة ثابته لغير الرسول صلى الله عليه وسلم من كل اهل الفضل ، فيجب على المسلم أن يعتقد ان غير النبي صلى الله عليه وسلم من سائر الرسل والانبياء والملائكه والصحابة والشهداء والصالحين ، من أولياء الله تعالى المؤمنين المتقين على اختلاف مراتبهم ومقاماتهم في التقى والصلاح ، فانهم يشفعون في العصاة المذنبين وقد صحت بذلك الاخبار .

كما جاء في المسند : " ثم يؤذن للملائكه والنبيين والشهداء ان يشفعوا ، فيشفعون ويخرجون ويشفعون ... "(١) .

شفاعة الملائكة :-

وهي ثابتة بقول الله تعالى ( وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى)(٢) اذاً لهم شفاعة لكن بعد الاذن والرضى .

شفاعة الشهيد :-

قال صلى الله عليه وسلم " الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته "(٣) .

شفاعة المؤمنين :-

ومن شفاعة المؤمنين الصالحين ماجاء في الحديث الصحيح :-

بعد أن يدخل المؤمنون الجنه سيرو اخوانهم واصحابهم في النار ، يقول صلى الله عليه وسلم : " يقولون ربنا اخواننا ، كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ، ويحجون

---

( ١ ) رواه أحمد جـ٥ / ٤٣ .
( ٢ ) سورة النجم / ٢٦ .
( ٣ ) رواه أبو داود في كتاب الجهاد .
انظر عون المعبود جـ٧ / ١٩٧ ، طـ. الثانيه المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة
وابن ماجه كذلك في باب الجهاد جـ٢ / ٩٣٥ ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي .

معنا ، فيقول الله تعالى : اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من ايمان فاخرجوه ، ويحرم الله تعالى صورهم على النار ، فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار الى قدميه ، والى انصاف ساقيه فيخرجون من عرفوا ثم يعودون ، فيقول سبحانه : اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فاخرجوه ، فيخرجون من عرفوا ، ثم يعودون ، فيقول : اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من ايمان فاخرجوه ، فيخرجون من عرفوا . . . (١) .

القرآن يشفع :-

فقد صح ان القرآن الكريم يشفع لاهله كما ثبت عند مسلم قوله صلى الله عليه وسلم : " اقرأوا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعا لاصحابه " (٢) .

والصيام يشفع :-

فقد روى الامام أحمد عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال : " الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامه ، يقول الصيام : اى رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعني فيه ، قال : فيشفعان " (٣) .

والحاصل ان للناس شفاعات بقدر أعمالهم وتقواهم لله وخوفهم منه ، وعلى قدر مجاهدتهم لانفسهم وجهادهم في سبيل الله في الدنيا وعلى رأسهم اصفياء البشر ، خير الناس وهم الانبياء ثم من يلونهم في الفضل والصلاح .

---

( ١ ) رواه البخارى في كتاب التوحيد جـ٩ / ١٥٩ .
( ٢ ) رواه مسلم جـ٢ / ١٩٧ .
( ٣ ) رواه الامام أحمد جـ٢ / ١٧٤ .

## ـ المبحث السادس ـ

## قيود نوال الشفاعة والانتفاع بها في الآخرة وحكمة الشفاعة

ان كل ماتقدم من الشفاعات الثابتة للانبياء والعلماء والشهداء والصالحين من هذه الأمة ، لا تنال بمجرد التمني الفارغ غير المتبوع بعمل سليم صادق .

ولقد غلط الكثير من الناس حين فهموا من أحاديث الشفاعة ان الامر سهل وميسور فان لم ينجوا باعمالهم فانهم يعتمدون على النجاة بشفاعة الشافعين ، فيتكلمون ولا يعملون ولا يأخذون بالاسباب .

انه لا يوجد بين الله وبين خلقه سوى نسب التقوى والايمان والعمل الصالح وان من ابطأ به عمله ، وقعد به ذنبه وانحرافه لم يسرع به نسبه في الآخرة وحتى ان انتسب لبيت المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وقد أعلنها صلى الله عليه وسلم صريحة واضحة مدوية ان الانساب في الآخرة منبتة مقطوعة ، الا انتساب المؤمن لجماعة المؤمنين الطائعين .

قال صلى الله عليه وسلم " يابني عبد مناف ، لا أملك لكم من الله شيئا ، ياصفية ياعمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أملك لك من الله شيئا ، ياعباس عم رسول الله ، لا أملك لك من الله شيئا "(١) .

وفي الصحيح ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ انه قال " لا ألفين أحدكم يأتي يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء ، أو شاة لها ثغار ، أو رقاع تخفق ، فيقول : اغثني اغثني ، فأقول : قد ابلغتك ، لا أملك لك من الله من شيء "(٢) .

---

(١) رواه مسلم ١/١٣٣ .

(٢) اخرجه البخاري ٢/٢٦٦ ، ومسلم ٦/١٠ ، وأحمد ٢/٤٢٦ .

فاذا كان سيد الخلق وافضل الشفعاء يقول لاخص الناس به " لا أملك لكم من الله من شيء " فما الظن بغيره اذا لم يأت موحدا مات على الشهادة ومتلسا من الخير .

هذا وان الشفاعة لا تنال الا بقيود شديدة ، فلا تتم لعبد من عباد الله تعالى الا بعد توفرها فيه وتلك القيود :-

١ - ان لا يشفع أحد الا بعد اذن الرب تبارك وتعالى له ، ( من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه )[١] .

٢ - لا يشفع أحد في آخر الا اذا كان الله تعالى قد رضي عن المشفوع فيه بارتضائه قوله وعمله ، ( ولا يشفعون الا لمن ارتضى )[٢] .

٣ - لا يشفع احد فيمن مات على الشرك والكفر ، وذلك لحكم الله تعالى بخلود الكافرين والمشركين في النار ، بقوله تعالى : ( ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية )[٣] .

فالشفاعة تكون لمن مات على التوحيد وعلى شهادة أن لا اله الا الله خالصا من القلب . لما أجاب الرسول صلى الله عليه وسلم على من سأله : من اسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا اله الا الله خالصا من قلبه[٤] .

ويدليل ماورد في صحيح البخارى من قوله صلى الله عليه وسلم " ثم اشفع فيحد لي حدا فأدخلهم الجنه " أى ان الله تعالى يعين له بمن يشفع فيهم ، وهذه من الادلة الواضحه على انه لا يشفع صلى الله عليه وسلم فيمن يريد ، بل لمن

---

( ١ ) سورة البقرة / ٢٥٥ .
( ٢ ) سورة الانبياء / ٢٨ .
( ٣ ) سورة البينه / ٦ .
( ٤ ) رواه البخارى ١/٣٦ ، والامام أحمد جـ٢ / ٣٧٣ .

يأذن الله له في الشفاعة فيهم ، وبذلك يتبين ان الشفاعة لله جميعا كما صرحت بهذا آيات الكتاب العزيز (١).

الموعودون بالشفاعة :-

هناك اعمال وطاعات عينها الرسول صلى الله عليه وسلم ينبغي ان يحرص عليها المسلم لشفعه شفاعة المصطفى صلى الله عليه وسلم :-

١ - في الحديث الذى مر آنفا وقوله صلى الله عليه وسلم : " أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامه " من قال : لا اله الا الله خالصا من نفسه (٢).

٢ - من يسأل الوسيله والفضيلة للرسول صلى الله عليه وسلم بعد النداء للصلاة :

عن جابر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامه والصلاة القائمة ، آت محمدا الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته ، حلت له شفاعتي يوم القيامه " (٣).

٣ - الصابرون على جهد المدينة وجدبها وشدة جوها :-

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ولا يثبت أحد على لاواء المدينة وجدبها الا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة " (٤).

---

( ١ ) انظر كتاب شرح كتاب التوحيد من صحيح البخارى لعبد الله الغنيمان ٣٠٢.

( ٢ ) رواه البخارى جـ١ / ٣٦ وأحمد جـ٢ / ٣٧٣.

( ٣ ) رواه البخارى جـ٦ / ١٠٨ ومسلم جـ٢ / ٤ .

( ٤ ) رواه مسلم . انظر شرح النووى جـ٩ / ١٣٦ ، والامام أحمد جـ١ / ١٨١.

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها ، فاني أشفع لمن يموت بها "(١).

٤ ـ كثرة الصلوات النوافل :ـ

لما صح عنه صلى الله عليه وسلم " أنه سأله أحد أصحابه مرافقته في الجنه ، فقال له : أعني على نفسك بكثرة السجود "(٢).

لكن ينبغي على المسلم أن يتأدب وأن يتعلم كيف تطلب الشفاعة . فلا يتجه الى الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة وبعد أن يلحق بالرفيق الأعلى ، ويطلب منه الشفاعة فانه لا يسأل الا الله تعالى .

وليقل السائل : اللهم شفع نبيك فيّ ، أو اللهم ارزقني شفاعة رسولك .

أو يارب اجعلني ممن يشفع فيهم نبيك صلى الله عليه وسلم .

وليلتزم بما سبق من الطاعات والأعمال الصالحه ، وليتقيد بالقيود التي وضعها العلماء وليتبع سيرة صاحب الشفاعة صلى الله عليه وسلم في كل شؤونه صغيرها وكبيرها ، والله يختص برحمته من يشاء .

حكمة الشفاعة :ـ

في الشفاعة حكم تظهر للمتدبر أمرها فأول حكمها تظهر لنا فيها عظمة الجبار القهار ملك الملوك تبارك وتعالى فهي من مظاهر كبريائه وعظمته ، وسلطانه في ملكوته وتفرده في الحكم والأمر حيث يتجرد كل ذى منصب أو جاه أو سلطان ممن

---

(١) رواه الترمذى / كتاب المناقب ـ حديث رقم ٦٧ جـ٥ / ٣٧٧ ، نشر المكتبة السلفية ـ المدينة المنوره .

(٢) رواه مسلم ٢ / ٥٢ .

كان يملكه في الدنيا بالحق أو بالباطل ، فتظهر عظمة الموقف ورهبة المقام وشدة الهول بين يدى قيوم السموات والأرض ، وتخشع الأصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا ، وتجلت عبودية الخلق الكامله وافتقارهم الكامل الى ربهم وتضرعهم بين يديه ، وفي نفس الوقت ظهرت عظمة الخالق وتعززه سبحانه في ربوبيته وكمال جلاله وعظمة أمره .

والحكمة الثانية التي تتبدى لنا من قضية الشفاعة في الآخره هي اظهار مقام الشافع وابراز فضله وتكريم سمعاه على رؤوس الأشهاد من الأولين والآخرين .

ويفوز بهذا المقام العظيم والتشريف الذى تتلاشى عند ذكره كل تشريفات الدنيا ومظاهر أبهتها المحدوده الصغيره ، حيث يقوم صلى الله عليه وسلم مقاما يحمده ويثني عليه بل ويغبطه عليه كل البشر وعلى رأسهم خير خلق الله من الأنبياء والمرسلين والصالحين .

وكذلك تكريم واظهار مكانة كل من يشفع في اناس لاخراجهم من النار وبكرمهم وبجيبهم طلبهم .

وحكمة أخرى هي اظهار رحمة الله الواسعه ، وفضله العظيم وحلمه وكرمه في قبول شفاعة من يأذن الله له في يوم يغضب فيه الجبار غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ولكنه سبحانه ذو الرحمة الواسعة ورحمته تسبق غضبه تبارك وتعالى .

ثم اظهار شدة رأفة الرسول صلى الله عليه وسلم ورحمته وشفقته بأمته ، وذلك يظهر لنا بقوله صلى الله عليه وسلم في الموقف العصيب الذى يتراجع فيه أولوا العزم من الرسل عن الاستشفاع عند الجبار سبحانه بقول كل منهم نفسي نفسي .

لكن المصطفى صلى الله عليه وسلم يتهلل وجهه ويتلألأ نورا ويفيض عزما وهمه ويقول أنا لها أنا لها ،ثم أول ما يستشفع فيه أمته بقوله يارب أمتي يارب أمتي ، وهذا دليل على حب الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته وحرصه على حجز أتباعه العاصين عن النار ، وشدة مناشدته ربه في ذلك فيحز عليه صلى الله عليه وسلم أن يترك العصاه المذنبين من أمته لتلتهمهم النار الهائجه الغضبى على حين غضب عليهم الله عز وجل ،فيناشد الرسول صلى الله عليه وسلم ربه في هؤلاء المذنبين كما صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتي الجنه ، فاخترت الشفاعه لأنها أعم وأكفي ،أترونها للمتقين ؟ ولكنها للمذنبين الخاطئين المتلوثين "(١).

فلا يترك الهالكين من أهل الكبائر يواجهون مصيرهم بما كسبته أيديهم فصلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا وصدق الله تعالى اذ وصفه بقوله : ( لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم )(٢).

---

( ١ ) رواه الامام أحمد ٢ / ٧٥ ،و ج٤ / ٤٠٤ .

( ٢ ) سورة التوبه / ١٢٨ .

## ـ المبحث السابع ـ

## التوسل والوسيله ، معناهما لغة وشرعا

## وبيان معنى المشروع منهما ، وغير المشروع

قال تعالى في سورة الاسراء : ( قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ) ( ٥٦ ) .

( أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا ) ( ٥٧ ) .

المعنى الاجمالي :ـ

قل لهؤلاء المشركين الذين يعبدون من دون الله من خلقه : ادعوا من زعمتم اربابا وآلهة من دونه ، عند ضر ينزل بكم ، أو كرب ينتابكم ، وانظروا هل يقدرون على دفع ذلك عنكم ، أو تحويله عنكم الى غيركم ، اى ، فانهم لا يقدرون على ذلك ولا يملكونه ، وانما يملكه ويقدر عليه خالقكم وخالقهم سبحانه .

سبب النزول :ـ

روى الطبرى عن ابن عباس ان الآية عني بها قوم مشركون كانوا يعبدون المسيح وعزيرا والملائكة ، وبعضهم كانوا يعبدون نفرا من الجن ، فاخبرهم الله تعالى ان هؤلاء عبيده يرجون رحمته ويخافون عذابه ، ويتقربون اليه بالاعمال ، فما أجدركم ان تتوجهوا الى الله كما يتوجه اليه من تدعونهم آلهة من دون الله وهم عباد الله يبتغون رضاه (١) .

فاذا كان من تدعونهم وتتعلقون بهم يتوجهون هم الى الله ويتقربون الى خالقهم سبحانه فحريكم انتم ان تبتغوا الوسائل والقربات لتتقربوا الى ربكم دون سواه .

( ١ ) تفسير الطبرى جـ ١٥ / ٧١ .

وقد دعا الله عز وجل عباده الى ابتغاء الوسيله في آية أخرى حيث يقول سبحانه : ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون )[١] .

ولهذا فسنبحث موضوع الوسيلة والتوسل في المباحث القادمة لنرى المشروع منها والممنوع .

معنى التوسل في اللغة :-

قال في القاموس : ( الوسيلة والواسله : المنزلة عند الملك والدرجة والقربة ، ووسل الى الله توسيلا : عمل عملا تقرب به الى الله )[٢] .

وقال في اللسان : ( الوسيلة : الوصلة والقربى ، ووسل فلان الى الله وسيله ، اذا عمل عملا تقرب به اليه )[٣] .

وقال الراغب : ( حقيقة الوسيله الى الله ، مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحرى أحكام الشريعه )[٤] .

فمعنى التوسل يدور حول المنزله عند الملك ، وعلى الدرجة والقربه ، والتوسل والواسل بمعنى واحد وتجمع الوسيله على وسائل .

أما الوسيله في الشرع :-

فهي العمل الصالح الذي يقدمه المؤمن بين يدي رغبته ، يتوسل به الى الله تعالى ليرفع درجته ، أو يقضي حاجته بحصول نفع أو لدفع ضر[٥] .

---

( ١ ) سورة المائدة / ٣٥ .
( ٢ ) القاموس المحيط جـ٤ / ٦٥ .
( ٣ ) لسان العرب جـ٦ / ٤٨٣٧ .
( ٤ ) المفردات ٥٢٤ .
( ٥ ) عقيدة المؤمن ١٢٣ .

أو هي التقرب الى الله بطاعته وعبادته ،واتباع انبيائه ورسله بكل عمل يحبه الله ويرضاه .

كما قال ابن عباس : الوسيلة : هي القربة . . . فكل ما أمر به الشرع من الواجبات والمستحبات فهو توسل شرعي ووسيلة شرعية (١) .

وقال ابن جرير في قوله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة ) .

يقول : واطلبوا القربة اليه بالعمل بما يرضيه ،والوسيلة هي الفعيلة من قول القائل توسلت الى فلان بكذا ،بمعني تقربت اليه (٢) .

واطلقت الوسيلة كذلك على اعلى درجة في الجنة وهي التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ،فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة " (٣) .

التوسل في مفهوم الصحابة :-

قال شيخ الاسلام : "لفظ التوسل قد يراد به ثلاثة أمور :-

١ - التوسل باصل الايمان والاسلام وهو التوسل بالايمان به صلى الله عليه وسلم وبطاعته .

٢ - ان يطلب منه صلى الله عليه وسلم الدعاء والشفاعة ،فيكونون متوسلين ومتوجهين بدعائه وشفاعته ،ودعاؤه صلى الله عليه وسلم من أعظم الوسائل عند الله .

٣ - الاقسام على الله عز وجل بالانبياء والصالحين ، أو السؤال بانفسهم . وهي مسألة فيها نزاع لكن لم يقدر أحد على ان ينقل فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

---

( ١ ) انظر التوصل الى حقيقة التوسل - نسيب الرفاعي - ص ١١-١٢ ط. الاولى بيروت.
( ٢ ) تفسير الطبري ٦/٢٢٦ .
( ٣ ) رواه مسلم جـ٢ / ٤ وأحمد جـ٢ / ٢٦٥ .

شيئا ثابتا ،لا في الاقسام أو السؤال به ،ولا في السؤال والاقسام على الله ، بغيره من المخلوقين (١) كما سنرى فيما بعد .

بيان التوسل المشروع وغير المشروع اجمالا :-

التوسل نوعان : مشروع وممنوع ،وسنحدد كل نوع منهما بتعريف .

التوسل المشروع :-

هو كل ما كان موافقا لما شرعه الله من التقرب اليه بالطاعات والاعمال التي يحبها الله ويرضى عنها .

والوسيلة المشروعة والجائزة : هي كل وسيله اذن الشارع فيها ندبا أو ايجابا أو اباحة .

أما التوسل غير المشروع :-

فهو التقرب الى الله تعالى بغير ماشرع لعباده في كتاب أو سنه .

والوسيله غير الجائزه : هي التي لم يأذن الشارع فيها كراهة أو تحريما .

ولا فرق في ذلك بين التوسل في الأمور الدنيويه أو الدينيه ، فلابد من اذن الشارع في جواز الوسيله .

فقاعدة ( الغايه تبرر الوسيله ) باطلة في نظر الاسلام ،لان الغايه الطيبة الشريفه لا يتوصل اليها بوسيلة خسيسه ،والعمل المشروع لا يتوصل اليه بوسيلة محرمه .

وكل توسل وتقرب الى الله تعالى بغير ماشرعه من العبادات والقربات اذا لم يكن له اصل في الشريعه ،فهو باطل مردود ولا يقبله الله تعالى .

---

( ١ ) قاعدة جليله في (التوسل والوسيله ) -لابن تيميه -ص٨٩-١٠٣ ) الطبعة السلفيه .

## ـ المبحث الثامن ـ

## أمثله على التوسـل المشروع

أولا : التوسل بالايمان :ـ

فافضل الوسائل واشرف الاعمال التي يتوسل بها الى الله تعالى هو الايمان بالله تعالى ، وبكل ما أمر به من الملائكه والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر ، وقد رضيه الله تعالى وسيلة اليه واثنى على المتوسلين به في القرآن : واليك الامثلة :ـ

١ ـ المؤمنون من أهل الكتاب توسلوا بأيمانهم ( ربّنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين )[١] .

٢ ـ وأولوا الألباب الذين يتفكرون في خلق الله يتوسلون اليه بما قال عنهم سبحانه :ـ

( ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار )[٢] .

وفي السنة أدلة على التوسل بالايمان بالله تعالى : مثل :ـ

١ ـ عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فلان : اذا أويت الى فراشك فقل : اللهم اسلمت نفسي اليك ووجهت وجهي اليك ، وفوضت أمري اليك والجأت ظهري اليك ، رغبة ورهبة اليك ، لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك ، آمنت بكتابك الذي انزلت ، وبنبيك الذي أرسلت ، فان مت من ليلتك ، مت على الفطره ، وان اصبحت اصبحت خيرا "[٣] .

---

( ١ ) المائدة / ٨٣ .

( ٢ ) آل عمران / ١٩٣ .

( ٣ ) رواه البخاري ـ كتاب التوحيد جـ٩ / ١٧٤ ، ومسلم جـ٨ / ٧٧ وأحمد جـ٤ / ٢٨٥ .

٢ ـ المرأة الصالحه التي توسلت بايمانها وهجرتها ، مع الرسول صلى الله عليه وسلم أحيا الله لها ابنتها :ـ

روى أبوبكر بن أبي الدنيا عن ثابت عن أنس قال : دخلنا على رجل من الانصار وهو مريض ثقيل فلم نبرح حتى قبض ، فبسطنا عليه ثوبه ، ولبه أم عجوز كبيرة عند رأسه ، فالتفت اليها بعضا وقال ياهذه احتسبي مصيبتك عند الله . قالت : وماذاك مات ابني ؟ قلنا : نعم . قالت احق ماتقولون ؟ قلنا : نعم . فمدت يدها الى الله فقالت اللهم انك تعلم انى اسلمت وهاجرت الى رسولك رجاء ان تعقبني عند كل شدة فرجا ، فلا تحمل على هذه المصيبة اليوم ، قال فكشفت الثوب عن وجهه فما برحنا حتى طعمنا معه (١) .

ثانيا : التوسل الى الله بأسمائه وصفاته :ـ

أ ـ أدلته من القرآن :ـ

١ ـ قال تعالى حاثا عباده على دعائه باسمائه وصفاته : ( ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها ) الاعراف ١٨٠ .

وقال ( قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ) الاسراء ١١٠ .

٢ ـ واستمع الى دعاء الخليل عليه السلام وتوسله الى ربه باسمائه الحسنى وصفاته العلى :ـ

( ربنا انك تعلم ماتخفي وما نعلن ، وما يخفى على الله من شئ في الأرض ولا في السماء ، الحمد لله الذى وهب لي على الكبر اسماعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء ) .

---

(١) التوسل والوسيله / ١٤٨ .

رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ،ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ) سورة ابراهيم ٣٨-٤١ .

ب - أدلة التوسل بالاسماء والصفات من السنة :-

١ - سمع الرسول صلى الله عليه وسلم رجلا يقول : اللهم اني اسألك بانى اشهد ان لا اله الا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، فقال صلى الله عليه وسلم : لقد سألت الله عز وجل باسمه الاعظم (١) .

٢ - وعن أنس رضي الله عنه انه كان جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجل يصلي ، ثم دعا : ( اللهم لا اله الا أنت المنان ،بديع السموات والأرض ياذا الجلال والاكرام ياحي ياقيوم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لقد دعا باسمه الاعظم الذى اذا دعي به أجاب واذ سئل به أعطى (٢) .

ثالثا : التوسل الى الله بالاعمال الصالحه :-

أ - دليله من القرآن :-

١ - دعاء ابراهيم واسماعيل عليهما السلام بعملهما الصالح وهو رفع أركان البيت العتيق ( واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ، ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ،ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ) البقرة ١٢٧-١٢٨ .

٢ - توسل موسى عليه السلام ومن معه بتوكلهم على الله تعالى حق التوكل :-

(وقال موسى لقومه ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مؤمنين ،فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ، ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ) (٣) .

---

( ١ ) رواه ابن ماجه جـ٢ / ١٢٦٨ .
( ٢ ) رواه الترمذى جـ٥ / ٢١٠ ،ورواه أحمد جـ٣ / ١٥٨ .
( ٣ ) سورة يونس / ٨٤-٨٦ .

ب - دليل التوسل الى الله بالاعمال الصالحة من السنة المطهرة :-

١ - حديث الثلاثة الذين آواهم الغار ؛ فتوسل كل واحد منهم الى ربه بعمل صالح :-

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ؛ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ؛ " انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم ، حتى آواهم المبيت الى غار ، فدخلوا فانحدرت صخرة من الجبل ، فسدت عليهم الغار ، فقالوا ؛ انه لا ينجيكم من هذه الصخرة ، الا أن تدعوا الله بصالح اعمالكم ، فقال رجل منهم ؛

اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران كنت لا أغبق[1] قبلهما اهلا ولا مالا فنأى بي طلب الشجر يوما ، فلم أرح عليهما حتى ناما ، فحلبت لهما غبوقهما ، فوجدتهما نائمين فكرهت ان اغبق قبلهما اهلا ولا مالا ، فلبثت والقدح على يدي ، انتظر استيقاظهما ، حتى برق الفجر - زاد بعض الرواة ( والصبية يتضاغون عند قدمي ) فاستيقظا فشربا غبوقهما .

اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منها قال النبي صلى الله عليه وسلم قال الآخر ؛ " اللهم كانت لي ابنة عم ، كانت أحب الناس الي .. فأردتها عن نفسها فامتنعت مني ، حتى المت بها سنة من السنين ، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار ، على أن تخلي بيني وبين نفسها ، ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت ؛ لا يحل لك ان تفض الخاتم الا بحقه ، فتحرجت من الوقوع عليها ، فانصرفت عنها وهي أحب الناس الي ، وتركت الذهب الذي أعطيتها اللهم ان فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، ففرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة غير انهم لا يستطيعون الخروج منها .

---

( ١ ) الغبوق ؛ يقال غبقت الرجل اغبقه ( بضم الباء والقاف ) غبقا اى سقيته عشاء .

قال النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال الثالث : اللهم اني استأجرت اجراء وأعطيتهم اجرتهم غير رجل واحد ترك الذي له ،وذهب . . . فثمرت اجره ،حتى كثرت منه الاموال فجاءني بعد حين ،فقال لي : ياعبدالله أدّ لي اجري. فقلت كل ماترى أجرك ، من الابل والبقر والغنم والرقيق !!! فقال ياعبدالله لا تستهزئ بي !! فقلت اني لا استهزئ بك ،فاخذه كله ،فساقه فلم يترك منه شيئا ، اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا مانحن فيه ، فافرجت الصخرة .. فخرجوا يمشون (١) .

٢ - وهذا ابن مسعود رضي الله عنه كان يقوم لصلاة الليل ،وبعد الانتهاء منها يدعو قائلا : " اللهم امرتني فاطعتك ،ودعوتني فاجبتك ،وهذا سحر فاغفر لي " .

٣ - وهذا عراك بن مالك رضي الله عنه صحابي جليل كان اذا صلى الجمعه ،انصرف فوقف على باب المسجد فقال : اللهم اني اجبت دعوتك ،وصليت فريضتك ،وانتشرت كما أمرتني ،فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين (٢) .

رابعا :- التوسل الى الله بالدعاء . من نفس الداعي ،أو بدعاء الغير :-

مثال لدعاء المرء من لنفسه :-

فيدعو بالادعية الواردة والمأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل سيد الاستغفار ( اللهم انت ربي لا اله الا أنت خلقتني وأنا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ماصنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت (٣) .

---

( ١ ) رواه البخاري باب الاجاره ج٣/ ١١٩ .

( ٢ ) رواهما ابن أبي حاتم وانظر التوصل الى حقيقة التوسل ١٢١ - ١٣٠ .

( ٣ ) رواه البخاري - كتاب الدعوات ج٨/ ٨٣ وأحمد ج٤/ ١٢٢ ، ١٢٥ .

والتوسل بدعاء الغير : اثنى الله تعالى على من يدعون لاخوانهم :-

( والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان )[١]

وفي السنة روى مسلم قوله صلى الله عليه وسلم : " دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابه ،عند رأسه ملك موكل ،كلما دعا لاخيه بخير . قال الملك الموكل آمين ، ولك بمثل "[٢].

ومن التوسل بدعاء الغير استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنهما .

واستسقاء الصحابة رضي الله عنهم بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم ايام القحط .

وكاستسقاء معاوية رضي الله عنهما بدعاء يزيد بن الاسود والامثلة كثيرة سنراها فيما بعد .

خامسا : التوسل بحمد الله والصلاة والسلام على رسوله :-

أ - حث الله تعالى على ذلك في كتابه قائلا : ( ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما )[٣].

ب - من السنه :-

١ - كما جاء في حديث ابي بن كعب رضي الله عنه قال : قلت يارسول الله : " اني أكثر الصلاة عليك ،فكم اجعل لك من صلاتي ؟ قال ماشئت . قال في آخره : الثلثين ؟ قال : ماشئت ،وان زدت فهو خير لك ،قلت اجعل لك صلاتي كلها ،قال : اذا تكفى همك ويغفر ذنبك "[٤].

---

( ١ ) سورة الحشر / ١٠ .
( ٢ ) رواه أحمد جـ١/ ١٩٥ وجـ٦/ ٤٥٢ وابن ماجه في كتاب المناسك .
( ٣ ) سورة الاحزاب / ٥٦ .
( ٤ ) رواه الترمذي - كتاب القيامه - .

٢ - وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا "(١).

٣ - وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته لم يحمد الله ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم : " عجلت ايها المصلي ، اذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو اهله وصل علي ثم ادعه "(٢).

سادسا : التوسل الى الله تعالى بأداء الفرائض كلها :-

من صلاة وصيام وزكاة وحج ، والتنفل في كل ذلك .

وجميع أنواع الطاعات من تلاوة القرآن الكريم ، والذكر والتسبيح ، والجهاد والرباط في سبيل الله ، والاستغفار والعمرة الى العمرة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر الي غير ذلك . لحديث ماتقرب الى عبدى بمثل اداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه ... "(٣).

سابعا : التوسل الى الله تعالى بترك المحرمات :-

فاذا ترك المؤمن المعاصي خوفا من الله تعالى وحياء منه وهو قادر على فعلها ، رفع الله درجته وغفر ذنبه وبدل سيئاته حسنات ، ومن الأمثلة :-

في حديث الثلاثة الذين آواهم المبيت الى الغار ، توسل أحدهم الى ربه بتركه ارتكاب محرم واقلاعه عن الفاحشه بعد أن تمكن من الحرام وكان قادرا عليه لكنه لما ذكرته ابنة عمه بالله استحيا من ربه وتذكر قدرته عليه ، وفرج الله عليهم الصخرة بعض الشيء بهذه الوسيلة الصالحة .

في قوله صلى الله عليه وسلم " ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة "(٤).

وللبخارى ايضا في كتاب التوحيد (وان تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة)(٥).

---

(١) رواه أحمد جـ٢ / ١٦٨ .
(٢) رواه الترمذى وقال : حديث حسن جـ٥ / ١٧٩ .
(٣) رواه أحمد جـ٦ / ٢٥٦ .
(٤) رواه البخارى كتاب الرقاق جـ٨ / ١٢٨ وأحمد جـ١ / ٢٢٧ .
(٥) البخارى كتاب التوحيد جـ٩ / ١٧٧ .

## ـ المبحث التاسع ـ

## امثلة على التوسل غير المشروع

التوسل الممنوع له وجوه كثيرة[1] سنوجز الحديث عنها باذن الله :ـ

الوجه الأول : التوسل الى الله بذات وشخص المتوسل به :ـ

كان يقول المتوسل : اللهم اني أتوسل اليك بفلان ،أو أسوق اليك فلانا ، ويقصد ذاته وشخصه لا دُعاءه .

وقد ذم الله تعالى توسل المشركين حين توسلوا بأولياء بينهم وبين الله تعالى :ـ

﴿الا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ،ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ، ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار[2] ﴾.

فاتخاذ الوسائل والاولياء بين الله تعالى وبين خلقه ، كما يفعل الناس مع ملوك الدنيا وسلاطينها حين يتقربون اليهم بواسطة بعض من لهم الحظوة عندهم ، لا يصلح في دين الله ، ولا يجوز استعمالها في حق الله تعالى للتقرب منه أو لطلب الحاجات منه سبحانه .

فالله سبحانه وتعالى جعل واسطة بينه وبين عباده هم الرسل والانبياء ، ليبلغوا خلقه ما يحبه ويرضاه ، وليبينوا لهم أوامره ونواهيه وأمر دينهم .

أما اعتقاد انه لابد من واسطة بين الناس وبين خالقهم ،لجلب خير أو لدفع ضر قاصد بين التقرب بذوات هؤلاء الوسطاء واشخاصهم لا دعاءهم وشفاعتهم ،ان ذلك

---

( ١ ) انظر بتوسع : التوصل الى حقيقة التوسل ( ١٧٧ ) فما بعدها .

( ٢ ) سورة الزمر / ٣ .

عقيدة واقدة وهي من رواسب الجاهليه كما رأينا في الآية السابقة كيف كفر الله المشركين لانهم وسطوا الاولياء بينهم وبين الله تعالى .

الوجه الثاني : من التوسل غير المشروع :-

التوسل بالجاه وبالحق والحرمة :-

كأن يقول : اللهم اني أتوسل اليك بجاه فلان عندك ، أو بحقه عليك ، أو بحرمته وبركته ، ان تقضي حاجتي ...

وان استدل المجيزون لذلك بحديث :-

" اذا سألتم الله فسلوه بجاهي فان جاهي عند الله عظيم " حديث باطل لا أصل له (١) !

والصحابة الكرام لم يثبت عنهم أثر صحيح انهم توسلوا الى الله تعالى بجاه أو حق الرسول صلى الله عليه وسلم مع أنه أحب الناس اليهم ، ولو كان ذلك جائزا لم يتأخروا عن التوسل الى الله به .

وأما حديث : " اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك " فقد أجاب العلماء عنه بجوابين (٢) :-

١ - ان هذا الحديث ضعيف السند لا تؤخذ منه الاحكام الشرعيه ، وبالتالي فهو ليس بحجه .

٢ - ان هذا اللفظ لو فرضنا صحته ، فانه لا يدل على سؤال الله تعالى بحق فلان أو فلان ، لان معنى بحق السائلين عليك : اللهم استجب لي كما تستجيب للداعين ، فانك قلت ( ادعوني أستجب لكم ) فهو طلب من الله ان ينجز وعده ،

---

( ١ ) انظر التوسل والوسيله - لابن تيميه - ١٣٢ ، والتوصل الى حقيقة التوسل ٢٥١ .

( ٢ ) التوصل الى حقيقة التوسل - ٢٤٦ ، وانظر التوسل أنواعه وأحكامه للشيخ الألباني / ١١٤ .

بالاجابه ، وبذلك يكون قد سأل الله تعالى بصفة من صفاته الفعليه وهي الاجابه للداعين والمثوبة للعاطين بطاعته .

وكل الاحاديث التي ورد فيها الدعاء بلفظ ( حق فلان ) من انبياء ومرسلين أو غيره أو جاه فلان ، أو ( حق الانبياء قبلي ) قد حكم علماء الحديث بضعفها بل ببطلانها أو وضعها وعدم صلاحيتها للاحتجاج (١) .

الوجه الثالث : الاقسام على الله تعالى بالتوسل به :-

كأن يقول : اللهم اقسم عليك بفلان ان تقضي حاجتي .

فهذا غير جائز قال شارح الطحاويه ( وان الاقسام على الله بحق فلان فذلك محذور ، لأن الاقسام بالمخلوق لا يجوز ، فكيف على الخالق ، وقد قال صلى الله عليه وسلم من حلف بغير الله فقد أشرك . . . (٢) .

والله سبحانه وتعالى لا يجار عليه بأحد كما قال ( وهو يجير ولا يجار عليه ) (٣)

وأما قوله صلى الله عليه وسلم ( رب اشعث اغبر مدفوع بالابواب لو أقسم على الله لابره ) (٤) .

وما ورد من ان البراء بن مالك رضي الله عنه كان يقسم على الله تعالى فنيسر قسمه ، فهذا اقسام على الله تعالى به سبحانه ، وليس اقساما عليه بمخلوق (٥) .

الوجه الخامس : من التوسل الممنوع :-

التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاته بطلب الشفاعة أو قضاء الحاجات :-

---

( ١ ) التوسل والوسيله / ١٣٢ و ١٥٠ وكتاب التوسل وأنواعه وأحكامه للالبانى ٩١-٩٣ .
( ٢ ) انظر شرح الطحاويه ٢٦٢ - ٢٦٣ .
( ٣ ) سورة المؤمنون / ٨٨ .
( ٤ ) رواه مسلم كتاب البر ج٨/ ٣٦ .
( ٥ ) راجع التوسل والوسيله ٢٥٢ و ١٥٠ .

واستدل المجيزون لذلك بحديث الضرير : الذى رواه الامام أحمد واصحاب السنن بسند لا بأس به .

ومنه : ( أن رجلا ضرير البصر اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ادع الله أن يعافيني قال : ان شئت دعوت لك ، وان شئت صبرت فهو خير لك ، فقال : ادعه فأمره صلى الله عليه وسلم ان يتوضأ فيحسن الوضوء فيصلي ركعتين ويدعوا بهـــذا الدعاء :-

( اللهم اني اسألك وأتوجه اليك بنبيك نبي الرحمة ، يامحمد اني توجهت بك الى ربي في حاجتي هذه فتقضي لي ، اللهم شفعه فيّ ، قال ففعل الرجل فبرىء )[1] .

واستدل بعض الناس بهذا الحديث على جواز التوجه الى الرسول صلى الله عليه وسلم بعد موته لقضاء الحوائج والكشف عن الضر والكرب قائلا بان الرسول صلى الله عليه وسلم حي في قبره .

وأجاب العلماء المانعون لذلك :-

١ - أن هذا الحديث هو توسل الى الله تعالى بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم وشفاعته ، ولهذا قال الضرير ، ( وشفعه فيّ ) فسأل الله ان يقبل شفاعة رسوله وهو دعاؤه له )[2] .

٢ - ان الدعاء بهذا الحديث فقد اهم أركانه بوفاة المصطفى صلى الله عليه وسلم : صحيح ان الله حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء تكريما لهم ، لكن هذه المكرمة لا تخولهم ان يخاطبهم الناس ويتوجهون اليهم بطلب دعائهم وشفاعتهم كما كانوا أحياء ، فان الميت قد انقطع عمله الا من ثلاث كما هو ثابت .

---

( ١ ) رواه أحمد ٤/١٣٨ .

( ٢ ) التوسل والوسيلة / ٩٥ - ١٠٧ .

فاذا قال احدهم اليوم : اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك . . . الخ كان كاذبا في قوله ؛ لانه لم يقدم بين يدى دعائه الرسول صلى الله عليه وسلم ليدعو له حتى يقول اللهم اني أتوجه اليك بنبيك ، فهذا يختلف عن ظرف حديث الضرير حيث قام الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو له .

لكن لا بأس بأن يفعل المسلم هذه الوسيله التي علمها الرسول صلى الله عليه وسلم لذلك الذى كان ضريرا ، وذلك بأن يتوضأ فيحسن الوضوء ، ويصلي ركعتين ويقول :

اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بايماني وحبي لنبيك نبى الرحمة صلى الله عليه وسلم ان تقضي لي حاجتي وتسمى هذه بصلاة الحاجه ، فانه يرجى أن يستجاب له ويقضي الله له ماطلب (١) .

وأما استدلال مجيزى التوجه الى الرسول ( بعد وفاته ) بطلب الشفاعة والدعاء منه :

بحديث استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنهما :-

ونص الحديث كما أخرجه البخارى : " ان عمر بن الخطاب كانوا اذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب : فقال : اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبيّنا فاسقنا ، قال : فيسقون (٢) .

فاعتبروا ان هذا الحديث يجيز التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم بعنون بذاته وشخصه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته .

---

( ١ ) عقيدة المؤمن / ١٤٧ - ١٥٠ .

( ٢ ) رواه البخارى ٢ / ٣٢-٣٣ .

وأجاب العلماء عن هذه الشبهة :-

بأن توسل الصحابة رضي الله عنهم بالنبي صلى الله عليه وسلم كانت صورته ان يطلبوا منه ان يدعوا الله تعالى لهم لا انهم كانوا يتوسلون بذات النبي صلى الله عليه وسلم أو جاهه مع انهما عظيمان كما قدمنا لكن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يربي اصحابه ويعلمهم ان يتوجهوا الى الله وحده فالدعاء عبادة بل هو مخها ولبّها وكان يربط قلوب أصحابه بخالقهم وحده لا شريك له ، وهم انما كانوا يتوسلون بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم حال حياته كما حصل وطلبوا منه الدعاء للسقيا والغيث وهو على المنبر ، ثم جاءوا وطلبوا منه الدعاء لوقف المطر وغير ذلك .

ولو كان التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم جائزا بعد موته ، لما عدل عمر عن التوسل به صلى الله عليه وسلم وقبره الشريف على بعد خطوات منه ليتوسل بالعباس رضي الله عنه ، ونتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم مباشرة ودون واسطه ، لكن هذا لم يرد عن الصحابة رضي الله عنهم لأنهم كانوا أعرف الناس بكيفية الدعاء وممن يطلبونه .

لكن من الجائز المشروع أن يقدم المسلمون مؤمنا صالحا يدعو لهم عند الحاجات وان كان من أهل البيت كان أحسن .

وهذه الصورة نقلت عن كثير من حكام المسلمين وخلفائهم ، كما توسل معاوية رضى الله عنهما بمؤمن تقي هو ( يزيد بن الأسود الجرشي ) وقال : اللهم انا نستشفع اليك بخيارنا ، يا يزيد ، ارفع يديك الى الله ، فرفع يديه ودعا ، ودعوا فسقوا (١) .

---

(١) التوسل والوسيله ٢٩ .
وانظر الدين الخالص - وحيد الدين بن خان - جـ٤ / ٢٤ - ٢٥ م المدني بمصر .
وعقيدة المؤمن ١٥٠ .

ولكن من غير الجائز أن يقدموا ميتا أو غائبا يتوسلون به أو بدعائه ،لأنه غائب لا يسمع ولا يرى فكيف يدعو لهم .

سابعا : من التوسل غير المشروع :-

التوجه في الدعاء الى الأولياء والصالحين والاستغاثة بهم ،والتوسل بجاههم ، وتزداد الطين بلة ان كانوا أمواتا وتكون الطامة ان قدم الجهلة لهم النذور والقرابين ،أو طافوا حول أضرحتهم طالبين منهم ما يطلب من الله وحده فقط ، وموجهين لهم تلك العبادات التي هي من حقوق الله . فالنذر والذبح لا يكونان الا لله فمن وجههما لغيره تعبدا فقد أشرك .

وصدق الله ( قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين )(١) .

ثم العكوف على تلك القبور وطلب الشفاعة منهم ، أو شفاء مرض أو كشف ضر كل ذلك من الوسائل الممنوعة شرعا ،وان في الوسائل الشرعية الكثيرة لغناء عن الوسائل الممنوعة المنحرفة ، أصلح الله أحوال المسلمين وأعان علماءهم على القيام بواجبهم الحق من تعليم الناس حقيقة دينهم وتقويم أعوجاج عقائدهم وعباداتهم والله الهادي الى سواء السبيل .

---

(١) سورة الأنعام ١٦٢ - ١٦٣ .

# البَابُ الثَّالِثُ

## فى الإسراء والمعراج والقدس

## ـ الباب الثالث ـ

## فـي

## الاسـراء والمعـراج والأرض المقدسـة

وفيه فصول :ـ

الفصل الأول : في الاسراء والمعراج .

الفصل الثاني : في المسجد الأقصى والقدس .

الفصل الثالث : في علاقة بني اسرائيل بالأرض المقدسة وبيان فسادهم فيهـــــــا .

## ـ الفصل الأول ـ

## في
## الاســـــراء والمعـــــراج

وفيه مباحث :ـ

المبحث الأول : مقدمات الاسراء والمعراج والحالة النفسية للرسول صلى الله عليه وسلم .

المبحث الثاني : حقيقته وثبوته ،وامكانيته وانه ليس مستحيلا .

المبحث الثالث : الاحاديث الواردة في الاسراء والمعراج .

المبحث الرابع : متى وقع ، وكم مرة حدث في تاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم .

المبحث الخامس : هل كان الاسراء والمعراج بالروح أم بالجســـــد أم بهما معا ؟ .

المبحث السادس: هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة المعراج .

المبحث السابع : الحكم والدلالات والعبر المستقاه من الاسراء والمعراج .

## - الفصل الأول -

## في

## الاســـــراء والمعـــــراج

### المبحث الأول : مقدمات الاسراء والمعراج

ويسير موكب الدعوة المباركه في مكة المكرمة سيرا ثابتا بطيئا ، لكن كله ابتلاءات ومحن وتضحيات ، فقائد المسيره محمد صلى اللـــه عليه وسلم ومن حوله من السابقين الأولين من المؤمنين على متن سفينـــة الاسلام يتحدون قوة الكفر وتيارات الصد عن سبيل الله ، بكل ما أوتى أهـل الجاهلية وشياطين الكفر من وسائل وما أمكنهم من اساليب شيطانيـــة ، بهدف اطفاء نور الدعوة الجديده وفتن الفئة المؤمنة عن دينها .

وبرغم ذلك تظل سفينة الحق تواصل السير تحدوها عناية الله وتعتصم بالصبر والثبات والتحمل في ذات الله .

ولكن قريشا قد تجاوزت الحد في الطغيان ، فقاطعت كل من ينتصر للنبي صلى الله عليه وسلم وصحبه ولو حمية ، كما حصل في مسألة الصحيفة التي آلوا فيها على أنفسهم مقاطعة بني هاشم والمطلب وحبسهم في شعب أبي طالب القفر ، حتى بلغ الجهد منهم مبلغه .

وتشتد المحنه ، وتستحكم الازمه ، وتتوالى الاحداث المحزنه وتـــنزل المنية بابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم شيخ قريش ومانع ابن أخيه من أذى قريش وناصره . ويزيد من هول الفجيعة لتتم سنة الله في ابتلاء الدعاة اليه ، بموت السيدة المهيبه في قومها خديجـــة بنت خويلـــــد

زوج النبى صلى الله عليه وسلم والتي واسته بنفسها ومالها ،والتى كانت تشاركه مغارم الجهاد المرير ، فكانت له وزيرة صدق تسرّى عن نفسه البلاء ،بما عهد عنها من عقل حصيف ، وقلب رحيم ،وصدر حنون ، وعبارات رزينه تغسل آثار الألم .

وتزداد اساءات قريش للنبى صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام ، وتقف من الدعوة الاسلاميه موقف العناد والاباء والمكابره ،وابداء أهل الحق والنبل منهم .

وهنا يبدو لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبحث لدعوته عن أرض جديده ،وقوم آخرين ، لعله يجد فيهم نصرة لدعوته ، أو قبولا لدينه .

فيمم صلى الله عليه وسلم هو ومولاه زيد بن حارثه شطر ثقيف بالطائف وعرض عليهم دعوته ودعاهم الى الله تعالى ، فردوا عليه أقبح رد ، وأغروا به سفهاءهم وصبيانهم يرمونه بالحجاره حتى سال الدم الطاهر الزكى من أعضائه الشريفة صلى الله عليه وسلم ،فيعود ادراجه الى مكه موئسا ما عليه ومعذرا لربه والأمر لله من قبل ومن بعد .

رحلة الاسراء والمعراج للتسرية عن نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم :-

ويمكن معرفة الحالة النفسيه التى كان يعيشها رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من الطائف بتدبر الدعاء الذى تضرع به المصطفى صلى الله عليه وسلم الى ربه قال صلى الله عليه وسلم :-

" اللهم انى اليك اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتى ، وهواني على الناس، أنت أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربى . .

الى من تكلني ؟ الى بعيد يتجهمني ، أم الى عدو ملكته أمرى ؟ ان لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ،غير أن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ،وصلح عليه أمر الدنيا والآخره ، ان يحل علي غضبك ،أو أن ينزل بي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ،ولا حول ولا قوة الا بك "(١) .

وفى تلك الغمرة من التآسي والأحزان ، وصدود القوم عن الايمان ، ومحاربة الدعوة بكل ما أوتى القوم من مكر وخبث ودهاء ، وبعد أن أحس المصطفى صلى الله عليه وسلم بالوحشة بعد وفاة الحبيبين ، خديجة العطوف ، وأبى طالب الشفيق ورحلته الى الطائف كما أسلفنا ، فبعد كل تلك الشدائد المتلاحقة التي بلغت أشدها فى العام العاشر من البعثه والذى اطلق عليه الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة عام الحزن .

---

(١) ذكر هذا الدعاء ابن اسحق في سيرته جـ١/ ٢٦٠ ، وكذا رواه ابن جرير جـ١/ ٨٠ ، وذكر فى زاد المعاد جـ٢ / ١٢٣ .
ومع أن الدعاء تناقلته معظم كتب السيره ، الا ان الهيثمى فى مجمع الزوائد ، رمز الى ضعفه لوجود ابن اسحق فى سلسلته . انظر مجمع الزوائد ( ٦/ ٣٥ ) .
وكذا أشار الشيخ الالبانى الى ضعفه فى تخريجه لاحاديث فقه السيره " للغزالى " ص ١٩٠ .

كانت رحمة الله بعبده وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم أن يسرى عن نفسه الجريحة ، وفؤاده المحزون فأكرمه الله برحلة الاسراء والمعراج ، وفيها أطلعه الحق جل جلاله على طرف من ملكوته العظيم ، مما ملأ نفسه رضى ، وقلبه نورا وطمأنينة وازداد ثقة بنصر الله لدعوته وتبليغ رسالة ربه ، فكانت حادثة الاسراء والمعراج .

## ـ المبحث الثانى ـ

## حقيقة الاسراء والمعراج وثبوتهما وامكانيتهما

### معنى الاسراء :ـ

الاسراء لغة : مصدر أسرى يسرى ، وسير عامة الليل ،ويقال أسراه وأسرى به ،وعلى الثانيه جاء القرآن الكريم (١) .

وجمهور المفسرين على أن سرى وأسرى بمعنى واحد وهما لغتان ، كسقى وأسقى ، وقد جمعهما قول حسان :

حيّ النضيرة ربّة الخدر أسرت اليك ولم تكن تسرى

وبعضهم يفرق بينهما ، فيقول : أسرى ـ سار من أول الليل ، وسرى سار من آخره (٢) .

وفى الاصطلاح : يقصد بالاسلاء تلك الرحله العجيبه ، التى ذهب الله تعالى فيها بنبيه صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام بمكة الى المسجد الأقصى ـ بايلياء ـ مدينة القدس فى جزء من الليل ثم رجوعه الى مكة من ليلته .

---

(١) انظر لسان العرب ـ لابن منظور ـ جـ١٤/ ٣٨١ دار صادر .

(٢) أضواء البيان ـ الشنقيطي جـ٣/ ٣٩٨ .

معنى المعراج :-

المعراج لغة : آلة العروج ، والعروج هو الذهاب في صعود .
والمعارج : هي المصاعد (١) .

وقال ابن الأثير : المعراج : شبه السلم ، مفعال ، من العروج ، أو الصعود ، كأنه آلة له ، مأخوذ من عرج يعرج عروجا اذا صعد (٢) .

والمعراج اصطلاحا : هو صعوده صلى الله عليه وسلم من بيت المقدس واختراقه السبع الطباق ، وما حصل له في تلك الرحلة من الاحداث العظام والآيات الربانية الكبرى والمشاهد العجيبة ، ثم رجوعه الى بيت المقدس في جزء من الليل .

---

(١) مفردات الراغب / ٣٢٩ .
المعراج : قال ابن حجر رحمه الله : وهو السلم كما وقع مصرحا به في حديث أبي سعيد عند ابن اسحق ، والبيهقي في الدلائل ولفظه " فلما فرغت مما كان في بيت المقدس أتي بالمعراج فلم أر قط شيئا كان أحسن منه ، وهو الذي يمد اليه الميت عينيه اذا حضر ، فأصعدني صاحبي فيه حتى انتهى بي الى باب من أبواب السماء " الحديث .

وفي رواية كعب " فوضعت له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب حتى عرج هو وجبريل " .

وفي رواية لأبي سعيد في ( شرف المصطفى ) أنه " أتي بالمعراج من جنة الفردوس وأنه منضد باللؤلؤ وعن يمينه ملائكة ، وعن يساره ملائكة " .

انظر فتح الباري جـ٧/ ٢٠٨ .

(٢) النهاية جـ٣/ ٢٠٣ نشر المكتبة الاسلامية .

ثبوت الاسراء والمعراج :-

الاسراء ثابت بنص القرآن ،والاحاديث الصحيحة المتكاثرة ، أما القرآن : فقوله تعالى : ( سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير ) .

وأما الأحاديث : فسنذكرها فيما بعد .

وأما المعراج : فقد ثبت بالاحاديث الصحيحة فى البخارى ومسلم وعند أصحاب المسانيد والسنن ،وكتب السيرة المشهوره ،وتلقت الامة هذه الاحاديث بالقبول .

وأما من القرآن الكريم : فقد اشير الى المعراج فى ثلاثة مواطن[1] :-

قوله تعالى : ( واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس ،وماجعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن . . . )[2] .

فقد ذكر المفسرون ان الرؤيا هي المعراج وما تم اثناءه .

وقوله تعالى فى سورة النجم : ( ذو مرة فاستوى ، وهو بالافق الأعلى ،ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى ،فأوحى الى عبده ما أوحى ، ما كذب الفؤاد ما رأى ، أفتمارونه على مايرى ،ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى اذ يغشى السدرة مايغشى ، مازاغ البصر وما طغى ،لقد رأى من آيات ربه الكبرى )[3] فكان ذلك ليلة المعراج .

---

( ١ ) خاتم النبيين -أبو زهره -جـ١/ ٤٦٨ ،والبداية والنهاية -ابن كثير- جـ٣/ ١١٠ .

( ٢ ) سورة الاسراء - ٦٠ .

( ٣ ) سورة النجم ٦-١٢ .

وقوله تعالى : ( سبحان الذى أسرى بعبده ليلا الى قوله ، ، . لنريه من آياتنا ) اشارة الى المعراج .

واذا كانت العبارات السابقة لا يعتبرها بعض العلماء دليلا صريحا من الكتاب على المعراج ولا مصرحة به ، فان الاشارات واضحة تكاد تكون صريحة والاشارات الواضحه فى قوة الدلالة تكون كالالفاظ الصريحه (١) .

ونرى انه ثبت بالكتاب كما رأينا فى سورة النجم وغيرها ، وثبت فى الاحاديث الصحيحة الكثيرة التي تلقتها الامة بالقبول فوجب اعتقادها والعمل بها ولا يلتفت الى من قال انه لم يثبت فى القرآن ، لكنه لم يصرح به فى سورة الاسراء حين ذكر الاسراء لحكمة يريدها الله تعالى حيث ان الاسراء كان فيه دليلا ماديا على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ولا مجال لتكذيب القوم له من اخبارهم بعيرهم التى رآها فى الطريق وأوصاف المسجد الاقصى ، بخلاف المعراج حيث انه غيب فان آمنوا بالاسراء وجب عليهم الايمان بالمعراج ، وسنرى هذه الحكمه عند عرض الحكم والعبر فى الاسراء والمعراج .

امكانية الاسراء والمعراج وانه ليس مستحيلا :-

ان الاسراء والمعراج يقظة بروح رسولنا صلى الله عليه وسلم وجسده الشريفين وفى ليله واحدة ، قبل الهجرة ، هو الحق الذى عليه عامة علماء السلف والخلف ، واليك طائفة من أقوالهم فى ذلك :

---

(١) خاتم النبيين - أبو زهره - جـ١/٤٦٨ - دار الفكر العربى .

قال الامام النووى فى شرحه لصحيح مسلم : " والحق الذى عليه أكثر الناس ، وعظم السلف ، وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أسرى بجسده صلى الله عليه وسلم ، والآثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها "(١) .

وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح : " ان الاسراء والمعراج وقعا فى ليلة واحدة فى اليقظة بجسده وروحه ، والى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين ، وتواردت عليه ظواهر الاخبار الصحيحة "(٢) .

أما القاضي عياض رحمه الله فقد قال : " والحق من هذا والصحيح ان شاء الله ان الاسراء كان بالجسد والروح فى القصة كلها ، وعليه تدل الآية ، وصحيح الاخبار ، ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التأويل الا عند الاستحالة وليس في الاسراء بجسده وحال يقظته استحالة ، ولو كان منامًا لما كانت فيه آية ولا معجزة ولا استبعده الكفار ولا كذبوه ، اذ مثل هذه المنامات لا ينكر "(٣) .

وأخيرا يقول القاضي ابن العربي فى أحكام القرآن : " ان كان المنكر من اغبياء الطلبة يقر معنا بالالهية والعلم والارادة والقدرة على التصريف والتدبير ، والتقرير ، فيقال له :-

---

( ١ ) شرح النووى لمسلم جـ٢ / ٢٠٩ .

( ٢ ) فتح البارى - شرح صحيح البخارى جـ٧ / ١٩٧ .

( ٣ ) الشفا - للقاضي عياض - ١٨٩ .

ما الذى يمنع من ارتقاء النبى صلى الله عليه وسلم فى الهواء بقدرة خالق الارض والسماء ، وقد ورد من كل طريق على لسان كل فريق . . . (١)

وبعد فسبحان الذى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، فالذى يمكن لسليمان عليه السلام ان يحضر له أحد جنوده عرش ملكه سربا من اليمن الى القدس فى قدر لحظه ، وقبل ان يرتد اليه طرفه كما ورد فى سورة النحل ، قادر سبحانه وهو القوى العزيز ان يجعل الاسراء والمعراج فى دقائق معدودات أو فى لحظة ، فان امر الحق جل جلاله اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون .

هذا وان تقدم العلم الحديث وتطور وسائل النقل تطورا عجيبا يقع من صوره طيّ المسافة الشاسعة فى الزمن اليسير ، وقد طالعتنا الانباء الأخيرة عن سرعة مراكب الفضاء العجيبة حيث ان السرعة التي يمكنها ان تسير بها تقدر بسبعة كيلومترات فى الثانية الواحدة ، وعلى هذا فيمكنها قطع المسافة بين مكة والقدس في أقل من أربع دقائق .

---

(١) أحكام القرآن - لابن العربى - جـ٣/١١٩٢ ط. دار المعرفة - بيروت .

فاذا جاز هذا للانسان وحقيقة بنو البشر على عجزهم ومحدودية قدرتهم ، فكيف نستبعد على الله القادر ان يخرق المألوف والمعتاد لتكون معجزة صادقه وآية عظيمة على عجز البشر وضعفهم وعلى قوة ربهم وخالقهم فهو القادر على خرق السنن ، ومخالفة قانون الاسباب والمسببات ، فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم .

وصدق أبوبكر الصديق رضى الله عنه عندما رد على المستغربين من قريش وعلى مستنكرى الاسراء من المشركين فاجابهم اجابة المؤمن الواعي البصير العارف بربه وبقدرته على مالا يقدر عليه البشر حين قال : اني لاصدقه بأبعد من ذلك ، اصدقه بخبر السماء .

## ـ المبحث الثالث ـ

## الاحاديث الواردة في الاسراء والمعراج

روى أحاديث الاسراء والمعراج كثير من الصحابة رضوان الله عليهم، واثبته أئمة الحديث في كتبهم ، ونقله كذلك أصحاب السير .

قال العلامة بن كثير في تفسيره : قال الحافظ أبو الخطاب بن دحيه في كتابه (التنوير في مولد السراج المنير ) بعد أن ذكر حديث الاسراء والمعراج من طريق أنس وتكلم عليه فافاد واجاد قال : ـ " وقد تواترت الروايات في حديث الاسراء عن عمر بن الخطاب وعلي وابن مسعود وأبي ذر ومالك بن صعصعه وأبي هريرة وابي سعيد الخدري وابن عباس وعد خمسة وعشرين صحابيا رضي الله عنهم أجمعين .

ثم قال : منهم من ساقه ـ اي حديث الاسراء والمعراج ـ بطوله ومنهم من اختصره على ماوقع من الاسانيد ،وان لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحيح ، فحديث الاسراء اجمع عليه المسلمون ،وأعرض عنه الزنادقة والملحدون يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون "(١).

وقال القرطبي : " ثبت الاسراء في جميع مصنفات الحديث ،وروى عن الصحابة في كل اقطار الاسلام ،فهو متواتر بهذا الوجه ،وذكر النقاش ممن رواه عشرين صحابيا ،ثم شرع يذكر بعض طرقه في الصحيحين وغيرهما"(٢).

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٥/ ٤٢ ،وتفسير البغوى جـ / والآيه هي (٣٢) من سورة التوبه .

(٢) تفسير القرطبي جـ ١٠/ ٢٠٥ ـ دار التراث العربي .

وقد تكفل ابن كثير رحمه الله بذكر غالب الروايات الواردة في الاسراء والمعراج ، فلتراجع في تفسيره وفي البداية والنهاية له .

وسأكتفي هنا بذكر أوثق الروايات ، وهي المتفق عليها بين البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى ، وسأقتصر على لفظ البخاري .

قال الامام البخاري رحمه الله في صحيحه : " حدثنا هدبة بن خالد قال : حدثنا همام بن يحيى قال : حدثنا قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما : ان النبي صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسري به قال : " بينما أنا نائم في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعا اذ أتاني آت فقد ، قال - أي فناده - وسمعته يقول فشق بين هذه الى هذه فقلت للجارود وهو الى جنبي ما يعني به ؟؟ قال من ثغرة نحره الى شعرته ، وسمعته يقول من قصه لشعرته فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا وحكمة ، فغسل قلبي ، ثم حشي ثم أعيد (١) ، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض ، فقال له الجارود : هو البراق يا أبا حمزة - كنية أنس - قال أنس : نعم يضع خطوه عند أقصى طرفه ، فحملت عليه فانطلق بي جبريل

---

(١) ولقد حدث شق الصدر مرة سابقة قبل هذه لما كان صلى الله عليه وسلم مسترضعا عند حليمة السعدية ، وهو ابن خمس سنين ، فعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم " أتاه جبريل وهو مع الغلمان فأخذه فصرعه ، فشق عن قلبه ، فاستخرج منه علقة ، فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ثم أعاده الى مكانه ، وجاء الغلمان يعدون الى أمه - يعني مرضعته - : ان محمدا قد قتل ، فاستقبلوه وهو منتقع اللون " .
صحيح مسلم جـ١ / ١٠٣ ، ومسند أحمد جـ٢ / ٢٢١ ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

حتى أتى السماء الدنيا ، فاستفتح فقيل من هذا ؟ قال : جبريل . قيل ومن معك ؟ قال : محمد . قيل وقد أرسل اليه ؟ قال : نعم قال : مرحبا به فنعم المجيء جاء ، ففتح فلما خلصت فاذا فيها آدم فقال : هذا أبوك آدم فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد السلام ، ثم قال : مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل وقد أرسل اليه . قال : نعم . قيل : مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت اذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة . قال ، قال : هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما ، فسلمت فردا ، ثم قالا مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح أصعد بي الى السماء الثالثة فاستفتح ، قيل من هذا . قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل وقد أرسل اليه (١) ؟ قال : نعم . قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح ، فلما خلصت اذا يوسف ، قال : هذا يوسف فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح ،

---

( ١ ) قوله " وقد أرسل اليه ؟ " : وفي بعض الروايات الصحيحه ( وقد بعث اليه ) ؟ .

قال العلماء : ظاهره السؤال عن اصل الرساله ولا يصح ، لان امر نبوته صلى الله عليه وسلم كان مشهورا في الملكوت الاعلى لا يكاد يخفى على خزان السموات وحراسها . فالمراد ارسل اليه للعروج والاسراء وكان سؤالهم للاستعجاب بما أنعم الله عليه ، والاستبشار بعروجه .

وقال الطبري : ويحتمل ان تكون البعثة والرسالة خفيت على الساكنين لاشتغالهم بالعبادة - .

حاشية مزيل الخفاء عن الفاظ الشفاء جـ ١ / ١٨٧ ، وانظر شرح النووي لمسلم جـ ١ / ٣٨٩ .

ثم صعد بي حتى اتى السماء الرابعه ،فاستفتح قيل من هذا ؟ قال : جبريل ،فقيل ومن معك قال : محمد ، قيل وقد ارسل اليه ؟ قال : نعم ، قيل مرحبا به ،فنعم المجيء جاء ففتح ، فلما خلصت الى ادريس ،قال : هذا ادريس ،فسلم عليه فسلمت عليه ، فردّ ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة ،فاستفتح ، قيل من هذا ؟ قال : جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد أرسل اليه ؟ قال نعم . قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت فاذا هرون ، قال : هذا هرون فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فردّ ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح . ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح ، قيل من هذا ؟ قال : جبريل : قيل ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل وقد أرسل اليه ؟ قال : نعم ،قال مرحبا به فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت فاذا موسى ،قال : هذا موسى ،فسلم عليه ،فسلمت عليه ، فردّ ثم قال : مرحبًا بالأخ الصالح ،والنبي الصالح ، فلما تجاوزت بكى قيل له : مايبكيك ؟ قال : ابكى لان غلاما بعث بعدى يدخل الجنه من امته ، أكثر ممن يدخلها من امتى .

ثم صعد بي الى السماء السابعة فاستفتح جبريل ،قيل : من هذا قال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال : محمد ،قيل وقد بعث اليه ؟ قال هـ نعم ،قال مرحبا به فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا أبوك ،فسلم عليه قال فسلمت عليه ،فرد السلام ، قال :مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح .

ثم رفعت الى سدرة المنتهى ، فاذا نبقها(١) مثل قلال هجر ، واذا ورقها مثل آذان الفيلة ، قال : هذه سدرة المنتهى(٢) ، واذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران ، فقلت ماهذان ياجبريل ؟ قال : اما الباطنان فنهران في الجنه ، واما الظاهران فالنيل والفرات .

ثم رفع لي البيت المعمور ، ثم أتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل ، فاخترت اللبن ، فقال : هي الفطره التي انت عليها وامتك ثم فرضت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم ، فرجعت الى موسى ، فقال بم أمرت ؟ قال : امرت ؟ قال : امرت بخمسين صلاة كل يوم قال : ان أمتك لاتستطيع خمسين صلاة كل يوم ، واني والله قد جربت الناس قبلك ، وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة ، فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فرجعت فوضع عني عشرا .

---

(١) نبقها : - قال في النهاية : - النبق : بفتح النون وكسر الباء وقد تسكن : ثمر السدر ، واحدته نبق ، ونبقه ، وهو شبه المناب قبل ان تشتد حمرته ( جـ٥ / ١٠ ) .

(٢) سدرة المنتهى : سميت سدره المنتهى ، لانه ينتهى اليها علم الخلائق من انبياء ومرسلين ، وملائكة مقربين لما صح من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله عنها " اليها ينتهى علم الخلائق لا علمهم بما فوق ذلك " .
رواه مسلم / الايمان جـ١ / ١٠٩ ، الترمذى عند تفسير سورة النجم والنسائى / كتاب الصلاة باب فرض الصلاة .

فرجعت الى موسى فقال : مثله ، فرجعت فوضع عني عشرا ، فرجعت الى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عني عشرا ، فرجعت الى موسى فقال : مثله ، فرجعت فامرت بعشر صلوات كل يوم ، فرجعت فقال مثله فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم .

فرجعت الى موسى فقال بم أمرت ؟ قلت : امرت بخمس صلوات كل يوم ، قال : ان امتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، واني جربت الناس قبلك ، وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجه ، فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك ، قال : سألت ربي حتى استحييت ، ولكن ارضى وأسلم .

قال : فلما جاوزت نادى مناد : امضيت فريضتي وخففت على عبادي . أ . هـ (١)

وفي رواية للامام مسلم رحمه الله : ذكر ان الرسول صلى الله عليه وسلم قبل العروج اتى بيت المقدس فصلى فيه أولا .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ، ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه ، قال : فركبته حتى أتيت بيت المقدس ، قال فربطته بالحلقه التي يربط بها الانبياء ، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام باناء من خمر واناء من لبن ،

---

(١) صحيح البخارى : باب حديث الاسراء جـ٥ / ٦٦ .

(٢) صحيح مسلم جـ١ / ص ١٠٤ .

فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ، ثم عرج بنا الى السماء ...[1] .

سبب اختلاف الروايات :-

حصل اختلاف في الروايات الواردة في قصة الاسراء والمعراج ، فبعض الروايات فيها زيادات على مافي الصحيحين وبعضها نقص عنها .

وسبب ذلك الاختلاف والله أعلم يرجع الى أمرين اثنين[2] .

الأول :-

زيادة حفظ بعض الرواة أو ضبطهم على آخرين ، أو رواية بعضهم بالمعنى وبعضهم باللفظ .

---

( ١ ) صلاة الرسول صلى الله عليه وسلم بالانبياء في القدس ، بعض الروايات تدل على ان الصلاة بهم كانت عند مقدمه عليه الصلاة والسلام الى المسجد الاقصى ، وفي بعض الروايات بدل السياق على ان الامامة كانت بعد المعراج ، ورجح ابن كثير في تاريخه ان امامته عليه الصلاة والسلام للانبياء كانت بعد ان نزل من العروج ، ويقول رحمه الله " وهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس والظاهر أن الانبياء هبطوا معه تكريما له وتعظيما عند رجوعه من الحضرة الالهية ، كما هي عادة الوافدين ، لا يجتمعون باحد قبل الذي طلبوه اليه ، ولهذا كان كلما سأل عن واحد منهم يقول له جبريل ، هذا فلان فسلم عليه ، ثم يقول ابن كثير : فلو كان قد اجتمع بهم قبل صعوده ، ما احتاج الى تعرفه بهم مرة ثانية ، ومما يدل على ذلك انه قال صلى الله عليه وسلم " فلما حانت الصلاة امتهم " ولم يجيء وقت صلاة اذ ذاك الا صلاة الفجر فتقدمهم يا مرجبريل " . انظر البداية والنهاية لابن كثير ج٣/٢ ٢٠١ ) .

( ٢ ) انظر كتاب ( أحاديث الاسراء والمعراج ) دراسة توثيقية للدكتور رفعت فوزي عبد المطلب ط . مكتبة الخانجي ١٤٠٠هـ .

الثاني :-

أن الرسول صلى الله عليه وسلم قص الحادثة على أصحابه في مجا
مختلفة ،وكان يلحظ في كل مجلس نوعية الحاضرين ، من حيـــــ
استعدادهم للفهم ،والوقوف على ما يريده الرسول صلى الله عليه وسلم
من معان ،فانه مما لا شك فيه أن عقليات الصحابة رضى الله عنهـــ
تتفاوت في فهم الأساليب وادراك المعاني فبعضهم يقف عند ظاهـــ
اللفظ والعبارة ،وبعضهم يتجاوز هذا الى ما يمكن أن تتجاوز اللغة فـ
التعبير عنه .

## ـ المبحث الرابع ـ

## تاريخ الاسراء ، وكم مرة وقع

اختلف أهل العلم في ضبط تاريخ هذه المعجزة ، وتحديد الزمن الذي وقعت فيه هذه الرحلة المباركة .

والراجح من أقوال اهل العلم ، ان الاسراء والمعراج حصلا في أواخر الفترة المكيه ، وقبل الهجرة الى المدينة المنورة .

لكن بعضهم قال : انها وقعت قبل الهجرة بستة عشر شهرا .
وبعضهم على انها في السنة التي قبل الهجرة (١) .
وقال ابن عبد البر وغيره ـ كان بين الاسراء والهجرة سنة وشهران (٢) .
والمشهور على انها كانت في العام العاشر لبعثته صلى الله عليه وسلم وهناك آراء غيرها (٣) .

في أي شهر وقع الاسراء والمعراج :ـ

بعض العلماء يرى ان الاسراء والمعراج كانا في ذي القعده .
والبعض الآخر يرى انهما حدثا في شهر ربيع الأول .

والرواية المشهوره عند الناس ، ان الاسراء كان ليلة السابع والعشرين من رجب ، لكن دليلها لم يصح .

---

(١) خاتم النبيين : أبو زهره جـ١/٤٦٦ .
(٢) زاد المعاد جـ٢/٥٥ .
(٣) البدايه والنهاية جـ٣/

قال الامام ابن كثير معلقا على هذه الرواية ـ انه ليلة السابع والعشرين من رجب قال : " وقد اختاره الحافظ بن سرور المقدسي ، وقد أورد حديثا لا يصح سنده كما ذكرنا في فضائل شهر رجب " ثم يقول ابن كثير :

ومن الناس من يزعم ان الاسراء كان في أول ليلة جمعة من شهر رجب وهي ليلة الرغائب التي احدثت فيها الصلاة المشهورة ولا أصل لذلك (١) .

وننتهي من هذا الى ان العلماء مختلفون في تعيين اليوم الذي وقع فيه الاسراء ولكن الواقعة ثابتة صحيحة .

وقد اتفقوا على انها كانت بعد مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف ، وان كونها في ليلة السابع والعشرين من رجب ثبتت بخبر لم يصح سنده . كما ذكر الحافظ بن كثير (٢) .

كم مرة وقع الاسراء والمعراج :-

الصحيح والراجح عند العلماء ان الاسراء والمعراج وقعا مرة واحدة . ولكن بعض العلماء لما رأى الروايات المختلفة ظاهرا ، ومن بينها حديث شريك الذي ضعفه العلماء وأوهنوه ( حيث فهم البعض منه أن الاسراء كان مناما ) فكأنهم أرادوا الجمع بين الاحاديث الصحيحة وبين رواية شريك فقالوا ان الاسراء والمعراج كانا مرتين ، مرة يقظة ومرة مناما . وبعضهم زعم انهما حصلا ثلاث مرات ، مستدلين بعبارة في حديث شريك هي " وذلك قبل ان يوحى اليه " .

---

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ جـ٣/١٠٩ .

(٢) خاتم النبيين ـ أبو زهرة ـ جـ١/٤٦٦ .

فقالوا : وقع مرة قبل الوحي ومرتين بعده . وقال بعضهم أربع اسراءات[1] وكل هذا خلط لا يثبت امام التمحيص الدقيق والفهم العميق السليم . كما قال ابن القيم رحمه الله عند تحقيقه للمسألة ؛ قال رحمه الله :

( وكل هذا خلط ، وهي طريقة ضعفاء الظاهرية ، من أرباب النقل الذين اذا رأو في القصة لفظة تخالف سياق بعض الروايات جعلوه مرة اخرى فكلما اختلفت عليهم الروايات عددوا الوقائع " ثم يقول :

( والصواب الذي عليه أئمة النقل ان الاسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة ، وياعجبا لهؤلاء الذين زعموا انه كان مرارا " كيف ساغ لهم ان يظنوا انه كل مرة تفرض عليه الصلاة خمسين ، ثم يتردد بين ربه وبين موسى حتى تصير خمسا ثم يقول " أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي ، ثم يعيدها في المرة الثانية الى خمسين ثم يحطها عشرا عشرا "[2].

---

( ١ ) انظر البداية والنهاية جـ٣/ ١٣٥ ، فقد نقل هذه الآراء ، وكذا نظمها ورد عليها في تفسير أول سورة الاسراء فيراجع من أراد التوسع .

( ٢ ) زاد المعاد جـ١/ ٥٥ وانظر فتح الباري لابن حجر جـ٧/ ١٩٧ .

## ـ المبحث الخامس ـ

## هل كان الاسراء والمعراج بالروح أم بالجسد أم بهما معا ؟

جمهور العلماء على أن الاسراء والمعراج كانا في ليلة واحدة وانهما كانا بجسده وروحه صلى الله عليه وسلم ، وانهما كانا بعد البعثه وقبل الهجره وقد حصلا مرة واحده .

هذا هو الأرجح والاصوب من كلام أهل العلم ، وهو المعتمد من نقله السيره والروايات .

وقد دلت على ذلك الاخبار الصحيحه ، والنصوص الصريحة التي لا يعدل عنها الا بدليل .

لكن قد حصل خلاف حول تلك المسائل ، واختلاف لاعتبارات مختلفة وسنحاول ان نشير باختصار الى تلك المسائل مع ذكر الأدلة بايجاز .

هل كان الاسراء بالروح والجسد معا ؟ :ـ

في المسألة خمسة آراء سنوجزها فيما يلي :ـ

الرأى الأول :ـ

انهما كانا بالروح والجسد معا .

وأدلة القائلين بذلك ما يلي :ـ

١ ـ ظواهر النصوص الصحيحه والصريحه ، والروايات الثابته ، حيث ثبت انه شق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم ، وركب البراق ، وعرج به الى

السماء ، ولا قى الانبياء ،وفرضت عليه الصلوات الخمس ،وان الله كلمه ،وانه صار يرجع بين موسى عليه السلام وبين ربه عز وجل ، مما يؤكد انهما كانا بجسده وروحه صلى الله عليه وسلم ، وتنفى ماعدا ذلك .

٢ - قوله تعالى فى مطلع سورة الاسراء ( سبحان الذى أسرى بعبده ليلا ) - فعبده - لفظ العبد يطلق على مجموع الروح والجسد . كما أن الانسان اسم لمجموع الروح والجسد يفهم هذا عند الاطلاق ، ولا يفهم غيره .

٣ - ( ركوبه صلى الله عليه وسلم على البراق يدل على ان الاسراء بجسمه لا بروحه لان الروح ليس من شأنه الركوب على الدواب )[١] .

الرأى الثانى :-

أن الاسراء والمعراج كانا بالروح :-

وهو المشهور عن عائشة ومعاويه رضى الله عنهم .

ويستدلون بما يلى :-

بما نقله ابن اسحق عن عائشه ومعاويه رضى الله عنهم انهما قالا : "انما كان الاسراء بروحه ولم يفقد جسده"[٢] .

---

( ١ ) اضواء البيان - الشنقيطى - جـ٣ / ٣٩٣ .

( ٢ ) سيرة ابن اسحق جـ٢ /ص. ٤٠ ، وزاد المعاد جـ٢ / ٥٤ ،والبداية والنهاية جـ٣ / ١١٤ .

ورد العلماء على هذا الدليل بحجتين :-

الأولى : ان تلك الرواية غير ثابته ، وقد وهن القاضي عياض في الشفا هذا الحديث سنداً ومتنا ، وحكم عليه الحافظ بن دحية بالوضع .(١)

الثانيه : ان تلك الروايه ان صحت - وهي غير صحيحه - توهم ان عائشة رضى الله عنها كانت مع النبى عليه الصلاة والسلام فى مبيت واحد وهذا لا يصح ، فقد ثبت ان الرسول صلى الله عليه وسلم ما بنى بعائشه رضى الله عنها الا بعد الهجره .

وكذلك فان ظواهر الآيات الصريحة والاحاديث الصحيحه ترد هذا الخبر .

الرأى الثالث :-

ان الاسراء والمعراج كانا مناما .

واستدلوا على ذلك :-

١ - بقوله تعالى : ( وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس )(٢)

وقالوا : ان الرؤيا هي ما يكون في المنام .

٢ - بما رواه البخارى من حديث شريك عن انس بن مالك رضي الله عنه قال ليلة اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة " جاء ثلاثة نفر قبل أن يوحى اليه ، وهو نائم فى المسجد الحرام ، فقال أولهم :

---

(١) انظر المصدر السابق ، وقد ذكره الاستاذ ابو شهبة فى كتابه الاسراء والمعراج /٣٨ .

(٢) سورة الاسراء / ٦٠ .

أيهم هو ؟ قال اوسطهم : هذا وهو خيرهم ،فقال : آخرهم :خذوا خيرهم فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما ينام قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه ، وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم ،ولم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند زمزم ،فتولاه منهم جبريل " . والحديث طويل وقال في آخره " واستيقظ وهو في المسجد الحرام "(١) .

ولذا يرى صاحب " الروض الانف " انه نص لا اشكال فيه " ان الاسراء كان مناما "(٢) .

وقد رد العلماء على الدليل الأول بما يلي :-

١ - ردوا عليهم من اللغه : ان الرؤيا كما تطلق على المنامية تطلق على البصرية ايضا ،وشاهد ذلك قول الشاعر :

(وكبر للرؤيا وهش فؤاده وبشر قلبا كان جما بلابله)(٣)

٢ - بما رواه ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها أنه قال :

" هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به والشجرة الملعونة شجرة الزقوم "(٤) .

واما حديث شريك السابق عن أنس بن مالك رضي الله عنه فردوا عليه بما يلي :-

---

(١) رواه البخاري - في كتاب التوحيد - جـ٨/٢٠٣ .

(٢) الروض الانف - للسهيلي - جـ٣/٤١٥ ،ويرى ان الاسراء حدث مرة مناما ومرة يقظه جـ٣/٤١٨ ، دار النصر للطباعة ،مصر .

(٣) انظر اضواء البيان للشنقيطي جـ٣/٣٩٢ ،وابن كثير جـ٥/٨٩ .

(٤) رواه البخاري باب حديث الاسراء جـ٥/٦٨ .

١ - بان شريكا غلط ووهم فى روايته ونبه على ذلك الامام مسلم فى صحيحه.(١)
حيث ساق الحديث بقصة نحو حديث ثابت البناني ، وقدم فيه شيئا وأخر وزاد ونقص ،ولم يسرد الحديث بتمامه فاجاد رحمه الله كما يقول ابن القيم.(٢)

هذا " وقد انكر حديث شريك وما فيه من أوهام أيضا الأئمة الخطابي وابن حزم والقاضي عياض والنووى وغيرهم(٣) . فى حين روى القصة عن أنس رضى الله عنه غير شريك هذا على الصواب ولم يذكروا المنام الذي ذكره حديث شريك ، فراجع تفسير بن كثير رحمه الله فقد جمع الروايات بأسانيدها ومتونها جمعا طيبا فجزاه الله خيرا .

٣ - اجاب بعض العلماء عن حديث شريك بان ماورد من كون الاسراء كان فيه مناما لا ينافي ما عليه اهل السنة والجماعة وما دلت عليه ظواهر النصوص الصحيحه ، لإمكان ان يكون صلى الله عليه وسلم رأى الاسراء المذكور فى النوم ،ثم جاءت تلك الرؤيا كفلق الصبح فاسرى به يقظة تصديقا لتلك الرؤيا المنامية ، كما رأى فى النوم انه دخل المسجد الحرام ،فجاءت تلك الرؤيا كفلق الصبح فدخلوا المسجد الحرام فى عمرة القضاء(٤).

---

( ١ ) صحيح مسلم - بشرح النووى جـ٢ / ٢١٠ .
( ٢ ) زاد المعاد - ٢ / ٥٥ .
( ٣ ) الاسراء والمعراج - أبو شهبه / ٤٩ .
( ٤ ) انظر اضواء البيان - الشنقيطى - جـ٣ / ٣٩٣ .

وأخيرا فلو كانت الرحلة فى المنام لم يكن فيها شيء يستعظم ،ولما ارتد بعض ضعفاء الايمان ممن اسلموا قال القاضى عياض :

" ولو كان منامًا لما كانت فيه آية ولا معجزه ،ولما استبعده الكفار ولا كذبوه اذ مثل هذه المنامات لا ينكر "(١) .

ولما امتن الله به على رسوله بقوله ( سبحان الذى أسرى بعبده ) .

الرأى الرابع :-

ان المعراج فقط كان بالروح دون الجسد :-

وهؤلاء قالوا : بان الاسراء كان بالروح والجسد معا ،لكن المعراج قد كان بالروح فقط ،واستدلوا على ذلك(٢) :-

١ -أنه ذكر فى المعراج أنه التقى صلى الله عليه وسلم بالانبياء آدم وابراهيم وموسى ويحيى وغيرهم ، والباقي منهم انما هو ارواحهم ،واما أجسادهم فسيبعثها الله تعالى يوم البعث لا قبل ذلك .

٢ - يرون ان عبارات القرآن عن المعراج تصرح أن الأمر فى الرحلة السماوية كان روحيًا ، وان الادراك لم يكن بالحس ، بل كان بالقلب والفؤاد " ماكذب الفؤاد ما رأى " فهو يثبت رؤية القلب والفؤاد لا العين الحسيه البصريه .

---

(١) الشفا- للقاضى عياض جـ١/١٩٥ وانظر فقه السيره -للبوطى ص ١٥٥ - ط . دار الفكر .

(٢) خاتم النبيين -جـ١/٤٧٣ .

٣ ـ أن اخبار المعراج تصرح بانه رأى صلى الله عليه وسلم ربه ، والرؤيه القلبية ممكنـــه باستحضار عظمته سبحانه وبالسبحات الروحيـــــة المتجهة الى الله سبحانه ، وخصوصا ان النبى صلى الله عليـــه وسلم قرر أنه لم ير ربه عند ما سأله ابو ذر فى الحديث الصحيـــح قائلا :

هل رأيت ربك ، فقال صلى الله عليه وسلم "انـــه نور انى اراه"(١).

وهذا الرأى مخالف لرأى الجمهور المعتمد بقولهم من العلماء اذ يرون كما سبق بيانه ان الاسراء والمعراج كانا بالروح والجسد معا .

١ ـ واستدلوا على ذلك كما أوضحنا سابقا ، بظاهر الآيه ( فأوحى الى عبده ما أوحى(٢) ) بان الاشارة الى العبد ،والعبد عند الاطـلاق عبارة عن مجموع الجسد والروح .

٢ ـ بظاهر الأحاديث الصحيحة ، الواردة في السنة المطهره ،ففيها التصريح بانه صلى اللهعليه وسلم لقي الانبياء آدم وعيسى وادريـــس وموسى وهـرون وابراهيم عليهم الصلاة والسلام.

٣ ـ قوله تعالى ( لنريه من آياتنا ) وقوله تعالى ( ما زاغ البصر وما طغى لقد رآى من آيات ربه الكبرى(٣) ) وهذه من أدوات الادراك الحسي بالعين الباصره وهي من آلات الجسد لا الروح .

---

( ١ ) المصدر السابق جـ١/ ٤٩٤ .

( ٢ ) سورة النجم : ١٤ .

( ٣ ) سورة النجم : ١٨ .

٤ - أنه جاء في السنة الصحيحة ما يثبت المشاهد الكبرى الكثيرة والآيات العظيمة التي رآها نبيّنا صلى الله عليه وسلم في رحلته .

الفرق بين الرؤيا المنامية والروحية :-

كثير من الكتاب يخلط بين الرؤيا المنامية ، والرحلة الروحية في رحلتي الاسراء والمعراج ، ويجعلونهما شيئا واحدا ، فتراهم عندما ينظون الرأى عن معاوية وعائشة رضي الله عنهم مرة يرون عنهم أن الاسراء كان بروحه صلى الله عليه وسلم ومرة أنه كان مناما .

وعائشة ومعاوية رضي الله عنهم كما مر معنا لم يقولا انه كان مناما بل قالا انه كان بالروح ، وبينهما فرق عظيم كما قال ابن القيم رحمه الله :-

فمن قال انه بالروح : أراد أن الروح بما لها من قدرة على التصرف والانتقال في بعض أحوال تعلقاتها بالجسد وانفصالها عنه ، هي التي انتظت وجالت في تلك المعاني المقدسة في الأرض وفي السماء .

وأما من قال في المنام فانما أراد حدوث صور ، وانكشافات للروح فيما وراء الحس من عالم الغيب من غير انتقال ومفارقة للبدن . وانما ملك الرؤيا ضرب له المثال ، والنائم قد يرى أمثالا مضروبة للمعلوم في صورة المحسوس (١) .

---

(١) زاد المعاد جـ٢ / ٤ .

وهناك رأى خاص في الموضوع يرى صاحبه ان الاسراء والمعـــراج حدث مبني على فكرة وحدة الوجود ، وهو رأى باطل لا يســـــتحق الذكر (١).

وقد رد على تلك الفكره الباطله وفندها كثير ممن بحثوا في فقـــه السيره (٢) ، وبينوا ان الكاتب صاحبها قد جنح في افكاره - غفر الله له - اذ ان فكرة وحدة الوجود تسربت الى الاسلام فيما دخله من ركام المعارف الفاسده من مخلفات الفلسفات الضاله .

---

( ١ ) انظر ( حياة محمد ) / لمحمد حسين هيكل - ٥٨ ا مطبعة مصر .

( ٢ ) انظر كتاب - فقه السيره - لمحمد البوطي - وفقه السيرة للغـــزالـــي عند الحديث عن الاسراء والمعراج .

## ـ المبحث السادس ـ

## هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة المعراج ؟

اختلف العلماء في هذه المسألة ، فمن مثبت للرؤية ومن نافٍ لها ، ومن متوقف.

وكل ذلك للاختلاف الظاهر أو التعارض الوارد في المسألة ، لكن عند التحقيق ، يتضح الصواب ، ويذهب التعارض الظاهر وإليك بسط المسألة :ـ

### النافون للرؤية :ـ

فذهبت السيدة عائشة رضي الله عنها وابن مسعود رضي الله عنه ، الى انكار الرؤية في ليلة المعراج . فانكرت أن يكون صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعين رأسه ، وثبت انها قالت لمسروق رضي الله عنه عندما سألها : ( هل رأى محمد ربه ؟ فقالت : لقد قَفَّ شعري مما قلت ، ثم قالت : من حدثك ان محمدا رآى ربه فقد أعظم على الله الفرية )(١) .

وقد حكى القاضي عياض في (الشفاء ) ان جماعة من العلماء قالوا بقول عائشة وهو المشهور عن ابن مسعود وابي هريرة ، وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين(٢) .

---

(١) صحيح مسلم جـ١/ ١١٠-١١١ ، ومعنى قفّ شعري : اى وقف شعري من الفزع ، وهو دليل الاستنكار .

(٢) الشفا جـ١/ ٢٠١-٢٠٢ .

المثبتون للرؤية :-

وذهب جماعة من السلف الى اثبات رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه تعالى ليلة المعراج ، منهم ابن عباس وسائر أصحابه ومنهم عروة ابن الزبير ، وهو قول الزهري والاشعري والامام أحمد .

وقد وردت عن ابن عباس رضي الله عنهما روايات كثيرة في المسألة ، لكن بعضها كان مطلقا ،والبعض الآخر كان مقيدا بان الرؤيا كانت بالقلب والفؤاد .

الرؤيات المطلقة :-

١ - ما أخرجه النسائي باسناد صحيح وصححه الحاكم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : " اتعجبون ان تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد (١) عليه الصلاة والسلام .

٢ - ما أخرجه ابن خزيمه بلفظ آخر :-

" ان الله اصطفى ابراهيم بالخلة وموسى بالكلام ومحمدا بالرؤية (٢) .

فتلك الروايات لم تعين هل كانت الرؤية بالعين أم بالقلب.

الرؤيات المقيده :-

١ - ومن الروايات المقيدة ما أخرجه مسلم في صحيحه :-

( في قوله تعالى : ماكذب الفؤاد مارأى )و( ولقد رآه نزلة أخرى ) .

---

( ١ ) اخرجه النسائي والحاكم وصححه . انظر المستدرك للحاكم ج٢ / ٤٦٩ ط. الأولى - حيدر أباد .

( ٢ ) صحيح ابن خزيمه /

قال : رآه بفؤاده مرتين ، ان المراد بالرؤيه في هاتين الآيتين رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل مرتين (١) .

وعلى ذلك فالتحقيق في المسألة يكون :-

بان نقول ان رأى ابن عباس في الرؤيه انما هي بالقلب لا بالبصر.

وأما كونها بالبصر ، فلم يثبت عنه ذلك ولا عن غيره من الصحابه قال العلامه ابن كثير بعد ما ساق رواية مسلم عن ابن عباس . " وفي رواية انه اطلق الرؤيه ، وهي محمولة على المقيده بالفؤاد ، ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب ، فانه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة رضي الله عنهم (٢) .

٣ - واصرح من ذلك في الدلالة على ان الرؤية هي القلبيه : ماجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال : عند قوله تعالى ( ماكذب الفؤاد مارأى ) ولقد رآه نزلة أخرى . . . ) قال : رآه بقلبه ، وفي رواية اخرى له قال ( رآه بفؤاده مرتين ) (٣) .

---

( ١ ) صحيح مسلم جـ١/١٠٨ ، لكن الراجح والأصح في ان الرؤيه هنا هي رؤية جبريل عليه الصلام ، حيث رآه رسولنا صلى الله عليه وسلم على الصورة التي خلقه الله عليها مرتين ، الاولى وهو نازل من غار حراء ، والاخرى عند سدرة المنتهى ليلة المعراج .

( ٢ ) تفسير ابن كثير جـ٧/٤٢٤ .

( ٣ ) صحيح مسلم جـ١/١٠٩-١١٠ .

٤ - وروى ابن جرير بسنده الى عكرمة الى ابن عباس رضي الله عنهما انه قال : ان الرسول صلى الله عليه وسلم رأى ربه بقلبه ، فقال له رجل عند ذلك : أليس الله تعالى ( لا تدركه الابصار ) فقال له عكرمه : اليس ترى السماء ؟ قال : بلى ، قال : افكلها ترى ؟ .

وفى رواية اخرى لابن جرير ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " رآه النبي صلى الله عليه وسلم اى رآى ربه تعالى "(١) .

٥ - ومن الادلة على ان الرؤيه البصريه لم تقع لرسولنا صلى الله عليه وسلم ، ماروا ه مسلم بسنده الى ابي ذر رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك ؟ قال : نور انى اراه وفى رواية اخرى للامام مسلم كذلك : قال صلى الله عليه وسلم " رأيت نورا "(٢) .

أى حال بينى وبين رؤيته تعالى النور الذى هو حجابه ، بمعنى آخر ان الرسول صلى الله عليه وسلم رأى الحجاب الذى هو من النور ، ويدل عليه ماروا ه مسلم كذلك :-

عن أبى موسى الاشعرى رضي الله عنه قال : " قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال : ان الله لا ينام ولا ينبغى له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل : حجابه النور ، وفي رواية النار لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه "(٣) .

---

( ١ ) تفسير الطبرى جـ٢٧ / ٥٢ ، وانظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيميه جـ٦ / ٥٠٩-٥١٢ .

( ٢ ) صحيح مسلم جـ١ / ١١١ .

( ٣ ) صحيح مسلم جـ١ / ١١١ ، وانظر شرح الطحاوية ٢٠٣-٢١٤ .

وأما ماروى عن الامام أحمد رحمه الله ، فقد نفى العلامة ابن القيم ماروى عنه أنه قال : " رآه بعينى رأسه " وقال ان من حكى ذلك عن أحمد فقد غلط .

وقال ابن القيم نقلا عن شيخه ابن تيميه ، " ولكن لم يقل أحمد رحمه الله تعالى أنه رآه بعينى رأسه بقظه " ومن حكى عنه ذلك فقد وهم ، ولكن قال مره ، رآه ، ومره قال رآه بفؤاده ثم قال : وهذه نصوص أحمد موجوده ليس فيها ذلك (١) .

وبعد : فان الامه متفقة على انه لا يرى أحد ربه فى الدنيا بعينه وان رؤية الله حق فى الآخره لأهل الجنه .

قال شارح الطحاويه " وهذا القول هو الحق فان الرؤية فى الدنيا ممكنه ، اذ لو لم تكن ممكنه لما سألها موسى عليها السلام ، لكن لم يرد نص بانه صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعين رأسه ، بل ورد ما يدل على نفي الرؤيه (٢) .

التوفيق بين المثبتين والنافين :-

بعد أن رأينا ان الراجح من آراء العلماء وأقوال السلف هو اثبات الرؤيه القلبيـة ، لكن بالامكان التوفيق بين النافين والمثبتين بان من نفاها اراد الرؤية البصرية ، ومن اثبت يكون مراده القلبيه ، وتكون الرؤيـة القلبية ليست محل خلاف.

---

( ١ ) زاد المعاد جـ٢ / ٤٨ .

( ٢ ) شرح الطحاويه / ٢١٣ ، ومجموع الفتاوى جـ٦ / ٥٠٩ .

قال الحافظ في الفتح بعد ما بين ان ما روى عن ابن عباس محمول على الرؤيه القلبيه مانصه :

" وعلى هذا فيمكن الجمع بين اثبات ابن عباس بان يحمل نفيها على رؤية البصر ، واثباتها على رؤية القلب ، ثم المراد برؤية الفؤاد ، رؤية القلب لا مجرد حصول العلم لأنه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله على الدوام ، بل مراد من أثبت له انه رآه بقلبه ان الرؤية التي حصلت له خلقت في قلبه كما تخلق الرؤيه بالعين لغيره والرؤيه لا يشترط فيها شيء مخصوص عقلا ولو جرت العاده بخلقها في العين "(١).

رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه في المنام في غير المعراج :-

ونحن اذ تعرضنا الى مسأله رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه ليلة المعراج في اليقظه ، واستعرضنا آراء الناس فيها ، وبينا الراجح فان هذا يسوقنا الى مسألة رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه مناما ، فنبينها حتى لا يلتبس الامر في المسألتين :-

وهذه الثانية ثابتة في الاحاديث ، رواها الامام أحمد في مسنده والترمذي في سننه وقال حديث حسن صحيح . وهذه الرواية كما جاءت في المسند :-

روى الامام أحمد في مسنده عن معاذ رضي الله عنه قال : احتبس علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة في صلاة الصبح حتى كدنا نتراى قرن الشمس ، فخرج صلى الله عليه وسلم سريعا فثوب بالصلاه ، فصلى ، وتجوز في صلاته ، فلما سلم قال : كما انتم ، ثم اقبل الينا فقال :

---

(١) انظر فتح الباري جـ٨/٦٠٨ المطبعة السلفيه .

اني قمت من الليل فصليت ما قدر لي فنعستغي صلاتي حتى استيقظت فاذا انا بربي عز وجل في أحسن صورة ، فقال يا محمد : اتدري فيمـــــا يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت لا أدري يا ربي ، اعادها ثلاثا ، فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد انامله بين صدري ، فتجلى لي كل شـــيء وعرفت ، فقال : يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ . قلت : في الكفارات قال : وما الكفارات ؟ قلت : نقل الاقدام الى الجماعات ، والجلوس في المساجد بعد الصلوات ، واسباغ الوضوء عند الكريهات .

قال : وما الدرجات ؟ .

قلت : اطعام الطعام ، ولين الكلام والصلاة بالليل والناس نيـام ،

قال : سل ؟ . قلت ، اللهم اني اسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين ، وان تغفر لي وترحمني/ وان أردت فتنـــة بقوم فتوفني غير مفتون ، وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني الى حبك (١) .

---

(١) مسند الامام أحمد ١/٣٦٨ . انظر تفسير ابن كثير جـ٧/٤٢٥ .
وهذا الحديث افرده الامام الحافظ بن رجب في تأليف مستقل وسماه " اختيار الاولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى " وتكلم على طرق اسناده ، واختلاف الفاظه ، ثم شرحه شرحا واسعا أوفى به على الغايه .

## ـ المبحث السابع ـ

## الحكم والدلالات والعبر المستقاة من الاسراء والمعراج

لقد اكتنفت رحلتي الاسراء والمعراج أحداث عجيبه ووقائع غريبه ، وصاحب هذين الحدثين دروس عظيمه ، وفوائد جليله لشخص رسولنا صلى الله عليه وسلم أولا ولأمته ثانيا ، مما يجعلها بحق مدرسة من الحكم والعبر ، ومغنا غنيا من المعارف والمعاني والعلوم الغيبية .

وكل ذلك يجعل من رحلة الاسراء والمعراج معينا ثرّا يرسم معالم هاديه في الدعوة الى الله عز وجل كل ذلك يقتبس من رحلته صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس ثم عروجه الى السموات والتقاؤه بأعيانها وسكانها وخدامها ، واطلاعه على آيات كبرى كثيره ، ومشاهد عظيمه ، من أنبياء قانتين وملائكه عابدين طائفين ، ورؤيته للجنه ومشاهدته للنار ، وصدق الله تعالى ( لنريه من آياتنا ) .

وسنحاول في هذا المقام أن نشير الى بعض من تلك العبر والحكم والدلالات :ـ

الاسراء والمعراج : دروس للدعوة والدعاة :ـ

عرفنا فيما سبق الظروف التي سبقت الاسراء والمعراج ، ورأينا كيف كان شعور المصطفى صلى الله عليه وسلم ، بعد وفاة زوجه المطوف رضي الله عنها ، وعمه الشفيق ، فأحس عليه الصلاه والسلام بالوحشه ، وازدادت وحشته وضيقه بعد رحلته الى الطائف وعودته منها ، حاملا بين جنبيه رد أهل الطائف القبيح ، واجابة ثقيف المنكره .

ومن هنا كانت الحكمة الأولى للاسراء والمعراج : حيث جاء الاسراء والمعراج تكريما من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وتسرية عنه ، واشعارا له ان ربه سبحانه لم يتخل عنه ولم يغضب عليه ، وانما هي سنة الله تعالى مع الانبياء والدعاه والمصلحين في كل زمان ومكان بتعرضهم للاعراض والتكذيب فأراد الله تعالى أن يعرف رسوله عليها أن جنب الله آنس ، وأن رحمته أكبر ، وحياطته أكرم ، وشاء الله عز وجل كذلك أن يرى رسوله وحبيبه أنه ان عز النصير أو المستجيب من البشر ، واستغلقت الأبواب في وجه دعوته على وجه الأرض ، فانه الله هو الباقي الدائم ، والأول والآخر ، منه تكون النصره الدائمة سبحانه ، وبه يستغاث ويستنجد في الشدائد والكربات .

فالدعوة دعوة الله والدين دينه والأمر أمره ، وما الدعاة الا أدوات تحركهم يد القدر ، وما أنت يامحمد الا نذير وأمر النتائج هذه بيد الله ، فالمطلوب أن نقوم بالواجب كما أمر الله وتعذر الى ربك والنتيجه بيد الله أولا وآخرا . هذا شيء :-

والشيء الآخر :-

ان معاينة رسول الله صلى الله عليه وسلم لطرف من عالم الغيب الذى يبشر به وينذر الناس ، فتصبح قضايا الجنة والنار وجزاءات الناس ومآلهم وما يستحقون من نعيم أو عذاب ليصبح كل ذلك رأى عين عنده صلى الله عليه وسلم ، وخبرا معاينا محسوسا ، وهذا أقوى عند دعوة الناس فانه كما يقولون ليس الخبر كالعيان .

---

وليس السماع كالمشاهدة ، كل ذلك كان له آثار طيبة وايجابية في نفس الداعية الأول صلى الله عليه وسلم .

فهو عليه الصلاة والسلام لما رأى تلك العوالم الكبرى والآيات العظام ، صغرت مكة في نفسه ، وصغر وتضاءل كل من فيها وما فيها من رجال وعتاد وماذا تكون مكة وما فيها من رجال وعتاد بالقياس الى تلك العوالم الفسيحة في ملكوت الله الواسع الذى يدبر أمره صاحب القوة المتين الذى كان وراء معجزة الاسراء والمعراج .

ومن آثار ذلك على نفسية الرسول صلى الله عليه وسلم اطمئنان نفسه ، والتسرية عن قلبه المحزون ، واشتداد أزره بمن لقي من الدعاة الأوائل الذين ساروا على الدرب قبله من الأنبياء والمرسلين وأولى العزم من الرسل وقد عرف في هذه الرحلة أن رسالته ستطبق الآفاق حتى تصل الى النيل والفرات وغيرها ، فينشط في الدعوة الى دين الله ، وتبليغ أمره ونهيه الى الخلق ، هازئا بكل ما يعترض طريقه ، وغير مكترث بكيد الكفر وأهله .

الثقة بالحق والشجاعة في تبليغه وعدم المجاملة أو المداهنة :-

فقد روى عن أم هانئ أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما أصبح في مكة عندما قص عليها ما حدث له من الاسراء والمعراج ، ثم قال لها : وأنا أريد أن أخرج الى قريش فأخبرهم بما رأيت ، تقول أم هانئ ، فأخذت بثوبه فقلت: انى أذكرك الله أن تأتي قوما يكذبونك وينكرون مقالتك ، فأخاف أن يبطشوا بك ،

قالت : فضرب صلى الله عليه وسلم ثوبه من يده ثم خرج اليهم[١] .

فلم يسمع لتخوف أم هانئ رضي الله عنها من توقع تكذيب القوم له بسبب غرابة الواقعة ، فان ثقة الرسول صلى الله عليه وسلم بالحق الذى جاء به ، والحق الذى وقع له ، جعلته يصارح القوم بما رأى كان ما كان رأيهم فيه ، وقد ارتد بعضهم فعلا واتخذها مادة للسخرية والتشكيك ولكن هذا كله لم يكن ليقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجهر بالحق الذى آمن به وفي هذا مثل لاصحاب الدعوة ان يجهروا بالحق لا يخشون وقعة في نفوس الناس يتملقون به القوم ، ويتحسسون مواضع الرضى والاستحسان اذا تعارضت مع كلمة الحق تقال[٢] .

الاسراء والمعراج محك واختبار لصدق الايمان :-

لقد كان الاسراء والمعراج محكا عمليا لايمان الفئة المؤمنة في مكة لتمحيص ايمانها وتطهير نفوسها وصفوفها ، من ضعاف العقيدة ، ومزعزعي الايمان بقوة خالقهم ، وقدرته العظيمة .

روى الامام أحمد في مسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس ، ثم جاء من ليلته فحدثهم بمسيره الى بيت المقدس وبعيرهم فقال ناس نحن نصدق محمدا بما يقول ؟ فارتدوا كفارا ، فضرب الله اعناقهم مع ابى جهل . . "[٣] .

---

( ١ ) تفسير ابن كثير جـ٥ / ٣٩ .
( ٢ ) في ظلال القرآن جـ٤ / ٢١١٥ .
( ٣ ) الفتح الربانى فى ترتيب المسند جـ ١ / ٢٦٣ ، ط. الأولى ، وقال ابن كثير فى تفسيره ٣ / ١٥ ، ورواه النسائى واسناده صحيح .

وصدق الله تعالى ( وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس . . . )[١] .

لقد عجز بعض رقاق العقيده عن تصور ما رآه وما حدث له يقظة في تلك الرحله ، فكانت هذه المعجزة الباهرة لتعلم البشر ، ان قدرة الله ومشيئته لا تخضعان للمقاييس البشريه التي يقيس بها الناس أمورهم وما يشهدون من عالم الحس.

اذن فهو درس عظيم ، لقد تم وضع المسلمين قبل الهجرة في بوتقه اختبار لتنقيتهم من المترددين ، ولتمييز صفوفهم من الضعفاء الذين لا تقوم بهم دعوة ولا يثبتون لأمر ، قبل ان تبدأ العصبة المؤمنة المرحلة التاليـــة في مسيرة الدعوة ، والمرحلة المقبلة كانت مليئة بالجهاد المرير الشاق ، وتحتاج الى تضحيـــة جبارة لا يثبت فيها الا عظماء الرجـــال أو الراسخون في الايمان والثابتون على الطريق ، وكل ذلك قبل الهجرة واثناءها وبعدها ، فاعظم به من اختبار وامتحان ، فاما الذيـــن آمنوا وصدقوا فازدادوا ايمانا ، واما الذين في قلوبهم ريب فالقتهم سفينة الدعوة على جانب الطريق .

---

( ١ ) سورة الاسراء ٦٠ .

الاسراء والمعراج ـ دليل على كمال القدرة الالهية ،وعلى صدق الرسول صلى الله عليه وسلم :ـ

فهو حديث غريب وعجيب كما مر معنا ، لذا فهو دليل واضح على كمال القدرة الالهية . ولذلك نرى الحق سبحانه وتعالى قد افتتح الحديث عنه بتمجيد نفسه ،وتعظيمها وتقديسها ،لقدرتها على ما لا يقدر عليه أحد سواه ، قال سبحانه ( سبحان الذى أسرى بعبده ليلا ) .

فلا اله غيره ولا رب سواه ،وتعالى الله وتنزه وتقدس عن صفات المخلوقين المتصفين بالعجز والضعف والقصور هذا من جانب .

ومن جانب آخر فالمعجزة برهان ساطع على صدق رسولنا صلى الله عليه وسلم في دعواه النبوه ،فهى آية من آيات الله اجراها لرسوله وخرق له العاده وخالف المألوف لتكون دليلا على انه يتلقى عن رب قوى قادر يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

يقول العلامة ابن كثير فى البداية والنهاية : " وما ذكر لى منه (خبر الاسراء ) بلاء وتمحيص وأمر من امر الله وقدرته وسلطانه ،فيه عبرة لأولى الالباب ، وهدى ورحمة وثبات لمن آمن به وصدق وكان من أمر الله على يقين ، فأسرى به كيف شاء ، وكما شاء ليريه من آياته ما أراد ، حتى عاين ماعاين من أمره وسلطانه العظيم وقدرته التي يصنع بها ما يريد "(١) .

---

(١) البداية والنهاية جـ٣/١٠٩.

المعراج دليل على صفة ( العلو ) لله سبحانه وتعالى :-

ان أحاديث المعراج الثابتة الصحيحه ،وترقّي رسول الله صلى الله عليه وسلم من سماء الى سماء ثم رفعه بعد ذلك الى سدرة المنتهى الى آخر ذلك ، كل ذلك يثبت صفة العلو لله عز وجل وانه سبحانه على عرشه فوق سمواته على الحقيقة .

قال ابن خزيمة في كتاب التوحيد : " وفي الأخبار -أى أخبار المعروج الى السماء - دلالة واضحة ان النبي صلى الله عليه وسلم عرج من السماء الدنيا الى السماء السابعة ،وان الله تعالى فرض عليه الصلوات على ماجاء في الاخبار ، فتلك الاخبار كلها دالة على ان الخالق البارى فوق سبع سموات لا على مازعمت المعطلة ان معبودهم هو معهم في منازلهم وكنفهم (١) سبحانه وتعالى .

وكذا الحافظ الذهبي في كتابه ( العلو للعلي الغفار ) (٢) فقد استدل باحاديث المعراج على ان الله تعالى عال على عرشه بائن منهم .

وفي هذا ارغام لكل الفرق والطوائف التي جحدت علو الله على خلقه ، واستواءه على عرشه ، أو ذهبت تؤول معنى الاستواء الى معاني لا تتفق مع مدلولات اللغه ، أو حقائق الالفاظ ،قال تعالى في سورة السجدة ( الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ) (٣) .

---

( ١ ) التوحيد - لابن خزيمة - ص ٦١٩ ط . دار الكتب العلمية - بيروت .

( ٢ ) كتاب ( العلو للعلي الغفار ) للذهبي - ص٣٣ / ٥٠ ، الناشر مكتبة السلفيه - المدينة المنورة .

( ٣ ) سورة السجدة ٤/ ،وكذا ورد في معناها لفظ الاستواء على العرش في سبع آيات في القرآن الكريم .

وقد أورد شارح الطحاوية الادلة على علو الله تعالى على خلقه وأنه فوق عباده وصفها الى ما يقرب من عشرين نوعا منها ما جاء في حديث المعراج من تردد رصلى الله عليه وسلم بين ربه وبين موسى عليه السلام وقال ان العلو ثابت بالعقل والنقل والفطره . . . "(١).

من الدلالات : ان الاسلام دين الفطره :-

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في احدى مراحل رحلة الاسراء : " فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن ،فاخترت اللبن ، فقال جبريل : اخترت الفطره . . . "(٢).

ان في اختيار النبي صلى الله عليه وسلم لاناء اللبن ،وجواب جبريل عليه السلام المتقدم " اخترت الفطره " وما جاء في رواية اخرى " هديت الفطره " وعند الامام أحمد : " ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل ،قال فاخترت اللبن ،قال : هذه الفطرة التي انت عليها وأمتك "(٣).

قال النووي رحمه الله " فسروا الفطرة هنا بالاسلام والاستقامة ، ومعناه والله أعلم : اخترت علامة الاسلام والاستقامه ،وجعل " اللبن " علامة الفطره ،لكونه سهلا طيبا طاهرا سائغا للشاربين سليم العاقبة "(٤).

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاويه ٣٢٢ ط. المكتب الاسلامية ،وانظر مجموع الفتاوى جـ٥/ ١٥٢.

(٢) قطعة من حديث الاسراء عند الامام مسلم جـ١/ ١٠٤.

(٣) رواه الامام أحمد عن قتاده ، انظر (الفتح الرباني في ترتيب مسند الامام أحمد الشيباني جـ٢٠/ ٢٥٥).

(٤) شرح النووي لمسلم جـ١/ ٣٨٩.

وفي ذلك دلالة واشارة الى قضيّة مهمة وأمر جليل ،الا وهو ان الاسلام هو دين الفطره ،أى الدين الذى يتفق وينسجم فى عقيدته وشريعته ومنهجه مع ماتقتضيه نوازع النفس الانسانية الاصليه .

ومعنى ذلك انه ليس في الاسلام من العقائد والاخلاق والتشريعات ما يتعارض مع طبيعة الناس وجبلتهم ،فالدين من الله ،والبشر خلق الله ، ولا يتعارض الثابت الصحيح من أحكام الله مع فطرة الناس ،واستعداداتهم وصدق الله اذ يقول :

( فطرة الله التي فطر الناس عليها ،لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون )[1] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " كل مولود يولد على الفطرة ... "[2]

وهذا الصفاء والطهارة واليسر والاستقامة التي هي من طبيعة هذا الدين العظيم تعتبر من أهم اسرار انتشاره ،وسهولة قبول الناس له والايمان باحكامه ،وتزداد اهميته هي الميزة بعد أن جربت البشرية كل مناهج الأرض الوضعيّه فلم تزدها الا رهقا ، بل وافسدت فطرة البشر وأخلاقهم فليس امام البشرية الا قبول هذا الدين .

من حكم الاسراء : أن الدين واحد وهو الاسلام ،والأنبياء اخوه :-

لقد ظهرت فى رحلة الاسراء والمعراج أواصر القربى والعلاقة الوثيقة بين الانبياء عليهم السلام .

---

( ١ ) سورة الروم / ٣٠ .

( ٢ ) حديث صحيح . رواه البخارى جـ٢ / ١٠٤ ،ومسلم جـ٨/ ٥٢ ، كتاب القدر .

فاجتماعه صلى الله عليه وسلم بالانبياء في بيت الله المقدس أكد تلك العلاقة ورسخ تلك الاخوة المعقودة برباط الايمان وحبل الاسلام، لذا تراهم عند استقباله في كل سماء يقولون "مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح".

فالانبياء اخوة، فهم حطة دين واحد، وداعون الى دين واحد.

وكلهم دعا الى الاسلام، وجميعهم جاء بتوحيد الله رب العالمين ونبذ عبادة سواه... فكانوا جميعا عليهم الصلاة والسلام أول ما يطرقون سمع أقوامهم بـ ( اعبدوا الله مالكم من اله غيره )(١).

قال تعالى ( آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ... )(٢).

وقال صلى الله عليه وسلم الانبياء اخوة علات وفي رواية، اخوة لعلات(٣). ( الخلاف بين الانبياء ذلك وهم صنعته الامم الجائرة عن السبيل السوى، أو بالاحرى صنعة الكهان والمتاجرون بالاديان والمفسدون المفترضون من يهود وغيرهم(٤).

---

(١) سورة الاعراف الايات ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥، وفي سورة هود الايات ٥٠، ٦١، ٨٤.

(٢) سورة البقرة - ٢٨٥.

(٣) رواه الشيخان أبو داود، وقال ابن حجر: العلات: بالفتح الضرائر، والمعنى ان أصل دينهم واحد وهو التوحيد.
انظر فتح الباري جـ٦/ ٤٨٩.

(٤) انظر فقه السيرة للغزالي ١٤١.

والاسلام انما هو امتداد للنبوات الاولى وهو وصية من سلف منهم عن خلف ( ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون )[١] .

والرسالة الخاتمه والنبى الخاتم انما هو لبنة مضافة الى بناء الايمان المتين ،وصرح الدين الشامخ ،الضاربه جذورة فى شعاب الازمان . وهذا ما أعلنه محمد صلى الله عليه وسلم حين قال : " مثلي ومثل الانبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتا فاحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له . ويقولون هلا وضعت هذه اللبنه ،فانا تلك اللبنه وانا خاتم النبيين "[٢] .

فزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم للمسجد الاقصى والتقاؤه بالأنبياء فيه وفى السماء كذلك ،وصلاته بهم اماما جماعة ، كل ذلك يذكر بجوانب من الرساله الالهيه لاهل الأرض فى رقعة ظاهرة مباركة اجتمع فيها وحولها ،عدد من الانبياء الاطهار واتباعهم وامهم مما لا يحصيه الا الله تعالى .

ويأتى على رأس هؤلاء الرسل والانبياء ابراهيم ولوط عليهما السلام قال تعالى ( ونجيناه ولوطا الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين )[٣] .

ثم أولاد ابراهيم وأحفاده من الانبياء والمرسلين يعقوب والاسباط واسحاق عليهم الصلاة والسلام ، ثم موسى وهارون ،وداود وسليمان وزكريا ويحي وعيسى وغيرهم عليهم جميعا وعلى نبينا افضل الصلوات والتسليمات .

---

( ١ ) سورة البقره /١٣٢ .
( ٢ ) رواه الشيخان / البخارى ٦/٤١٥٦ ومسلم ٤/٧ .
( ٣ ) سورة الانبياء / ٧١ .

فتأتي تلك الزيارة والرحلة ،لتدل على مكانة القرآن الكريم ووضعه من الكتب السماوية ،وهي مكانة الريادة والهيمنة ،ووضع المصحح لما طرأ عليها من تحريف أو تصحيف أو حذف أو خفاء .

فهذا الدين جاء مصدقا لما بين يديه ومهيمنا على الكتب قبله ، وناسخا لرسالات من قبله وشرائعها ، فلا يقبل دين بعد في الأرض سواه .

قال تعالى : ( ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين )(١) .

وقال تعالى ( وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ... )(٢) .

من دلائل الاسراء والمعراج : تكريم الله تعالى لرسوله واظهار مكانته وفضله :-

كما أشرنا فيما مضى في أكثر من موضع الى أن رحلة الاسراء والمعراج كانت تأييدا من الله تعالى لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ،واظهارا لكرامته ،ورفعة قدره ، وسنرى هذا فيما يلي :-

١ - في بداية السورة عندما ذكر الحق جل جلاله رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم قال سبحانه (سبحان الذي أسرى بعبده ) وهو تشريف عظيم اختصّه الله به في هذا المقام ،ولو كان هناك أشرف من العبودية لله تعالى لذكره به .

---

( ١ ) سورة آل عمران ٨٥ .

( ٢ ) سورة المائدة الآية /٤٨ .

قال القاضي بن العربي في أحكام القرآن :-

" لما رفعه الى حضرته السنيه ، وارقاه فوق الكواكب العلويه ، الزمه اسم العبودية له تواضعا للألهيه "[1] ،

ومن ثم كان ذكره تعالى للملائكة والانبياء والمؤمنين ، بعبادي تشريفا لهم وتكريما ،والى ذلك اشار القاضي عياض رحمه الله فقال :-

ومما زادني شوقا وتيها وكدت باخصصي اطأ الثريا

دخولي تحت قولك ياعبادي وان صيرت أحمد لي نبيا

وهو مثل من قال :

لا تدعني الا بيا عبدها فانه اشرف اسمائي

٢ - من دلائل تكريم الله تعالى لنبيه وتعظيمه اياه :-

ماروواه انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم " أتي بالبراق ليلة اسري به ملجما مسرجا ،فاستصعب عليه ،فقال له جبريل : ما يحملك على هذا فوالله ما ركبك قط اكرم على الله منه ،قال فارفضّ عرقا ..."[2] أي جرى عرقه وسال .

---

( ١ ) أحكام القرآن - ابن العربي - جـ٣/١٩٢ .

( ٢ ) رواه الامام احمد في المسند ٣/٦٣ .

٣ - ومما يدل على مكانة رسولنا صلى الله عليه وسلم :-

امامته للنبيّين والمرسلين في بيت المقدس ، فهذا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم هو الامام المقدم والشيخ الرئيس المبجل ، ففي ذلك ابراز لفضله صلى الله عليه وسلم ومكانته ، ولا نعني بهذا التفضيل التنقيص من قدر الانبياء المفضولين أو الغض من شأنهم ودرجتهم فكلهم عزيز ، فالانبياء هم الصفوة المختارة من بني البشر من اطهرهم اعراقا ، واصفاهم قلوبا وازكاهم نفوسا صلى الله عليهم جميعا وسلم تسليما كثيرا وصدق الله تعالى اذ يقول في سورة الاسراء :

( ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا )(١) .

لما عرج برسول الله صلى الله عليه وسلم الى السموات ، كان يستقبله اهل كل سماء بالحفاوة والتكريم والتبجيل والتعظيم ، حيث كان كل نبي يثني عليه ، ويحتفي به وبمقدمه الكريم ، على ملأ كريم كذلك ، وكانوا يقولون : " مرحبا به فنعم المجيء جاء ، ثم يقولون : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح - الا آدم وابراهيم فانهما قالا : مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح " .

وجانب آخر يظهر لنا كرامة رسولنا صلى الله عليه وسلم على ربه تعالى :-

انه عندما عرج به جبريل عليه السلام الى سدرة المنتهى ، انتهى جبريل الى مقامه المعلوم الذي لا يتجاوزه لا هو ولا نبي مرسل أو ملك مقرب قبله ، ثم عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم الى مستوى سمع فيه صريف الاقلام

---

(١) سورة الاسراء / ٥٥ .

ـأى اصوات كتابتها للمقادير ـ .

ان ذلك المقام كما ثبت لم يبلغه ملك مقرب ولا نبى مرسل ،وهناك أرى الله تعالى عبده من آياته العظيمة الكبرى، وأوحى الى عبده ماأوحى وفرض عليه وعلى أمته خمسين صلاة في اليوم ، ثم خففت عنا الى خمس وهي فى الأجر خمسون .

وبعد فان الرحلة من أولها الى آخرها كانت حفاوة من الله تعالى وملائكته ورسله ، بحبيبه وخليله وصفيه من خلقه صلى الله عليه وسلم

حكمة العروج بالرسول صلى الله عليه وسلم من بيت المقدس :-

ان جعل الله تبارك وتعالى بيت المقدس محطة من محطات الرحلة المباركة الكريمه فى ليلة الاسراء تنطوى على دلالات كثيره ويمكن ان يستنتج منها دروس وان يستشق منها عبر :-

يقول الامام أبوجعرة فى ( بهجة النفوس ) ما ملخصه :-

١ ـ ان الحكمة فى الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس قبل العروج به الى السموات اقامته للحجة على المشركين والمتشككين لانه لو عرج به من مكه الى السماء مباشرة لم يجد الى مراغمة الكفار والضعفاء سبيلا الى الزامهم بالحجه ،اذ لا علم لهم بالعالم العلوى حتى يسألوا عنه فيجيبهم بما يقيم عليهم الحجة ، بخلافما وقع بالفعل ، فانه لما ذكر انه اسرى به الى بيت المقدس ،سألوه ان يصف لهم بيت المقدس ،وكانوا يعرفونه فى تجاراتهم واسفارهم ،ويعلمون أيضا

أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن رآه من قبل فلما اخبرهم بأوصافه كان ذلك أكبر آية على صدقه فيما ذكر من الاسراء الى بيت المقدس في ليلة رجوعه منه ،واذا تحقق صدقه في الاسراء لزمهم تصديقه في بقية ماذكره من المعراج ليؤمن من آمن عن بينه ، ويكفر من كفر بعد قيام الحجة عليه (١) .

٢ - ان بيت المقدس مهاجر الانبياء وأولى القبلتين ،وثاني المسجدين ، فاراد الله تعالى ان يشرف نبيه بالصلاة في البقعتين المباركتين ، وأن يجوز الفضيلتين (١) .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى :-

فان المرور بالمسجد الاقصى وصلاة الرسول عليه الصلاة والسلام فيه تشير الى العلاقة الوثيقة بين المسجدين والبقعتين ، فالعلاقة بينهما علاقة عقدية (٢) دينية ،علاقة التوحيد واماكنه بعضها ببعض .

---

( ١ ) انظر كتاب ( بهجة النفوس ) لابن ابي جمره جـ٣/ ٢١٥ ط. الاولى سنة ١٣٥٣هـ.

( ٢ ) يقول ابن حجر رحمه الله في حكمة المرور من بيت المقدس :

( قيل الحكمة في ذلك : ان يجمع الرسول في تلك الليلة بين رؤية القبلتين ، أو لأن بيت المقدس كان هجرة غالب الانبياء ،فحصل له الرحيل اليه في الجملة لجمع اشتات الفضائل ،أولأنه محل الحشر ، وغالب ما اتفق له في تلك الليلة يناسب الأحوال الاخروية ،فكان المعراج منه اليق بذلك ، أو للتفاؤل بحصول أنواع التقديس له حسا ومعنى أو ليجتمع بالانبياء جملة " .

فتح الباري جـ٧/ ١٩٧ .

يقول سيد قطب : ( والرحلة من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ، رحلة مختارة من اللطيف الخبير ، تربط بين عقائد التوحيد الكبرى من لدن ابراهيم واسماعيل عليهما السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم ، وتربط بين الاماكن المقدسة للديانات جميعا " .

ثم يقول رحمه الله : ( وكأنما أريد بهذه الرحلة العجيبة اعلان وراثة الرسول الاخير لمقدسات الرسل قبله ، واشتمال رسالته على هذه المقدسات ، وارتباط رسالته بها جميعا ، فهي رحلة ترمز الى أبعد من حدود الزمان والمكان ، وتشمل آمادا أوسع من الزمان والمكان وتتضمن معاني أكبر من المعاني القريبة التي تتكشف عند النظرة الاولى "(١) .

وهذا في الواقع يعني أن الاهتمام بالمسجد الاقصى المبارك وما حوله ينبغي أن يؤخذ من هذا الجانب ، وهو أنه مسجد اسلامي زاره رسولنا صلى الله عليه وسلم وفتحه قادة المسلمين وتسلمه أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه بنفسه ، ثم اصبح وما حوله من ديار فلسطين والشام ارضا اسلامية تشهد لله بالوحدانية ، ولرسوله بالرسالة .

فالاهتمام بالاقصى نابع من دين المسلم وعقيدته ، وان اى تقصير في ذلك يدل على ضعف في عقائد المسلمين ، وبالتالي فان اى خطر يهدد المسجد الاقصى انما هو في الحقيقة يهدد الحرمين الشريفين - حرسهما الله - وكيف تسلم لنا الحرمات ، والعدو يهزأ بواقع المسلمين المؤلم ، وتفرقهم القاتل وبعدهم عن هديه فانا لله وانا اليه راجعون .

ولذا سنتناول المسجد الاقصى ، ببحث خاص تال باذن الله .

---

( ١ ) في ظلال القرآن جـ٤/ ٢٢١٢ .

## - الفصل الثانى -

## عن

## المسجد الأقصى تاريخه وفضله فى الاسلام

وفيه مباحث :-

المبحث الأول : التعريف بالمسجد الأقصى ، معناه ، واسماؤه .

المبحث الثانى : فضائل المسجد الأقصى .

المبحث الثالث : فضائل الشام .

المبحث الرابع : تاريخ بناء المسجد الاقصى .

المبحث الخامس : القدس مسلمة موحدة عبر التاريخ .

المبحث السادس : اخطاء بعض الكتاب عند الحديث عن تاريخ القدس .

المبحث السابع : فتح بيت المقدس .

## - المبحث الأول -

## التعريف بالمسجد الأقصى ومعناه ، واسماؤه

قال تعالى : ( سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ) .

من هذه الآية بدأ المسجد الأقصى يحتل المكانة العظيمة فى قلوب المسلمين وبها صار للمسلمين عهد معه . على أن هذه العلاقة ماكانت بدعا ولا مستحدثه ، وانما هى امتداد لمواقف كل الموحدين لله من أنبياء واتباع ممن سكن حوله منذ العصور السحيقه ، كما سنرى هذا فى مقامه من هذا الفصل ان شاء الله .

### معنى المسجد الأقصى :-

المسجد : مكان السجود والعبادة مطلقا .

وقال الراغب : ( المسجد هو موضع العبادة اعتبارا بالسجود )[1] .

والاقصى : بمعنى الأبعد :

قال الراغب : ( قصوت عنه واقصيت ابعدت ، والمكان الاقصى ، والناحية القصوى ، ومنه قوله تعالى ( وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى )[2] وقوله : الى المسجد الأقصى : يعني بيت المقدس ، فسماه الاقصى اعتبارا بمكان المخاطبين به اى النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين فى مكه )[3] .

---

( ١ ) المفردات للراغب / ٢٢٤ .

( ٢ ) سورة القصص / ٢٠ .

( ٣ ) المفردات / ٤٠٥ .

وسبب تسميته بالاقصى : أقوال[١] :-

١ - لانه المسجد الابعد عن المسجد الحرام .

٢ - وقيل لبعده عن الاقذار والخبائث .

روعي في السبب الاول البعد الحسي ، وفي السبب الثاني البعد المعنوي . وعلى كل حال فقد كان في الشام وهي ابعد البقاع التي يعرفها العرب آنذاك .

ثم صار لفظ أو تعبير المسجد الاقصى علما على مسجد بيت المقدس الاسلامي بعد الاسلام ، اقتباسا من الوصف القرآني الوارد في سورة الاسراء ومن أقوال النبي صلى الله عليه وسلم . وكان قبل الاسلام مكانا لعبادة الانبياء داود وسليمان عليهما السلام ومن قبلهما ابراهيم واسحق ويعقوب والأسباط عليهم السلام ، ولكنه استكمل عمرانه وعظم بناؤه في عهدي داود وسليمان عليهما السلام .

وكان المسجد الاقصى عند نزول الآية ( سبحان الذي أسرى ) خرابا تلقى عليه الكناسات والأقذار من قبل النصارى الرومان ، نكاية باليهود لعلمهم أنهم يقدسونه ، وأول من أزال النجاسة عنه سيدنا عمر رضي الله عنه والصحابة والمجاهدون يوم فتحه .

---

(١) اعلام الساجد باحكام المساجد للزركشي ص ٢٧٦ تحقيق أبو الوفا مصطفى المراغي .

أسماء المسجد الأقصى :-

للمسجد الأقصى أسماء كثيره ،وقد جمع الامام الزركشي منها سبعة عشر اسما اهمها :-

١ ) المسجد الأقصى .

٢ ) ايلياء : بهمزة مكسوره ،ولام مكسوره آخره ألف ممدوده على وزن كبرياء ، وحكى فيها القصر ،فيقال : ايليا ،وايلياء .

٣ ) بيت المقدس : بفتح الميم وسكون القاف . أى المكان الذى يتطهر فيه من الذنوب فمعنى القدس بضم القاف وسكون الدال : الطهر ، والمقدّس : المطهر . وبضمتين القدس : كذلك ، ومن أسماء جبريل عليه السلام ،روح القدس ،لأنه خلق من الطهاره والبيت المقدس أى المطهر من الشرك (١) .

وأما الأسماء الأخرى فهى : البيت المقدس ، بيت القدس ، تسلّم ، شلّم ، أورشليم ، بفتح الشين وكسر اللام المخففه .

قال أبوعبيده :

وقد طفت للمال آفاقه عمان فحمص فأورشلم (٢)

ومن أسمائه أيضا : كورة ايليا (٣) ، أورشليم ، بيت ايل ،

---

( ١ ) انظر القاموس المحيط جـ٢/ ٢٢٨ ،والمفردات للراغب ص٣٩٦ .

( ٢ ) النهاية لابن الاثير جـ١/ ٨٠ ، قال ومعنى :أورشليم: مدينة السلام.

( ٣ ) كورة ايلياء : كورة قال الراغب: وقيل لكل مصر كوره وهي البقعة التي يجتمع فيها قرى ومحال .
ايليا : اسم اطلقه عليها الرومان ،وهي اسم عائلة القيصر( هدريان )
انظر كتاب( بلادنا فلسطين )للدباغ جـ٩ /ص ٧٩ .

وصهيون ، ومصروت ، وبابوش ، وكورشيلا ، وشليم ، وازيل ، صلمون [١] .

ومن أسمائه أيضا :

يبوس : نسبة الى اليبوسيين وهم بطن من الكنعانيين العرب الذين هاجروا من الجزيرة .

وقد سماها القرآن بأسماء :

القرية : في قوله تعالى : ( ادخلوا القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا [٢] ) .

الأرض المباركة : في قوله تعالى عن لوط وابراهيم عليهما السلام ( ونجيناه ولوطا الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين [٣] ) .

والساهرة : في قوله تعالى ( فاذا هم بالساهرة [٤] ) سورة النازعات ١٤ .

والزيتون : في الآية الكريمة ( والتين والزيتون وطور سينين ) سورة التين ١ - ٣ .

---

( ١ ) اعلام الساجد بأحكام المساجد - الزركشي ( ٢٧٧ - ٢٨٠ ) .

( ٢ ) سورة البقرة / ٥٨ .

( ٣ ) سورة الانبياء / ٧١ .

( ٤ ) على بعض آراء المفسرين ، وراجع ابن كثير في تفسيره أن الساهرة بمعني وجه الأرض الظاهر .
انظر تفسير ابن كثير ج٤ / ٤٦٧ .

قال المفسرون :

التين بلاد الشام ،والزيتون ، بيت المقدس ، وفيها نبى الله عيسى بن مريم ، وطور سينين : الجبل الذى كلم الله عليه موسى ، وهذا البلد الأمين مكه ..

فأقسم الله بتلك البقاع المباركه لنبيه على شرفها ، وقد بعث الله هذه المحال الثلاث فى كل منها نبيا مرسلا من أولى العزم أصحاب الشرائع الكبار ، وهم عيسى وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام (١) .

---

( ١ ) تفسير ابن كثير جـ٨/ ٤٥٧ ، وصفوة التفاسير للصابونى جـ٤/ ٥٧٨ .

## ـ المبحث الثاني ـ

## فضائل بيت المقـــدس ـ

ورد في فضائل القدس نصوص كثيره ، من الكتاب والسنة ،وآثار وفيره عن الصحابة والتابعين والزهاد والصالحين :

أما من القرآن الكريم :ـ

١ ـ ما قاله سبحانه وتعالى في أول سورة الاسراء عن المسجد الاقصى ( الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ) .

" فلو لم يكن له من الفضيله غير هذه الآيه كانت كافية فيه ، لأنـــه اذا بورك حوله فالبركة فيه مضاعفه "(١).

٢ ـ وقال تعالى اخبارا عن نبيه موسى عليه السلام :

(ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم )(٢). وكما مر معنا ان القدس بمعنى الطهر ،فالأرض المقدسه اى المطهـــره . ومر كذلك ان من اسباب تسمية الاقصى (بيت المقدس ) لانه يتطهر فيه من الذنوب .

٣ ـ وقال تعالى عن ابراهيم ( ونجيناه ولوطا الى الأرض التي باركنـــا فيها للعالمين )(٣) على قول المفسرين بانها أرض بيت المقدس .

والبركة فيها تشمل ناحيتين :ـ

١ ـ حسّيه وهى ان الله اجرى حوله الانهاروانبت الزروع والثمار .

---

( ١ ) الانس الجليل ـ تاريخ القدس والخليل ـ لمجير الدين الحنبلى جـ ٣/١ .

( ٢ ) سورة المائدة / ٢١ .

( ٣ ) سورة الانبياء / ٧١ .

٢ ـ معنوية لانه مقر الانبياء ،ومهبط الملائكه والوحي ، وقبلة الانبياء قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ،واليه يحشر الخلق يوم القيامه[١] .

ماورد في السنة من فضائل المسجد الأقصى :ـ

أما في السنة الشريفة ، فقد ورد في شأن بيت المقدس أحاديث كثيرة تنوّه بفضله ،وترفع قدره ومنزلته عند الله والمؤمنين . سأشير الى أصحها .

١ ـ بيت المقدس أرض الهجرة في آخر الزمان .

أ ـ في حديث امامة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تزال طائفة من امتي على الحق ظاهرين لعدوهم قاهرين ،لا يضرهم من خالفهم ولا ما أصابهم من اللأواء حتى يأتيهم امر الله وهم كذلك[٢] .

وعند الامام أحمد زيادة : قالوا يارسول الله وأين هم قال ببيت المقدس واكناف بيت المقدس[٣] .

ب ـ روى الامام أحمد بسنده الى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لئن أنتم اتبعتم اذناب البقر ،وتبايعتم بالعينه ، وتركتم الجهاد في سبيل الله ،ليلزمنكم

---

( ١ ) انظر تفسير الخازن جـ٥/ ١٢٧ ، وزاد المسير جـ٥/ ٥ ،وابن كثير جـ٥/ ٣ .

( ٢ ) رواه البخاري ومسلم : البخاري جـ٥/ ١٨٧ ، ومسلم جـ٢/ ١٩٣-١٩٤ ،واصحاب السنن .

( ٣ ) مسند أحمد جـ٥/ ٢٦٩ ،اكناف ( جنبات جمع كنف ) .

الله مذلة في أعناقكم ثم لا تنزع منكم حتى ترجعوا الى ماكنتم عليه ، وتتوبوا الى الله ،وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "لتكونن هجرة بعد هجرة ، الى مهاجر ابراهيم عليه السلام، حتى لا يبقى فى الأرضين الا شرار أهلها ،وتلفظهم ارضوهم ، وتقذفهم روح الرحمن عز وجل وتحشرهم النار مع القردة والخنازير . . . . "(١).

وفى رواية اخرى للامام أحمد : " انها ستكون هجرة بعد هجرة ، ينحاز الناس الى مهاجر ابراهيم لا يبقى فى الأرض الا شرار أهلها . . . "(٢).

ورواية ثالثه له رحمه الله : " ستكون هجرة بعد هجرة فخيار الأرض أو لخيار الأرض الى مهاجر ابراهيم . . . "(٣).

٢ - ثانيا : من فضائل بيت المقدس : قوله صلى الله عليه وسلم " لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد " المسجد الحرام والمسجد الاقصى ، ومسجدى هذا "(٤).

---

( ١ ) مسند أحمد جـ٢ / ٨٤ .

( ٢ ) مسند أحمد جـ٢ / ١٩٩ .

( ٣ ) المصدر السابق جـ٢ / ٢٠٩ ، وكذا رواه ابو داود فى باب الهجرة وسكنى الشام .

( ٤ ) رواه البخارى فى جـ٢ / ٧٦ ، وأبو داود فى كتاب المناسك / والامام أحمد جـ٢ / ٥٠١ .

٣ - روى الامام مسلم فى صحيحه عن البراء رضى الله عنه قال : " صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ،ثم صرفنا نحو الكعبة "(١).

اذ شاء الله تعالى ان يتجه المسلمون الى بيت المقدس رد ها من الزمان ، فاستقبلوه بوجوههم وقلوبهم فى الصلاة التي هى أقوى أركان الاسلام ،فالعلاقة بين المسلمين وبين الاقصى وثيقة وأصيله فهي من صلب العقيدة ومن صميم الدين .

٤ - المسجد الاقصى أقدم مسجد فى الأرض بعد الكعبة المشرفه .

فقد روى عن ابي ذر رضي الله عنه قال : " قلت يارسول الله اى مسجد وضع فى الأرض أول ؟ قال : المسجد الحرام ، قلت ثم اى ؟ قال : المسجد الاقصى ، قلت كم بينهما ؟ قال :أربعون سنه ، وأينما ادركتك الصلاة فصل وهو مسجد " وصدق الله ( ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة )(٢).

٥ - وروى الامام أحمد رحمه الله أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (والصلاة فى المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة )(٣)

---

( ١ ) رواه مسلم فى كتاب الانبياء / والامام أحمد ٥/ص. ١٥٠ ، وابن ماجه - كتاب المساجد .

( ٢ ) سورة آل عمران / ٩٦ ، والحديث رواه البخارى جـ٤ / ١٧٧ ، ومسلم فى كتاب المساجد .

( ٣ ) رواه الطبراني فى الكبير ورجاله ثقات وهو حديث حسن النظر انظر ( مجمع الزوائد ) جـ٤ / ٧ دار الكتاب العربي - بيروت .

٦ - قبر موسى عليه السلام على مشارف بيت المقدس :-

في الصحيح أنه لما احتضر موسى عليه السلام قال : يارب امتني من الأرض المقدسة رميةً بحجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلو كنت ثم - اى هناك لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر (١).

٧ - دعوة نبينا سليمان لبيت المقدس :-

ان سليمان بن داود عليهما السلام ،لما بنى بيت المقدس : (سأل ربه ثلاثا : حكما يصادف حكمك ،وملكا لا ينبغي لأحد من بعدي ،وان من اتى هذا البيت "يريد بيت المقدس" لا يريد الا الصلاة فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اما اثنتين فقد أعطيهما وأنا أرجو ان يكون قد أعطي الثالثة" (٢).

٨ - استحباب الاحرام بالحج أو العمرة من بيت المقدس :-

في سنن أبي داود وغيره من حديث ام سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من أهلّ بحجة أو عمرة من المسجد الاقصى غفر له ماتقدم من ذنبه " وأحرم جماعة من السلف منه كابن عمر ومعاذ ووكيع وغيرهم (٣).

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفضائل جـ٧/ ١٠٠ ،والبخاري في كتاب الجنائز جـ ٢/ ١١٣.

(٢) رواه الامام أحمد ٢/ ١٧٦ ،وكذا ورد في السنن ، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين .

(٣) انظر عون المعبود : كتاب المناسك جـ٥/ ١٦٦ ،ومسند أحمد جـ٤/ ٢٩٩.

٧ - من فضائل بيت المقدس : الاسراء اليه والمعراج منه :-

فالاسراء والمعراج كلاهما دليل واضح على مكانة المسجد الاقصى وبيت المقدس ، من وجوه :-

١ ) كان الاسراء ايذانا بفتح بيت المقدس ، وبشرى بنصر الله لجنده وجيشه من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانه بعد ان وطئته قدما رسول الله صلى الله عليه وسلم صار امانة محفوظة ودرة مصونة بايدي المجاهدين المسلمين المؤمنين ، يناضلون عنه ، ويبذلون المهج والأرواح رخيصة في سبيل بقائه عزيزا كريما تخفق في سمائه راية التوحيد .

٢ - والسؤال الذي يطرح نفسه هنا : لم خص الله هذه الأرض بالاسراء في الوقت الذي كانت فيه بلاد اخرى اكثر شهرة وأوسع عمرانا لقد كانت هناك روما واثينا والقسطنطينية وغيرها من البلاد .

ان الله تبارك وتعالى أراد ان يبين للمسلمين قبل نكباتهم وهزائمهم الأخيرة بسبع وثمانين وثلاث مائة والف من السنين ، ان هذا المسجد ، وان هذا البلد وان هذه الأرض محل عناية الله ومكان رعايته منذ القدم ، فاسرى برسوله صلى الله عليه وسلم واراد ان يبين لهم شرف هذه الأرض وقداسة هذا البلد ، فلم يأذن لغير محمد صلى الله عليه وسلم من المسلمين ان يفتحها قبله ، فلئن تاهت الشام وافتخرت العراق ، وشمخت مصر بان الذي فتحها أبوعبيده وخالد وعمرو وجحافل جيوش المسلمين فان لموطن المسجد الاقصى ان يفتخر وان يتيه ويشمخ بان الذي فتحه باديء ذي بدء هو محمد صلى الله عليه وسلم بشخصه وبذاته الكريمة صلوات الله وسلامه عليه .

ثم لفتة اخرى فان المعراج قد نصب الى السماء من بيت المقدس ثم لما نزل من السماء رسولنا صلى الله عليه وسلم بصحبة جبريل عليه السلام الى بيت المقدس ثم قفل راجعا الى مكة المكرمة اليس في السماء الا باب واحد ؟ .

ومن الدلالات ايضا فوق ارتباط المسجد الاقصى بالحرم المكي في الحجاز، انها ربطت القدس بالسماء وبأهل السماء .

فمن حرص على الكعبة المشرفة فليحرص على موطن الاسراء والاقصى ، ومن حرص على ارض العرب وبلاد الحجاز ، فليحرص على موطن الاقصى ، فهنا المفتاح ، ومن حرص على السماء فليحرص على المسجد الاقصى فمن هنا العروج اليها (١) .

وأخيرا فان في بيت المقدس معالم أثريه من مخلفات عصور التاريخ (٢) وتتمثل : ( في المساجد وفي طليعتها المسجد الاقصى ، ومسجد الصخرة وقبتها ، ومسجد عمر رضى الله عنه ، وتضم عددا كبيرا من الاوقاف والسبل ، والتكايا ، والزوايا ، والاروقه ، والمدارس ، ودور العلم ، وفيها قبور مفرده ، ومقابر جماعيه كثيره .

ففي القدس وما حولها من مدن فلسطين اكثر من تسعة قبور لصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأسهم " عبادة بن الصامت رضى الله عنه " ، وتضم كذلك اكثر من أربعمائة قبر للعلماء والاعيان ، رجال الحكم والقادة (٢) .

ولقد توسعنا في الحكم والعبر المستقاه من الاسراء والمعراج في مقامها من هذه الرسالة ، لكن هذه اللفتات عاجله للحديث عن القدس .

---

( ١ ) من نور الاسلام للشيخ نمر الخطيب ٢٩-٣٠ مكتبة الحياة - بيروت .

( ٢ ) انظر كتاب (أمجادنا في ثرى بيت المقدس) د . كامل العسلي .
وكتاب ( كنوز القدس ) وكلاهما من نشر المجمع الملكي لبحوث الحضارة - عمان - الاردن .

## المبحث الثالث .

## ماورد في فضائل الشـــام

الله تبارك وتعالى ذكر في كتابه الكريم أنه بارك حول المسجد الاقصى كما نصت سورة الاسراء ، فالمسجد الاقصى يدخل بالدرجة الاولى في هذه البركـــه ، ثم ان البركه كما اخبر الحق جل جلاله تشمل ماحوله من ديار وبلاد ، فتشـــمل مدينة القدس وفلسطين والشام كما قال المفسرون والعلماء .

هذا وقد وردت احاديث تبين فضل الشام ، وخصوصا في آخر الزمان عنـــد اشتداد الكرب والفتن واحداثها بالمسلمين كما سنرى .

١ - روى ابوداود في سننه أن الرسول صلى اللهعليه وسلم قال : سيصير الأمـــر الى أن تكونوا جنودا مجندة ، جند بالشام ، وجند باليمن وجند بالعراق . قال ابن حواله - راوى الحديث - خر لى يارسول الله ان أنا أدركت ذلك - اى اختر لى - فقال صلى الله عليه وسلم : " عليك بالشام فانهـــا خيرة الله من أرضه يجتبى اليها خيرته من عباده ، فاذا أبيتم فعليكم بيمنكم واسقوا من غدركم - جمع غدير وهو نبع الماء - فان الله توكل لي بالشام وأهله " .

قال صاحب عون المعبود في شرح سنن أبى داود : " توكل لى بالشام وأهله : أى تكفل وتضمن بان لا تصيبه الفتن ولا يهلكه الله بالفتنه من أقـــام بها "(١) .

٢ - وروى الامام أحمد في مسنده : ان الرسول صلى الله عليه وسلم دعا بالبركة للشـــام فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا ، قالها مرارا "(٢) .

---

(١) انظر عون المعبود شرح سنن أبى داود - لشمس الحق آبادى جـ٧/ ١٥٤ ، ومسند أحمد جـ٥/ ٢٨٨ .

(٢) رواه الامام أحمد جـ٣/ ٩٠ ، ١١٨ .

٣ - وفي مسند الامام أحمد رحمه الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قسم الله الخير فجعله عشره ، فجعل تسعة أعشاره في الشام ، وبقيته في سائر الأرض "(١).

وبعد فقد ورد في فضل بيت المقدس ، وما حوله من أرض الشام اخبار كثيره ، وفضائل وفيره ، لم أر تطويل الرسالة بسردها ، لكنني سأشير الى المراجع والمصادر التي جمعت تلك الفضائل وحوت تلك الآثار والاخبار.

١ ) كتاب الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل للقاضي مجير الدين الحنبلي .

٢ ) فضائل القدس - لابن الجوزي .

٣ ) اتحاف الاخصا في فضائل المسجد الاقصى - لابن ابي شريف ، وهو مخطوط ضخم ، يوجد منه صورة في مكتبة مخطوطات الجامعة الاسلامية تحت رقم ( ٢٢١٩ ) ميكروفلم .

٤ ) نصيحة الانام في فضائل سكنى الشام - لسلطان العلماء العز بن عبد السلام.

هذا بالاضافة الى كتب التاريخ ، ومعاجم البلدان والاماكن المقدسة(٢).

لكن الملفت للنظر في أكثر تلك الكتب انها تروي اخبارا غير مسندة ولا معزوة ولا تبين كذلك درجة تلك الاحاديث من حيث الصحة أو الضعف أو الوضع .

على أن كثيرا منها انما هو من الاسرائيليات التي راجت عند هواة جمع الاخبار الغريبة من العلماء .

فلينتبه القارئ لذلك وللاهمية جرى التحذير والتنبيه .

---

( ١ ) انظر حاشية وشرح الحافظ ابن القيم على عون المعبود جـ٧/ ١٦٠ ، وذكر مجموعة من الاحاديث في فضل الشام والهجرة اليها في آخر الزمان انظر مجمع الزوائد جـ١٠/ ٥٩ - ٦٢ .

( ٢ ) انظر تاريخ القدس - د . شفيق جاسر ص ١٥٥-١٥٧ .

## ـ المبحث الرابع ـ

## تاريخ بناء المسجد الاقصى

صح فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبا ذر رضى الله عنه سأله قال : يارسول الله اى مسجد وضع فى الأرض أولا ؟ قال المسجد الحرام قال ثم اى ؟ قال المسجد الاقصى ، وقال كم بينهما ؟ قال : أربعون سنة (١) .

فهذا الحديث دليل على أن المسجد الاقصى بعيد القدم فى التاريخ خلافا لمن يرجع تاريخ بناءه الى سليمان بن داود عليهما السلام وانه هو الذى ابتناه وعمره .

وقد اختلفت أقوال المؤرخين المسلمين فى تحديد من بنى المسجد أول مره ، فبعضهم قال الملائكة ، وبعضهم قال : بناه آدم ، أو سام بن نوح وبعضهم قال انه يعقوب أو ابنه اسحق عليهم جميعا افضل الصلاة والتسليم .

وصاحب كتاب (الانس الجليل (٢)) بعد أن استعرض آراء العلماء عن بناء المسجد قال : ( وهذه الأقوال تدل على أن بناء داود وسليمان عليهما السلام اياه انما كان على أساس قديم ، لا انهما المؤسسان له بل هما مجددان ) .

ثم يقول ( وكل قول من هذه الأقوال الواردة فى بناء المسجد الأقصى لا ينافى الآخر فانه يحتمل أن يكون بناه الملائكة أولا ، ثم جدده آدم عليه السلام ثم سام بن نوح عليه السلام ، فان كل نبى منهم بعثه وبعث الآخر مدة تحتمل ان يجدد

---

( ١ ) حديث صحيح سبق تخريجه ص ٢٧٦ .

( ٢ ) كتاب الانس الجليل فى تاريخ القدس والخليل مجير الدين الحنبلى ج ١ / ص ٨ . دار الجيل .

فيهما البناء المتقدم قبله[1] .

وعلى أى حال فانه لم يثبت فى ضبط تاريخ بناء المسجد الاقصى أو تأسيسه حديث أصح ولا أوضح من حديث ابى ذر الصحيح المتقدم ، حيث ذكر فيه انه بنى بعد بناء المسجد الحرام باربعين سنه ولم يعين من بناه بالتحديد .

هذا وللمفسرين والمؤرخين كلام طويل فى ذلك فليراجع من أراد التوسع كتب التاريخ والممالك الاسلامية[2] .

---

( ١ ) انظر كتاب الانس الجليل جـ١/ص ٩ ، وكتاب القدس الخالده ـ محمد اديب العامرى .

( ٢ ) مثل كتب : الكامل لابن الاثير جـ١/٢٢٧ ، وتاريخ ابن خلدون جـ٢/١١٦ ومعجم البلدان لياقوت الحموى جـ٥/١٦٦ ، وابن العنبرى ص ١٤ .

## ـ المبحث الخامس ـ

## القدس مسلمة موحدة عبر التاريخ

بيت المقدس مع مسجدها مدينة مسلمة عريقة الأصول والجذور ، من بدايه بناء مسجدها المقدس من قبل الانبياء في فجر التاريخ ، وحتى فتح عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لها في العام السادس عشر للهجرة .

أما الاجناس البشريه التي سكنت القدس ، فقد اثبت الكتاب والمؤرخون المعاصرون (١) انها موطن شعوب عربية ، فهي مدينه عربية الجذور والأصول ، بناها اليبوسيون وهم بطن من بطون العرب وقبائلهم الكنعانيه المهاجرة من جزيرة العرب قبل حوالى ستة آلاف سنه .

ويستدلون على عروبة القدس بحشد من الادلة ، سواء كانت هذه الأدلة نتيجة دراسة الاجناس والسلالات البشريه التي سكنت المدينة منذ القدم .

أو مستدلين بالآثار الباقيه التي تدل على ان العرب قد فطنوا تلك البقاع منذ العصور الغابرة في التاريخ ، وهذا ماوجدوه مكتوبا على الواح من طين تسمى بوسائل ( تل العمارنه ) (٢) .

---

(١) انظر كتاب / عروبة القدس في التاريخ ـ محمد أديب العامري .
وكتاب المفصل في تاريخ القدس ـ عارف العارف .
وكتاب تاريخ القدس ـ د . شفيق جاسر .
وتاريخ البلاذري / ٢٥٩ ، والواقدي / ١٧٠ .

(٢) انظر تاريخ القدس د . شفيق جاسر ، وكتاب القدس الخالدة ـ د . / عبد الحميد زايد ٢٧-٣٦ ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٤ ، وكتاب بلادنا فلسطين / مصطفى الدباغ (الجزء التاسع) .

فهي مسكن أجدادنا من العرب منذ آلاف السنين وليس لليهود فيها الا تاريخ قصير الفترة هي المدة التي حكم فيها داود وسليمان عليهما السلام تلك المدينة بحكم النسبة ، ولم يدم ملكهما أكثر من خمس وسبعين سنة ، وبعدها انقسمت الدولة الى قسمين وتشتت امرها وانحرف الشعب اليهودي عن الجادة .

لكن الاهم من هذه الأدلة التي نستدل بها نحن المسلمين على حقنا في القدس وفلسطين ان الفتح الاسلامي للقدس احالها مدينة اسلامية ، وصار المسلمون هم الوارثين لها والاوصياء على ما فيها من آثار ومعابد ومظاهر للحضارة ، وأصبح الدفاع عنها جزءا من عقيدة المسلمين .

اذا فلا ينبغي ونحن نصاول العدو أن نكتفي بالسلاح الاول وهو ان القدس موطن العرب والعروبة منذ القدم ونكتفي بالقول انها جريمة استعمارية بشعة وننسى العامل الديني في ذلك بل لابد من اثارة السلاح الاهم والاقوى وهو سلاح العقيدة الاسلامية لتربية الأجيال على ان هذه القضية قضية اسلامية ، وننظر اليها بمنظار ايماني هو ان التفريط فيها تفريط بالفروض والواجبات ثم هو في الحقيقة تفريط بالحرمين الشريفين لان اليهود لهم اطماع في أرض الحجاز في خيبر ويثرب كما هو معروف بل ويبنون أجيالهم على هذا الفهم والاعتقاد .

فاليهود ينظرون الى القضية نظرة دينية ويرون انها منحة لهم من الهيكل ويعمقون هذا المفهوم في عقول وقلوب ناشئتهم .

فعلاقة اليهود بالأرض المقدسة علاقة عقيدة وان كانت زائفة ، فلابد من مواجهتها بعقيدة صحيحة أقوى منها .

يقول الاستاذ الندوى فى كتابه القيم المسلمون وقضية فلسطين : ( فاليهود وهم اشد الناس عداوة بنص القرآن الكريم ، قد وجهوا كل امكانياتهم الخطيرة نحو هذه الامة لتدميرها ، واحتلال اراضيها بالذين بفلسطين .

وهم قد جاءوا الى بلادنا يحملون عقيدة اسمها ( ارض الميعاد ) يعتزون بها ، ويموتون في سبيلها ، وهي عقيدة يجب الا ندفعها بالسخف من القول فنقول :

ان العرب هم أقدم من اليهود فى استيطان فلسطين ، وان الفترة التى قضاها العرب فى فلسطين قبل وبعد الفتح الاسلامي هي اطول من تاريخ اليهود فيها .

ثم يقول : ( بل يجب ان ندفعها بعقيدة أقوى منها وأعظم ، عقيدة هي الحق والصدق ) هذه العقيدة هي ان الله سبحانه أورث محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته ميراث النبوة كلها واورثه الأرض المقدسة ، وجعلها لامته الى يوم الدين .

فيجب على هذه الامه أن تحافظ على هذا الميراث وتفديه بالمال والنفس ، وبهذه العقيدة وحدها نستطيع ان ندحر عقيدة ارض الميعاد ، التى انقضى مفعولها يطرد الله لليهود من فلسطين من الغي سنه . . . ) (١) .

---

( ١ ) انظر كتاب ( المسلمون وقضية فلسطين ) أبو الحسن الندوى ص٣-٤ ط. الثانيه .

## ـ المبحث السادس ـ

## اخطاء بعض الكتاب

## عند الحديث عن تاريخ المقدس

نظرا لضعف الاصالة الاسلامية التي اشرنا اليها آنفا أو حتى لانعدامها أدى هذا الى أن يكتب بعض كتاب المسلمين كتابة لاتتفق والمنظور الاسلامي الصحيح بل ويتنافى مع أدنى درجات الاحترام الذى ينبغي الى نوليه للانبياء والرسل الكرام المرسلين الى بنى اسرائيل .

( فيوشع بن نون ) عليه السلام خليفة موسى عليه السلام فى بنى اسرائيل يصفه بعض الكتاب بعبارات لاتليق برجل عادى ، واتهموه بالغدر وسفك الدماء ، بل اعتبره بعضهم مرتدا وكافرا والعياذ بالله .

ويعتبرونه كذلك معتديا على العرب أو الجبارين سكان القدس وضواحيها ، ومعتديا على القومية العربيه ، عندما فتحها ، شأنه فى ذلك شأن الغزاة المستعمرين (١) .

ولا أدرى كيف يجنح مثل هؤلاء الكتاب ـ على سعة علمهم ـ وينساق مع من يبث مثل هذه الافكار الخبيثه التي تدل على جهل بتاريخ الانبياء والمرسلين عليهم السلام مع أممهم .

ان يوشع بن نون عليه السلام كما قلنا هو خليفة موسى عليه السلام على قومه فهو نبي من أنبياء بني اسرائيل ، بعثه الله تعالى الى اليهود

---

( ١ ) انظر كتاب ( اليهودية بين الدين والتاريخ ) صابر طعيمه /١٦٦ ، وكتاب ( تاريخ بنى اسرائيل من اسفارهم ) محمد عزت دروزة ص ١١١-١١٥ .

بعد وفاة موسى عليه السلام ،وأمره بالسير الى الأرض المقدسة القدس أو أريحا - مدينة الجبارين ،ولما دخلها على الجبارين المحاربين الوثنيين قضى على عدد كبير منهم ، وبقيت منهم بقية ، طلب من الله تعالى عندما أوشكت الشمس على الغروب ،أن يحبس الشمس ويحول دون غروبها خشية أن يدركه الليل قبل الفراغ منهم ،فاستجاب الله دعاءه وحبس له الشمس حتى تم له النصر (١).

وقد صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لم تحبس الشمس على أحد الا يوشع بن نون ليالي سار الى بيت المقدس (٢) ". فلو كان يوشع عليه السلام منحرفا أو ظالما في حربه للجبارين الجاهليين ، لما رد الله له الشمس ،ليتم نصره عليهم قبل حلول يوم السبت .

ولعل مستند هؤلاء الكتاب غفر الله لهم ،في تصورهم لتلك الأحداث هو ما جاء في التوراة نفسها ، بأن يوشع عليه السلام " قد سفك الدماء وقتل أهل أريحا ولم يستبق أحدا حتى الشيوخ والنساء والصبيان " كما جاء في سفر يوشع من العهد القديم .

ولا ريب أن يوشع نبي معصوم يأتمر بأمر الله ، وكذبت التوراة المحرفة التي نسبت الى الأنبياء كل عيب ومنقصه .

قال ابن كثير عند الحديث على يوشع بن نون" ولما استقرت يد بني اسرائيل على بيت المقدس استمروا فيه وبين أظهرهم يوشع يحكم بينهم بكتاب الله التوراة حتى توفي (٣).

---

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير جـ ١/ ٣٢٣ ،والكامل لابن الاثير جـ ١/ ١١٣ .

(٢) رواه مسلم جـ ٥/ ١٤٥ ،والامام أحمد ٢/ ٣٢٥ ،والبخاري باب الخمس جـ ٤/ ١٠٥ .

(٣) البداية والنهاية جـ ١/ ٣٢٥ .

وسليمان وداود عليهما السلام كذلك ؛ فعند ذكر دورهم فى صناعة التاريخ في الأرض المقدسة ، يذكرهم هؤلاء الكتاب وغيرهم دون أدنى مراعاة لحقهم علينا كأنبياء أجلاء عظماء هم صفوة خلق الله ، بل يظهرونهما كأنهما من حكام اليهود الذين احتلوا فلسطين وأقاموا فيها ملكه ثم زالت دولتها بعد وقت قصيرا يتجاوز الخمسة والسبعين عاما ثم زالوا كما يزول كل مستعمر غاز .

فينبغى علينا أن نتأدب مع الأنبياء والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام ، ولا ننساق خلف خبثاء الكتاب من النصارى أو العلمانيين اذنابالماسونية العالمية الذين يهدفون الى تشويه تاريخ المسلمين وتسويد صحف أنبيائهم ، وخلط الحقائق وقلبها حتى لا يعي الجيل واجبه ،ولا يتصور قضيته على حقيقتها .

وخاتمة القول :

ان بيت المقدس وفلسطين أرض اسلامية ،وبقعة طاهرة مقدسة ، اسرى اليها برسولنا صلى الله عليه وسلم ، ثم فتحها قادة المسلمين ،فأصبحت أرضا اسلاميه تخفق عليها راية التوحيد ،وتحكم بكتاب الله .

فبالفتح الاسلامى اصبحت من دار الاسلام فهى أمانة فى أعناق المسلمين سيسألهم الله عنها يوم يقوم الحساب .

## - المبحث السابع -

## فتح بيت المقدس

فتح الله تعالى بيت المقدس على المسلمين في السنة الخامسة عشرة وقيل في السادسة عشرة من الهجرة (١).

وقد ثبت في صحيح البخاري ان فتح القدس يكون بين يدي الساعة .

فعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في قبة من ادم فقال : اعدد ستا بين يدي الساعة موتي ،ثم فتح بيت المقدس . . . الى آخر الحديث (٢).

وقد فتح هذه المدينة المقدسة عمر بن الخطاب صلحا وهو يومئذ خليفة المسلمين لسببين :-

أولا : حفاظا على حرمة المدينة المقدسة ،وحقنا للدماء .

ثانيا : نزولا عند طلب الروم سكان المدينة حيث طلبوا الصلح ،واشترطوا عقد الصلح مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه نفسه .

فاستشار عمر رضي الله عنه اهل المدينة ، فوافقوه على الذهاب الى الشام ، واستخلف على المدينة عليّا بن أبي طالب رضي الله عنه .وتم الفتح باذن من بيده النصر والفتح سبحانه ودخل عمر رضي الله عنه مع قادة المسلمين في الشام ،وعلى رأسهم ابوعبيدة بن الجراح القائد العام للجيوش الاسلامية رضي الله عنهم جميعا .

وكتب عمر رضي الله عنه امانا لاهل ايليا ،واعطاهم امانا على انفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم ، وكافة طلبهم ،لا يعتدى على شيء منها ولا يساكنهم فيها اليهود ،

---

(١) تاريخ الطبري جـ٣ / ٦١٠ ، والكامل جـ٢ / ٤٩٩ ،ومعجم البلدان جـ٥ / ١٦٦٠

(٢) رواه البخاري / في باب الجزيه ،والامام أحمد جـ٢ / ١٧٤٠

وعلى ذلك الكتاب ذمة رسول الله وشهادة صحابته الاطهار ممن حضر الصلح ما أدى أهل القدس الجزية (١) .

وأعاد المسلمون للقدس قيمتها ، ورفعوا الاقذار عن الصخرة المقدسة وعن مكان المسجد الاقصى ، ومن ذلك العهد استهلت القدس تاريخا مجيدا وسار ائمة المسلمين وخلفاؤهم من الدول المتعاقبة على حمايتها والاعتناء بها غاية العناية من الأمويين الى العباسيين/ ، الطولونيين الى الاخشيديين الى الايوبيين ثم الى عهد الاتراك السلاجقة ، وبقي في يد الاتراك المسلمين من سنة ١٠٧٥م الى سنة ١٩١٧م أربعة قرون كاملة ، وهو محفوظ محروس وهو وكل بقاع المسلمين ، ولم يخترمها البريطانيون ولا سيطر عليها اليهود الا في عهد العرب الأشاوش الذين لم يستطيعوا ان يحافظوا عليها اكثر من عشرين عاما ، واقل قليلا كان اثناءها القدس نصف بيد اليهود والنصف الآخر تحت حكم الاردن . من سنة ١٩٤٨ - ١٩٦٧ الى ان وقعت كل البلاد وسلمت جميع الارض فهي الآن أرض مأسورة ، وأهلها أسرى في ايدي الأعداء ، وهي تستنجد بالمسلمين ، وتستنصر هم الصادقين من المؤمنين المجاهدين ليلتفوا حول قرآنهم ويسيروا اليها كتائب الحق وجنود الله ليعيدوها الى حظيرة الاسلام ويرجعوا اليها كرامتها الجريحة ، وعفتها السليبة .

( ويسألونك متى هو قل عسى ان يكون قريبا (٢) ) ( ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم (٣) ) .

---

( ١ ) انظر تاريخ البكري جـ٣ / ٦١١ ، الكامل جـ٢ / ٥٠٠ ، وباقي كتب التاريخ .

( ٢ ) سورة الاسراء آية ٥٠ .

( ٣ ) سورة الروم ٤-٥ .

## الفصل الثالث

## تحقيق فـــي

## افساد بنى اسرائيل فى الأرض المقدسة وعقابهم

وفيه مباحث :-

المبحث الأول : تفسير الآيات الواردة بشأن افساد اليهود فى فلسطين .

المبحث الثانى : من هم المسلطون على اليهود وماهما الافســـــادان .

المبحث الثالث : آراء بعض العلماء المعاصريـــن فى الافساد والتسليط بالنسبة لبنى اسرائيل .

المبحث الرابع : المقصود من الآيات اخذ العبرة والعظة لسنة الله فى الاسم .

المبحث الخامس : مبررات وحجج اليهود فى استيلائهم على فلسطين .

## ـ المبحث الثالث ـ

## رأى آخر لبعض العلماء المعاصرين

لكن من العلماء والكتاب المعاصرين من رأى رأيا آخر (١) :-

ومفاده ان الافساد الثاني الذى قضاه الله على اليهود ، وسيترتب عليه تدميرهم واهلاكهم لم يحدث في العصور السابقه .

ذلك ان اولى الافسادتين حصلت ايام بختنصر البابلي فسلطه الله عليهم فشتتهم وأذال دولتهم ،ثم رجعوا الى فلسطين على يد قورش مؤسس الامبراطورية الساسانيه ،ولم يحدث منهم فساد منتشر أو ظاهر ،ولا ظلم غاشم أو ملك قاشم ، ولا علو في الأرض كما حدث ويحدث لهم الآن في فلسطين بل والعالم كله .

يقول الاستاذ السحار (٢) بعد استعراضه آراء المفسرين في الموضوع ،. . ولما لم أجد ايا من هذه التفاسير التي قرأتها تتفق مع الحقائق التاريخية الثابتة ، فقد عدت مرة أخرى اقلب صفحات التاريخ ،فوجدت ان اليهود قد عادوا مرة واحدة في تاريخهم الطويل الى القدس بعد ان حطمهم بختنصر ملك العراق اسرى الى بابل ، وكانت تلك العوده ايام ( قورش ) وقد ظلوا بها الى أن طردهم الرومان ،واستمروا مشردين في الأرض ، ولم يدخلوا بيت المقدس مرة ثانيه ، الا بعد العدوان الاخير ثم الاحتلال الاسرائيلى للارض المقدسة سنة ١٩٦٧م. ثم يقول ( ان الآيات لا يمكن ان تفسر الا بعودة بنى اسرائيل الى القدس ثم طردهم منها ليكون في ذلك اذلال لهم ،وامعان في الهوان ،وقد عادوا اليها هذه المره . . فوجب على المسلمين الاتحاد ليتبروا ماعلوا تتبيرا " .

---

(١) انظر كتاب تفسير سورة الاسراء ـ عبد الله شحاته ـ ص ٧٨ .

(٢) انظر ( وعد الله واسرائيل ) لعبد الحميد جوده السحار ،وكتاب (المسجد الاقصى ) لعبد اللطيف مشتهرى ( ١٢٠ ) ورسالة (أرض الاسراء والمعراج )للشيخ أسعد بيوض ، نشروزارة الاوقاف الاردنية .

اذا فمعنى الآيات واضح ،دون اقحام الآثار الضعيفة أو الاسرائيلية ، التي اختلقها اليهود للكيد والدس ، وتلقفها منهم الرواه ليشبعوا فضولهم في معرفة الاشخاص .

ثم هناك جانب آخر في الموضوع : وهو قوله تعالى : ( وان عدتم عدنا ) أي وان عدتم الى الافساد والانحراف كان الجزاء حاضرا والسنة ماضية وعدنا الى التسليط والانتقام .

قال في الظلال :

(لقد عادوا الى الافساد فسلط الله عليهم المسلمين فاخرجوهم من الجزيرة كلها ، ثم عادوا الى الافساد فسلط الله عليهم آخرين . حتى كان العصر الحديث فسلط عليهم ( هتلر ) ولقد عادوا اليوم الى الافساد في صورة ( اسرائيل ) التي اذاقت العرب المسلمين أصحاب الأرض الويلات ، وليسلطن الله عليهم من يسومهم سوء العذاب ، تصديقا لوعد الله القاطع ،ووفاءً لسنته التي لا تتخلف وان غدا لناظره قريب )[1] .

قال تعالى في سورة الاعراف : متحدثا عن اليهود :-

( واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم )[2] .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : ( اى بسبب عصيانهم ومخالفتهم أوامر الله وشرعه واحتيالهم على المحارم .

---

( ١ ) في ظلال القرآن جـ٤/ ٢٢١٤ .

( ٢ ) سورة الاعراف ١٦٧ .

ويقال : ان موسى عليه السلام ضرب عليهم الخراج سبع سنين ، وقيل ثلاث عشر سنه ، وكان أول من ضرب الخراج ، ثم كانوا في قهر الملوك من اليونانيين والكشدانيين والكلدانيين ، ثم صاروا الى قهر النصارى واذلالهم اياهم واخذهم منهم الجزيـــة والخراج .

ثم جاء الاسلام ومحمد صلى الله عليه وسلم ، فكانوا تحت قهره وذمته يؤدون الخراج والجزيه .

قال ابن عباس وسعيد بن جبير والسدى وقتاده في تفسير هذه الآيه :

هي المسكنة وأخذ الجزيه منهم ، وان الذى يسومهم سوء العذاب محمد صلـــى الله عليه وسلم وأمته الى يوم القيامه (١) .

هذا وقد ثبت ان اليهود يخرجون انصارا للدجال في آخر الزمان ، فيقتلهـــم المسلمون مع عيسى بن مريم عليه السلام ، وتدور بين الصفين ملحمة هائله تقف فيهـــا كل قوى الكون من الأحجار والاشجار مع المسلمين اهل الحق في جهادهم هذا ، كما قال رسولنا صلى الله عليه وسلم " لا تقوم الساعه حتى تقاتلوا اليهود فتقتلوهم ، وفي رواية " فيقتلهم المسلمون " حتى يختبئ اليهودى وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودى ورائي فتعال فاقتله ، الا الغرقد فانه من شجر اليهود (٢) .

---

( ١ ) تفسير ابن كثير جـ٣ / ٤٩٧ .

( ٢ ) حديث صحيح رواه البخارى جـ٣ / ٢٣٢ ، ومسلم جـ٨ / ١٨٨ .

## ـ المبحث الخامس ـ

## مبررات وحجج اليهود في

## استيلائهم على فلسطين

لليهود في فلسطين وفي تصورهم للأرض المقدسة ، منطلقات دينية ، وتصورات توراتية يدعونها .

فهم يعتمدون في صراعهم مع المسلمين على فلسطين وغضهم على القدس بالنواجذ ، يعتمدون على نصوص من التوراة ، حيث يزعمون ان فلسطين منحة وعطية من إلههم لابراهيم عليه السلام ولنسله ، .

كما جاء في سفر التكوين اصحاح ١٢ فقره ٧ :ـ

( وظهر الرب لابرام وقال لنسلك أعطي هذه الأرض ) .

وما ورد أيضا في سفر التكوين اصحاح ( ١٥ ) فقرة ( ١٨ ) .

( ان الرب قطع مع ابراهيم ميثاقا بان يعطي لنسله هذه الأرض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات )[١] .

وبالتالي فان الدفاع عن فلسطين كما يصور لهم الشيطان ، واجب ديني وعقيدة الهيه .

أما النصارى :ـ

فانهم يعتبرون ان الذي جاء في التوراة من الفصول السابقة ، انما ينطبق عليهم لا على اليهود ، ويقولون ان اليهود قد أضاعوا حقهم في الوعد المذكور لانهم رفضوا رسالة المسيح عليه السلام[٢] .

---

( ١ ) عروبة القدس في التاريخ / محمد أديب العامري ـ ١٨ المطبعة العصرية ـ بيروت .

( ٢ ) المصدر السابق / ١٨٠ .

( واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم )[١] ولا يتأتى نصر الله الا اذا اقتربنا نحن من الله وانتصرنا نحن لدين الله ونصرنا الله تعالى وحكمناه في نفوسنا ومجتمعاتنا .

قال تعالى ( ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم )[٢] .

فالوسيلة الناجعة والناجحة ولا سبيل غيرها هي الايمان الصادق العميق ثم الاعداد المتكامل لمتطلبات المعركة المصيرية ، ثم اتحاد المسلمين تحت قيادة مسلمة صادقة واحدة واشتشاق الحسام لاسترداد الحقوق وردع المعتدين .[٣]

قال تعالى ( ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ، الذين ان مكناهم في الأرض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور )[٤] .

---

( ١ ) سورة الانفال / ٦٠ .

( ٢ ) سورة محمد / ٧ .

( ٣ ) انظر في هذا الموضوع : الايمان طريقنا الى النصر ـ محمد نمر الخطيب والاسلام والقضية الفلسطينية ـ عبد الله علوان .

( ٤ ) سورة الحج ٤٠ / ٤١ .

وعلى فرض مجاراة القوم في المحاورة الجدلية الكلامية ، فيمكن للمسلمين ان يقولوا بان وعد الله في القرآن الكريم ينسخ كل تلك الادعاءات ( ان صحت ) فقد قرر الحق سبحانه ان الأرض المقدسة انما هي للصالح دون غيره ، وانها للمسلمين فقط دون الكافرين الجاحدين بالرسالة الخاتمة التي اوجبت عليهم كتبهم تصديقها والايمان برسولها .

قال تعالى ( ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادي الصالحون )(١) .

وان العباد الصالحين هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم كما قال المفسرون(٢) .

فهذا الوعد الصادق القاطع يجعل لكل مسلم على وجه الأرض حقا في القدس وفلسطين .

ثم يجاب القوم بما أجاب به القرآن الكريم : ان ابراهيم بريء من هؤلاء وهؤلاء :-

قال تعالى ( ماكان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفا مسلما وماكان من المشركين )(٣) .

لكن اسلوب الحوار والجدل الكلامي لا يفيد ، واسلوب الاحتجاجات والاستنكارات على منابر هيئة الامم ، وفي المؤتمرات الدولية لا يرد حقا لاصحابه ، فالحق المجرد لا ينفع أهله اذا لم يكن يحميه سيف أو مدفع ، والله تعالى جعل في الكون والامم سننا ، وللنصر والغلبة أسبابا ، ولا يأتي النصر الا بالطريقة التي شرعها لعباده وأمرهم بها وهي قوله تعالى :

---

( ١ ) سورة الانبياء / ١٠٥ .

( ٢ ) تفسير ابن كثير جـ٥ / ٣٨٠ .

( ٣ ) سورة آل عمران / ٦٧ .

# البَابُ الرَّابِعُ

## فِي المُعجِزَاتِ

## - الباب الرابع -

## في المعجـــــــزات

وفيه فصول :-

الفصل الأول : في معجـزات الانبياء والمرسلين .

الفصل الثاني : معجـزة القرآن الكريـــــــم .

الفصل الثالث : وجوه الاعجاز في القرآن الكريم .

الفصل الرابع : أحوال الناس مع القرآن وأدب التعامل معه .

## ـ الفصل الأول ـ

## فـــي

## معجـزات الانبياء والمرسلين

وفيه مباحث :ـ

١ ـ المبحث الأول : تعريف الآيات والمعجزات ،لغة واصطلاحا .

٢ ـ المبحث الثانى : فى الكرامات ،والفرق بينها وبين الاحوال الشيطانيه .

٣ ـ المبحث الثالث : جواز الآيات عقلا ، وعدم استحالتها .

٤ ـ المبحث الرابع : الآيات ليست من صنع الأنبيـــاء .

٥ ـ المبحث الخامس : آيات الأنبياء وملاءمتها لازمانهـــم .

٦ ـ المبحث السادس : آيه صالح عليه السلام والعبرة منها .

٧ ـ المبحث السابـع : آيات موسى عليه السلام ومناسبة ذكرهـــا .

٨ ـ المبحث الثامـن : آيات الرسول الخاتم صلى الله عليه وســـلم .

٩ ـ المبحث التاسع : اقتراح الآيات على الرسول ،وضلاله القوم فى ذلك .

١٠ ـ المبحث العاشـر : آيات الرسول صلى الله عليه وسلم الحســـــيه .

١١ ـ المبحث الحادى عشر : الرد على شبهه ان هذا الدين لا يقوم الا بمعجزة من اللـــه .

## ـ الآيات والمعجزات في سورة الاسراء ـ

تمهيد :ـ

تعرضت سورة الاسراء الى ذكر مجموعة من الآيات والمعجزات للرسل كما ذكرت ان القوم طلبوا من رسولنا صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم بالمعجزات والخوارق ، ولقد كان حول المعجزات مواقف وشبهات ، سجلتها السورة المباركة.

لذا كان لزاما علي وانا اتناول العقيدة في سورة الاسراء أن أبحث فيها وان أحرر أهم المسائل المتعلقه بالخوارق أو المعجزات .

وذلك ان معجزات الانبياء والمرسلين عليهم السلام ، تدخل في باب الايمان بالرسل والانبياء فهي من دلائل النبوة والرسالة ،والايمان بالرسل كما هو معروف ركن من أركان الايمان حيث لا يتم ايمان العبد الا بالايمان بهم كما أخبر عنهم الله تعالى في كتابه ورسولنا صلى الله عليه وسلم في سنته .

## المبحث الأول

## تعريف الآيـــة والمعجزة

الآية في اللغة :-

هي العلامة أو الامارة الدالة على الشيء (١).

وفي الاصطلاح :-

هي ما يجريه الله تعالى على يدي انبيائه ورسله الكرام من أمور خارقـــة للسنن الكونيه المعتاده ،التي لا قدرة للبشر على الاتيان بمثلها ، كتحويل العصا الى حيه تتحرك ، فتكون هذه الآية الخارقـه للسنن الكونية المعتاده ،دليلا على صدقهم فيما جاءوا به .

والمعجزة والآيـة بمعنى واحد ولقد تتابع العلماء على تسمية هـذه الآيات بالمعجزات .

تعريف المعجزة :-

ومعنى العجز في اللغه :-

هو اسم فاعل مأخوذ من العجز ،الذي هو ضد القدرة عن الاتيان بالشيء من عمل أو رأي أو تدبير (٢). فالعجز هو القصور عن فعل الشيء كما قـال الراغب الاصفهاني (٣).

---

(١) لسان العرب جـ١/ ١٨٥ ، والقاموس المحيط جـ٤/ ٣٠٣.

(٢) بصائر ذوي التمييز - للفيروزآبادي ١/ ٦٥.

(٣) مفردات القرآن -للراغب ٢/ ٣٢٢.

ويعرف العلماء[1] المعجزة : بانها أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدى ، سالم من المعارضة ويعرفها البعض الآخر : بانها ماخرق العادة من قول أو فعل اذا وافق دعوى الرساله وطابقها على جهة التحدى ، ابتداء ، بحيث لا يقدر أحد على مثلها ولا على ما يقاربها .

هذه الخواص وردت فى القرآن الكريم بلفظ ( الآيات ) وهو اسم شامل لكل ما أعطاه الله تعالى لأنبيائه الكرام للدلالة على صدقهم سواء قصد به التحدى أم لم يقصد[2] .

قال شيخ الاسلام ابن تيميه : فى كتاب الجواب الصحيح :

قال ( ويسميها - اى الخوارق - النظار معجزات ، وتسمى دلائل النبوه واعلام النبوه ، وقال : وهذه الالفاظ اذا سميت بها آيات الأنبياء كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات ، ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجودا فى الكتاب ولا في السنه ، وانما فيه لفظ الآيه . والبينة والبرهان )[3] .

أما تسميتها بالبراهين :-

كما قال تعالى فى قصة موسى عليه السلام : ( فذانك برهانان من ربك )[4] في العصا واليد .

وقال تعالى فى حق محمد صلى الله عليه وسلم : ( يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا )[5] وغيرها كثير .

---

( ١ ) لوامع الانوار البهيه - للسفارينى - جـ٢ / ٢٨٩ .
( ٢ ) الرسل والرسالات - لعمر الاشقر / ١٢٢ .
( ٣ ) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - لابن تيميه جـ٣ / ٦٧ مطابع المجد .
( ٤ ) سورة القصص / ٣٢ .
( ٥ ) سورة النساء / ١٧٤ .

وأما تسميتها بالآيات ؛ فكثير في القرآن مثل : ( واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله . . . ) (١) .

وهنا في سورة الاسراء ( ولقد آتينا موسى تسع آيات ) .

أما تسميتها بالبينات :-

ففي قوله تعالى : ( لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ) (٢) .

وكثير من أهل الكلام لا يسمون معجزا الا ما كان للانبياء عليهم السلام فقط وكان مقصودا به التحدى ، ولذا فانهم يخرجون من باب المعجزات الأمور الآتية :-

١ - الخوارق التي تعطى للانبياء وليس مقصودا منها التحدى ، كنبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم ، وتكثير الطعام القليل ، وتسبيح الحصا في كفه ، واتيان الشجر اليه ، وحنين الجذع ، لخلوّ ذلك من التحدى .

٢ - والخوارق التي اعطاها الله لغير الانبياء ويسميها المتأخرون كرامات ، والذين فرقوا هذا التفريق هم العلماء المتأخرون ، أما المعجزة في اللغة وفي عرف العلماء المتقدمين كالامام أحمد وغيره (٣) . فانها تشمل كل ذلك

---

( ١ ) سورة الانعام / ١٢٤ .

( ٢ ) سورة الحديد / ٢٥ .

( ٣ ) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام جـ١١ / ٣١١ ، والجواب الصحيح جـ٣ / ٧٠ ، ولوامع الانوار البهية جـ٢ / ٢٩٠ .

## ـ المبحث الثاني ـ

## في الكرامات، والفرق بينها وبين المعجزات

لكن العلماء المتأخرين يفرقون بين آيات الرسل وآيات الصالحين ، ويسمون الأخيرة كرامة .

وسبب التفريق عند المتأخرين ان مشاكل الخوارق كثرت في العهد المتأخر واختلط على الناس الحابل بالنابل ، فكان لابد لهم من ضبط كل نوع بتعريف خاص ليسهل التميز .

في حين كان العصر الأول في منآى عن تلك الاشكالات ، وفي غنى عن التعريفات التي تضبط العلوم المختلفة ومنها علم التوحيد لعدم الداعي ولوضوح الامور ونقاء الفكر ونظافة الموارد والمصادر .

### تعريف الكرامة :ـ

يعرف علماء التوحيد الكرامة :ـ

( بأنها أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ، ولا هو مقدمة لها ، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم بمتابعة نبي ( كلف بشريعة ) ، مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح ، علم بها ذلك العبد أم لم يعلم )[1] .

### أمثلة للكرامات :ـ

الكرامات ثابته في الشرع نؤمن بها اذا صدرت عن صاحبها الملتزم شرع النبي صلى الله عليه وسلم وطريقه وهي كثيرة جدا نذكر منها أمثله :ـ

---

( ١ ) لوامع الانوار البهية جـ٢ / ٢٩٣ .

( ما حصل لابي مسلم الخولاني لما ألقي في النار ، حيث صارت عليه بردا وسلاما كما حصل لابراهيم عليه السلام ) .

وكما أحيا الله تعالى لبعض الصالحين حماره ، وهو رجل من النخع مات حماره في سفر ، فقام وتوضأ ثم صلى ركعتين ، ودعا الله فاحيا له حماره ، وحمل عليه متاعه (١) .

لكن الامر المهم في موضوع الكرامات :

انها اذا حصلت للأولياء والصالحين فانها لا ترفع درجتهم الى مستوى درجات الانبياء والمرسلين ، بل يظلون دون مرتبتهم ، ولا تبلغ كرامات أحد الى مثل معجزات وآيات المرسلين عليهم السلام .

وهذه الكرامات تدل على صحة الدين الذي جاء به الرسول ، ولا تدل على عصمة الولي ، ولا على انه تجب طاعته في كل ما يقوله (٢) .

هل الخوارق تدل على صلاح صاحبها وعلى ولايته :-

لقد تنازع العلماء في ذلك والتحقيق في المسألة ان يقال :

ان من كان مؤمنا بالانبياء عليهم السلام لم يستدل على الصلاح بمجرد الخوارق التي تكون للكفار والفساق ، وانما يستدل على الصلاح والولاية ، بمدى متابعة المدعي لها للنبي صلى الله عليه وسلم وشريعته .

---

( ١ ) النبوات / ٤ ، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيميه ١٣١-١٣٨ .

( ٢ ) النبوات / ٥ .

فقد ميز الله تعالى بين أولياء الله ، وأولياء الشيطان بالايمان والتقوى في قوله تعالى ( الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون )[١] .

فالايمان والتقوى هما المعيار والمقياس الذى يقاس به من تصدر عنهم الخوارق أو الآيات .

فلا نعتد بأحد حتى نعرضه على الكتاب والسنه ، فان كان ملتزما بهما عاملا بمقتضاهما ، موتمرا بأوامرهما ، منتهيا عن نواهيها ، فهو صادق ان شاء الله[٢] .

بين الكرامة والاستدراج :-

رأينا كيف ان الله تعالى حدد شروط الولاية بأن يكون الولي متابعا للرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما دعا اليه من قول أو فعل ظاهرا وباطنا ، ومنتهيا عن كل ما نهى عنه حتى يتصف بالايمان والتقوى الذين هما شرطا الولاية .

ولكن ان كان المدعى للخوارق خالف الصفة السابقة حيث كان من ذوى الخبث والشر والفساد ، فان ما يجريه الله على يديه من خوارق انما هو من جنس الاستدراج أو من خدمة أولياء الشياطين له ، وساعدتهم اياه[٣] .

ذلك أن بعض الناس يطيرون في الهواء ، ويمشون على الماء ، ونحو ذلك ، وهم من أفجر خلق الله ، بل قد يدعون النبوة ، مثل الحارث الدمشقي الذى خرج بالشام زمن عبد الملك بن مروان ، وادعى النبوه ، وقد اظهر أمورا خارقة للعادة ،

---

( ١ ) سورة يونس/ ٦٢ .

( ٢ ) الفرقان ٢٤ ، ٣٢٨ والنبوات / ٨ .

( ٣ ) الفرقان / ١٢٩ وعقيدة المؤمن أبوبكر الجزائرى ١٨١ .

فكانوا يضمون القيود في يديه ورجليه ،فيخرجها منه ،ويضرب بالسلاح فلا يؤثر فيه ، وتسبح الرخامة اذا مسها بيده ،وكان يرى الناس رجالا وركبانا على خيل في الهواء ، ويقول : هي الملائكة ،وهذا وامثاله من فعل الشياطين ،ولذلك اذا حضر بعض الصالحين هذه الاحوال الشيطانية وذكر الله ،وقرأ آية الكرسي أوشيئا من القرآن ، بطلت احوالهم هذه ، فهذا الحارث الدمشقي الكذاب ،لما أمسكه المسلمون ليقتلوه ، طعنه طاعن بالرمح ،فلم ينفذ فيه ،فقال له عبد الملك : انك لم تسم الله ،فسمى الله ،فطعنه فقتله (١).

الاستقامة أعظم كرامة :-

ان الكرامة ليست دليلا على تفضيل هذا المعطى على غيره ،فقد يعطى الله الكرامة ضعيف الايمان لتقويه ايمانه ، أو محتاجا لسد حاجته ،ويكون الذى لم يعط مثل ذلك أكمل ايمانا وأعظم ولايه ،وهو لذلك مستغن عن مثل ما أعطى غيره .

ولذلك كانت الأمور الخارقة في التابعين أكثر منها في الصحابه ،وعلى هذا فلا ينبغي أن يشغل المسلم نفسه بالتطلع الى الكرامه ،ولا ينبغى له ان يحزن اذا لم يعطها وقد صدق أبوعلي الجوزجاني وبشر حين قال " كن طالبا للاستقامه ، لا طالبا الكرامه فان نفسك منجبله على طلب الكرامه ،وربك يطلب منك الاستقامه " قال بعض من فهم قوله : وهذا أصل عظيم كبير فى الباب ، وسر غفل عن حقيقته كثير من أهل السلوك والطلاب (٢).

---

(١) راجع مجموع الفتاوى ١١/ ٢٨٤ ،وانظر ترجمته الحارث الدمشقى فى (لسان الميزان ) لابن حجر العسقلانى جـ٢ / ١٥١ ، مؤسسة الاعلمى للمطبوعات بيروت سنة ١٣٩٠هـ.

(٢) انظر مجموع الفتاوى لابن تيميه جـ ١١/ص٣٢٠.

## ـ المبحث الثالث ـ

## الآيات والخوارق جائزة عقلا وليست من المستحيلات

والخارق أو الآيه ليست من قبيل المستحيل العقلي ، فان مخالفة السنن الكونيه المعروفه ، ما لم يقم دليل على استحالته ، فهي وان كانت مخالفة للعادة والمألوفة فانها داخلة في نطاق الممكنات العقليه .

ذلك ان الله تبارك وتعالى ربط الاسباب بالمسببات ، وأوجد الكائنات بناموس قد يصل طحنا الى معرفته ، والله تعالى لا يعجزه ان يضع نواميس خاصه بالخوارق للعادات يعلمه وقدرته سبحانه ، لا نعرفها نحن ولكن نرى أثرها على يد من اختصه الله بفضل منه ورحمه .

واذا اعتقدنا عقيدة جازمه ، بان الله تعالى قادر مختار ، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، سهل علينا أن نصدق بوقوع الخارقه ونؤمن بحصول المعجزة المخالفة لمألوف البشر على أي شكل اقتضت حكمة الله ان تكون وتعلقت ارادته سبحانه بوقوعها (١) .

والمؤمنون بالله تعالى لا يتوقفون في تصديق شيء ، متى ثبت بالدليل القاطع الذي لا يتطرق اليه الشك ، لانهم يعلمون انه سبحانه لا يتقيد بالسنن التي وضعها وقد اخبر سبحانه عن نماذج وأمثله خرق الله تعالى فيها السنن ، واثبت عز شأنه انه فوق الاسباب والمسببات .

---

( ١ ) انظر العقيدة الاسلامية وأسسها ـ للميداني / ٣٣٨ ، دار القلم ـ دمشق ، بيروت .

فهو سبحانه قد سلب النار خاصية الاحراق لما القي ابراهيم عليه السلام فيها ، فلم يحترق ( قلنا يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم )[١] .

وهو سبحانه شاء بحكمته مخالفة الاسباب والسنن حين أخرج عيسى عليه السلام من امه العذراء ودون اتصال بين ذكر وانثى .

( قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا قال كذلك ، قال ربك هو علي هين ،ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا )[٢] .

وكذا فعل سبحانه لزكريا عليه السلام اذ أعطاه ولدا بعد بلوغ الكبر وتجاوز امرأته سن الحمل والوضع .

( قال ربأنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر ، قال كذلك الله يفعل ما يشاء )[٣] .

وهكذا يرى المؤمنون بالله سبحانه ،ان الله الخالق لهذا الكون ، ومدبر أمره ،وواضع سننه فى الكون ،لا يتقيد بهذه السنن الظاهرة ،وان وراء هذه السنن سننا أخرى فوق ما نعرف ، وان الكون ليس كما يزعم السطحيون من الماديين من أنه يسير ميكانيكيا دون خالق منظم حسب ما يتصورون ،وانه ليس له مدبر يدبر أمره ،وينظم شؤونه ،لا ، فالكون اكبر مما يتصوره هؤلاء وأعظم ،وهم ماعرفوا منه الا الاسماء التي يستترون بها جهلهم وينفسون بها عن غرورهم[٤] .

---

( ١ ) سورة الانبياء / ٦٩ .

( ٢ ) سورة مريم / ٢١ .

( ٣ ) سورة آل عمران / ٤٠ .

( ٤ ) راجع العقائد الاسلامية ـ سيد سابق / ٢٠٣ـ٢٠٥ .

ملاحظات هامه حول الكرامه والولاية :-

الأولى :-

أنه لا تتم ولاية عبد لله تعالى ، ولا ينتظم في سلك أولياء الله تعالى الا بالايمان الصحيح والتقوى القائمه على مبدأ فعل المأمورات وترك المنهيات .

الثانية :-

ان الأولياء يتفاوتون في قربهم من الله تعالى ، وعلو منزلتهم عنده ، وفي كراماتهم بحسب قوة ايمانهم وتقواهم لله ، وموافقتهم لربهم ونبيهم فيما يحبان ويكرهان .

الثالثة :-

ان الكرامات التي يظهرها الله تعالى على يد بعض أوليائه ليست شرطا في ثبوت الولاية ، ولا في نفيها ، ولما كانت تنقص من درجة من يظهرها الله تعالى على يديه ، لأنها بمثابة تعجيل الجزاء على الايمان والتقوى في الدنيا ، كان بعض الأولياء يتوبون منها الى الله تعالى ويستغفرونه من أجلها .

الرابعة :-

الأولياء من غير الأنبياء والمرسلين لا عصمة لهم ، فقد يخطئون ويغلطون غير أن الغالب في أحوالهم الحفظ مما يدنس شرف الولاية ، ويخل بمقامها ، وان وقع أن أحدثوا ذنبا لعدم عصمتهم ، أحدثوا له توبة على الفور ، فيقبلها الله تعالى منهم ويحفظها من السقوط .

الخامسة :-

بحسب ما يظهر لنا من أحوال الناس لنا أن نصف كل مؤمن تقي بالولاية فنقول فلان ولي من أولياء الله ، أو نقول فلان ولي ونكرمه لذلك ، ونتحاشى أذيته لحديث أبي هريرة في البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى :

" من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب "(١) .

السادسة :-

جهل المسلمين بحقيقة الولاية ، وبمعرفة الولي ، جعلهم لا يعترفون بولاية المؤمنين الذين يعيشون معهم من أهل الايمان والتقوى الا اذا ظهرت على يد المرء خوارق العادات ، أو مات وشيد له ضريح أو قبه حتى ان أحدهم لو طلب منه أن يدل أحدا على ولي من أولياء بلده ، لا يدله على المؤمنين الأتقياء الذين يعيشون بين الناس وانما يدله على ميت له ضريح أو على قبره قبه ، مع عدم معرفته باسمه ، فضلا عن حاله .

السابعه :-

الله تعالى نهى الناس عن اتخاذ أولياء من دونه ( قل افتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا )(٢) .

فلا يحل لأحد أن يتخذ له وليا من دون الله فيلجأ اليه في الشدائد والكربات ويدعوه ويستغيث به . فهذه من خصائص الرب سبحانه ، وليست من خصائص المخلوقين )(٣) .

---

( ١ ) رواه البخارى / كتاب الرقاق - باب التواضع جـ٨ / ١٣١ .

( ٢ ) سورة الرعد / ١٦ .

( ٣ ) انظر عقيدة المؤمن - أبوبكر الجزائرى ١٧٩-١٨٠ جـ/ مكتبة الكليات الأزهرية .

## ـ المبحث الرابع ـ

## الآيات ليست من صنع الأنبياء

والآية أو الخارقة هي نفحة من نفحات الحق ، يجريها سبحانه على يد أحد أنبيائه ، وليست من صنع هذا النبي أو ذلك ، وليس أدل على ذلك من أن موسى عليه السلام ،لما أراد الله تعالى ارساله الى فرعون ليدعوه الى الله تعالى اخبره الله تعالى عن معجزته الكبرى وهي العصا قبل أن يذهب الى فرعون ،وذلك ليأنس بها فانقلبت حية تسعى .

(فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرًا ولم يعقب (١) .

فلو كانت من صنعه وعلمه عليه السلام لما خاف .

في حيث أن السحرة عندما ألقوا حبالهم وعصيهم ،وصارت حيات تسعى لم يخافوا منها ولم يهربوا لانها من صنعهم ، وهم أعلم الناس بحقيقة أمرها .

ذلك أن الآيات والمعجزات التي اعطاها الله تعالى لرسله وانبيائه نجدها بالاستقراء تندرج تحت ثلاثة أمور (٢) :ـ

العلم ، والقدرة ، والغنى .

فيدخل تحت العلم :ـ

الاخبار بالمغيبات الماضية والآتية .

---

(١) سورة النحل / ١٠ .

(٢) مجموع فتاوى ـ ابن تيمية ـ ١١/٣١٢ .

كاخبار عيسى عليه السلام قومه بما يأكلونه وما يدخرونه في بيوتهم ، واخبار رسولنا صلى الله عليه وسلم ،باخبار الامم السابقة ،وأخباره بالفتن واشراط الساعه ،التي تأتي في المستقبل .

ويدخل تحت باب القدره :-

تحويل العصا حيه ،وابراء الاكمه والابرص ، واحياء الموتى ، وشق القمر ،وما اشبه ذلك .

ويدخل تحت باب الغنى :-

عصمة الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم من الناس ، وحمايته له ممن أراد به سوءا ، ومواصلته للصيام مع عدم تأثر ذلك على حيويته ونشاطه .

وهذه الأمور الثلاثة : العلم والقدره والغنى ، التي ترجع اليها الآيات والمعجزات ،لا ينبغي أن تكون على وجه الكمال الا لله تعالى ،ولذلك أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، بالبراءه من دعوى هذه الأمور .

( قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم اني ملك )(١) .

فالرسول صلى الله عليه وسلم بريء من دعوى الغيب ، وملك خزائن الأرض لأنه بشر كما قال في سورة الاسراء ( قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا )(٢) .

---

( ١ ) سورة الانعام / ٥٠ .

( ٢ ) سورة الاسراء / ٩٠ .

## ـ المبحث الخامس ـ

## آيات الأنبياء وملاءمتها لأزمانهم

في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري أن قال صلى الله عليه وسلم " ما من نبي من الانبياء الا واوتي من الآيات مامثله آمن عليه البشر، وانما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله الي ،فارجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة "(١).

فشاء الله سبحانه وتعالى وهو الحكيم العليم أن تكون معجزة كل نبي من الانبياء من جنس ما اشتهر به قومه ،وما برعوا فيه في عالم زمانهم ، وذلك حتى تكون الآية ابلغ في الاعجاز ، واقطع للحجه ، وأبين في الدلالة على صدق الرسول .

فموسى عليه السلام ، لما بعث في وقت اشتهر بالسحر وبرع الناس فيه اعطاه الله تعالى بعض آياته وهي العصا ليقهر السحر ويعجزهم عن مجاراته فيفلسوا ويعلموا أنها معجزة من الخالق وحده فآمنوا بعدها . كما جاء في سورة طه :-

( قالوا ياموسى اما أن تلقي واما أن نكون أول من ألقى . . . فألقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى )(٢) .

---

(١) رواه البخاري / باب فضائل القرآن جـ٦ / ٢٢٤ .

(٢) سورة طه / ٦٥-٧٠ .

فهو والمرسلون عليهم الصلاة والسلام يعلمون من الله ما علمهم إياه ، ويقدرون على ما يقدرهم سبحانه عليه .

الفلاسفة يرون ان المعجزات هي من فعل الرسل :-

فالفلاسفة يعتقدون أن آيات الرسل ومعجزاتهم هي من عناصر الرسول والنبي فتكون له قوة نفسانية يتصرف بها في هيولى العالم أو مادته ، كما أن للحسود قوة نفسانية يؤثر بها فيمن يحسده ، وهي من نوع السحر والكهانة ، ولكن الفرق بين النبي والساحر عندهم أن الأول نفسه زكية تأمره بخير ، وأن الآخر نفسه خبيثة تأمره بالشر ، وهذا كلام باطل وساقط رد عليه العلماء ومنهم ابن تيمية رحمه الله تعالى (١) .

---

(١) انظر كتاب النبوات ١ / ١٦٨ والفتاوى الكبرى لابن تيمية ٥ / ٩٣ .

وعيسى عليه السلام ، لما بعث في وقت كثر فيه الاشتغال بالطب ، وأرسله الله الي قوم برعوا فيه ، كانت آيته مناسبة لما اشتهر في عصره .

وخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، لما بعث في وقت اكتمل فيه العقل البشرى والفكر الانسانى ، وأرسل الى قوم قد برعوا فى فنون القول ، فكانوا سادة اللغة وفرسان الكلام ، كانت آيته صلى الله عليه وسلم الكبرى قرآنا يتلى بلغ أقصى درجات الفصاحة والبلاغة والحكمة والصدق .

وقد تحدثت سورة الاسراء عن آية صالح عليه السلام ، وعن آيات موسى عليه السلام كذلك ، وعن طلب قريش الآيات من الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وسنتناول كل موضوع منها فى مبحث مستقل فيما يلى .

## ـ المبحث السادس ـ

## آية صالح عليه السلام

قال تعالى في سورة الاسراء :

( وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون ،وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا ) ٥٩ .

سبب نزول الآية :ـ

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال :

" سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا ، وان ينحي الجبال عنهم ، فيزرعوا ، فقيل له : ان شئت ان نستأتي بهم، وان شئت ان يأتيهم الذى سألوا ، فان كفروا هلكوا ، كما هلك من كان قبلهم من الامم .

قال صلى الله عليه وسلم : لا بل استأن بهم ،وأنزل الله تعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون ) (١) .

وكذا روى ابن كثير في تفسيره : ان قريشا قالت للنبى صلى الله عليه وسلم ادع لنا ربك ان يجعل لنا الصفا ذهبا ونؤمن لك ، قال : وتفعلون ؟ قالوا : نعم ، قال : فدعا ، فاتاه جبريل فقال : ان ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك : ان شئت اصبح لهم الصفا ذهبا ، فمن كفر منهم بعد ذلك عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين ، وان شئت فتحت لهم أبواب التوبة والرحمة ،

---

(١) رواه الامام أحمد ١/٢٥٨ .

فقال صلى الله عليه وسلم " بل باب التوبة والرحمة "(١).

لقد كانت الآيات والخوارق تصاحب الرسالات لتصديق الرسل وتخويف الناس من عاقبة التكذيب بالرسل ، وهي الهلاك بالعذاب العاجل .

وعندما اقترحت قريش على النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم الآيات والخوارق لم يجبهم الرسول صلى الله عليه وسلم الى طلبهم ، وآثر ان يستأني بهم ويتريث ، ليؤمن من شاء الله له الايمان ، أو ليخرج من اصلابهم من يوحد الله تعالى .

ثم رد الله تعالى عليهم بهذه الآيه ،وأخبر رسوله صلى الله عليه وسلم بان ثمود من قبل قومك قد سألوا الآيات ،فآتيناهم ما سألوا ،وجعلنا الناقة حجة ناطقة واضحه ،دالة على وحدانية الله ،وصدق رسوله في دعواه ،فكفروا بها ومنعوها شربها فقتلوها ،فادبهم الله وانتقم منهم اشد انتقام .

كما قال تعالى :

( فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم ، وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين ، فاخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين )(٢).

قال القاسمي عند تفسير قوله تعالى : ( وما نرسل بالآيات الا تخويفا ) :-

( أي وما نرسل الآيات المقترحه الا ليعلموا السنّه الالهية مع العاتين فيتذكروا ويتوبوا )(٣).

---

( ١ ) تفسير ابن كثير ٥/٨٨ ، ورواه الامام أحمد في مسنده ١/٢٤٢ .

( ٢ ) سورة الاعراف / ٧٧ .

( ٣ ) تفسير القاسمي ج.١٠/٣٩٤٣ .

وقال قتادة : ان الله يخوف الناس بما يشاء من آياته لعلهم يعتبرون ويذكرون ويرجعون ، ذكر لنا أن الكوفة قد رجفت على عهد ابن مسعود رضي الله عنه ، فقال : ايها الناس ان ربكم يستعتبكم فاعتبوه .(١)

وكذلك فقد روى ابن كثير في تفسيره ان المدينة زلزلت على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرات ، فقال عمر : احدثتم ، والله لئن عادت لا فعلن ولا فعلن .(٢)

وكذا قال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه :

" ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، ولكن الله عز وجل يرسلهما يخوف بهما عباده ، فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الي ذكره ودعائه واستغفاره . . . "(٣) .

---

( ١ ) الطبري ١٥ / ٧٥ ، وابن كثير ٥ / ٨٩ ، ومعنى يستعتبكم فاعتبوه : اى يطلب منكم الرجوع عن الاساءه واسترضاءه فافعلوا ذلك .

( ٢ ) ابن كثير جـ٥ / ٨٩ .

( ٣ ) رواه البخاري جـ٢ / ٤٢ ، ٤٨ ، ومسلم جـ٣ / ٢٧ / ٢٩ .

## ـ المبحث السابع ـ

## آيات موسى عليه السلام وعاقبة المكذبين بها

قال تعالى فى سورة الاسراء :

( لقد آتينا موسى تسع آيات بينات فإسأل بنى اسرائيل اذ جاءهم ، فقال له فرعون انى لا ظنك يا موسى مسحورا ، قال لقد ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والأرض بصائر ، وانى لأظنك يا فرعون مثبورا فاراد أن يستفزهم من الأرض فاغرقناه ومن معه جميعا ، وقلنا لبنى اسرائيل من بعده اسكنوا الأرض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا ) . الآيات من ١٠١/١٠٤ .

وجه اتصال هذه الآيات بما قبلها :ـ

سبق فى سياق السورة ان رفض كفار مكة الايمان ، حتى تتحقق لهم مطالب معينه فى قوله ( وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا . . . ) وفى هذه الآيات جواب عن قولهم هذا ، فقد قال :( ولقد آتينا موسى تسع آيات أى معجزات سماوية لهذه الاشياء التي طلبتموها ، بل أقوى منها وأعظم فلو كان فى علمنا أن فى تحقيق مطلبتموه مصلحه حكم لفعلنا ، كما فعلنا فى حق هؤلاء ، لكنا نعلم عدم المصلحة فى تحقيقها ، حيث يظل القوم على كفرهم ـ معها ـ فيستحقون الاهلاك ، لذا لم نحققها (١) .

معانى المفردات :ـ

بينات : دلائل على صدق النبوة واضحات .

مسحورا : أى مخبول العقل .

---

(١) الضياء فى تفسير سورة الاسراء / ٣٠٥ .

بصائر : حجج وبينات واحدها بصيرة أى بصيرة بينه ،

مثبورا : هالكا ، أو مصروفا عن الخير ،

يستفزهم : يخرجهم بالقتل أو يزيلهم بالنفى ،

لفيفا : اللفيف الجمع العظيم من اخلاط شتى ، شريف ودني ، مطيع وعاصي ، قوى وضعيف .

فى هذه الآيات الكريمات يخبر الحق جل جلاله ، أنه أعطى موسى عليه السلام تسع آيات وهي الدلائل الواضحة على صحة نبوته وصدقه فيما أخبر به عن ربه ، ولكنها لم تنفع فرعون وقومه شيئا ، فاخذهم الله أخذ عزيز مقتدر ، فلا فائدة لكم يا أهل مكة فيما اقترحتموه من الآيات ، ويكفيكم الآية الكبرى وهى القرآن كما سيأتي بيان ذلك .

ماهي الآيات التسع التي أعطيها موسى عليه السلام ؟ :-

اختلف المفسرون فى تحديد هذه الآيات التسع التي أعطاها الله تعالى لموسى عليه السلام ، وقد نقد ابن كثير بعض هذه الآراء .

فعن ابن عباس رضى الله عنهما : أنها :

( العصا ، واليد ، والسنين ، والبحر ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ).

(وقال محمد بن كعب : هى اليد والعصا والخمس التي فى الأعراف ) ( فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات ) والطمس والحجر .

وفي رواية أخرى لابن عباس ومجاهد هي[1] :

الأولى والثانية : يده ، وعصاه ، وهما معروفتان ،

الثالثة : السنين : وهي سنو القحط وقد أصاب فرعون وقومه فيها الجوع بسبب قلة الزروع ،

الرابعة : نقص الثمرات : روى المفسرون أن النخله لم تكن تحمل الا تمرة واحدة[2] .

الخامسة : الطوفان : الماء الكثير أو الفيضان ، طفا الماء فوق زروعهم وثمارهم فأتلفها .

السادسة : الجراد : سلطة الله عليهم فأكل زروعهم وثمارهم ، وسقوف بيوتهم ، وثيابهم ، وحمى الله منه بيوت بني اسرائيل .

السابعة : القمل : قيل هو السوس وقيل صغار القردان سلطة الله على آل فرعون فنغص عليهم حياتهم ومنعهم النوم .

الثامنة : الضفادع : ملأت بيوتهم وآنيتهم وأطعمتهم ، فلا يكشف أحد ثوبا ولا طعاما الا وجدها فيه .

التاسعة : الدم - أرسله الله على قوم فرعون فصارت مياههم دما لا يسقون من بئر ولا نهر ، ولايغترفون من اناء الا عاد دما ، وهذا لقوم فرعون دون الاسرائيليين اتباع موسى .

هذا وقد جمع المفسرون الآيات التي أعطيت لموسى عليه السلام فبلغت ست عشرة آية[3] .

---

( ١ ) تفسير ابن كثير جـ٥ / ٦٧ .

( ٢ ) تفسير ابن كثير جـ٣ / ٤٥٧ .

( ٣ ) انظر العقيدة الاسلامية / للميداني ٨١-٩١ ، والضياء في تفسير الاسراء ٣٠٥-٣١٠ .

فبالاضافة الى ماسبق ذكره من التسع السابقة هناك :-

١٠ - الطمس : على أموالهم اى أهلاكها ومحو آثارها لما دعا موسى عليه السلام عليهم اذ لم يؤمنوا ( ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ، ربنا ليضلوا عن سبيلك ، ربنا اطمس على أموالهم وأشدد على قلوبهم ، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم )[١] وقال تعالى : ( قد أجيبت دعوتكما ) سورة يونس ٨٩ .

١١ - تلقف العصا مارماه السحرة .

( وأوحينا الى موسى ان ألق عصاك فاذا هى تلقف ما يأفكون ... )[٢] .

١٢ - شق البحر وانفلاقه ، ومشي بنى اسرائيل مع موسى عليه السلام/ونجاتهم وهلاك عدوهم .

( واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون )[٣] .

١٣ - اظلال الغمام لهم : ليقيهم وهج الشمس وحرها اثناء سيرهم فى صحراء سيناء .

١٤ - انزال المن والسلوى : والمن شبيه العسل ينزل اليهم مثل الثلج ، ينزل اليهم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس بقدر مايكفيهم ، والسلوى طائر يشبه السمان تسوقه اليهم الريح .

( وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى )[٤] .

١٥ - ضرب موسى عليه السلام الحجر بعصاه : ( واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ... )[٥] .

---

( ١ ) سورة يونس / ٨٨ .
( ٢ ) سورة الاعراف / ١١٧ .
( ٣ ) سورة البقرة / ٥٠ .
( ٤ ) سورة الاعراف / ١٦٠ .
( ٥ ) سورة البقره / ٦٠ .

١٦ - رفع الطور فوقهم وتهدد بد الله لهم باسقاطه عليهم أن لم يقبلوا أحكام التوراة ،

( واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون )[١] .

رأى آخر في الآيات التسع :-

وهناك رأى آخر لبعض العلماء والمفسرين يقول :-

بأن الآيات التسع : هي الوصايا التي في التوراة .

وذلك استنادا الى ماروواه الترمذى وقال حسن صحيح والنسائى وابن ماجه والامام أحمد عن صفوان بن عسال رضى الله عنه قال : " قال يهودى لصاحبه اذهب بنا الى هذا النبى حتى نسأله عن هذه الآيات ( ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ) فسألاه ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

" لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ،ولا تسحروا ،ولا تأكلوا الربا ،ولا تمشوا ببرئ الى ذى سلطان ليقتله ، ولا تقذفوا محصنة ،وأنتم يا يهود عليكم خاصه الا تعتدوا فى السبت ، فقبلا يديه ورجليه ، وقالا نشهد انك نبى ، قال صلى الله عليه وسلم : " فما يمنعكما ان تتبعاني ؟ قالا : لان داود عليه السلام دعا أن لا يزال من ذريته نبى وأنا نخشى أن اسلمنا أن تقتلنا يهود "[٢] .

---

( ١ ) سورة الاعراف / ١٧١ .

( ٢ ) رواه الامام أحمد جـ٤ / ٢٣٩ ،والترمذى ٥ / ٥٨٠ ،والنسائى جـ٧ / ١١١ ، وابن ماجه ٢ / ١٢٢١ ،والطبرى جـ١٥ / ١١٥ .

وبناء على هذا الحديث يرون أن المراد بالآيات التسع هي الأحكام العامة في كل الشرائع .

قال الرازى : هو أجود ما قيل في الآيات التسع .(١)

وقال الشهاب الخفاجى : وهذا هو التفسير الذى عليه المعول فى الآية ، كما نقل عنه المراغي .(٢)

وقد علق ابن كثير على هذا الحديث بقوله : " وهو حديث مشكل ، وراويه عبد الله بن مسلمة فى حفظه شيء ، وقد تكلموا فيه ولعله أشتبه على الراوى التسع آيات بالعشر كلمات ، فانها وصايا فى التوراة ولا تعلق لها بقيام الحجة على فرعون ، بل بالبصائر والأدلة على صدقه التي جاء بها موسى عليه السلام القوم وهي الآيات التسع اليد والعصا . . . . . ) .

ثم يقول ( ولعل ذينك اليهودين انما سألاه عن العشر كلمات ، فأشتبه على الراوى بالتسع آيات فحصل وهم في ذلك )(٣) .

ثم ان هذا الرأى مخالف لرأى جمهور المفسرين فى أن المراد بالآيات التسع هي المعجزات الحسية التي أعطيها موسى عليه السلام ، ورد ابن كثير جيد ومقبول من حيث حصول الوهم لدى الراوى والله أعلم .

ثم لأننا ذكرنا فى سبب نزولها أنها رد على طلب الخوارق الحسية من قبل قريش .

---

( ١ ) تفسير الرازى جـ ٢١ / ٦٤ .

( ٢ ) تفسير المراغى جـ ١٥ / ١٠٤ .

( ٣ ) تفسير ابن كثير جـ ٥ / ١٢٤ .

وأخيرا فان المعاجزة التي حصلت بين موسى وفرعون ، وقول فرعون انك يا موسى مسحورا وهذا لا يتم بالأحكام العامة بل بالآيات الخارقة والمعجزات .

لماذا اختصت الآيات التسع بالذكر :-

رأينا كيف أن العلماء عدوا لموسى عليه السلام من الآيات ست عشرة آية ، ولكن تخصيص تسع منها في هذا المقام من القرآن - أعني في سورة الاسراء - لابد له من دلالة معينه ، وتوجيه خاص .

قال العلماء :-

بأن النص على التسع لا ينفي الزائد عليها ، وتخصيص العدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد كما يعلم من أصول الفقه (١) .

ولكن ذكرت تلك الآيات التسع لانها هي التي شاهدها فرعون وقومه من أهل مصر ، كما قال موسى له :

( لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والأرض بصائر واني لاظنك يا فرعون مثبورا ) .

فموسى عليه السلام يشير بقوله ( هؤلاء ) الى معجزات تحققت فعلا ورآها فرعون وقومه ، فكانت بصائر لهم ، وحججا عليهم ، وبالتكذيب بها أخذوا .

---

( ١ ) تفسير الرازي جـ٢١ / ٦٤ ، والنيسابوري ٥ / ٨٩ .

وأما ما أوتيه بنو اسرائيل بعد مفادرتهم مصر وهلاك فرعون ومن معه فلا يصح أن يكون شيء منها مقصودا في هذه الآيات[1].

وأخيرا فالراجح في الآيات التسع هي قول ابن عباس ومجاهد وعكرمه والشعبي وقتادة قالوا : هي : اليد والعصا ، والسنين ، ونقص الثمرات ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ) .

قال ابن كثير معلقا على هذا الرأي : ( وهذا القول ظاهر جلي حسن قوي )[2] .

ولعل وجه المناسبه لتخصيص التسع بالذكر :-

أن قريشا طلبت آيات مادية وكان عدد الآيات التي طلبوها تسعا في قوله تعالى ( وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا . . . ) وهي : الينبوع الجنة ، الانهار ، اسقاط السماء ، مجيء الله تعالى والملائكة ، بيت من زخرف ، الرقي في السماء ، ان ينزل عليهم كتابا يقرؤونه ، فقال تعالى ردا عليهم ( لقد أعطيت موسى تسع آيات كما طلبتم ) ، ومع هذا لم يؤمن فرعون ولا قومه ، فلو كانت الآيات المادية مهما كثرت تجلب ايمانا لجلبت تلك ايمانا لفرعون وملئه .

كثرة الآيات لا تنشيء الايمان في النفوس :-

ان الله تبارك وتعالى يضع الاحداث التاريخية المذكورة والتجارب البشرية للامم مع انبيائهم ، امام أهل مكة ومن بلغه هذا الكتاب .

---

( ١ ) الضياء في تفسير الاسراء ٢١٢ .

( ٢ ) تفسير ابن كثير جـ ٥ / ٢٢٢ وانظر القرطبي جـ ١ / ٣٣٦ .

فهذا موسى عليه السلام آتاه الله عز وجل تسع آيات بينات واضحات ولم تنفع فرعون ولا قومه ، بل ازدادوا جحودا واستكبارا عن الحق ، فحل بهم الهلاك جميعا .

وقبلهم قوم صالح عليه السلام جاءتهم الآية الواضحة المبصرة ، وهل هناك اصدق وأبين في الدلالة على الحق ، من خروج ناقة عظيمة من الصخر الأصم ، وهم ينظرون .

ان ما طلبته قريش هي اشياء مادية من تنحية الجبال وغير ذلك وهذا ممكن ، وهو ليس شيئا بالنسبة لما طلبه قوم صالح ، فان طلبهم أعجب وأغرب وهو طلب خروج حيّ من جامد ، ثم تضمنت هذه الآية عدة آيات أخرى ، فكانت الناقة الخارجة من الصخر تشرب أكثر من كل حيوانات قوم صالح ، ثم انها تحلب كميات ضخمة من اللبن تكفي آلاف الناس .

فليس بعد ذلك دليل لمن يريد الهداية واتباع الحق لكنهم كفروا بها فأهلكهم الله .

وصدق الله تعالى في سورة الاسراء :

( ومن يهد الله فهو المهتدي ، ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ) .

فمن سبق في علم الله ضلاله وشقاوته فلن يهتدي ولو أتيته بكل آيات الأنبياء .

كل ذلك دليل على أن كثرة الآيات والمعجزات لا تنشيء الايمان في القلوب الجامدة ، والعقول المقيدة بعقال الكبر والحسد والجحود .

لكل ذلك وغيره اقتضت حكمة الله تعالى : ان تجيء الرسالة الأخيرة ، غير مصحوبة بالخوارق التي طلبها القوم .

ان الرسالة الاخيرة هي رسالة الأجيال المقبلة جميعا حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، لا رسالة جيل واحد يراها ، وهي رسالة الرشد البشرى جاءت لتخاطب مدارك الانسان جيلا بعد جيل ، وتحترم ادراكه الذى تتحير به بشريته .

أما الخوارق التى وقعت للرسول صلى الله عليه وسلم وأولها خارقة الاسراء والمعراج فلم تتخذ معجزة مصدقة للرسالة ، انما جعلت فتنة للناس وابتلاء[1] .

وصدق الله ( وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس )[2] .

---

( ١ ) راجع في ظلال القرآن جـ٤ / ٢٢٣٧ .

( ٢ ) سورة الاسراء / ٦٠ .

## ـ المبحث الثامن ـ

## معجزات الرسول الخاتم

## صلى الله عليه وسلم في سورة الاسراء

رأينا في ما سلف أن الرسالات السابقة كانت تعتمد على المعجزات الحسيّة التي ترغم الناس على التصديق والايمان ، فجاء القرآن الكريم بمنهج جديد يتفق مع ما يراد للبشرية من اكتمال ونضج في الفكر والعقل كما أشرنا الى ذلك آنفا .

وهذا المنهج يقوم على التدبر والنظر والتفكير ولا يعتمد على قسر أو معجزة ، فهو طليق من كل قيد أو اكراه .

والله سبحانه قادر ولا يعجزه عز وجل أن ينزل على قريش آية خارقة تجبرهم على الدخول في الدين الجديد .

كما قال تعالى في سورة الشعراء : ( ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين )[1] .

ولكن الله سبحانه وتعالى له الحكمة البالغة ، فقد شاء سبحانه أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم خاتم رسله ، وشريعته هي خاتمة الشرائع ، وكتابه خاتم الكتب ، فلا نبي بعده ولا شرع غير شرعه .

لذا ناسب أن تكون الآيات من نوع آخر يتفق كما أشرنا مع استمرار هذا الدين وبقائه صالحا للتطبيق والعمل الى قيام الساعة .

---

( ١ ) سورة الشعراء / ٤ .

لذا كانت أعظم آيات رسولنا الخاتم صلى الله عليه وسلم هي المعجزة الخالدة الباقية ، ( القرآن الكريم ) .

وقد لاحظنا فيما سبق أن معجزات الرسل السابقين كانت أشياء مادية تنقضي بانقضاء أزمانها ، ولا تدخل في جوهر الرسالة التي يبشرون بها وينذرون .

فمعجزات موسى عليه السلام غير الكتاب الذى أنزل عليه وهو (التوراة ) ومعجزات عيسى عليه السلام كذلك غير الكتاب الذى أنزل عليه وهو الانجيل .

كما نرى فى المعجزة الكبرى لخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم أنها هي نفس الكتاب الذى أنزله عليه وهو القرآن (١) ، وذلك اضافة الى المعجزات الحسية التي اعطى منها صلى الله عليه وسلم الشيء الكثير ، وسنبحث ذلك فى مبحث قادم باذن الله .

---

( ١ ) العقيدة الاسلامية وأسسها - للميداني - ٣٦٠ .

## ـ المبحث التاسع ـ

## اقتراح الآيات وطلبها من قبل قريش

مع وضوح الأمر ان القرآن من الله تعالى ، كما وضح ان الرسول صلى الله عليه وسلم رسول الله ، واتضح ذلك لكل ذى لب ، الا أن قريشا استكبرت ورفضت هذا الحق ونأت بجانبها ، وراحت تتعنت بطلب المعجزات والخوارق ، واشترطت لايمانها أن تتحقق أمور بعينها :ـ

قال تعالى في سورة الاسراء :

( وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ، أو تكون لك جنه من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ، أو تأتي بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف ، أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه ، قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا ) الآيات ٩٠-٩٣ .

صلة الآيات بما قبلها :ـ

فى الآيات التي سبقت هذه الآيات ، بيان أن القرآن الكريم معجز وأن معارضيه لن يستطيعوا الاتيان بمثله .

قال تعالى ( قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ، فابى أكثر الناس الا كفورا )[1] .

---

( ١ ) سورة الاسراء الآيات من ٨٨-٩٠ .

فلما لزمتهم الحجه ،وغلبوا ، اخذوا يتعللون باقتراح الآيات شأن المغلوب المتحسير ، فقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ) .

كما أنهم قد أبوا الا كفورا - كما بينت الآيات السابقه - أرادوا ان يعتذروا عن كفرهم ، بان مطالبهم لن تتحقق )[1] .

مناسبة نزول هذه الآيات :-

لهذه الآيات التي نحن بصددها قصة أوردها الامام ابن جرير الطبـــرى بسنده عن عكرمه عن ابن عباس رضي الله عنهما : -

( ان نفرا من قادة قريش ورؤسائها اجتمعوا بعد غروب الشمس عند الكعبه وطلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فجاءهم فقالوا له : يا محمد : ان كنت جئت بهذا الحديث يعنون القرآن ، تطلب به مالا جمعنـا لك اموالنا حتـــى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت تريد الشرف سودناك علينا وان كنت تريد ملكـا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذى بك رئيّاً من الجن تراه قد غلب عليك لا تستطيع رده ، بذلنا لك أموالا في طلب الطب حتى نبرئك منه ، - وكـــان يسمون التابع من الجن رئيّا - .

فقال صلى الله عليه وسلم - ما بي شيء مما تقولون ،ولكن الله بعثنى اليكـم رسولا ، وانزل كتابا ، وامرني أن أكون بشيرا ونذيرا ،فبلغتكم رسالة ربـــى ، ونصحت لكم ،فان تقبلوا منـى فهو حظكم من الدنيا والآخره ،وان تردوه على اصبر لأمر الله عز وجل ،حتى يحكم الله بينى وبينكم .

---

( ١ ) من الضياء في تفسير الاسراء / ٢٨٥ وتفسير القاسمي جـ ١٠/ ٣٩٩٧ .

فقالوا يا محمد ، فان كنت صادقا فيما تقول فسل لنا ربك الذى بعثك ، فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقتعلينا ، ويبسط لنا بلادا ويفجر لنا فيها الانهار ، كأنهار الشام والعراق ، ويبعث لنا من مضى من آبائنا ، وليكن منهم قصيّ بن كلاب ، فانه كان شيخا صدوقا فنسألهم عما تقول : أحق أم باطل ؟ فان صدقوك صدقناك ، ثم قالوا : فان لم تفعل هذا فسل لنا ربك أن يبعث ملكا يصدقك ، واسأله أن يجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة تغنيك على معاشك .

فقال صلى الله عليه وسلم : ما أنا بالذى يسأل ربه هذا ، وما بعثت اليكم بهذا ، ولكنى بعثت بشيرا ونذيرا ، فان تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وان تردوه علي اصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم .

قالوا : فاسقط السماء كما زعمت علينا كسفا - أى قطعا - فان ربك ان شاء فعل كما تقول ، وقالوا لن نؤمن لك حتى نأتى والله والملائكة قبيلا .

وقال عبد الله بن أمية - وهو ابن عاتكة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم :- يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لانفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله ، فلم تفعل ذلك ، ثم سألوك ان تعجل لهم ما تخوفهم من العذاب ، ثم قال :

فوالله لا أومن حتى تتخذ الى السماء سلما ، ثم ترقى فيه ، وانا أنظر ، حتى تأتيها وتأتي معك بصحيفة ، منشورة ، ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك انك كما تقول .

وأيم الله ، لو فعلت ذلك لظننت انى لا أصدقك ثم انصرف ، وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله حزينا آسفا لما فاته مما كان يطمع فيه من قومه حين دعوه ، ولما رآه من مباعدتهم اياه .

فأنزل الله تعالى تسلية له صلى الله عليه وسلم ( وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر . . . . . ) (١) .

المعنى الاجمالى للآيات :-

قال رؤساء مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نصدقك حتى تجرى لنا عينا من أرضنا تفور ، أو يكون لك بستان من نخيل وعنب تتفجر خلاله الانهار أو تسقط علينا جرم السماء متقطعة قطعا قطعا . أو تأتى بالله سبحانه ، وبالملائكة نقابلهم معاينة ومقابلة .

أو يكون لك بيت من ذهب ، أو تصعد فى سلم الى السماء ونحن ننظر اليك ، ومع هذا فلن نصدقك من أجل رقيك وحده ، بل لابد أن تنزل علينا كتابا نقرؤه ونفهم ما فيه .

ويعلن الرسول صلى الله عليه وسلم بشريته ، وانه لا يملك شيئا الا باذن الله ، وينزه ربه سبحانه عن ان يقترح عليه أحد شيئا :-

( قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا ) .

---

(١) تفسير الطبرى جـ ١٠٦/١٥ ، وتفسير ابن كثير جـ ١١٥/٥ ، وتفسير القرطبى جـ ٣٢٨/١٠ .

ضلال تلك الاقتراحات وفسادها :-

أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بان يجيبهم تلك الاجابة - قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا - فالله تعالى منزه عن ان يتقدم أحد بين يديه في أمر من أمور سلطانه وملكوته ، بل هو الفعال لما يشاء ، ان شاء اجابكم وان شاء لم يجبكم .

وواضح من تلك المقترحات انها لمجرد التعنت والمكابره والجدال لدفع الحق ورد القرآن ، لأنه قد وقع الحق وغلبوا عن مجاراة القرآن أو الاتيان بمثله .

قال الرازى :

( اعلم أنه تعالى لما بين الدليل على كون القرآن معجزا ، وظهر هذا المعجز على وفق دعوى رسول صلى الله عليه وسلم فحينئذ تم الدليل على كونه نبيا صادقا ، وليس من شرط كونه نبيا صادقا ، تواتر المعجزات الكثيره وتواليها ، لانا لو فتحنا هذا الباب للزم الا ينتهى الامر فيه الى مقطع ، وكلما أتى الرسول صلى الله عليه وسلم بمعجز اقترحوا عليه معجزا آخر ولا ينتهى الأمر فيه الى حد ، فينقطع عنده عناد المعاندين ، وتطلب الجاهليه ) (١) .

تلك الاقتراحات تدل على الجهل بسنة الله وحكمته فى الكون :-

وقد رد القاسمى رحمه الله على تلك الاقتراحات وفندها وبين فسادها قال : ( لا يخفى ما فى اقتراح هذه الايات من الجهل الكبير بسنة الله فى خلقه ، وبحكمته وجلاله .

---

( ١ ) تفسير الرازى جـ ٢١ / ٥٦ .

فمن تلك المقترحات : ما أرادوا به مصلحتهم دون مصلحة العباد مما يخالف حكمة الله المقتضية لاخلاء بعض البقاع من العيون النابعة والانهار الجارية ، والجنان الناضرة دون بعض .

وارساء الجبال الشم في موضع دون آخر ، لمصالح يعلمها هو جلت قدرته وعظمته ، ولا يعلمها الخلق ، فليست مقترحاتهم هذه من العجز في شيء ، مع أن مثله لا تثبت به نبوة .

ومن المقترحات :-

ما يناقض ارادة الله سبحانه وهو قولهم "أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ، فان انزال السماء قطعا مقتض لهلاك العالم بحذافيره والله يريد ابقاءه الى اجل معلوم :

ومنها : ما هو مستحيل في نفسه غير ممكن الوقوع اصلا وهو قولهم : ( أو تأتي بالله والملائكة قبيلا ) .

فان الاتيان بالله والملائكة حتى يشاهدهم المشركون أو غيرهم ، مما لا يمكن أن يكون ولمبطل التكليف فلا يجوز طلبه وليس من أنواع المعجز .

ومنها : ما لا يصلح للانبياء ، ولو حصل لم يكن معجزا وهو قولهم ( أو يكون لك بيت من زخرف ) أي من ذهب ، فان هذا غير صالح للانبياء ، وليس بمعجزة ، لحصول مثله عند اشباه فرعون .

ومن تلك الاقتراحات : ما وعدوا بعدم ايمانهم به لو حصل وهو قولهم ( أو ترقى في السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه . . ) .

ثم يقول رحمه الله : ( فلم يكن شيء مما اقترحوا في الآيات معجزا ، وانما هي أمور مستحيله في نفسها ، أو لأمر آخر اقترحوها تكبرا وتعنتا وجهلا . فكان الاولى في جوابهم عما اقترحوه ، هو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا ) .

أي تنزه ربي عن فعل ما اقترحتموه من المحال وما يناقض حكمته وما أنا الا بشر عبد لله تعالى . . ) (١) .

وأخيرا فان الله تعالى لا يعجزه شيء ولكنه سبحانه يعلم حقيقة نفوسهم وانهم لو شاهدوا كل آية لا يؤمنون .

قال ابن كثير عند تفسير الايات :

( وذلك سهل على الله تعالى يسير لو شاء فعله ولأجابهم الى جميع ما سألوا وطلبوا ، ولكن علم سبحانه انهم لا يهتدون كما قال تعالى : ( ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ، ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم ) (٢) .

وكل ذلك رحمة من الله تعالى ، ورحمة من نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم ، لأنه اراد أن يمهلهم ، ويفتح عليهم باب التوبة والرحمة لعلهم يعودون ، أو يخرج من اصلابهم من يوحده ويعبد دعوته (٣) .

---

( ١ ) تفسير القاسمي - بتصرف - ١٠/٣٩٩٩ .

( ٢ ) سورة يونس / ٩٦ .

( ٣ ) انظر تفسير ابن كثير جـ٥/١١٧ .

## ـ المبحث العاشر ـ

## آيات الرسول صلى الله عليه وسلم الحسيّة

هذا ولا يعني ماذكر سابقا من رفض الرسول صلى الله عليه وسلم اجابة قومه الى تحقيق الخوارق ، وحصول المعجزات والآيات ، لا يعني ذلك أنه صلى الله عليه وسلم لم تكن له آيات حسيّة .

ولا يعني كذلك قولنا بأن القرآن هو أعظم معجزة فيها الكفاية ،والغناء لمن أراد الحق بصدق وتجرد ، لا يعني ذلك أن آياته صلى الله عليه وسلم اقتصرت عليه فلم يكن له غيرها .

فالله تبارك وتعالى أراد أن يجمع الفضل من اطرافه لخاتم رسله صلى الله عليه وسلم .

فكان له صلى الله عليه وسلم من الآيات الحسيه مثل مالغيره من الانبياء والمرسلين أو أزيد ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

فقد نقل الامام البيهقي عن الامام الشافعي رحمه الله انه كان يقول :-

( ما أعطى الله نبيا شيئا الا وأعطى الله محمد صلى الله عليه وسلم ماهو أكثر منه ، فقيل : أعطي ابن مريم احياء الموتي ، فقال الشافعي : حنين الجذع أبلغ ،لأن حياة الخشبة ابلغ من احياء الميت ،ولو قيل : كان لموسى فلق البحر ،عارضناه بفلق القمر وذلك أعجب ،لانه آية سماوية[1] ،وان سئلنا عن انفجار

---

(١) يقصد بفلق القمر : انشقاقه كما ورد في قوله تعالى ( اقتربت الساعة وانشق القمر ) سورة القمر/ ١ . وقصة انشقاق القمر صحيحة . روى البخاري بسنده الى ابن مسعود رضي الله عنه قال : " انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين ، فرقة فوق الجبل ، وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشهدوا ) جـ٦ / ١٧٨ .

الماء عسارضناه بانفجاره من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم ، لأن خروج الماء من الحجر معتاد ، أما خروجه من اللحم والدم فأعجب . ولو سئلنا عن تسخير الرياح لسليمان عليه السلام ،عارضناه بالمعراج . . . "(١) .

آيات الرسول صلى الله عليه وسلم الحسيه صحيحة وثابته :-

بعض معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم الحسيه قد ثبت بطريق التواتر ، وبعضها ثبت بخبر الآحاد ،لكنها قد اشتهرت واستفاضت ، وتلقتها الامة بالقبول .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح :-

( وأما ماعدا القرآن من نبع الماء من بين أصابعه ،وتكثير الطعام ،وانشقاق القمر ،ونطق الجماد ، فمنه ماوقع التحدي به ، ومنه ماوقع دالا على صدقه صلى الله عليه وسلم من غير سبق تحد ، ومجموع ذلك يفيد القطع بانه ظهر على يده صلى الله عليه وسلم خوارق عادات ، الشيء الكثير ، كما يقطع بوجود جود حاتم الطائي ، وشجاعة علي رضي الله عنه ،وان كانتا فراد ذلك ظنيه ،وردت مورد الآحاد مع أن كثيرا من المعجزات النبوية قد اشتهر وانتشر ،ورواه العدد الكثير والجم الغفير ، وأفاد الكثير منها القطع عند أهل العلم بالآثار ،والعناية بالسير والاخبار وان لم يصل عند غيرهم الى هذه الرتبه لعدم عنايتهم بذلك .

---

(١) مناقب الشافعي- للبيهقي ج١/٤٤٦ تحقيق أحمد صقر / ١٣٩١هـ.

ثم يقول رحمه الله : بل لو ادعى مدع ان غالب هذه الوقائع مفيد للقطع بطريق نظرى لم يكن مستبعدا[1] .

عدد الآيات الحسيه للرسول صلى الله عليه وسلم :-

ذكر الامام النووى في مقدمة شرح صحيح مسلم ، أن معجزات النبى صلى الله عليه وسلم تزيد على الف ومائتين .

وقال البيهقى فى المدخل : بلغت الف معجزه .

ولعل السبب فى هذا العدد الكبير والكثره الكاثره من الآيات والمعجزات والله أعلم أن العلماء عدوا كل ماكان من دلائل النبوه معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى هذا يدخلون الارهاصات[2] التي تقدمت البعثه المحمدية ،ويدخلون ماكان عند ميلاده صلى الله عليه وسلم ،وما سبق ميلاده كذلك من الآمارات الدالة على نبوتيه صلى الله عليه وسلم .

والا فلو تتبعنا الروايات الصحيحه الموثوق بها ،لما بلغت الآيات الحسيه فيها عشر العدد المذكور[3] .

---

( ١ ) فتح البارى جـ٦/٤٥٣ .

( ٢ ) الارهاصات : الارهاص فى اللغة : له معان كثيره ، منها انه المقدمة للشيء والايذان به . (لسان العرب جـ٣/٧٥٣ ) .
ويقصد بالارهاصات : الامور والخوارق التي حصلت قبل بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم كمقدمات وبشائر لظهور النبى صلى الله عليه وسلم .

( ٣ ) انظر الاسراء والمعراج لابى شهبه/٢٢ .
وانظر شرح الزرقانى على المواهب اللدنيه جـ٥/٢٦٥ ،دار المعرفة - بيروت .

اعتناء العلماء والمحدثين بالآيات النبوية :-

هذا وقد اعتنى المحدثون والعلماء في مؤلفاتهم وكتبهم بجمع الآيات الحسيه التي كانت لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

١ - فقد عقد الامام البخارى لذلك بابا خاصا فى صحيحه عنونه بـ(باب دلائل النبوه ) .

٢ - وألف بعض الائمة فى ذلك مؤلفات مستقله كما فعل :

أ - ابو نعيم الاصفهانى الف كتاب ( دلائل النبوه ) .

ب - والامام البيهقى الف كتاب ( دلائل النبوه ) .

جـ - والامام الماوردى " " ( دلائل النبوه ) .

د - الحاكم النيسابورى " " ( الاكليـــل ) .

هـ - أبوسعيد النيسابورى " " ( شرف المصطفى ) .

و - والقاضي عياض فى كتابه (الشفاء ) جمع فيه من الآيات الحسية الخاصه الشيء الكثير .

ز - ومنير الدين بن واثلي له كتاب ( معجزات المصطفى ) .

وقد تناول دراسة تلك الآيات الحسيه علماء التوحيد والتفسير ،والحديث والتاريخ ، بالشرح والتحليل والبيان ،فليراجع من اراد التوسع .

## ـ المبحث الحادى عشر ـ

## دفع شبهة انتصار الدين بالمعجزات

ان الخوارق والآيات الحسيه والمعنويه ، التي ثبت وقوعها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، نؤمن بما صح منها ونصدق .

ولكننا ينبغى ان ننتبه لما يريد أن يشيعه البعض ، من افكار دخيله ، بخبث أو حتى بحسن نيه ، ليخرجوا من كل تلك الآيات والمعجزات التى وقعت للرسول صلى الله عليه وسلم فى حربه وسلمه ، ويقولوا ان هذا الدين قد انتصر بالمعجزات وحكم الدنيا بالخوارق والآيات الالهية .

وما اشنعها فريه وما أسوءها فكره ، ان خطأ هذه الفكره وخطرها يكمن فى انها تقذف فى روع الاجيال المسلمه ، ان عودة هذا الدين ليحكم واقع المسلمين ، وليغير هذا الواقع السيء ، المتردى الى واقع طيب نظيف عال ، كل ذلك مستحيل في نظرهم ، لأن ذلك كله معلق على معجزه ربانيه ، كما انزل الله تعالى الملائكة فى بدر ، وان نصر المسلمين فى العهد الأول كان بسبب وجود رسوله وحبيبه صلى الله عليه وسلم معهم ، ولما توفى الرسول صلى الله عليه وسلم انتصر المسلمون على اعدائهم لأن الصحابه وهم من تربية الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا هم الذين يقودون تلك المعارك ، فمن اين لنا نحن بمثل تلك النماذج الطاهره النظيفة نطيس لها من دون الله كاشفه ، والله قادر على ان يغير هذا الحال الى غيره بقدرته وارادته ، وبدون اخذ باسباب التغيير ولا سلوك لطريقة النصر الشرعية .

وبالتالي تستسلم هذه الاجيال لليأس ، وتظل تجتر مرارة الهزيمة والخيبة ، واقعة في مهاوي الرذيلة ، ومراتع الشهوات حتى يأتي الله بالفتح أو أمر من عنده .

ان هذه العقيدة الاتكالية الفاسدة ، يجب على الدعاة الى الله ان يفندوها ، وان يثبتوا خطأها وزيفها ، ويجب على العلماء الصادقين كذلك ان يوضحوا ويبينوا للناس ، ان الله تعالى علق تحكيم هذا الدين وتطبيقه على الناس في انفسهم وواقع حياتهم علقه على الطاقة البشرية ، والجهود الانسانية ان اجتهدت وتجردت وصدقت في العمل .

فهذا الدين لا ينتصر بالمعجزات ، ولا يقوى سحريه خارقة للسنن الالهية في المجتمعات ، انما ينتصر ويقوم ويحكم بجهد الناس وجهادهم وسلوكهم الطريق الذي رسمه الله لهم ورسوله ، وبأخذهم بسنن الله في بناء المجتمع الاسلامي ، وهذا الطريق هو قوله تعالى ( ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم )(١) .

وقوله تعالى ( ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم )(٢) .

والله تعالى لا يكلف الناس فوق ما يطيقون ولا بما لا يستطيعون(٣) .

---

( ١ ) سورة محمد / ٧ .

( ٢ ) سورة الرعد / ١١ .

( ٣ ) راجع كتاب ( هذا الدين ) لسيد قطب الفصل الاول منه .

## ـ الفصل الثانى ـ

## معجـــزة القرآن الكريـم

وفيه مباحـث :ـ

المبحث الأول : الاعجاز القرآنى معناه ووجه كون القرآن معجزة عظمـــى وخالده .

المبحث الثانـى : اعجاز القرآن ، اهميته ونشأته ،والتصنيف فيه .

المبحث الثالـث : القرآن والتحدى ،ودراسة آيات التحدى والاعجـــاز .

المبحث الرابـع : الشبهات التي قامت حول اعجاز القرآن قديما وحديثا .

المبحث الخامس : نزول القرآن منجما والحكمة فى ذلك .

المبحث السادس : آراء العلماء في وجوه الاعجاز فى القرآن .

## ـ المبحث الأول ـ

## حول معنى اعجاز القرآن ، وكونه المعجزة العظمى الخالده

### معنى المعجزة :ـ

سبق وان بينّا ان معنى العجز في اللغة : الضعف ، وأصله التأخر عن الشيء ،وهو ضد القدره .

فالاعجاز مصدر اعجز ، والتعجيز : هو التشبيط وهو النسبة الى العجز.(١)

### معنى القرآن :ـ

اصله في اللغه : من قرأ قراءة وقرآنا ،فهو مصدر على وزن ( فعلان )كغفران وشكران وتكلان(٢) .

واختلف العلماء في لفظ ( قرآن ) فقيل مشتق وقيل اسم جامد .

أما الاشتقاق : فللعلماء فيه قولان :ـ

أحدهما : قول ابن عباس : ان القرآن والقراءه واحد كالخسران والخساره ،بدليل قوله تعالى ( فاذا قرآناه فاتبع قرآنه )(٣) ان تلاوته .

الثاني : قول قتاده انه مصدر من قول القائل قرأت الماء في الحوض اذا جمعته .

وقال سفيان ابن عيينه : ( سمي قرآنا : لان الحروف جمعت فصارت كلمات ، والكلمات جمعت فصارت آيات ،والآيات جمعت فصارت سوره ، والسورة جمعت فصارت قرآنا ،وقد جمع فيه علم الاولين والآخرين )(٤) .

---

( ١ ) القاموس المحيط جـ٢ / ١٨٠ .
( ٢ ) القاموس المحيط جـ١ / ٢٤ .
( ٣ ) سورة القيامه / ١٧ .
( ٤ ) تفسير الرازي جـ١ / ٢٣٨ ،مفردات الراغب ص٤٠٢ ، من نور الاسلام محمد الخطيب ( ٩٨-١٠٧ ) .

وقيل : ان القرآن اسم جامد مختص بكلام الله تعالى (١) .

وعرفه العلماء بأنه (الكلام المعجز المنزل على النبى صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته (٢) ) .

والمهم أنه كلام الله تعالى المنزل على خاتم رسله ( ص ) وكلام الله تعالى صفة من صفات ذاته المقدسه التي لا تنفك عنه .

ويقصد باعجاز القرآن : أنه يتعذر على البشر فصحاء وعلماء أو غيرهم أن يأتوا بمثله لكونه أمرا خارقا للعادة ، من جميع وجوهه وجوانبه ، مع تصدى الناس له وتحديه لهم بالاتيان بمثله .

القرآن هو المعجزة العظمى :-

من الأمور الواضحة والبينات الساطعة ان القرآن الكريم معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم الكبرى ، وآية الآيات التي اعطيها رسولنا عليه الصلاة والسلام برهانا على نبوته .

ولقد قرر الحق سبحانه وتعالى هذه الحقيقة في كتابه رادا على المشركين لما طلبوا المعجزات الحسية حيث قال سبحانه :

( أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون (٣) ) .

---

( ١ ) البرهان للزركشي جـ١/ ٢٧٧ ، دار المعرفة - بيروت ، والاتقان جـ١/ ٦٤ .

( ٢ ) مناهل العرفان - للزرقانى - جـ١/ ١٢ .

( ٣ ) سورة العنكبوت / ٥١ .

وفي الحديث الذي مر آنفا دلالة على أن القرآن هو المعجزة العظمى : وهو قوله صلى الله عليه وسلم " ما من نبي من الانبياء الا واوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله الي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة "(١) .

وجه كون القرآن المعجزة العظمى :-

فهو لسببين :-

الأول :-

ان معجزات الأنبياء والرسل السابقين كانت أمرا زائدا على كتبهم المنزلة عليهم ، فمعجزات موسى عليه السلام غير التوراه ، ومعجزات عيسى عليه السلام غير الانجيل وهكذا .

لكن القرآن الكريم هو الكتاب المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم للهداية وهو المعجزة بعينه .

قال العلامه ابن خلدون " اعلم ان أعظم المعجزات وأشرفها ، وأوضحها دلالة ، القرآن الكريم ، المنزل على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فان الخوارق في الغالب تقع مغايرة للوحي الذي يتلقاه النبي ثم يعطيه الله تعالى المعجزة شاهدة بصدقه .

والقرآن هو بنفسه الوحي المدعى ، وهو الخارق المعجز ، فشاهده في عينه ، ولا يفتقر الى دليل مغاير له كسائر المعجزات مع الوحي ، فهو أوضح دلالة لاتحاد

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري في كتاب ( فضائل القرآن ) جـ٦ / ٢٢٤ .

الدليل والمدلول فيه ، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث " ما من نبي من الانبياء الا وأتي . . . " .

ثم بين كيف ان الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر الانبياء تابعا يوم القيامة فيقول : " وقوله صلى الله عليه وسلم " فانا أرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة" يشير الى أن المعجزة متى كانت بهذه المثابه في الوضوح وقوة الدلالة ، وهو كونها نفس الوحي ، كان المصدق لها أكثر وضوحا ، فكثر المصدق والمؤمن وهو التابع والامة (١) .

ثانيا :-

أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس كافة ، وختم الله به الرسل وبرسالته الرسالات ، وبكتابه كل الكتب المنزله ، فناسب أن يكون كتابه المنزل آية دائمه وباقيه لكل العهود والاعصر ، وقد تكفل الله تعالى بحفظه وصيانته كما قال سبحانه ( انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ) (٢) .

وهذا دليل على بقاء المعجزه ، واستمرار هذه الآية الكبرى لتكون حجة على العباد ، تتحدى الناس وتعجزهم عن الاتيان بمثلها الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

القرآن هو المعجزة الكبرى وليست الوحيده :-

رأينا في الحديث السالف الذكر بيان الرسول صلى الله عليه وسلم أن معجزته العظمى التي يتحدى بها انما هي ذات الوحي الذي أنزله الله عليه ، وهو القرآن الكريم الواضح الاعجاز .

---

( ١ ) مقدمة ابن خلدون / ٦٠١-١٠٧ طبعة . التقدم - مصر .

( ٢ ) سورة الحجر / ٩ .

لكنه صلى الله عليه وسلم لم يقصد أن جميع معجزاته محصورة في القرآن وحده ، أو أنه لم يؤت نظير معجزات الرسل السابقين ، انما عنى بذلك ان القرآن هو آيته العظمى التي تفوق كل آيه ، وان الله تعالى قد اختص به محمد صلى الله عليه وسلم دون غيره من الانبياء بحيث اوتوا آيات ومعجزات انقضت بانتهاء نبوتهم ورسالتهم .

قال ابن حجر في الفتح معلقا على الحديث المذكور :

( وليس المراد حصر معجزاته فيه ، ولا أنه لم يؤت من المعجزات ما أوتى من تقدمه ، بل المراد انه المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره ... )(١) .

وفي هذا رد على من زعم ان الحديث المذكور يعني حصر معجزات رسولنا صلى الله عليه وسلم بالقرآن ونفى المعجزات المادية الحسيه عنه صلى الله عليه وسلم .(٢)

وقد بينا هذه المسأله وأنه صلى الله عليه وسلم ثبت له مئات المعجزات الحسيه في الفصل السابق من هذا الباب .

---

( ١ ) فتح الباري جـ٩ / ٥ .

( ٢ ) كما جاء في كتاب حياة محمد - لهيكل / ٥٤-٥٨ ، وكتاب ( الوحي المحمدي ) لرشيد رضا ص( ٨٢ ) .

## - المبحث الثاني -

## مسألة اعجاز القرآن
## أهميتها ، ونشأتها ، والتصنيف فيها

اهمية دراسة اعجاز القرآن :-

تعتبر قضية اعجاز القرآن من القضايا الهامة والخطيرة التي جابهت الاسلام والمسلمين عبر التاريخ . ذلك ان المغرضين واعداء الاسلام ، ارادوا التسلل من خلال تلك الجبهة ، بهدف تحطيم الاسلام ، وهدم القرآن ، والقضاء على قدسية الوحي وعصمة النبي المرسل صلى الله عليه وسلم .

وذلك باعتقادهم ان القرآن غير معجز ، وانه ليس وحيا ، ومن ثم فهو لا يختلف في نظرهم عن الكتب الدينية الاخرى في شيء .

ولقد هب علماء المسلمين على اختلاف تخصصاتهم في علوم اللغة أو التوحيد والكلام والتفسير ، يدافعون عن القرآن كتابهم الرّباني الخالد ، بكل ما أوتوا من سلاح ، فدارت رحى معارك فكرية ضارية ، وكانت المعركة تزداد شراسة اذا كان المهاجمون من عتاة الزنادقة المزودين بالافكار والثقافات الاجنبية الخبيثة ، فينبري لمجادلتهم علماء الاسلام الافذاذ من الراسخين في العلم ، واستطاعوا بفضل الله تعالى تحطيم تلك الهجمات وتقويض تلك الدعاوى الفارغة والشبهات الفاسدة التي اثيرت حول القرآن واعجازه ، والتي لم تكن تقوم على أسس صحيحة فبددوا السراب الخادع ، ورفعوا كلمة الله ونصروا دينه وكتابه .

لكن انى للباطل ان يكف وللشيطان واتباعه ان يلقوا السلاح وقد جرت سنة الله تعالى ببقاء الصراع بين الحق والباطل الى أن تقوم الساعة .

فقد أطل الاستشراق برأسة في العصر المتأخر ، وبدأ كثير من المستشرقين ، يعزفون على نفس الوتر القديم ، فطعنوا في اعجاز القرآن ، وشككوا في مصدره ، وساعدهم على نشر تلك الافكار الخبيثه تلاميذهم ممن تربى في احضانهم وقلدهم حذو النعل بالنعل .

ان التشكيك في القرآن تشكيك في معتقد الايمان ولب الاسلام ، وطعن وهدم لاساس دين الله وقواعده ، وهذا يعني أقل ما يعنيه زعزعة ثقة المسلمين بالمحور الاساسي الذي يتجمعون عليه ويشدون اليه .

ومن هنا فان قضية اعجاز القرآن من القضايا العقديه الهامه والحساسة فالاهتمام بها واجب وبحثها ضروري وهام .

نشوء مسألة الأعجاز :-

مسألة اعجاز القرآن قديمة قدم نزول القرآن ، والمستعرض لواقع اللغة والأدب في زمن البعثه ، يرى المستوى العجيب الذي كان عليه العرب فصاحة لسان ودقة بيان وبلاغ قول ، في تلك الظروف نزل القرآن من رب العالمين على رسوله الكريم ليتحداهم في بيانه ونظمه ، فأخرس فصحائهم ، واذهل عقلاءهم وتحداهم أن يأتوا بمثله فاخفقوا وعجزوا .

وكان ادراك العرب البلغاء والفصحاء لاعجاز القرآن ، واقرارهم بأنه فوق مستوى البشر ، وانقطاعهم عن مجاراته ، كان ادراكا فطريا وجرى دون عناء أو تكلف ولم يكن تذوقهم للقرآن يحتاج الى دراسة ولا طول نظر في الكتب ، بل بفطرتهم السليمه ، وبما حباهم الله من ذوق سليم وفصاحة وبيان .

فكان اعجازه عند هؤلاء العرب يتجه الى القلوب فيأسرها ،والى العقول فيشل تفكيرها ، فمنهم من خالط الحق فؤاده فآمن ،ومنهم من جحد كبرًا وعنادا ، فراح يفترى على القرآن ويثير حوله الشبهات .

لكن بعد ان تقدم الزمن في عهد الخلفاء الراشدين وبعدهم ،وانتشر الاسلام في ارجاء الارض ايام الفتوحات الاسلامية الباهرة ،وانتشر المسلمون في البلاد المفتوحة ، فابتعدوا عن البيئة العربية موطن اللغة ،ومهد البلاغة والفصاحة والبيان .

هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد حمل المسلمون الجدد من غير العرب ثقافات وعلوما كان لها أثر كبير في تعكير صفاء العربية ،وضعف البيان واللسان العربي والقدرة على البلاغة بمقدار ما دخل من العجمة .

فلم يعد اعجاز القرآن يدرك بالفطرة ولا بالسليقة ،وانما صار يتطلب دراسة اللغة والاحاطة ، بغريبها ،والمعرفة باساليب التعبير فيها ليتزود من يريد أن يتصدى لمعرفة اعجاز القرآن ، ولتصبح عنده الملكة التي تمكنه من ادراك هذه الناحية من القرآن .

أى ان اعجاز القرآن بعد ان كان يعتمد على التذوق الفطرى ،أى بمجرد سماع القرآن يحس به ،تحول هذا الادراك الى التذوق العلمي الذى يجب ان تسبقه ثقافة واسعة واطلاع كبير على تراث العربية وعلومها .

وهذا يعنى ان الاعجاز الذى كانت تدركه اكثرية العرب وغير العرب من المسلمين المعاصرين لنزول القرآن ، أصبح فيما بعد من اختصاص طبقة قليلة من المسلمين هي التى تملك وسائل التذوق الفنى والاحساس البياني[1] .

---

( ١ ) انظر كتاب (تطور دراسة اعجاز القرآن ) ـ د . عمر الملا حويس( ٢٠٢-٢١٦ ) .

مسألة الاعجاز عبر التاريخ :-

بازدهار الحركة العلمية والفكرية ، وفتح أبواب حرية النقاش والتفكير ، كثرت الاستفهامات حول القرآن واعجازه ، وفهم الاعجاز ؟ وماهي وجوهه ؟ .

فاستغل بعض ذوي النفوس المريضة والذين لم يتجاوزا الاسلام حناجرهم ، وانضم اليهم كثير من الاعاجم الذين سلبهم الاسلام امجادهم وامتيازاتهم ، فدفعهم حقدهم وشعوبيتهم ، فراحوا ينفثون سمومهم بين صفوف المسلمين ليثيروا الفتن ، وليشككوا ضعاف الايمان في دينهم .

وأول تلك الافكار المبتدعة والشبهات الضالة ، كانت على يد مسخ من الموالي يسمى ( بالجعد بن درهم )(١) . فقام يجاهر بآرائه الغريبة الضالة ، فقال أولا بخلق القرآن ، ثم أنكر تكليم الله تعالى لموسى عليه السلام كما أنكر اتخاذ الله ابراهيم خليلا ، فلما عظم أمره قبض عليه هشام بن عبد الملك وأرسله الى واليه على العراق خالد بن عبد الله القسري ، فضحى به هذا بعد خطبة عيد الأضحى حيث قال : ( أيها المسلمون ضحوا تضحياكم تقبل الله منكم واني مضحّ بالجعد بن درهم ) فنزل وذبحه بجانب المنبر وأراح المسلمين من شره(٢) .

فكان هذا الحادث - قتل الجعد بن درهم - قد لقن كل من تسول له نفسه ان يشكك في دين الله درسًا قاسيًا ، فلم يتمكن الزنادقة والمغرضون من المجاهرة باضاليلهم وشبهاتهم خوف البطش بهم فكانوا يستخفون .

---

( ١ ) الجعد بن درهم : مبتدع ضال ، عدّاه في التابعين . قتل بالعراق يوم النحر انظر ميزان الاعتدال للذهبي جـ١/ ٣٩٩ .

( ٢ ) الكامل لابن الاثير جـ٥/ ١٩٧ ، ولوامع الانوار البهية للسفاريني جـ١/ ٢٣ .

ثم دار الزمن دورته ، وتغير الحال ، وانفتحت ابواب الدولة ، ومكتباتها على علوم اليونان والرومان والفرس ، فطغى سيل الافكار الوافده ، فأفسد كثيرا من العقول والقلوب ، هذا بالاضافة الى ضعف الخلفاء ، وحكام المسلمين ، وانشغالهم في خاصة نفوسهم وسلطانهم ، مما أدى الى ان نشطت الدعوات الهدامه ، ونجم شياطين الزنادقة ، وبدأوا ينفثون سموم الشك ، ويرمون بسهام الشبهات لهدم الاسلام وتقويض دولته .

فكثرت المطاعن على القرآن الكريم والسنة الشريفه ، والعقيدة الاسلامية ، واتبع كثير من رقاق الدين من الكتاب والفلاسفة ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويل القرآن على غير وجهه الحق .

وكانت مسألة اعجاز القرآن من المسائل البارزه التي تناولها العلماء بالبحث والدراسة والتصنيف (١) .

التصنيف في الاعجاز القرآني :-

على الرغم من عكوف المسلمين على القرآن الكريم ، واهتمامهم به ، قراءة ومدارسة ، حتى افنى العلماء اعمارهم في دراسة علومه ، ومعارفه ، حتى انهم أحصوا كلماته كلمة كلمة ، وعدوا حروفه حرفا حرفا .

ومع ذلك فانه قد مضى عصر النبوة ، وعصر الخلفاء الراشدين ، ودولة بني أميه كلها وشطر من دولة العباسيين ، دون ان يحاول احد التعرض لقضية الاعجاز القرآني والكشف عن اسرار الاعجاز ودلائله .

---

( ١ ) انظر كتاب ( فكرة اعجاز القرآن ) - نعيم الحمصي - ٤٨-٥١ ، ط . الثانية مؤسسة الرسالة / ١٤٠٠هـ .

ولم يكن ذلك التأخر عن تقصير في حق القرآن ، وكيف ذلك والا مقالا سلامية كلها لم يكن لها وجود الا بالقرآن ، ولا قيام لها الا به ، ولم يكن لها تفكير الا فيه .

أسباب تأخر التصنيف فى اعجاز القرآن :-

ويمكن أن نرجع أسباب تأخر الاهتمام بدراسة الاعجاز الى الأسباب الآتيه :-

أولا :-

ان خلو القرنين الاولين من تلك الدراسات القرآنية كان بسبب التهيب والاجلال لمقام القرآن ، واعظاما لامره ، وصونا له عن أن يكون غرضا للآراء والأهواء ومجالا للجدل والخلاف .

ومن هنا نرى تجنب الكثير من الصحابة والتابعين تفسير آية أو كلمة في القرآن اذ كان يرى ان ذلك قول بالرأى في القرآن ، وتألّ على الله في كشف المراد من كلامه اذا لم يكن في معنى الآيه نص مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الخطابى بـ " ومن هنا تهيب كثير من السلف تفسير القرآن ، وتركوا القول فيه حذرا من أن يزلوا فيذهبوا عن المراد وان كانوا على علم باللسان فقهاء فى الدين )(١) .

ومن ثم فقد حرص القرنان الأولان على البعد بالقرآن عن الجدل وتنازع الآراء فى فهم آياته .

---

(١) ( بيان اعجاز القرآن - للخطابى - ضمن ثلاث رسائل فى الاعجاز ص٣٤ ) .

ثانيا :-

اتساع رقعة الاسلام ودخول الكثير من غير العرب في هذا الدين ، جعل شرح الآيات القرآنية وتفسيرها أمرا ضروريا لتلك الفئة التي استجدت على المجتمع الاسلامي . بل حتى وللعرب الذين استوطنوا المدن والحواضر وابتعدوا عن ينابيع الفصاحه والبلاغه ، فضعف هذا الجانب فيهم ، مما حدى ببعض العلماء الى ان يضع للقرآن تفسيرا للغريب من مفرداته ، أو تفسيرا كاملا لمعنى آياته ، واستخراج اسراره الكامنه وأحكامه الدقيقه فبدأت عملية التصنيف والكتابه في الاعجاز القرآني .

ثالثا :-

نشوء علم الكلام ، الذي ظهر في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث وامتداد ساحات الجدل والمناظره لتشمل القرآن الكريم .

ومن هنا اصبح القرآن موضع نظر المتكلمين وخصومهم ، فيما يجادلون ويختلفون فيه ، لذا فقد صار النظر في القرآن يتخذ طابع الدراسة المتعمقة الفاحصه ، وتقليب وجوه الرأي ، حيث ان اعجاز القرآن كانت حوله مسائل هامه دار حولها الجدل والخلاف (١) .

رابعا :-

الناس في القرنين الاولين لم يكونوا بحاجة الى مصنفات ولا وضع كتب تثبت لهم ان القرآن معجزه ، فكان الناس مجمعين على القول بالاعجاز ، وكانت صلتهم

---

(١) الاعجاز في دراسات السابقين - لعبد الكريم الخطيب - ١٧٩-١٨١ ، الطبعة الأولى ١٣٧٤ .

بأصول دينهم قوية راسخة ،وكانوا كما ذكرنا في مستواهم البلاغي والبياني يعجزون عن مجاراة القرآن فيقرون بأنه فوق مستوى البشر ،

فلما كانت بداية القرن الثالث للهجرة ، وفشت مقالة بعض المعتزلة ، بأن فصاحة القرآن غير معجزه ،وان العرب لم يعجزوا عن معارضة القرآن ، وانما صرفهم الله عن تلك المعارضه كما سنرى بعد قليل ، وخيف ان يلتبس ذلك على العامة بالتقليد أو العاده ، وعلى أشباه وانصاف العلماء في اللغة وعلومها ، مست الحاجه الى بسط القول في فنون وفصاحة القرآن ونظمه ،ومن هنا بدأ التأليف في الاعجاز (١) .

أول من صنف في الاعجاز :-

كان أول مصنف في الاعجاز لعثمان بن عمرو الجاحظ المتوفي سنة ٢٥٥هـ . حيث الف كتابه ( نظم القرآن ) وكان معتزليا بل رأس طائفه .

ثم كان أول كتاب وضع لشرح الاعجاز وبسط القول فيه كتاب ( اعجاز القرآن ) لأبي عبد الله بن يزيد الواسطي المتوفى سنة ( ٣٠٦هـ ) ثم شرحه عبد القاهر الجرجاني المتوفى ( ٤٧١ ) شرحا كبيرا سماه ( المعتضد ) .

ثم كان كتاب عبد القاهر الجرجاني المشهور ( دلائل الاعجاز ) .
ثم كتب أبو عيسى (الرماني ) المتوفى ( ٣٨٢ ) كتابه (النكت في اعجاز القرآن ) .
ثم كتب أبو سليمان الخطابي المتوفى ( ٣٨٨ ) كتابه ( بيان اعجاز القرآن ) .
ثم جاء الباقلاني المتوفى ( ٤٠٣ ) فوضع كتابه المشهور ( اعجاز القرآن ) الذى أجمع

---

( ١ ) انظر اعجاز القرآن ـ للرافعي ـ ١٥٠-١٥٥ .

المتأخرون من بعده على أنه باب في الاعجاز على حده ، فلم يوضع في عصره أوفى منه .

تلك كانت أهم المؤلفات التي شقت الطريق ، فكانت الاصول التي بنت عليها المؤلفات الاخرى معها وبعدها ، لكنها كانت في وجوه مختلفة من البلاغة والكلام .

ومنها كتاب ( نهاية الايجاز في دراية الاعجاز ) للفخر الرازي المتوفى ( ٦٠٦ ) .

وكتاب ( البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن ) للزملكاني المتوفى ( ٦٥١ ) .

ثم كتاب ( بديع القرآن ) لابن ابي الاصبع المتوفي ( ٦٥٤ ) .

ثم كتاب ( نظم القرآن ) لابي زيد البلخي .

ثم توالت بعد ذلك المصنفات في الاعجاز عبر القرون الى وقتنا الحاضر .

الاتجاهات التي أثرت في دراسة الاعجاز :-

دراسة الاعجاز القرآني كأي دراسة أخرى تخضع للمؤثرات والتيارات التي تنشط في المجتمع فيتأثر بها الناس ، ويظهر تأثيرها على نتاجهم العلمي ، والفكري . ودراسة اعجاز القرآن قد خضعت وتأثرت بالاتجاهات العقدية ومذاهب الفرق الاسلامية التي تصدت للاعجاز القرآني .

واشتد النقاش حول اعجاز القرآن ، وكان في طليعة المتصدرين لتلك المعارك والمناقشات اصحاب الفرق والطوائف الاسلامية والكلامية .

---

( ١ ) انظر اعجاز القرآن - للرافعي - ١٥٤-١٥٥ .

فكان للمعتزلة نظريتهم فى الاعجاز ، بل كان هؤلاء المعتزلة منقسمين على أنفسهم على أكثر من رأى ، فرأى للجاحظ ورأى للنظام ، ورأى للمرتضى العلوى الخ ..

وأهل السنة كذلك من الاشاعره والمتكلمين وأهل الحديث وغيرهم .

لكن أكثر الذين عنوا بدراسة الاعجاز ، استعانوا بالفلسفة والمنطق ، لتقوى فيهم القدرة على الجدل والمناظره للخصوم والمخالفين ، ومن هنا فان نتائج الكثير من تلك المناقشات والمناظرات لا يطمأن اليه ، لان الهدف منه كان دحض الخصوم بالحجه والمنطق ، ولم يكن خالصا من أجل الوصول الى الحقيقه .(١)

وخير وصف لتلك المناقشات ما أورده الرافعي فى كتاب اعجاز القرآن حيث قال :

( فلقد ابعد القوم في المقايسه ، وامعنوا فى المناظره والمذاكره ، وأطالوا فى الخصومه ، وفخموا ماشاءوا ، وضخموا من الكلام ما ملأ أفواههم وجاءوا بما هو لعمرى فلسفه ومنطق ، . بيد انهم في كل ذلك انما تواضعوا على صنيع واحد من السوء بعضهم على بعض ، فمن فلج بحجته فقطع خصمه عن المعارضه ، وأفحمه دون المناضله ، كان الرأى في الاعجاز ما رآه هو ، وكان أكبر البرهان على صوابه عجز خصمه عن تخطئته )(٢) .

---

( ١ ) تطور دراسة الاعجاز - د . عمر الملا موسى - ٢٢١ - مطبعة الامن ١٣٩٢ .

( ٢ ) اعجاز القرآن - للرافعى - ١٥٨ .

آراء الناس في الاعجاز :-

للناس في اعجاز القرآن قولان :-

منهم من قال انه معجز في نفسه وهذا رأى أهل السنة وكثير من أهل الطوائف .

ومنهم من قال انه ليس في نفسه معجزا ، الا أن الله تعالى لما صرف دواعيهم عن الاتيان بمعارضته مع قوة تلك الدواعي ، كانت الصرفة هذه هي المعجزة ، كما ذهب الى ذلك النظام (١) والمرتضى العلوى وغيرهم وهو قول باطل كما سنرى فيما بعد .

يقول الفخر الرازى :

( والمختار عندنا في هذا الباب أن نقول : القرآن في نفسه اما أن يكون معجزا أو لا يكون ، فان كان معجزا فقد حصل المطلوب ، وان لم يكن معجزا بل كانوا قادرين على الاتيان بمعارضته وكانت الدواعي متوافرة على الاتيان بهذه المعارضة ، وما كان لهم عنها من صارف ولا مانع ، وعلى هذا التقدير كان الاتيان بمعارضته واجبا لازما ، فعدم اتيانهم بهذه المعارضة مع التقديرات المذكورة يكون نقضا للعادة فيكون معجزا .. ) .

وقد نقل هذا الكلام ابن كثير في تفسيره وقال :

ان هذه الطريقة طريقة الرازى والمتكلمين في الاعجاز انما تصلح على سبيل الدفاع عن الحق لكنها غير مرضية ، لأن القرآن في نفسه معجز حيث قال :

---

( ١ ) النظام : هو ابو اسحق ابراهيم بن سيار النظّام ، شيخ الحافظ ، ورأس فرقة من فرق المعتزلة تعرف بالنظامية ، أول من قال بالصرفة .

توفى ( ٢٢٤ ) .

انظر الملل والنحل جـ١/ ٥٣ .

وهذه الطريقة وان كانت غير مرضية ، لان القرآن فى نفسه معجز لا يستطيع البشر معارضته كما قررنا ، الا أنها تصلح على سبيل التنزيل والمجادلة والمنافسة عن الحق ... ) (١) !

ولذا فقد استعمل هذه الطريقة شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره (٢) .

قال تعالى : ( ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ) . ( ٨٦ ) .

( الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا ) ( ٨٧ .

( قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ) ( ٨٨ ) .

( ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل فابى أكثر الناس الا كفورا ) . ( ٨٩ ) .

---

( ١ ) تفسير ابن كثير جـ ١ / ١١ .

( ٢ ) الجواب الصحيح جـ ٤ / ٧٦ .

## ـ المبحث الثالث ـ

## القرآن والتحدى ودراسة آيات المعاجزه

لقد تحدى القرآن الامم بالمعارضه أو الاتيان بمثله ، أو بمثل جزء منه ، والتحدى : هو أن يحدوهم ( أى يدعوهم ويحثهم ) الى أن يعارضوه ، فيقال فيه : ( حدانى على هذا الأمر اى يحثنى عليه ، ومنه سمى حادى العيس لانه يحداه يحث العيس ( الابل ) على السير )[1] .

وأول مانزل من آيات المعاجزة والتحدى آية الاسراء ، ردّا على من جحد القرآن وقال : بالامكان القول مثله . فانزل الله تعالى فى سورة الاسراء قوله : ( قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ) الاية ٨٨ .

ذكر ابن كثير في تفسيره ان سبب نزول الآية : ( ان كفار قريش ادعوا باطلا ـ عند سماعهم القرآن ـ انهم يستطيعون أن يقولوا مثله ، كما قال سبحانه ( واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الأولين )[2] .

وقيل ان قائل ذلك هو النضر بن الحارث ، كما نص على ذلك سعيد بن جبير والسدّى وغيرهم ، فانه ـ اى النضر ـ كان قد ذهب الى بلاد فارس وتعلم من أخبار ملوكهم و رستم واسفند يار ) ، ولما قدم وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه الله ، وهو يتلوا على الناس القرآن ، فكان اذا انصرف عليه السلام من مجلس،

---

( ١ ) الجواب الصحيح ـ لابن تيميه ـ جـ٤ / ٧١ ، ولوامع الانوار البهيه للسفارينى جـ١ / ١٧٣ .

( ٢ ) سورة الانفال / ٣١ .

جلس النضو مكانه فحدثهم من أخبار أولئك ، ثم يقول :

بالله أينا أحسن قصصا انا أو محمد ؟ وفيه نزلت الآية ( واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا . . . . ) فلما قال ذلك النضر بن الحارث أو كفار قريش تحدى الله الجميع ، ومعهم الجن ان يأتوا بمثل هذا القرآن فقال سبحانه ( قل لئن اجتمعت الانس والجن . . . . . ) (١) .

التدرج في التحدى :-

وبعد أن ألقى القرآن هذا التحدى العام في آية الاسراء ، وتحداهم فيه أن يأتوا بمثل القرآن في الفصاحة أو البلاغة أو قوة الاسلوب ودقة المعنى .

فلما عجزوا عن ذلك واخفقوا ، تدرج الحق جل جلاله معهم فتحداهم بسورة واحدة من مثله مستعينين بمن شاءوا من الخلق من دون الله .

كما قال تعالى في سورة يونس ( أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين ) (٢) .

والمشهور ان سورة يونس نزلت بمكة بعد الاسراء مباشرة الا بعض آيات منها (٣) : ثم نزلت سورة هود بعد سورة يونس مباشرة فردت على دعواهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم افترى القرآن فلماذا لا يأتون بعشر سور مثله مفتريات ؟ .

قال تعالى في سورة هود ( أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور من مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين ، فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما أنزل بعلم الله ، وان لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون ) (٤) .

---

( ١ ) مختصر ابن كثير جـ ٢ / ١٠١ .
( ٢ ) سورة يونس / ٣٨ .
( ٣ ) الاتقان في علوم القرآن - للسيوطي - جـ ١ / ١٠٥ .
( ٤ ) سورة هود / ١٣ ، ١٤ .

ثم نزلت آية سورة الطور ( أم يقولون افتراه فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين )[١] .

وهذه الآيات نزلت كلها في مكة قبل الهجرة ، ثم نزلت في المدينة المنورة بعد الهجرة آية سورة البقرة ( وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين ، فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين )[٢] .

على ان هذا الترتيب الذي ذكرناه مستدلين فيه بترتيب نزول السور ، خالف رأي كثير من المفسرين ، حيث يرون أن التسلسل في نزول آيات التحدي حسب التدرج العددي كالتالي :

انه تحداهم أولا بالقرآن كله - في آية الاسراء وآية الطور .

ثم تحداهم بعشر سور من مثله - في سورة هود .

ثم تحداهم بسورة واحدة - في سورة يونس .

وقد ذهب الى هذا الرأي الاخير ابن كثير ، وأبو حيان في البحر المحيط جـ٥ / ٢٠٨ ، وشيخ الاسلام ابن تيميه في الجواب الصحيح جـ٤ / ٧١ وغيرهم .

ويرون ان الله تعالى اتبع اسلوب التدرج من الاعلى الى الادنى ، ومن الاكثر الى الأقل ، فتحداهم بالقرآن كله أولا ، ثم بعشر سور مثله ، ثم بسورة واحدة وذلك امعانا في التحدي وزيادة في التعجيز[٣] .

---

( ١ ) سورة الطور / ٣٤ .

( ٢ ) سورة البقرة ٢٣-٢٤ .

( ٣ ) انظر بينات المعجزة الخالدة - لحسن ضياء الدين عتر / ١٥٧-١٥٩ .

وقد نبه الشيخ رشيد رضا على أن هذا الاعتبار في التدرج والتسلسل خطأ وقع فيه كل من قال به ، مستدلا على ذلك بالأدلة الآتية :

١ - ان ترتيب نزول السور المذكورة ، يخالف القول بالتدرج في التحدي ، وينفي احتمال أن تكون آية من سورة متأخرة قد نزلت قبل سورة متقدمة ، فسورة يونس التي فيها آية التحدي بسورة واحدة نزلت قبل آية هود التي تحدت بعشر سور ، لأنه لا يوجد في مخالفة هذا نص أو برهان ، وانه لا يصح القول بالتحكم المحض دون دليل .

٢ - ان موضوع التحدي بالعشر سور ، غير موضوع التحدي بسورة . فهنا مطلق التحدي ، وهناك التحدي بالقصص والاخبار ، فالتحدي بعشر سور من القرآن يراد به التحدي بالقصص مما يقع في معلوماتهم ولم يقصد التحدي بما لا يقع في علمهم .

ويعلل ذلك رحمه الله : بأن مشركي مكة لم يجدوا بعد شبهة السحر الا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد افتراه بجملته ، فتحداهم بمثله في الاجمال في سورة يونس ، ثم بسورة مثله في جملة مزاياه من نظمه واسلوبه وبلاغته وعلومه وقوة تأثيره وسلطانه على النفوس ، فعجزوا ، وبقيت لهم شبهة عليه في قصصه ، اذ ذكر أنها من أنباء الغيب أوحاه الله اليه ، فزعموا انه افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون ، وانها اساطير الأولين ، وبلقنها لئلا ينساها ، وهذه شبهة خاصة موجهة الى قصة المتفرقة في سور كثيرة لا يدحضها عجزهم عن الاتيان بسورة واحدة من مثله في بلاغته ، وابداع نظمه ، سيما اذا كانت قصيرة ، ومن ثم تحداهم بعشر سور مثله مفتريات : اى مثل القصص التي زعموا انها اساطير الاولين (١) .

---

(١) تفسير المنار جـ٢ / ٣٥ ، وانظر فكرة اعجاز القرآن ٢١-٢٣ .

ثم يقول اذا اخذنا باعتبار أن الكم ( التسلسل فى عدد السور ) لم يكن مقصودا فى هذا التحدى ، وانما قصد الكيف ، جنبنا أنفسنا عناء البحث في ترتيب النزول للخلاف الطويل حول المسألة ولا نص قاطع[1].

استمرار التحدى وبقاؤه :-

قوله تعالى ( وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله )[2].

قال شيخ الاسلام : ( أى ماكان لأن يفترى ، يقول ماكان ليفعل هذا فلم ينف مجرد فعله ، بل نفى احتمال فعله ، واخبر بأن هذا لا يقع ، بل يمتنع وقوعه ، فيكون المعنى : مايمكن ولا يحتمل ولا يجوز ان يفترى هذا القرآن من دون الله ، فان الذى يفتريه من دون الله مخلوق والمخلوق لا يقدر على ذلك )[3].

وأما قوله تعالى فى سورة البقرة ( فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار... ) فيقول شيخ الاسلام رحمه الله : ( وهنا أمران :-

أحدهما : قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار... يقول اذا لم تفعلوا فقد علمتم انه حق ، فخافوا الله ان تكذبوه فيحيق بكم العذاب الذى وعد به المكذبين ، وهذا دعاء الى سبيل ربه بالموعظة الحسنة بعد أن دعاهم بالحكمة وهو جدالهم بالتي هي أحسن .

والثانى : قوله تعالى (ولن تفعلوا ) ، و(لن )لنفي المستقبل ، فثبت بالخبر أنهم لا يأتون بسورة من مثله فيما يستقبل من الزمان )[4].

أما فى سورة الاسراء فقد جاء التحدى فيها على نحو قاطع. قال تعالى : (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ) .

---

( ١ ) تفسير المنار جـ٢ / ٣٢ .
( ٢ ) سورة يونس / ٣٧ .
( ٣ ) الجواب الصحيح جـ٤ / ٧١ .
( ٤ ) المصدر السابق جـ٤ / ٧٢ .

فالله تعالى يأمر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يخبر جميع الخلق أن هذا الكتاب معجز لهم ، وقاطعا انهم اذا اجتمعوا كلهم على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ولو تظاهروا وتعاونوا على ذلك ، وهذا التحدى والدعاء هو لجميع الخلق ، وهذا قد سمعه كل من سمع القرآن ، وعرفه العام والخاص وعلم مع ذلك انهم لم يعارضوه ، ولا أتوا بسورة مثله ، ومن حسن بعثه عليه الصلاة والسلام والى اليوم الآخر على ذلك .

وكان الكفار أحرص الناس على ابطال قوله مجتهدين بكل طريق يمكن ، فتارة كانوا يذهبون الى أهل الكتاب ، فيسألونهم عن أمور من الغيب حتى يسألوه عنها ، كما سألوه عن قصة يوسف ، وأهل الكهف ، وذى القرنين .

وتارة يجتمعون فى مجمع بعد مجمع ليقرروا ماذا يقولون فيه ، وصاروا يضربون له الامثال ، فيشبهونه بمن ليس بمثله لمجرد شبهة ما ، مع ظهور الفرق الواضح .

فتارة يقولون مجنون ، وتارة يقولون ساحر ، وتارة يقولون كاهن ، وتارة يقولون شاعر ، الخ .

تلك الأمثال والأقوال التي يعلمون هم وكل عاقل سمعها انها اقوال باطلة عليه (١) . كما قال تعالى في سورة الاسراء ( . . . اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا . انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ) ٤٧-٤٨ .

---

(١) الجواب الصحيح جـ٤ / ٧٤ ، لوامع الانوار البهية جـ١ / ١٧١ .

## ـ المبحث الرابع ـ

## الشبهات التي قامت حول اعجاز القرآن قديما وحديثا

لتوضيح الموضوع يمكننا تقسيم الذين انكروا الاعجاز الى قسمين :-

قسم قديم ، وقسم حديث ، وسنوجز الحديث عنهم فيما يلي :-

القسم الأول : المنكرون للاعجاز في العصر القديم ، وهم فريقان :-

الفريق الأول : يقولون ان القرآن غير معجز ، لا بقوة القدر ، ولا بضعف القدرة ومنهم :-

١ ـ الجعد بن درهم وهو أشدهم ، فانه كان أول من صرح بالانكار على القرآن ، وقال بانه مخلوق .

ومسألة خلق القرآن أول من قال بها رجل يهودي يسمى (لبيد بن الاعصم) الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم كما صح بذلك الخبر ، فكان يقول هذا الشيطان : ان التوراة مخلوقة ، فالقرآن مخلوق ، ثم أخذها عنه طالوت ابن اخته واشاعها ، فقال بها ابان بن سمعان أو ( بنان بن سمعان ) ثم تلقاها عنه الجعد بن درهم ، وبالاضافة الى قوله بخلق القرآن ، قال لعنه الله : ان فصاحة القرآن غير معجزة ، وان الناس قادرون على مثلها وعلى أحسن منها ، ورأينا في ما سلف نهايته على يد وال مسلم جزاه الله خيرا .

وهذه الأشياء انما هي من انكار الاخبار الواردة فيه كتكليم الله تعالى لموسى عليه السلام ، ونحوه اما انكار أشياء من القرآن نفسه على أنها ليست من القرآن فقد وقع لبعض الغلاة : مثل المجاردة (١) اتباع عبد الكريم مجرد ،

---

(١) المجاردة : انظر الملل والنحل جـ١/ ١٢٨ ، ومقالات الاسلاميين جـ١/ ٩٥ .

فانهم ينكرون سورة يوسف لانها كما زعموا قصّة ،وقد عمدوا عن النظم والاسلوب وطابع الكلام .

اما الرافضه ( أخزاهم الله ) فكانوا يزعمون ان القرآن بدل وغير وزيد فيه ونقص منه ، وحرف عن مواضعه ، وان الائمة فعلت ذلك بالسنة أيضا (١) .

٢ - عيسى بن صبيح المزدار ،رأس طائفة المزداريه ، تلميذ بشر بن المعتمر من شيوخ المعتزله ، زعم هذا الخبيث الزنديق ان الناس قادرون على مثل القرآن فصاحة ونظما وبلاغه .

٣ - طائفة الحسينيه : اصحاب الحسين بن القاسم العناني (٢) .

زعموا قبحهم الله ، ان كتبهم وكلامهم أبلغ واهدى وأبين من القرآن .

٤ - وابن الراوندى : رافضي خبيث كان يقول ان في القرآن سفها وكذبا لان حروف هاتين الكلمتين موجودة فيه . الف كتاب ( التاج ) و(الدافع) للحط من القرآن والطعن فيه (٣) .

الفريق الثاني : كان يقول بالصّرفه :-

تعريف الصرفه لغة : الصرف يعني : رد الشيء عن وجهه ، يقال صرفه يصرفه صرفا ، فانصرف ، وقوله تعالى ( صرف الله قلوبهم ) اى اضلهم مجازاة على فعلهم (٤) . فالصرفه على وزن ( فعله ) اسم للمرة الواحده .

---

( ١ ) اعجاز القرآن للرافعى / ١٤٣ ، وكنا.

( ٢ ) انظر مقالات الاسلاميين /للاشعرى جـ١ / ٩٩ ،تحقيق محي الدين عبد الحميد سنة ١٣٨٩هـ .

( ٣ ) انظر اعجاز القرآن للرافعى ١٢٣-١٥٠ .

( ٤ ) لسان العرب -لابن منظور - مادة ( صرف ) .

أما الصرفة اصطلاحا : (فتعني أن الله تعالى صرف العرب عن معارضة القرآن ، وسلب عقولهم عنها ، وكانت في مقدورهم ، لكن عاقهم أمر خارجي ، فصار كسائر المعجزات)[١].

جذور القول بالصرفة :-

ارجع الاستاذ أبوزهره رحمه الله ، اصل القول بالصرفه الى الهنود ، وذلك ان كتابهم (الفيدا ) المقدس كان الناس يعتبرون انها لا تماثل ، وكان جمهور علمائهم يقولون بأن البشر يعجزون عن ان يأتوا بمثلها ،لان ( براهما ) معبودهم قد صرفهم عن أن يأتوا بمثلها .

ثم لما دخلت الافكار الهندية في العهد أبي جعفر المنصور المتوفى سنة ١٥٦هـ تلقف الذين يحبون كل وافد من الافكار ويركنون الى الاستغراب في أقوالهم ، فدفعتهم الفلسفة الى ان يعتنقوا ذلك القول ويطبقوه على القرآن ، وان كان لا ينطبق . ثم تلقفه النظام وروج له[٢].

من هم القائلون بالصرفة[٣] :-

أول من ذهب الى القول بالصرفه النظام وكان من شياطين المعتزله ورؤسائهم ثم قال برأي النظام هذا طائفة من العلماء والفرق .

١ - المرتضى العلوي من الشيعه .

٢ - ابو اسحق الاسفرايني من اهل السنه .

٣ - وعزى ابى الجاحظ .

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٢/ ٩٣ ، الاتقان في علوم القرآن ٢-١٨٣ .
(٢) انظر كتاب (المعجزه الكبرى )لابى زهره ص٧٦-٧٧ط. دار الفكر العربي .
(٣) انظر: (اعجاز القرآن )للرافعي ١٦٢ ، (الجامع لاحكام القرآن -القرطبي - ج١/ ٧٦ ، ( الاتقان ) ج ١٩٨/ ( فكرة اعجاز القرآن ) ١٦٤ ، ١٧٥ ( بينات المعجزة الخالده ) ٢٠٥ .

٣ ـ الرماني : ادرجه في جملة وجوه الاعجاز وعده وجها منها .

٤ ـ المزداريه : اتباع عيسى بن صبيح المزدار راهب المعتزله (١) .

٥ ـ كذلك قال بها ابن كمال باشا المتوفى / ٦٣٨ .

٦ ـ نصير الدين الطوسي المتوفى / ٦٧٢ .

٧ ـ الاصبهاني / ٧٤٩ ، وقد جمع بين الاعجاز البلاغي والاعجاز بالصرفه .

٨ ـ محمد الشريفي الخطيب المتوفى / ٩٧٧ ، كذلك جمع بين البلاغه والصرفه .

٩ ـ شمس الدين محمد بن العزيز المالكي المتوفى / ١١٤٩هـ .

وقصد أصحاب هذا المذهب ان الله تعالى صرف العرب عن معارضة القرآن ، وكان في قدرتهم ان يعارضوه ، وأن يأتوا بمثله ، لولا ان الله حال بينهم وبين ذلك .

وهذا يبنى على رأيهم الفاسد :ـ ان اعجاز القرآن ليس ذاتيا ، بل لامر زائد عليه وخارج عنه وهو ان الله تعالى عطل قدراتهم عن المعارضه .

وقيل ان معنى الصرفه : ان الله سبحانه سلبهم العلوم التي يحتاج اليها في المعارضة ليجيئوا بمثل القرآن (٢) .

نقض القول بالصرفه (٣) :ـ

وقد رد العلماء على هذا المذهب ، وفندوه ونقضوه وبينوا فساده ومن تلك الردود :ـ

---

(١) انظر (الملل والنحل للشهرستاني ) جـ١/ ٦٨ .

(٢) اعجاز القرآن للرافعي / ١٦٢ ، الجامع لاحكام القرآن جـ١/ ٧٦ .

(٣) انظر: الرسالة الشافية في الاعجاز ـ للجرجاني ٢٩٧-٢٩٩ ، وكتاب بينات المعجزه الخالده / ٢٠٥-٢١٦ .

١ ـ ان ما يرد به على مذهب الصرفه ان نقول ان دلالـــة الاعجاز قائمة فى القرآن نفسه ، فان الله تعالى تحداهم ان يأتوا بمثله : قال تعالى ( قل لئـــن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولـــو كان بعضهم لبعض ظهيرا ) .

فالله تعالى نص على أن الانس والجن ولو اجتمعوا ليعارضوه لم يأتوا بمثله ، فلو كان الاعجاز بالصرفه لقيل : لو اجتمعوا لما انعقدت لهم عزيمة على الاتيان بمثله . أو لو اجتمعوا لما اتجهت هممهم ، ولا همـــة واحد منهم الى هذا الأمر ، ولم يرد مثل ذلك بحال وانما نص القرآن على انهم لا يأتون بمثله ولو تضافرت جهودهم ، وتآزرت مساعيهم ، فدل علـــى أن التحدى انما وقع بنفس القرآن والاعجاز قائم فى ذاته ، وان القرآن معجـــز بنفسه لمزايا وخصائص استقرئيه تقصر طاقات البشر وقدراتهم عـــــن مضاهاتها .

٢ ـ لو كان الاعجاز بالصرفه لكان مقتضى الحكمة انزال القرآن في مستوى قريـــب المتناول لا في الدرجة القصوى من البلاغة والفصاحة ، لتظهر عظمة العجزه فى المنع من مثله والصرف عنه .

٣ ـ ماورد فى القرآن نفسه من الآيات الدالة على قوة تأثيره على النفوس ، وقـــد بلغ من تأثيره في نفوس الكافريـــن ما حملهم على التواصي على الاعراض عنه ، كما حكى عنهم القرآن : ( وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القـــرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ) (١) .

---

(١) سورة فصلت / ٢٦ .

ووصف تأثيره في نفوس المؤمنين فقال : ( الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله )(١) .

٤ ـ أكبر دليل على ان عجاز القرآن من نظمه وذاته ،اعتراف البلغاء أنفسهم ممن أمنوا ،ومن استمروا على الجحود والكفران .

فهذا الوليد بن المغيره وهو من زعماء الشرك يقر بأن القرآن لا يضاهى ، وأنه ماظهر قبله وما يظهر بعده مثله ،فانه يتحطم على صخرة عظمته وجلالة قدره : قال : ( فوالله ما منكم رجل اعلم مني بالاشعار ،ولا أعلم برجزه ولاقصيده مني ، ولا باشعار الجن ،والله ما يشبه الذى يقوله شيئا من هذا ، ووالله ان لقوله الذى يقول لحلاوه ،وان عليه لطلاوه ،وانه لمثمر اعلاه ، مغدق اسفله ، وانه ليعلو ولا يعلى عليه ،وانه ليحطم ماتحته . )(٢) .

وهذا عتبه بن ربيعه يعترف باعجاز القرآن الذاتي اذا قال لقومه :- (اني سمعت قولا والله ماسمعت مثله قط ، والله ماهو بالسحر ولا بالشعر ، ولا بالكهانه ، يامعشر قريش . اطيعوني واجعلوها لي ،خلّوا بين الرجل وبين ماهو فيه فاعتزلوه ،فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت نبأ . . . )(٣) .

وروى مسلم في صحيحه قصة اسلام ابي ذر رضى الله عنه : ( أن أنيسا أخا أبى ذر ذهب الى مكه ثم عاد فقال لابي ذر : (لقيت رجلا بمكه على دينك ، يزعم أن الله أرسله ، قلت : فما يقول الناس ؟ قال يقولون شاعر ،كاهن ، ساحر ،وكان أنيس أحد الشعراء ،قال أنيس لقد سمعت قول الكهنه فما هو

---

(١) سورة الزمر / ٢٣ .

(٢) سيرة ابن هشام جـ١/ ٢٩٤ ، الطبعة الثانية ١٣٧٥ ،شركة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ـ القاهره .

(٣) سيرة ابن هشام جـ١/ ٢٧٠ .

بقولهم ،ولقد وضعت قوله على افراد الشعر ، فما يلتئم على لسان أحد بعدى انه شعر ،والله انه لصادق وانهم لكاذبون )[١] ،

٥ - قال شيخ الاسلام ابن تيميه :-

( اذا قدّر ان هذا الكلام يقدر الناس على مثله ،فامتناعهم جميعا عن هذه المعارضة مع قيام الدواعي العظيمة الى المعارضة، من أبلغ الآيات الخارقة للعادات وهي بمنزلة من يقول :-

اني آخذ أموال جميع أهل هذا البلد العظيم ،واضربهم جميعا وأجوعهم ،وهم قادرون على أن يشكوه الى الله ،والى ولي الأمر ، ومع ذلك لا يشتكون فهذا من أبلغ العجائب الخارقة )[٢] .

وأخيرا اليك بعض ما رد به الرافعي رحمه الله على القائلين بالصرفه : اذ يقول :-

( حتى جاء رأيه -النظام- الذى طمت في مذهب الصرفه ،دون قدره ، بل دون طمه ، بل دون لسانه ،وهوعندنا رأى لو قال به صبيه المكاتب وكانوا هم اقتحموه وابتدعوه ، لكان ذلك مذهبا من تخاليطهم في بعض ما يحاولون اذا عدوا الى القول فيما لا يعرفون ليوهموا انهم عرفوا . . . ثم يقول وطسى الجملة : فان القول بالصرفه لا يختلف عن قول العربفيه ان هو الا سحر يؤثر، وهذا زعم رده الله تعالى على أهله ،وأكذبهم فيه وجعل القول به ضربا من العمى حين قال سبحانه ( افسحر هذا أم أنتم لا تبصرون )[٣] .

فاعتبر ذلك بعضه ببعض ، فهو كالشيء الواحد . . . )[٤] انتهى .

---

( ١ ) صحيح مسلم بابفضائل الصحابه جـ٧/ ١٥٣ .
( ٢ ) الجواب الصحيح جـ٤/ ٧٥ .
( ٣ ) سورة الطور / ١٥ .
( ٤ ) اعجاز القرآن للرافعي ١٤٥-١٤٦ .

القسم الثاني من المنكرين للاعجاز :-

وهم المنكرون له في العصر الحديث :-

وهم المستشرقون فقد عني كثير من المستشرقين باصطناع الدسائس ، وبث الشبهات على أصلي الدين الاسلامي الحنيف ، وهما الكتاب والسنة ، ابتغاء تشكيك عامة المسلمين بل مثقفوهم الثقافة الناقصة والمزيفة ، لتهتز ثقتهم بدينهم القائم على هذين المصدرين العظيمين الكتاب والسنة ، ومن ثم تنبت جذورهم وتشل أصولهم .

وهذا الكيد يعتبر من أنكى وأخطر ما يكاد لهذا الدين من قبل عدونا ومقلدته من أبناء جلدتنا .

ذلك ان نعومة أولئك الباحثين المشككين ، وبريق ابحاثهم ، سلمية حربهم ومنهجيتهم المدعاة ، كل ذلك جعلهم كحيّات رقطاء ، ظاهرها الملاسة والهدوء ، والنعومة ، وبين اثنابها السم الناقع والموت والزؤام .

ولقد رد جمع من علماء المسلمين على كثير من افتراءات أولئك المستشرقين الخبثاء ومن سار على نهجهم ولف لفهم من أبناء المسلمين .

ففي موضوع السنة المطهرة تولى الرد أكثر من كتاب فنقض مزاعم المستشرقين وفند أكاذيبهم (١) .

أما المطاعن التي وجهت الى القرآن الكريم ، فقد صنف . . فيها كتب كثيرة ولله الحمد ردت على المستشرقين وبددت سحب الظلام التي اثاروها (٢) .

---

( ١ ) انظر كتاب ( السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ) للدكتور/ مصطفى السباعي وكتاب ( منهج النقد في علوم الحديث ) د . نور الدين عتر .

( ٢ ) كتاب ( مطاعن حول القرآن للكاشف الشيخ الزهير ) .

وسنشير في هذا المقام الى بعض هؤلاء المستشرقين وشبهاتهم حول اعجاز القرآن .

١ - جولد شيهر : مستشرق يهودي :-

في كتابه ( العقيده والشريعة في الاسلام ) افكار مسمومة كثيره ، وقد وجه الى القرآن الكريم والى العقيدة والى الرسول صلى الله عليه وسلم مطاعن كثيره ، لكنها واضحة البطلان والزيف لمن رسخ علمه ودقة فهمه في دين الله .

فهذا اليهودي الخبيث ، يحكم على القرآن منطلقا من يهوديته اللئيمة الخبيثه ، وجهله المطبق/الذي يستره بعبارات براقه ، ظاهرها العلم ، وباطنها الالحاد والضلال المبين .

فيدعي (جولد شيهر) ان القرآن المدني ضعف من مستوى المكي وصار أشبه بالنثر العادي الذي يشبه أقوال الكهان القدماء ، ذكر ذلك في كتابه (العقيدة والشريعة في الاسلام ) ص٢١-٢٢ وقد رد عليه كثير من الكتاب ردا علميا قاطعا فليراجع من اراد التوسع .(١)

٢ - المستشرق كليمان هيوار/ وهو مستشرق فرنسي زعم ان القرآن الكريم مستقى من أفكار واشعار أمية بن أبي الصلت( وكان من المتحنفين الموحدين قبل البعثه .

والمستعرض لشعر أمية هذا ، يجد العكس مما ادعاه هذا المستشرق ، اذ ان شعر أميه هو المستقى من القرآن والمقتبس منه في الألفاظ والتعابير والتراكيب.(٢)

---

( ١ ) انظر كتاب ( نظرات في القرآن )لمحمد الغزالي .وكتاب (بينات المعجزه الخالده ) ص٣٩٢-٤٠١ ، وكتاب( مع المفسرين والكتاب على مائدة القرآن )لاحمد محمد جمال .

( ٢ ) انظر كتاب ( حقائق وأباطيل حول اعجاز القرآن )د .علي البدري ( ٢١٢ ) .

٣ ـ المستشرق الالماني (شولستهتش) : وقد وازن هذا المستشرق كذلك بين شعر أمية ابن أبي الصلت وبين القرآن ، وسخر من عقيدة المسلمين في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول هذا الخبيث : ان محمدا كان مثقفا على أيدي أحبار النصارى(١).

فهؤلاء المستشرقون لهم مآرب دفينة يبثونها في سطور ما يكتبون عن الاسلام فيحرفونه فيها ظاهرا ، ويبهرونه باطنا وهكذا يظنون ، ولكن الله تبارك وتعالى وعد انه متم نوره ولو كره الكافرون والمشركون .

ونرد على كل أولئك المشككين أو المنكرين . واضرابهم بما جاء في سورة الاسراء قال تعالى ( وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا )(٢).

فهذا القرآن قد نزل بالحق الثابت الاصيل ، ونزل به الروح الامين على قلب الرسول الامين ، فالحق مادته وغايته ، وهو محروس محفوظ لم يشب بتغيره ، ولم يتغير منه حرف واحد ، وصدق الله تعالى ( انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ) .

والمطلوب من دعاة الاسلام وعلمائه أن يحصنوا الامة وشبابها على وجه الخصوص بالعلم الصحيح وبالفهم السليم عن القرآن والاسلام ، لتكون عندهم المناعة الكافية فلا يتأثرون بمثل تلك الاوبئة الفكرية ، والامراض العلمية ، وان يضاعفوا جهودهم لفضح الاستشراق وكتبه ، وتحذير الناس من كتب بعينها كتبها اصحابها بلا فهم في دين الله فهي تخرب أكثر مما تعمر وتبذر بذور الشك والالحاد في القلوب الضعيفة والعقول القاصرة .

---

( ١ ) المصدر السابق / ٢١٨ .

( ٢ ) سورة الاسراء / ١٠٥ .

## ـ المبحث الخامس ـ

## نزول القرآن مفرقاً والحكمة في ذلك

قال تعالى في سورة الاسراء : ( وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا ) الآية ١٠٦

قوله تعالى : ( فرقناه ) للعلماء فيها رأيان :ـ

قال الطبري رحمه الله : اختلف القراء في قراءة ذلك :ـ

أ ـ فقرأته عامة الامصار ( فرقناه ) بتخفيف الراء من فرقنا ، بمعنى أحكمناه وبيناه وفصلناه .

ب ـ وذكر عن ابن عباس انه كان يقرأ بتشديد الراء ( فرّقناه ) بمعنى نزلناه شيئا بعد شيء آية بعد آية ، وقصة بعد قصة .

ثم بين رحمه الله ان أولى القراءتين بالصواب ، القراءة الاولى وعليها الجمهور (١) : وعلى القراءة الاولى ( بالتخفيف ) يكون المعنى : وآتيناك قرآنا بينا حلاله وحرامه .

أو : فرقنا فيه بين الحق والباطل .

اما الذين قرأوا بالتشديد : فلهم توجيهان :ـ

الأول : ان التضعيف للتكثير اى فرّقنا آياته بين أمر ونهي وحكم وأحكام ، ومواعظ وامثال .

الثاني : انه دالّ على التفريق والتنجيم .

---

(١) الطبري جـ ١٥ / ٢١٠ ، وابن كثير جـ ٥ / ١٢٥ .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : ( أن القرآن نزل الى السماء الدنيا في ليلة القدر من رمضان جملة واحدة فكان المشركون اذا احدثوا شيئا احدث الله لهم جوابا ففرق في ثلاث وعشرين سنه )[1] .

وقوله تعالى ( ونزلناه تنزيلا ) : أى شيئا بعد شيء .

اى نزلناه مفرقا منجما في ثلاث وعشرين سنه على حسب المصالح والحوادث ، وبهذا تكون هذه الجمله قد افادت معنى جديدا زائدا على المعنى الذى افاده قوله تعالى ( فرقناه ) ، فان فرقناه يدل على تدريج نزوله ليسهل حفظه وفهمه ، من غير نظر الى مقتضى ذلك التدرج .

وقوله تعالى ( ونزلناه تنزيلا ) اخص منه ، فانه دال على تدريجه لداع الى ذلك من الحوادث المستجده والملابسات الواقعه .

الحكمة في انزال القرآن منجما مفرقا :-

١ - من رحمة الله تعالى بعباده انه انزل اليهم هذا الكتاب على تطاول من الزمن ، وتباعد في المده شيئا بعد شيء ، وعلل الحق جل جلاله ذلك بقوله (لتقرأه على الناس على مكث ) ، اى لتقرأه على تمهل وتؤده في التلاوة ، ليسهل حفظه عليهم ، وليكون ذلك اكثر عونا على فهم معانيه وتمثل أوامره .

وتظهر هذه الرحمة جلية عند ما تتذكر ان العرب كانوا أمة أمية ، وأدوات الكتابة لم تكن ميسورة لدى الكاتبين على ندرتهم ، وكان الناس مشغولين في مصالح معاشهم ، وبالدفاع عن دينهم الجديد بالدم والحديد ، فلو نزل القرآن جملة واحدة لعجزوا عن حفظه .

---

( ١ ) الضياء في تفسير الاسراء : ٣٢١-٣٢٢ .

٢ - مراعاة مصالح الناس ، وحل ما يعترض الفئة المؤمنة من مشاكل وأحداث ، فكان ينزل من القرآن لحل تلك المشاكل وقضاء تلك المصالح ومن ثم لتكون تشريعا للناس وأحكاما تضبط لهم أمر دينهم ودنياهم .

فقد كان القرآن - ولا زال - كتاب هداية لاصلاح جوانب النفس والحياة جميعا ويعالج اخطاءها ، ويقوم عوجها ، ويجيب على أسئلة السائلين ، ويرد شبه المخالفين ، واذا تتبعنا اسباب النزول للسور والآيات ، ظهرت هذه الحكمة واضحة في تفريق القرآن ونزوله نجوما ، لأن الناس اذا وقعوا في مشكلة ، تشوفوا الى آيات السماء لحلها وتأخير الآيات الى وقت الحاجة يجعل النفوس تتعلق بها ، وتتذكر قصتها كلما قرأتها .

فمشروعية التميم ، وحد اللعان ، وحد القذف ، وحد الزنا ، وتحريم الخمر وتحريم التخلف عن الجهاد ، وتحريم التبني ، وكثير من الاحكام المشابهة ، كانت قضايا ومشاكل في المجتمع تحتاج الى حل وبيان ، وتشريع يتبع فكانت آيات القرآن الكريم تنزله مفرقة ولحكمة بالغة من الحكيم الخبير ، ليشرع الأحكام ويبين الحدود ويوضح لعباده الحلال والحرام ، فكان الصحابة يتسابقون الى العمل بالآيات قبل ان يحفظوها ، فيطبقون قبل ان يحفظوا ويفهموا .

٣ - نزل القرآن مفرقا لمقتضيات التربية والتكوين للجماعة المسلمة .

لقد جاء القرآن ليربي امة ويقيمها نظاما ، فتحمله هذه الامة الى مشارق الارض ومغاربها ، وتعلم البشرية هذا النظام ، وفق المنهج الكامل المتكامل ، ومن ثم فقد جاء هذا القرآن مفرقا وفق الحاجات الواقعية لتلك الامة ، ووفق الملابسات التي صاحبت فترة التربية الاولى .

والتربية تتم في الزمن الطويل ، وبالتجربة العملية في الزمن الطويل كذلك .

لذا فقد جاء هذا القرآن ليكون منهجا عمليا يتحقق جزءا جزءا في مرحلة الاعداد ، لا فقها نظريا ، ولا فكرة تجريدية ، تعرض للقراءة والاستمتاع الذهني ، ولم يأخذوه متعة عقلية أو نفسية ، كما كانوا يأخذون الشعر والادب ، ولا تسلية وتلهية كما يأخذون القصص والاساطير ، بل تكيفوا به في حياتهم اليومية ، وتكيفوا به في مشاعرهم وضمائرهم وفي سلوكهم ونشاطهم ، وفي بيوتهم ومعاشهم ، فكان منهج حياتهم الذي طرحوا كل ماعداه مما ورثوه ومما عرفوه ، ومما مارسوه قبل ان يأتيهم هذا القرآن .

فالتفريق في النزول ساعدهم في التربية والاعداد ، .

قال ابن مسعود رضي الله عنه ( كان الرجل اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن ، فتعلموا العلم والعمل معا )[1] .

٤ ـ التمهيد لكمال تخليصهم عن العقائد الباطلة ، وعباداتهم الفاسدة وعاداتهم المرذولة ، وذلك بان يراضوا على هذا التخلي شيئا فشيئا ، فكلما نجح الاسلام معهم في هدم باطل انتقل الى هدم غيره .

ثم تهيأتهم لكمال تحليهم بالعقائد الحقة والعبادات الصحيحة ، والاخلاق الفاضلة بمثل تلك السياسة الحكيمة من رب حكيم سبحانه .

وهكذا بدأ الاسلام بغطام العرب عن الشرك والاباحة ، واحياء قلوبهم بعقائد التوحيد والجزاء ، من جسراء ماتفتح عيونهم عليه من أدلة التوحيد وبراهين البعث وحجج الحساب والمسؤولية والجزاء[2] .

---

( ١ ) انظر في ظلال القرآن جـ٤ / ٢٢٥٣ .

( ٢ ) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن ـ للزرقاني ـ جـ١ / ٤٩ .

٥ - ومن الحكم في نزول القرآن منجما ، تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم ، وتقوية قلبه ، ففي تجدد الوحي ، وتكرار نزول الملك من جانب الحق الى رسوله صلى الله عليه وسلم يحدث ذلك سرورا يملأ قلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم وغبطة تشرح صدره .

وان تجدد المعجزة مع كل نوبة من نوبات النزول ليشد من ازر المصطفى صلى الله عليه وسلم ويقوى موقفه في جهاد الاعداء ، وفي ذلك تكرار للذة فوزه ونصره واندحار الباطل : وصدق الله ( وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ... )[1] .

---

(١) سورة هود / ١٢٠ .

## ـ المبحث السادس ـ

## وجوه الاعجاز في القرآن وآراء العلماء في ذلك

بيلنا فيما سبق ان اعجاز القرآن كامن فيه ، ومنبعث منه ،وانه ليس للاعجاز صلة بسبب خارج عنه كالصرفه مثلا .

ولقد تتابع فحول العلماء قديما وحديثا على استقراء اوجه الاعجاز في القرآن الكريم . فكل عالم منهم كان يبحث في وجوه الاعجاز من ناحيه من نواحيه ، لكن انى للبشر أن يغرفوا البحر المحيط بمغيطهم الصغير القاصر ، فلا غرابة ان تتحطم على سفح قمته الشامخه جهود الجماهرة من العلماء ،وان فاز كل واحد منهم بقطرات قليله وان كانت تعد في علوم الناس شيئا عظيما ، وفي المعارف فنونا عظيمه ، لكن يجمع الكل القصور عن مقام الكتاب المظيم ، وهذا لعمرى وجه في الاعجاز بين واضح .

قال ابن سراقه ( اختلف أهل العلم في وجه اعجاز القرآن ، فذكروا في ذلك وجوها كثيره ، كلها حكمة وصواب ، وما بلغوا في وجوه اعجاز القرآن واحدا من عشر معشاره )[1] .

وسأعرض نماذج لآراء بعض العلماء الذين لهم اليد الطولى في بيان هذا الفن :ـ

فالباقلاني : ذهب الى تحديد وجوه الاعجاز القرآني في ثلاثة أوجه :ـ

١ ـ الاخبار عن الغيوب ، ومن ضمنها غيب المستقبل والوفاء بالوعد .

---

( ١ ) الاتقان في علوم القرآن ـ جـ٢ / ١٢١ـ١٢٢ .

٢ ـ الاخبار عن غيوب ماضيه مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمي لم يقرأ كتابا ولم يخطه بيمينه .

٣ ـ بديع نظم القرآن ، وعجيب تأليفه ، فهو مبناه في البلاغه الى الحد الذى يعلم منه عجز الخلق عنه .

ثم فصل الوجه الثالث في عشرة أمور :ـ

الأول :ـ

ان نظم القرآن خارج عن المألوف المعهـود من نظام جميع كلامهم .

الثاني :ـ

حفاظه على المستوى البلاغى العالي المعجز على الرغم من طوله .

الثالث :ـ

حفاظه على ذلك المستوى المعجز في جميع أغراضه من قصص ومواعظ وأحكام .

الرابع : حسن الانتقال والتناسب الدائم .

الخامس : عجز جميع الانس وجميع الجن أيضا عن معارضته .

السادس : اجتمعت فيه بلاغات كلام العرب في مرتقى يتجاوز حدود كلامهم المعتاد .

السابع : موافقة الفاظه للمعاني والاغراض الدينيه الغذاء التي لم يألفها العرب قبل ذلك .

الثامن : احتواؤه على اروع الألفاظ العربية .

التاسع : حروف أوائل السور فيه هي نصف عدد حروف الهجاء ، وفيها النصف من كل صنف منها .

العاشر : ان القرآن سهل السبك ، سلس الاسلوب ما فيه وحشي ولا غريب ولا تكلف ولا صنعة )[1] .

---

( ١ ) اعجاز القرآن للباقلانى ٣٣-٤٧ .

ويرى القرطبي[1] أن أوجه الاعجاز عشرة :-

١ - النظم البديع المخالف لكل معهود في لسان العرب .

٢ - الاسلوب المخالف لجميع أساليب العرب .

٣ - الجزاله التي لا تصح من مخلوق بحال .

٤ - التصرف في لسان العرب على وجه لا يستقل به عربي .

٥ - الاخبار عن أمور غيبه من أول الدنيا الى وقت نزوله على لسان أمي لا يقرأ ولا يكتب .

٦ - الوفاء بالوعد المدرك بالحس في الميعان .

٧ - الاخبار عن المغيبات في المستقبل والتي لا يطلع عليها الا بالوحي .

٨ - ماتضمنه من علم هو قوام جميع الانام ، في الحلال والحرام وسائر الاحكام .

٩ - الحكم البالغه التي لم تجر العادة بأن تصدر في كثرتها وشرفها من آدمي .

١٠ - التناسب في جميع ما تضمنه ظاهرا وباطنا من غير اختلاف .

والرأيان السابقان في الاعجاز ووجوهه كانا لعالمين من علماء السنه ، وسنرى الآن بعض آراء المعتزلة في وجوه الاعجاز .

مذهب الرماني :-

وهو معتزلي : اسمه أبوالحسن علي بن عيسى الرماني توفي سنة ٣٨٦هـ .

يرى الرماني : أن وجوه الاعجاز تظهر من سبع جهات[2] :-

---

( ١ ) تفسير القرطبي جـ١/٧٣ .

( ٢ ) ( النكت في اعجاز القرآن ) ضمن ثلاث رسائل في الاعجاز/ص ٦٩ .
واقرأ ترجمة الرماني في نفس الكتاب ( ص ١٠ ) .

١ ـ ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجه .

٢ ـ التحدى للكافـه .

٣ ـ الصرفـه .

٤ ـ البلاغـه .

٥ ـ الاخبار الصادقه عن الامور المستقبله .

٦ ـ نقض العاده .

٧ ـ قياسه بكل معجزه .

أما الجاحظ : وهو معتزلي كذلك .

فيرى أن وجه الاعجاز في القرآن هو في النظم الذى انفرد به القرآن في صياغة اساليبه ،صياغة تنتظم بها المعاني انتظام الروح بالجسد (١) .

وقد جمع السيوطي رحمه الله في كتابه ( معترك الاقران في اعجاز القـرآن ( ٣٥ ) وجها لاعجاز القرآن الكريم ) .

وأود هنا ان اسجل ملاحظتين على وجوه اعجاز القرآن :-

<u>الملاحظة الاولى :-</u>

أن ذلك الاختلاف في بيان وجوه الاعجاز فى القرآن نابع من الفهم الخاص لكل عالم من العلماء ، وبتأثر رأيه فى الاعجاز بمستواه العلمى ،وعمق معرفته أو شفافية فهمه ،أو تخصصه فى جانب من جوانب العلوم سواء كانت اللغوية أو كلامية أو تفسيريه أو تاريخيه ، وعلى حسب عقيدته ونظرته الى القرآن من نظرة أهل السـنه أو المعتزله أو غيرهم .

---

( ١ ) الاعجاز فى دراسة السابقين : عبد الكريم الخطيب ١٦٤-١٦٧ .

وبالتالي فلا يمكن حصر وجوه الاعجاز في القرآن على مذهب واحد أو صـــورة واحده ، وكل من تكلم في وجوه الاعجاز ركز على جوانب يراها هو انها مهمة أكثر من غيرها .

الملاحظة الثانية :-

أن كثيرا من تلك الاوجه التي ذكرها العلماء ورأينا نحن منها يتداخل بعضها في بعض ، بل يغني بعضها عن بعض ، لذا يمكن أن نستخلص من تلك الوجوه ومن غيرها مما يسر الله لي الاطلاع عليها ، وسأوجزها في الأوجه الآتيه :-

الأول : الوجه البلاغي .

الوجه الثاني : الاخبار عن الغيب .

الوجه الثالث : الوفاء بكل ماوعد الله به .

الوجه الرابـــع : الأعجاز المنهجي ، تشريعي ، تربوي ، وخلقي .

الوجه الخامس : الاعجاز العلمي .

الوجه السادس : الاعجاز العددي .

الوجه السابع : الاعجاز النفسي أو التأثيري .

وسنتكلم عن كل وجه منها حسب مايقتضيه المقام مع الاختصار والتركيز ، في الفصل التالي باذن الله .

## ـ الفصل الثالث ـ

## وجوه الاعجـــاز فـــي القـرآن الكريـــم

وفيه مباحـــث :ـ

المبحث الأول : الوجه البلاغي واللغـــوى .

المبحث الثانى : الاخبار عن الغيب في القرآن .

المبحث الثالث : الوفاء بكل ماوعد الله به فى القرآن .

المبحث الرابـع : الاعجاز المنهجى ـ تشريعي ـ تربوى خلقي .

المبحث الخامس : الاعجـاز العلمي .

المبحث السادس : الاعجاز العددى .

المبحث السابـع : الاعجاز التأثيرى أو النفســي .

## ـ المبحث الأول ـ

## الوجه البلاغي في القرآن

ان أوضح وجوه الاعجاز واهمها ، هو الاعجاز اللغوى والبلاغي ، ذلك لما أسلفنا من ان معجزة كل نبي تجيء مشابهة لجنس ما اشتهر به قومه ، ونزل القرآن فى أمة فصيحة بليغه ، بلغت من الفصاحة والبلاغه والبيان شأوا لا يطاول ، فكان من حكمة الله البالغه أن يأتي هذا القرآن يتحداهم فيما برعوا فيه لأن شهادتهم هي التي تقبل فيهم اهل اللغه وأعرف الناس بها ، حتى اذا عجزوا عن المجاراه والاتيان بمثله مع ان حروفه من حروفهم ، وكلماته فى لغتهم ، كان على هذا الاعجاز برهانا قاطعا / انه من عند الله .

قال القاضي عياض فى (الشفاء) :-

( أول وجوه الاعجاز : حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ، ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقه لعادة العرب ، وذلك انهم كانوا أرباب هذا الشأن ، وفرسان الكلام ، قد خصوا من البلاغة والحكم مالم يخص به غيرهم من الأمم ، واوتوا من ذرابة اللسان مالم يؤت انسان ، ومن فصل الخطاب ما يقيد الالباب ، جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقه ، وفيهم غريزة وقوه ، يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب ، فيخطبون بديها في المقامات وشديد الخطب ، ويرتجزونه بين الطعن والضرب ، ويمدحون ويمتدحون ويتوسلون ويتوصلون ، ويرفعون ويضعون ، فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ... .

فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، أحكمت آياته ، وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول ، فقام صارخا بهم فى كل حين ، ومقرعا لهم بعضا وعشرين عاما على رؤوس الخلق أجمعين ..

فما فعلوا ولا قدروا ، ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كسلمه ، كشف عواره لجميعهم.. ) .

ثم يستشهد على ذلك بأمثله :-

بقصة الوليد ومدحه للقرآن بقوله ان له لحلاوه وان عليه لطلاوه ، وان أسفله لمغدق ، وان أعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر .

وذكر ان اعرابيًا سمع رجلا يقرأ ( فلما استيأسوا منه خلصوا نجيًا ) فسجد وقال سجدت لفصاحته

وقصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما جاءه بطريق من بطارقة الروم ، فأخبره أنه من الروم وأنه يحسن كلام العرب ، وغيرهم ، وانه سمع رجلا من اسرى المسلمين يقرأ آيه من كتاب الله فتأملها فقال : فاذا قد جمع فيها ما أنزل الله على عيسى من أحوال الدنيا والآخره وهي ( ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه ... ) (١) فشهد شهادة الحق وأسلم .

وحكى الاصمعي انه سمع كلام جاريه ، فقال لها ، قاتلك الله ما أفصحك ، فقالت: أوبعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى ( وأوحينا الى أم موسى ان أرضعيه فاذا خفتطيه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني ، انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين ) (٢) .

فجمع سبحانه في آية واحده بين امرين ونهيين ، وخبرين ، وبشارتين فهذا نوع من اعجازه منفرد بذاته غير مضاف الى غيره على التحقيق ) (٣) .

---

( ١ ) سورة النور / ٥٢ .

( ٢ ) سورة القصص / ٧ .

( ٣ ) الشفاء جـ١ / ٢٥٨-٢٦٤ .

وعد القاضي عياض وجها ثانيا من أوجه اعجازه اللغوى : وهو :-

( صورة نظمه العجيب ،والاسلوب الغريب : المخالف لأساليب العرب ،ومناهج نظمها ونثرها الذى جاء عليه ، ووقفت مقاطع آيه ،وانتهت فواصل كلماته اليه ، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ،ولا استطاع أحد مماثلته له فى شيء منه ، بل حارت فيه عقولهم ، وتدلهت (١) دونه احلامهم ،ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم ، من نثر أو نظم أو سجع أو رجز ) (٢) .

أمثله على بلاغة القرآن :-

من بلاغته التي حيرت العلماء ،وأعجزت البلغاء ، فانقطعوا عن مجاراته ، وطأطأوا رؤوسهم اجلالا له واعظاما لمنزلته . ذلك ان البلاغة تعرف بانها مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، ولكل مقام مقال ، ولذا جاءت آيات القرآن مناسبة لمقاماتها ،مطابقة ، لمقتضى حالها :

ففى مقام الوعيد والتهديد ، تأتي آيات القرآن هادرة مدويه ،كأنها الصواعق المرسلة ، فتنقطع لها قلوب الجاحدين المعاندين .

واستمع مثلا الى قوله تعالى : (والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع ،انه لقول فصل وما هو بالهزل ،انهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا . . .فمهل الكافرين أمهلهم رويدا ) (٣).

وفى مشهد من مشاهد القيامه حيث يساق المجرمون مصفدين بالاغلال ،تجد آيات الكتاب الكريم تدفعهم دفعا الى العذاب الأليم .

(خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه )ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه ... ) (٤)

---

( ١ ) تدلهت - من التدليه - بسكون الدال واللام والياء والهاء ، وهو ذهاب العقل من الهوى .

( ٢ ) الشفاء جـ١ / ٢٦٤ .

( ٣ ) سورة الطارق ١-٧ .

( ٤ ) ،، الحاقه ٣٠-٣٢ .

أما اذا كان المقام مقام رحمة ورضى ، فان آيات القرآن ،تنساب انسيابا هادئا يضفي على النفس سعادة غامره ،فكأنها من عيون الجنه وتتمتع في اضيائها وظلالها :- (ان الابرار لفي نعيم على الارائك ينظرون ،تعرف في وجوههم نضرة النعيم ،يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك ،وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ) سورة المطففين ٢٢-٢٦ .

ويمكننا أن نلخص الوجه البلاغي واللغوي في الاعجاز القرآني في النقاط الآتيه :-(١)

١ - فصاحة الالفاظ وتراكيبه .

٢ - بلاغة المعجزه ،واستمرار الفصاحه والبلاغه في جميع انحاء القرآن .

٣ - التشبيهات البديعه ،والتصويرات الحيه ،والقصص الفني .

٥ - اسلوبه المتميز . ومن خصائص الأسلوب القرآني :-

١ ) تميز النظم القرآني .

٢ ) احكام السبك في الجمل والتراكيب .

٣ ) انه يخاطب العقل والقلب معـا .

٤ ) سمو الاسلوب حتي في الاغراض العلميه .

٥ ) جاذبية النغم والجرس الموســـــيقي .

٦ ) البراعة في تصريف القول ،وطرق فنون الكلام .

---

( ١ ) انظر كتاب ( بينات المعجزة الخالده ) . ٢٤٠-٣١٧ .
وكتاب ( المعجزه الكبرى ) لمحمد أبى زهره - ٢٤ ١-٩ ٢٧ .

## ـ المبحث الثاني ـ

## الوجه الثاني : الاخبار عن الغيب في القرآن (١)

اشتمل القرآن الكريم على مغيبات كثيرة لا سبيل لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا لقومه الى تحصيلها الا من طريق الوحي عن علام الغيوب .

وهذه المغيبات : منها ماهو من الغيب الماضي ، ومنها ماهو من الغيب الحاضر ، ومنها ماهو من المستقبل .

**أولا :ـ**

الاخبار عن الغيب الماضي :ـ

فقد زخر القرآن بانباء الماضي الكثيرة المتمثلة في القصص الهادفة ، عن سير الانبياء والمرسلين ، وسيرة المؤمنين الصالحين من اتباع الانبياء ، ومواقف اعداء الرسل والكافرين بهم ، وكل ذلك في اسلوب جذاب يهدف الى أخذ العبر والعظات ، وفهم سنن الله في الخلق والمجتمعات ، وتدعوا الناس الى الاقتداء والاقتداء بمن هداهم الله تعالى .

قال تعالى : بعد ذكره لقصة آدم ونوح ( تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ماكنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا ، فاصبر ان العاقبة للمتقين )(٢) .

فانه أمر عجب ان نرى رجلا أميّا لا يقرأ ولا يكتب ، وحياته واضحه معروفه للعالم أجمع حيث ظل مشغولا برزق زوجه وأولاده أربعين سنه ، لم يتصل خلالها بعلم ولا بعلماء ، ولم يكن يتكلم عن أمور الغيب أو النبوة في قليل أو كثير ، ثم يطلع مرة واحدة على العالم بأمر النبوه ، ويسرد عليهم قصص المرسلين السابقين وحياتهم مع اتباعهم

---

( ١ ) انظر : الشفاء ـ للقاضي عياض ج١ / ٢٦٨ ، وبينات المعجزة الخالدة ٣٢١-٣٥٩ والنبأ العظيم ـ محمد عبد الله دراز ٤١-٤٩ .

( ٢ ) سورة هود / ٤٩ .

مفصله وموضحه ، ويمتحنه أهل الكتاب ؛ فيسألونه عن غيوب لا يتوصل الى معرفتها بوسائل عادية ابدا ، حيث سألوه عن أهل الكهف ، وعن ذى القرنين ، وعن الروح ، فيجيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم على وجه الدقة والضبط ، فهل يمكن لرجل هذا حاله من الاميه والمزاله ، ان يخبر عن كل تلك الغيوب ، اللهم لا الا اذا كان رسولا يخبره الله تعالى أنباء الاولين والآخرين .

ثانيا :-

الاخبار عن الغيب الحاضر- وقت نزول القرآن - واثناء حياته صلى الله عليه وسلم :-

مثل كشفه عن حقيقة المنافقين ، وفضح نواياهم ، واسقاط القناعة عن وجوههم المتلونه فى مسجد الضرار وغيره ، وفي سورة التوبه آيات كثيره اماطت اللثام عن وجوه المنافقين حين تخلفوا عن غزوة تبوك باعذار مصطنعه كاذبه ، وغير ذلك من الغيوب التي تخبر عن خبايا النفوس الانسانيه ، وهذا أمر لا يقدر عليه الا خالق النفوس والعالم بسرها وعلانيتها .

ثالثا : الاخبار عن الغيب المستقبل :-

فقد جاء فى القرآن الكريم كثير من أخبار الغيب المستقبل ، وعلى ذلك أمثله :-

١ - اخباره عن مستقبل الاسلام :-

أ - فأخبر عن نجاح الاسلام وبقائه بالرغم من تولى الناس عنه الا حفنة قليلة معدودة من المؤمنين ، فكان حالهم أشبه بجزيرة صغيرة جدا في بحر خضم من الكفر الهائج المعادى . فتنزل بعض الآيات تبشر المسلمين بانهم على الحق وان الحق ثابت باق فى الأرض :-

قال تعالى : ( كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فاما الزبد فيذهب جفاء ، واما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الامثال )(١) .

---

(١) سورة الرعد / ١٧ .

فكانت هذه الآية وغيرها بمثابة الشعاع الذي يضيء وسط ظلام القهر والمحنه والابتلاء فيمد الفئة المؤمنه بالامل ، والصبر على الأذى حتى يأذن الله بالفرج .

٢ ـ اخباره عن انتصار الاسلام على الرغم من ضعف المسلمين وقوة الاعداء :ـ

قال تعالى : ( هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا )[١] .

وقال أيضا ( يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون )[٢] .

فهي بشارة لهم بأن ينتصر الاسلام دينهم على كل الاديان الاخرى ، وبغلبته على الفرس والروم وجميع المخالفين .

قال الباقلاني رحمه الله : ( وكان أبوبكر وعمر وسعد رضي الله عنهم وغيرهم من أمراء الجيوش الاسلاميه اذا أغزوا جيوشهم عرفوهم ماوعدهم الله من نصر دينه ليثقوا بالنصر و يستيقنوا بالنجح )[٣] .

جـ ـ اخباره عن عجز البشر الابدي عن معارضة القرآن :ـ

قال تعالى ( قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا )[٤] .

---

( ١ ) سورة الفتح / ٢٨ .
( ٢ ) سورة التوبه ٣٢-٣٣ .
( ٣ ) اعجاز القرآن ٢١-٢٢ .
( ٤ ) سورة الاسراء ٨٨ .

وقال أيضا سبحانه : ( وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين ، فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين )[1] .

قال ابن كثير في شرح هذه الآية : ( فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ) :-

( ولن لنفي التأبيد في المستقبل ، أي ولن تفعلوا ذلك أبدا ، وهذه أيضا معجزة أخرى ، وهي أنه أخبر خبرا جازما قاطعا ، مقدما غير خائف ولا مشفق ، ان هذا القرآن لا يعارض بمثله ابن الآبدين ، ودهر الداهرين ، وكذلك وقع الأمر ، لم يعارض من لدنه الى زماننا ... )[2] .

٢ - اخباره عن مستقبل المسلمين :-

أ - اخباره في مكة عن انتصار المؤمنين على الكافرين :-

قال تعالى ( أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر . أم يقولون نحن جميع منتصر ، سيهزم الجمع ويولون الدبر )[3] .

هنا توعد الله تعالى أهل مكة بهزيمتهم ونصر المسلمين عليهم ، كما فعل في من طغى من الاقوام السابقين ، وكل ذلك في وقت كان المسلمون فيه في غاية الضعف ، وقلة العدد ، بحيث لم يكن مجال لمجرد التفكير في حرب ما فضلا عن النصر في تلك الحرب .

وجمع الله المسلمين مع المشركين في بدر ، وتحقق النصر ، وصدق الله وعده ، وانتصرت الفئة المستضعفة ، على الكثرة المعتزة بخيلها ورجلها وسلاحها .

---

( ١ ) سورة البقرة : ٢١-٢٢ .

( ٢ ) تفسير ابن كثير ج١ / ٦٠ .

( ٣ ) سورة القمر ٤٣-٤٥ .

ب - اخباره عن انتصار الروم على الفرس بعد هزيمتهم في حرب سابقة :-

قال تعالى ( الم . غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون )(١) .

وراهن على هذا الوعد ابوبكر قريشا على جمال يفوز بها ان صدق الوعد . وبعد سبع سنين صدق الله وعده وانتصر الروم من فارس وكسب أبوبكر رضي الله عنه رهانه ، حيث لم يكن قد حرم الرهن وقتذاك .

٣ - اخباره المسلمين بدخول مكة :-

بعد أن صدت قريش المسلمين عن المسجد الحرام عام الحديبية ، نزل القرآن بعدهم بدخول مكة ، كما قال تعالى ( لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون ، فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا )(٢) .

وصدق الله وعده لرسوله عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين ، ودخلوا مكة في العام التالي فادوا النسك وعادوا الى المدينة .

ثالثا : اخبار القرآن عن مستقبل المشركين :-

فأخبر عن بعض رؤوس المشركين ، وتوعدها بالقتل والهلاك . فالوليد بن المغيره توعده الله تعالى بأن يسمه على خرطومه ( سنسمه على الخرطوم )(٣) .

---

( ١ ) سورة الروم ١-٦ .
( ٢ ) سورة الفتح / ٢٨ .
( ٣ ) سورة القلم / ١٦ .
وقوله تعالى (سنسمه على الخرطوم) قيل بخطه بالسيف على أنفه يوم بدر ، وقيل معناه سنبين أمره ونفضحه فلا تزول عنه الفضيحه ، وقيل سمة أهل النار بتسويد وجهه . مختصر تفسير ابن كثير - للصابوني ج٣ / ٥٣٥ .

وتوعد أبا لهب وزوجته بالهلاك على الكفر. فكان كذلك.

وتوعد اليهود بالقتل في معارك المسلمين ؛ ( قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد )[١].

وحصل ذلك حقا ،وصدق الله وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده

وقال في اليهود أيضا ( ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس )[٢].

(وقد جاءوا الآن الى فلسطين ،فهل جاءوا الا بحبل من الناس ، وماذا يفعلون حين ينقطع بهم هذا الحبل . فانظر الى عجيب شأن النبوءات القرآنيه كيف تقتحم حجب المستقبل قريبا وبعيدا ، وتتحكم في طبيعة الحوادث توقيتا وتأبيدا ، ويكون الدهر مصداقا لها فيما قل وكثر ،وفيما قرب وبعد )[٣].

انه لاعجاز عظيم ،ودليل صادق قاطع على أن هذا القرآن من عند الله ، فاني لرجل لم يدرس التاريخ ،ولم يتعلم شيئا أن يأتي بقصص الأولين ، ويغيب عن الماضي والحاضر والمستقبل ،ثم يتحقق كما أخبر . الا أن يكون بوحي من العليم الخبير سبحانه .

---

( ١ ) سورة آل عمران /١٢.

( ٢ ) سورة آل عمران/١١٢.

( ٣ ) النبأ العظيم ـ محمد عبد الله دراز/٥٣ دار القلم ـ الكويت .

## ـ المبحث الثالث ـ

### الوجه الثالث : الوفاء بكل ماوعد الله به في القرآن

ان الله تعالى وعد المسلمين في القرآن بوعود كثيرة وعظيمة ، ولو وضعناها في ميزان البشر وحدود تصوراتهم ، لحكموا ان الوفاء بها من المستحيلات ، نظرا للظروف التي كان يعيشها المسلمون ، لكن الله سبحانه له القدرة العظيمة الشاملة التي تخرق المألوف وتبقي مظاهر هذه القدرة على امتداد الزمن ناطقة بتفرده سبحانه في كل شيء ثم باعجاز كتابه للبشر أجمعين .

هذا وتنقسم الوعود الى قسمين (١) :ـ

١ ـ الوعود القرآنية المطلقة :ـ

أ ـ وعد الله تعالى نبيه والمؤمنين ان يحفظ لهم دين الاسلام ، بحفظ أصله الذي يقوم عليه ، وهو القرآن الكريم . قال تعالى : ( انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ) (٢) .

فقد تكفل الله سبحانه بحفظ دينه وكتابه على الدهر كما أسلفنا والله سبحانه هو المتصرف في هذا الكون واليه يرجع الامر كله ، والله تعالى لا يخلف الميعاد ، كما أخبر عن نفسه فوعد الله ثابت حق لا يتخلف .

وقد أنفذ الله كفالته وضمانه وانجز ماوعد ، فحفظ للأمة قرآنها ، ودينها على الرغم من الاهوال والشدائد التي أنزلها بها الاعداء ، في القديم والحديث من هدم للمساجد والمدارس ، واحراق للكتب والصحف ، والمكتبات التي قام بها التتار أو الصليبيون أو غيرهم على امتداد خمسة عشر قرنا من الزمان ، ولا زالت حملات الصد عن سبيل الله بالتضليل والغزو الفكري ، ولا ننسى محاولات الاعداء

---

(١) انظر الشفاء ـ للقاضي عياض ـ جـ١ / ٢٧٥ .

(٢) سورة الحجر / ٩ .

لتحريف كتاب الله ، حيث انقص من الصحف كله كلمة واحدة ومن سورة كبيرة لكن الله تعالى يحمي كتابه ، فيكتشف المسلمون الاعتداء على حرمة كتاب الله في اسرع ما يتصور ويعرفون تلك النسخ المشبوهة المحرفة ويحذرون المسلمين منها .

ب - ومن الوعود القرآنية المطلقة : قوله تعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم آمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون )(١) .

وسبب نزولها ما رواه الحاكم :-

(لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المدينة ، وآواهم الانصار ، رمتهم العرب عن قوس واحدة ، وكانوا لا يستطيعون أن يبيتوا الا بالسلاح ، ولا يصبحون الا فيه ، فقالوا : أترون انا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف الا الله . . فنزلت الآية )(٢) .

ووفى الله تعالى بوعده للمؤمنين فمكن لهم في المدينة ونصرهم على أعدائهم ، وثابر رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اصحابه على الجهاد في سبيل الله ، وهم ينتظرون من نصر الى نصر ليتم وعد الله ، ولم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دانت له الجزيرة العربية كلها بالاسلام ، كما عاهد بعض اطراف الشام ، وهادا ه ملك الروم ، والمقوقس صاحب مصر ، والنجاشي ملك الحبشة .

ولم تزل رقعة الدولة الاسلامية تتسع في عهد الخلفاء الراشدين ثم من بعدهم الى ان تأسس الوطن الاسلامي الكبير من الصين شرقا الى حدود فرنسا غربا .

---

( ١ ) سورة النور / ٥٥ .

( ٢ ) تفسير الطبري جـ١٨ / ١٦٠ .

وصدق الله ( ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادي الصالحون ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين )[١].

وسيكتمل الوعد ويتحقق بقيته بان تعود كل الاوض الاسلامية الى الامة الاسلامية ان شاء الله حتى روما اخبر الرسول صلى الله عليه وسلم اننا سنفتحها باذن الله ، لكن لماتثبت الامه انها من العباد الصالحين الذين يستحقون هذا الوعد العظيم ونسأل الله ان يكون قريبا .

ثانيا : الوعود القرآنية المقيده بشروط :-

أ - وعد الله المسلمين بأن ينصرهم على عدوهم بشرط أن ينصروا هم دين الله وحكم الله في انفسهم أولا وفي واقع الحياة ثانيا .

قال تعالى : ( ياأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم )[٢].

وقال سبحانه ( ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز )[٣].

وكلماوفى المسلمون بهذا الشرط ،وفى الله لهم المشروط ،وتحقق لهم النصر والتمكين فى الأرض،وهذه الوعود باقيهالى أن تقوم الساعه ،ولم تتخلف قط فى التاريخ .

ب - وعد الله من يتقه ويخافه ان يبسط عليه الرزق ،وان يفرج عنه ،ومن يتوكل على الله التوكل السليم مع الاخذ بالاسباب فان الله كافيه ومنجز له مايريد .

قال تعالى ( ومن يتق الله ويجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه . . . )[٤].

---

( ١ ) سورة الانبياء ١٠٥-١٠٦.

( ٢ ) سورة القتال / ٧.

( ٣ ) سورة الحج / ٤٠.

( ٤ ) سورة الطلاق / ٣ .

## ـ المبحث الرابع ـ

### الوجه الرابع : الاعجاز المنهجي

ان اعجاز القرآن أبعد مدى من اعجاز نظمه ومعانيه ،وعجز الانس والجن عن الاتيان بمثله . فهو عجز كذلك عن ابداع منهج كمنهجه في شموله واحاطته ودقته .

ذلك ان هذا الكتاب يعتبر كذلك منهجا كاملا للحياة البشريه ، وللنفس الانسانيه . خصائص المنهج القرآني :ـ

هذا المنهج ملحوظ فيه نواميس الفطره التي تحرف النفس البشريه وتراعي ظروفها وأحوالها في كل أطوارها وتقلباتها .

وتعرف كذلك الجماعات الانسانيه في كل ظروفها وأطوارها ،ومن ثم فهو يعالج النفس المفرده ،ويعالج الجماعه المتشابكه ،بالقوانين الملائمه للفطره ، المتغلغله في أعماقها ودروبها .

يعالجها علاجا متكاملا متناسق الخطوات في كل جانب في الوقت الواحد ، فلا يغيب عن حسابه احتمال من الاحتمالات الكثيره ،ولا ملابسه من الملابسات المتعارضه في حياة الفرد ، وحياة الجماعه ،لأن مشرع هذه القوانين هو العليم بالفطره في كل أحوالها وملابساتها المتشابكه .

أما النظم البشريه والقوانين والدساتير الوضعيه ،فهي متأثره بقصور الانسان وملابسات حياته وضعفه ،ومن ثم فهي تقصر عن الاحاطه بجميع الاحتمالات في الوقت الواحد ، وقد تعالج ظاهرة فرديه أو اجتماعيه بدواء يؤدي بدوره الى بروز ظاهرة أخرى تحتاج الى علاج جديد .(١)

(١) انظر( في ظلال القرآن ) جـ٤/ ٢٢٥٠ ) بتصرف .

قال تعالى في سورة الاسراء : ( ولقد صرفنا في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس الا كفورا ) ٠ ( ٨٩ ) ٠

وقال أيضا في نفس السورة ( ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا )[1] ٠

منهج تربوى فريد :-

ولقد صرفنا : أى رددنا وكررنا وبينا[2] لهم الحجج والبراهين القاطعة ، ووضحنا لهم الحق وشرحناه وبسطناه بوجوه مختلفه ، وكررنا الآيات والعبر والترغيب والترهيب ، والاوامر والنواهي ، وأقاصيص الاولين ، والجنة والنار ، ليدبروا آياته ويتعظوا بها ، مراعيا في كل تلك الوجوه نفسيات الناس وأحوالهم ٠

فمنهم من ينفعه الوعيد ، ومنهم من ينجح معه الوعد ، ومنهم من يستهويه قصص الاولين ، ومنهم من يلفت نظره وصف الكون ، وعرض مشاهده ، وآيات الله فيه ، ومنهم من يأسره الحديث عن دقائق النفس وأحاسيسها ومواقفها في السراء والضراء ٠

ولقد نوّع القرآن آياته فمنها ما اشتمل على الاحكام ، وبيان الحلال والحرام ومنها ماعني باخبار الامم السابقة ، وجزاء المكذبين وثواب الصالحين ، ومنها ماعني بوصف مشاهد الكون وحقائق الوجود ، ومنها ماعني بسلوك الافراد والجماعات ومنها ماحث على الفضائل ، ودعا اليها ، وحذر من الرذائل وتوعد على فعلها ٠

---

( ١ ) سورة الاسراء / ٤١ ٠

( ٢ ) تفسير القرطبي جـ ١٠ / ٣٢٧ ، وتفسير القاسمي جـ ١٠ / ٣٩٩٦ ، وابن كثير جـ ٥ / ١١٥ ٠

وكل ذلك يشكل منهجا تربويا للنفس والمجتمع ،به أخذ القرآن على النفس البشريه كل سبيل ، ووضع أمامها أدلة الايمان ،وحقائق الاسلام ،واستثار في الانسان نوازع الفطرة ،وتتبع افكار المنكرين الجاحدين ، بالتفنيد ، ليحمي المجتمع المسلم من المؤثرات الخارجيه .

ولقد برز هذا المنهج في كتاب الله تعالى لخدمة غرضه الأول ،وهو الدعوة الى عبودية الخلق لخالقهم ورازقهم سبحانه وتعالى عن طواعية واقتناع واخلاص،

ولقد احتوى هذا الكتاب المبارك على أعظم مبادئ التربية واسمى قواعدها فهو يحتوى على اعظم وأصح وأدق النظريات التربويه ، فهو من عند الله العليم بما يصلح للنفوس فهو سبحانه رب النفوس البشريه والخبير بمداخلها وسرها وعلانيتها .

ويمكننا أن نلخص مظاهر المنهج التربوى في النقاط الآتيه :-

مظاهر المنهج التربوى :-

١ - لقد صيغت فيه جميع الموضوعات بصيغة الهدى والموعظة والارشاد فصيرها بذلك وحدة كاملة تضامنه تخدم هدفا واحدا .

٢ - تدرج القرآن في احكامه ، مبتدأ بالعقيدة الصحيحه أولا ، ثم بالاصلاح النفسي والاجتماعي ثانيا ، ثم انه تدرج في تحويلهم عن عاداتهم وفواحشهم ، حيث بدأ بالاهم ثم المهم .

٣ - سار بالناس نحو السهولة واليسر ،واشعرهم ان شرائعه اسس لاصلاحهم وليست قيودا ولا عصا سلطان تأخذهم بالقسر والاكراه في كل شيء .

( يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر )[1] ، وعرفهم ان الاستجابة لاوامر الله وشرائعه انما هي حياة للناس الحياة الصحيحه ، فيها صلاحهم ،وبها ارتقاؤهم الى مستوى الانسان الموحد الكريم .

٤ - يضع للسائرين على طريقه في حالة وسط بين خوف ورجاء ،خوف عقابه ،ورجاء عفوه ويهيي المؤمنين بطريقين :-

الأول :-

أنه يذكر أحوال أهل الجنه وما ينالون من ثواب ليرغبهم لعمل الآخره ، ويذكر في نفس الوقت احوال أهل النار وما ينالهم من عذاب غليظ ليزجرهم عن العصيان والانحراف .

الثاني :-

انه يجمع في منهجه بين الحالين المتناقضين من الثواب والعقاب ، والشده والرخاء . والحكمة في ذلك الا يصل الانسان الى حالة اليأس، ولا الى القعود والكسل اعتمادا على رحمة الله[2] .

٥ - انه اهتم ببناء شخصية المسلم بناء متكاملا ، مهتما بجوانب النفس الانسانيه الثلاثة وهي :-

الجانب الفكري والعقلي : فحث على اعمال العقل والتدبر والتفكر في آلاء الله ، وحثه على طلب العلم والمعرفة ، لبناء العقل الواعي السليم .

---

( ١ ) سورة البقرة / ١٨٥ .

( ٢ ) بتصرف من كتاب ( روائع القرآن ) للبوطي ١٩٧-١٩٨ .

الجانب الروحي :-

فركز على القلب ، واهتم بما يقوى هذا الجانب من عبادات مفروضه ونوافل الصوم والصلاة وقراءة القرآن وذكر الله وطلب العلم ليزداد ايمانه وتقوى روحه وتتغلب على الحياة المادية ومغرياتها الفاتنه .

الجانب الجسدي :-

فامر بالاهتمام بالقوه ،ودعا المسلم الى الاخذ باسبابها ليتقوى بدنه ، ويصلب كيانه ليتحمل اعباء الجهاد والعباده والضرب في الأرض . وكل ذلك كان كما اسلفنا بمنهج متوازن دقيق بحيث لا يطغى جانب على جانب فيحدث نتيجة ذلك خلل في بناء الشخصيه المسلمه .

وروح هذا المنهج ولبّه انما هو لرفع قيمة هذا الانسان وتكريمه ليصبح في مرتبة العبودية الصحيحه .

الجانب التشريعي :-

هداية القرآن لأقوم طريق وأكمل حياة :-

قال تعالى في سورة الاسراء : ( ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا ) الاية ٩ .

وقال أيضا في نفس السورة ( ... وكل شيء فصلناه تفصيلا ) (١٢) .

يخبر الحق جل جلاله ان كتابه الكريم يدل ويرشد للطريق التي هي أقوم الطرق وأعدلها واصلحها ، .

هذا في الدنيا حيث يعمل الصالحات اذا التزموا هدى ذلك الطريق ، اما في الآخره فلهم جزاء صلاحهم واهتدائهم الاجر العظيم والفضل الكبير من الله الذي لا يضيع أجر من أحسن عملا .

لذا كان هذا القرآن يهدى الى خيرى الدنيا والآخرة ،وباتباعه يفوز المؤمن في الحياتين معا .

منهج شامل ومتكامل :-

وأهم ما يميّز هذا المنهج التشريعي انه شامل لجوانب الحياه ولجوانب النفس :-

قال فى الظلال : ( فيهدى للتي هي أقوم في عالم الضمير والشعور ،بالعقيدة الواضحه والبسيطه التي لا تعقيد فيها ولا غموض ،والتي تطلق الروح من قيود واثقال الوهم والخرافه ، وتطلق الطاقات البشرية الصالحه للعمل والبناء ،وتربط بين نواميس الكون الطبيعيه ،ونواميس الفطرة البشريه في تناسق واتساق .

ويهدى للتي هي أقوم : في التنسيق بين ظاهر الانسان وباطنه ،وبين مشاعره وسلوكه ، وبين عقيدته وعمله ،فاذا هي كلها مشدودة الى العروة الوثقى التي لا تنفصم ، متطلعة الى أعلى وهي مستقرة على الأرض ، واذا العمل عباده متى توجه الانسان به الى ربه ، ولو كان استمتاعا بالحياه .

ويهدى للتي هي أقوم في عالم العبادة ،بالموازنه بين التكاليف والطاقه ، فلا تشق التكاليف على النفس حتى تمل وتيأس من الوفاء ،ولا تسهل وتترخص حتى تشيع في النفس الرخاوة والاستهتار ،ولا تتجاوز القصد والاعتدال وحدود الاحتمال .

ويهدى للتي هي أقوم في علاقات الناس بعضهم ببعض افرادا وازواجا ،وحكومات وشعوبا ، ودولا واجناسا ، ويقيم هذه العلاقات على الاسس الوطيدة الثابتة التي لا تتأثر بالرأى والهوى ، ولا تميل مع المودة والشنآن ،ولا تصرفها المصالح والاغراض.

هذه الأسس التي اقامها العليم الخبير لخلقه ، وهو أعلم بمن خلق ، وأعرف بما يصلح لهم في كل أرض وفي كل جيل ، فيهديهم الى التي هي أقوم في نظام الحكم ونظام المال ، ونظام الاجتماع ونظام التعامل الدولي اللائق بعالم الانسان (١) .

وأما الذين لا يهتدون بهدى القرآن ، ولا يطبقون شرع الرحمن ، فهم متروكون لاهواء البشر العجولين الجاهلين بما يصلح لهم وما لا يصلح وبالتالي لا يستطيعون اقامة مجتمع فاضل بتشريعات بشريه وضعيه قاصره .

المنهج التشريعي الشامل يشمل القرآن والسنة كلها :-

وان المتصفح للقرآن وللسنة على ضوء هذه الآيه ، يجد أن القرآن حقا وصدقا قد رسم الطريق وبين معالمه بدقه وشمول في كل جانب من جوانب الحياه ، وفصل كل شيء تفصيلا يفهمه البشر ليسهل تطبيقه والتزامه .

قال صاحب اضواء البيان رحمه الله عند تفسير هذه الآيه ( ان هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم ) .

قال : لما كان تتبع ماتدل عليه الآية الكريمه من هدى القرآن للتي هي أقوم يقتضي تتبع جميع ما في القرآن وجميع ما في السنه ، وذلك غير ممكن لذا اقتصرنا على هذه الجمل ... ) .

واتى بأدلة ونماذج لمعالجة التشريع الاسلامي لقضايا المسلمين ومشاكلهم ، بما يزيد على اربعين صفحه وسآخذ رؤوس الموضوعات التي اشار اليها فيما يلي :-

( ومن هدى القرآن للتي هي أقوم : جعله الطلاق بيد الرجل ، فهو القيم على المرأه وهو صاحب العقل والمرأه ضعيفة عاطفيه ، وهي ناقصة عقل ودين ،

---

(١) في ظلال القرآن جـ٤ / ٢٢١٥ .

والرجل هو الزارع والمرأه هي الأرض والزارع يتحكم في زرعه .

ومن هد يه للتي هي أقوم :-

اباحة التعدد في الزواج الى أربع ، لمصلحة الزوجه في عدم حرمانهامن الزواج ولمصلحة الرجل بعدم تعطل منافعه حال قيام الضرر بالمرأة الواحده ، ولمصلحة الامه ليكثر عددها فيمكنها من مقاومة عدوها .

ومن هد يه : تفضيله الذكر على الانثي في الميراث ،لانه هو المكلف بالانفاق ودفع المهر ،والمرأه معفاه من ذلك .

ومن هد يه : القصاص( ولكم في القصاص حياة يا أولى الالباب لعلكم تتقـــون (١) ) لتسلم النفوس ويعم الامن .

ومن هد يه : قطع يد السارق ،لانها بخيانتها اصبحت كالعضو المريض الذى يجر الداء الى سائر الجسد فلابد من قطعها لتطهير المجتمع ،وليرتدع من تسول له نفسه الاعتداء على أموال الناس .

ومن هد يه للتي هى أقوم : رجم الزاني المحصن ذكراكان أو أنثى ،وجلد البكر ذكرا كان أو انثى وذلك لما يترتب على تلك الفاحشه من هتك الاعراض ،وتقد يـــــر الحرمات والسعى في ضياع الانساب .

ومن هد يهللتي هي أقوم : هد يه الى أن التقدم لا ينافي التمسك بالدين ، فالقرآن يدعو الى التقدم في جميع الميادين التي لها أهمية فى دنيا أو دين ، ولكن مع الالتزام بحدود الدين والتحلي بآدابه وأخلاقه .

---

(١) سورة النساء / ٦٠ .

ومن هديه : بيانه أن كل من اتبع تشريعا غير التشريع الاسلامي فاتباعه لذلك التشريع عن طواعية ورضا كفر بواح . قال تعالى : ( ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا )[1] .

ومن هديه : أنه هدى الى الرابطة التي يجب على افراد المجتمع أن يرتبطوا بها ، وهي رابطة الدين والعقيدة ، وآصرة الاخوة في الله ، وحرم كل العصبيات والدعوات القوميه المنتنه التي تدعوا الى التخلي عن الاسلام ، ورفض الرابطة السماويه رفضا باتا .

والمهم أن الرابطة الحقيقية التي تجمع المفترق ، وتوءلف المختلف هي رابطة ( لا اله الا الله ) لانها تجعل المجتمع الاسلامي كله كأنه جسد واحد .

ومن هدى القرآن للتي هي أقوم : هديه الى حل المشاكل العالميه باقوم الطرق وأعدلها :-

فبالقرآن وعلى هديه : تعالج مشكلة ضعف المسلمين وتخاذلهم عن مقاومة الكفار .

وبالمبادىء التي اشتمل عليها القرآن وباخلاقه : تعالج مشكلة تسليط الكفار على المؤمنين ، اذا عادت الامة الى قرآنها ، وتخلقت بأخلاقه ، واصلحت الخلل الحاصل فيها بما فيه من علاج .

وبهدى من القرآن : تعالج مشكلة اختلاف القلوب المؤدى الى الفشل وذهاب الريح والقوه ، واختلاف الكلمه ، فعلى القرآن يتحد المسلمون ، ويتعاونون فيما اتفقوا عليه من المبادىء العامة والاصول ، ويعذر بعضهم بعضا فيما اختلفوا فيه من الاحكام الجزئيه والفرعيه .[2]

---

( ١ ) سورة البقرة / ١٧٩ .

( ٢ ) باختصار وتصرف من كتاب ( أضواء البيان ) للشنقيطي رحمه الله ـ جـ٤ من صفحة ٤١٤-٤٥٧ .

٣ ـ الجانب الثالث من جوانب الاعجاز المنهجي :ـ

الجانب الاجتماعي :ـ القرآن يوسي مبادئ المجتمع الصالح :ـ

قال تعالى في سورة الاسراء : ( لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا ) ( ٢٢ ) ، ( وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ، اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ) ( ٢٣ ) .

( واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ) ( ٢٤ ) .

( ربكم أعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للأوابين غفورا ) ( ٢٥ ) .

( وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ) . ( ٢٦ ) .

( ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا ) ( ٢٧ ) .

( واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ) ( ٢٨ ) .

( ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ) ( ٢٩ )

( ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا ) ( ٣٠ ) .

( ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ) ( ٣١ )

( ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا ) ( ٣٢ ) .

( ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ، ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا ) ( ٣٣ ) .

( ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ، واوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا ) . ( ٣٤ ) .

( وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا ) ( ٣٥ ) .

( ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ) ( ٣٦ ) .

( ولا تمش في الأرض مرحا انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ) ( ٣٧ ) .
( كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها ) ( ٣٨ ) .
ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا ) ( ٣٩ ) الآيات من ٢٢-٣٩ من الاسراء .

هذه الآيات الكريمات : ترسي دعائم المجتمع الفاضل ، فتقيم بناءه الشامخ على اساس متين من الايمان الراسخ ، والتوحيد الخالص .

وتحدد الاطار الامثل للعلاقات الانسانيه وفي مقدمتها علاقة الانسان بوالديه ثم باقاربه .

وعلاقته بأهل الضعف والحاجه ، وذلك برعايتهم ودفع العوز عنهم والرفق بهم ( وآت ذات القربى حقه والمسكين وابن السبيل ) .

وذلك مع مراعاة الاعتدال في الانفاق ، فلا اسراف يضيع المال ، ولا تقتير يضيع أصل الحاجات .

وتبين الآيات ان الله هو المتكفل بالارزاق ، وانه يوسعها لمن يشاء من عباده ويضيقها على من يشاء ، فمن وسع الله عليه ، فليصرف حق المجتمع في ماله ، ومن ضيق عليه ، فليعرف المجتمع حقه عليه .

ولا يصح ان يفهم الانسان انفاقه على اولاده ينقص ثروته ، أو يسوق به الى الفقر ، ولذا كان من الجرم الشنيع والخطأ الكبير ان يقتل الانسان ولده مخافة الجوع والفقر ، ( ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ... ) .

كما وضعت الآيات ضوابط لسلوك الافراد حتي لا يعتدوا علي غيرهم ،ولا يسيئوا أحدا من الناس في عرض أو مال أو نفس ،أو بالتعالي والاستكبار عليهم .

ولقد تصدرت هذه الآيات جملة من الوصايا والاوامر والنواهي التي تتعلق بآداب السلوك الفردي والجماعي في المجتمع المسلم ،وموجز تلك الوصايا والمبادئ الأخلاقية هي : الأمر بعبادة الله وحده ،والتزام أوامره واجتناب نواهيه : وهي :-

بر الوالدين ، وصلة الرحم ، والعطف على المسكين وابن السبيل في غير اسراف ولا تبذير .

وتحريم قتل الذرية ،وتحريم الزنا ومقدماته ،وتحريم القتل ،ورعاية مال اليتيم ،والوفاء بالعهد ،وتوفية الكيل والميزان ،والتثبت في القول ،والنهي عن الخيلاء والكبر . وتنتهي الاوامر بالتحذير من الشرك .

قال في الفتوحات الالهية :-

( ان حاصل ماذكر في هذه الآيات من أنواع التكاليف خمسة وعشرون نوعا ، بعضها أصلي وبعضها فرعي ، وقد ابتدأت بالاصلي في قوله تعالى ( لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا ) وختمت به ايضا في قوله تعالى ( . . ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا ) (١) .

هذه الآيات تحتوى على خلاصة الوصايا التي كانت في التوراة :-

فقد أخرج ابن جرير الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما : " ان التوراة كلها في خمس عشر آية من سورة بني اسرائيل " (٢) .

---

( ١ ) الفتوحات الالهية - للجمل جـ٢ / ٦٢٦ - مطبعة الاستقامه / القاهره .

( ٢ ) تفسير الطبري جـ ١٥ / ١٨٠ .

ان هذه الآيات ترسم لنا المعالم الاساسيه للمجتمع المسلم حيث انه يقوم على قاعدة العبودية لله ، فاذا وضعت هذه القاعده وربط الناس بخالقهم وزازقهم جاءت الاوامر والتكاليف بعد ذلك سواء كانت شعائر تعبد به أم شرائع قانونيه ، ثم ختمها بالدعوة الى التوحيد كذلك ، فابتداء الآيات بالتوحيد ، وختامها كذلك بالامر بتوحيد الله واجتناب عبودية غير الله .

وهذا يشعر ويفيد ان ملاك تلك السيادة كلها ، وملاك تطبيقها الوحيد هو الايمان بالله عز وجل ايمانا صادقا بانها حق لا مرية فيها وبالتالي فانه يلتزم بهذه الاوامر والنواهي خوفا من الله تعالى فيكون هو حارسا على تطبيق حدود الله في السر والعلانيه .

ان مجرد الايمان بالفضيلة ومعرفة الاحكام الشرعية لا يكفي دافعا الى التمسك بها ، وكم في الناس من يؤمن بالحق انه حق ، ومع ذلك فهو لا يقوى على تطبيقه على نفسه أو في مجتمعه ويؤمن بالباطل انه باطل ، ومع ذلك لا يستطيع التخلص من ظله ذلك لأن العقيدة عنده باردة خاوية ضعيفه ، أو فكره نظريه مجردة وثقافة في رأسه بعيدة عن الالتزام والتطبيق ، لكن بتقوية الايمان وبترسيخ العقيده الحيه المتحركه في القلوب وربط هذه القلوب بالله خالقها حتي تحبه وتحب شرعه ودينه ورسوله صلى الله عليه وسلم يجعلها تندفع لتطبق ما آمنت به في واقع حياتها .

هذا هو المنهج الذي هدى اليه القرآن لاقامة المجتمع الصالح ، وهكذا قام أول مره ولا يصلح آخر هذه الامه الا بما صلح عليه أولها .

وهكذا نرى الاعجاز المنهجي الشامل للجانب التشريعي والتربوي والخلقي والاجتماعي ليدل هذا المنهج على أنه لا يستطيعه لبشر مهما تعلموا أو تظاهروا عليه فهو من عند علام الغيوب .

## المبحث الخامس

## الوجه الخامس : الاعجاز العلمي في القرآن الكريم

تمهيد :-

في العصر الحديث اخذت دولة العلم تزداد اتساعا وعمقا في ابحاثها ،وتنوع موضوعاتها وذلك بتطور الطرق التي استحدثها الانسان في الكشف عن الحقائق بالمشاهده والملاحظه ،والمقارنه واستعمال الاجهزه ،والمجاهر ، والمختبرات، واجراء التجارب حتى تمكن العلماء من الوصول الى نظريات وقوانين وعلوم وفنون لم تكن موجوده من قبل في معارف من سبقوه من العلماء والباحثين .

وعندما جدد العلماء النظر والتدبر في القرآن الكريم ،وحاولوا فهمه وتفسيره في ضوء هذه العلوم الحديثه ،ظهر بوضوح ان آيات القرآن لها معان أوسع وأشمل مما فهمه العلماء السابقون منها ، وتبين لهم بجلاء أن القرآن الكريم جاء بكثير من حقائق الكون ونواميسه ،وأصول العلوم الحديثه المختلفه ،وسنن ما في الكون من كائنات ومخلوقات ،أوجدها الله تعالى ، وجعلها خاضعة لارادته وأمره .

المقصود بالاعجاز العلمي :-

يقصد بدراسة الاعجاز العلمي في القرآن تفصيل القول وبسطه في الحقائق العلمية التي تحدث عنها القرآن ، ومحاولة مطابقة ومقابلة النتائج العلمية والاكتشافيه في جميع المجالات بما ورد من ذكر لها في القرآن .

وهؤلاء وان كانوا يعدون وجوه الاعجاز الاخرى تعدادا مجملا ولا ينكرونها لكنهم يركزون على هذا الوجه .

مع العلم بأن هذا النوع من البحث والدراسة ، قد سبق اليه المتقدمون ، تحت عنوان ( الانباء عن الغيوب المستقبله ) وعنوان ( احتواء القرآن الكريم على جميع العلوم ) ، لكن على قدر ما اتيح لعصرهم من المستوى العلمي وآلات البحث العلمي ووسائله[1] .

ولبيان هذا الوجه من الاعجاز في القرآن لابد من توضيح قضية هامه في الموضوع وهي :-

القرآن لا يتعارض مع العلم :-

فالقرآن الكريم لا يتعارض مع اليقيني من العلم ، فمنذ ما نزل منذ أربعة عشر قرنا في عهد الجهل والجهالة المطبقه ، قد اشتمل على حقائق علميه ناصعه أورد هنا الحق جل جلاله للتدليل على وجوده ووحدانيته ، ولبيان مدى قدرته الهائله وعظمته التي تسير هذا الكون ومن فيه .

ومهما تقدم العلم في زماننا أو في الازمان المقبله فانه لا توجد حقيقة علميه ثابتة تنافي أو تتعارض مع نص صريح من الكتاب أو السنه ، فلا يتعارض النص الصريح مع معطيات العقل أو العلم الصحيحه ، أما النظريات التي لم تثبت صحتها بعد ، أو لم يتوفر لها من البراهين والادلة ما يدخلها في اطار الحقائق العلميه ، فلا داعي لمقابلتها بالقرآن والسنه ، لان تقدم العلم وتطور ابحاثه وتجدد آلاته قد يكشفان عن خطأ تلك النظريه أو صوابها .

والله تبارك وتعالى دعا خلقه الى التدبر في الكون المنظور من حولهم ، والى أن يتفكروا في عظمة ملكوت الله ودقة تنظيمه وتناسقه ، قال سبحانه :

---

( ١ ) انظر كتاب : القرآن واعجازه العلمي - محمد اسماعيل ابراهيم ص ٢-٧ . ط. دار الفكر العربي .

( قل انظروا ماذا في السموات والأرض )[١] وقال عز شأنه ( وفي انفسكم أفلاتبصرون )[٢] وقال تعالى : ( الذي خلق سبع سموات طباقا ماترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير )[٣] .

والغرض من هذه الدعوه الى التدبر والتفكر في ملك الله الواسع ومخلوقاته المبثوثه في السماء والأرض ، هو ان يزداد الخلق ايمانا بعظمة ربهم وخالقهم ، ولتدلهم آياته على أن وراءها منظما حكيما ، والها يدبر الأمور ، فيمسك قوانينها ويثبت السنن التي تسير عليها ، فاذا اعترفوا بربوبيته سبحانه وتعالى وجب عليهم أن يوحدوه في الوهيته وعبادته فيلزموا شرعه ويستقيموا على هداه .

بين الاعجاز العلمي والتفسير العلمي :-

لابد لنا اذ تعرضنا لموضوع الاعجاز العلمي في القرآن أن نتعرض الى موضوع التفسير العلمي لما بينهما من علاقه .

فنقول مستعينين الله عز وجل : ان مسألة التفسير العلمي من المسائل التي اختلف فيها العلماء في القديم والحديث ، ففي القديم وجد لفكرة هذا التفسير أنصار ومؤيدون وفي نفس الوقت وجد لها معارضون ومانعون .

جذور التفسير العلمي :

ولو أردنا أن نتتبع جذور المسأله ، فاننا نجد أن أول من دعا الى فكرة التفسير العلمي هو الامام الغزالي المتوفي ( ٥٠٥ ) حيث دعا الى الفكره ، وبين كيفية

---

( ١ ) سورة يونس / ١٠١ .

( ٢ ) سورة الذاريات / ٢١ .

( ٣ ) سورة الملك / ٤ .

انشعاب سائر العلوم من القرآن ، فيذكر علم الطب وهيئة العالم ، وهيئة بدن الحيوان ، وتشريح أعضائه ، وعلم السحر ؛ (١)

ثم جاء الفخر الرازي المتوفى ( ٦٠٦ ) فطبق كل ما استحدثته البيئة الاسلامية من ثقافة علمية وتابعه البيضاوي على منهجه في نهج المسائل العلمية المتفرقة في تفسير الآيات .

ثم جاء العلامة جلال الدين السيوطي المتوفى ( ٩١١ ) فقد تابع من سبقه من دعاة التفسير العلمي للقرآن الكريم ، ونجد هذه الدعوة موسعة في كتابه ( الاتقان ) وكتاب ( الاكليل في استنباط التنزيل ) و ( معترك الأقران ) ، ونرى السيوطي يورد الآيات والأحاديث والآثار ، وأقوال المفسرين والعلماء ليستشهد بها على أن القرآن مشتمل على كل العلوم ، وفي النوع الخامس والستين من كتاب ( الاتقان ) وعنوانه ( في العلوم المستنبطة من القرآن ) نقرأ مايلي :-

( قال تعالى : ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء . . . وأخرج سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال : من أراد العلم فعليه بالقرآن ، فانه فيه خبر الأولين والآخرين قال البيهقي : يعني أصول العلم .

وأخرج البيهقي عن الحسن ، قال : أنزل الله مائة وأربعة كتب ، وأودع علومها أربعة منها : التوراة والانجيل والزبور والفرقان ، ثم أودع علوم الثلاثة الفرقان .

وحكى أن ابن سراقة في كتابه الاعجاز عن أبي بكر بن مجاهد أنه قال يوما : ما من شيء في العالم الا وهو في كتاب الله ، فقيل له : فأين تذكر الخانات فيه ، ؟

---

( ١ ) انظر احياء علوم الدين جـ١ / ٢٨٨-٢٩٣ ، طبعة دار المعرفة - بيروت .

فقال : في قوله تعالى : ( ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونه فيها متاع لكم ) فهي الخانات .

وقال غيره ، ما من شيء الا يمكن استخراجه من القرآن لمن فهمه الله ، حتى أن بعضهم استنبط عمر النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين سنه من قوله تعالى في سورة المنافقين ( ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها ) فانها رأس ثلاث وستين سوره ، وأعقبها بالتغابن ليظهر التغابن على فقده ) (١) .

أما المعارضون في القديم فأبوحيان الأندلسي في البحر المحيط ، والامام الشاطبي في الموافقات ، حيث شنّ كلا العالمين هجوما على من يتعرض للتفسير العلمي في القرآن ، لأن القرآن نزل ليكون كتاب هدايه وأحكام ، ولم ينزل ليتحدث الى الناس عن العلوم والمعارف المختلفه . وكانا يريان أن هذا يتنافى مع الاعجاز ، ومع رسالة القرآن وفيه تجهيل للصحابة الكرام لأنهم لم يكونوا يعلموا أو يقولوا بتلك العلوم والمعارف .

أما في الحديث فقد قامت المعركه حول التفسير العلمي فمن منكر له ومن مؤيد : فدعا اليه ( محمد بن أحمد الاسكندراني ) (٢) ثم الشيخ ( محمد عبده ) والقاسمي والالوسي ، وطنطاوى جوهرى ، وعبد الرزاق نوفل ، وايدوه وصنفوا فيه المصنفات .

أما الذين عارضوا : فالشيخ رشيد رضا : حيث اعتبر التفسير العلمي صارفا عن تدبر القرآن ، وصارفا القارىء عما أنزل الله لاجله القرآن (٤) .

---

( ١ ) الاتقان في علوم القرآن جـ٤ / ٢٨٠ - ٤ تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم .
( ٢ ) فكرة اعجاز القرآن / ٢٠٩ .
( ٣ ) تفسير المنار جـ١ / ٧ ، الطبعة الرابعة .
( ٤ ) انظر تفسير القرآن الكريم - الأجزاء العشره الأولى - للشيخ شلتوت ص٩-١٤ .

وأنكر التفسير العلمي : محمد عزت دروزه في (التفسير الحديث) جـ٢ / ٧٠

والشيخ (محمود شلتوت) خطأ هذه الطريقة في التفسير لأسباب :-

١ - لأنه يرى أن القرآن لم ينزل ليكون كتاب علم يتحدث الى الناس عن النظريات ودقائق أنواع المعارف .

٢ - لانها تحمل أصحابها على تأويل القرآن تأويلا متكلفا يتنافى مع الاعجاز، ولا يسيغه الذوق .

٣ - وهي خاطئة لأنها تعرض القرآن للدوران مع مسائل العلوم في كل زمان ومكان، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأى الأخير ، فقد يصح اليوم في نظر العلم ما يصبح غدا خرافات .(١)

أما الشيخ (محمد مصطفى المراغي ) فمع انكاره للتفسير العلمي الا أنه قال بالتوفيق بين موقف المعارضين لهذا الاتجاه ،وموقف المؤيدين والداعين اليه ،ولهذا لا يجد بأسا به اذا اتفق ظاهر الآيه مع حقيقة علمية ثابته فسرناها بها ،فلا نجنّز الآيه الى العلوم ولا نجر العلوم الى الآيه .(٢)

ولقد جمع الشيخ الذهبى رحمه الله تلك الآراء وتتبع جذور التفسير العلمي من المنكرين له والمؤيدين ظم اجمع من أراد التوسع .(٣)

ونلخص المسأله بأن هناك خلافا حول التفسير العلمي ، فقد أيده علماء في القديم والحديث ، كما رفضه علماء في القديم والحديث .

---

(١) انظر تفسير القرآن الكريم - الأجزاء العشره الاولى - للشيخ شلتوت ص٩-١٤ .

(٢) انظر مقدمته( لكتاب : الاسلام والطب الحديث - للدكتور عبد العزيز اسماعيل ص(٣) .

(٣) التفسير والمفسرون جـ٣ / ٤٧٤ وما بعدها . دار الكتب العلمية .
وكتاب اتجاهات التفسير في العصر الحديث للدكتور عبد المجيد المحتسب (الفصل الأخير) .

ولكن سبب ثورة العلماء واضحه على من يعرض عن التفسير بالمأثور ليقول في تفسير الآيه الكريمة بآراء علماء الطب أو الفلك أو الهيئه ، بحيث يخرج المفسر في تفسيره عن التفسير / ولا يرى المستعرض لذلك التفسير الا فضول علوم ، وفرعيات وجزئيات حشرها المفسر حشرا في المقام حتى لقد خرج بعض التفاسير الحديثه وفيه صور للحيوانات والنباتات وما يلزم من معلومات .

وأنا مع الذين ينكرون هذا المنهج من التفسير بحيث يحولون تفسير آيات الله الى مسرح لعرض المعلومات والنظريات والأفكار والمعارف المختلفه .

ولكنني أقول ينبغي أن نفرق بين التفسير العلمي والاعجاز العلمي .

ففي موضوع التفسير : يجب أن نفسر القرآن بما أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما تقتضيه مدلولات اللغة العربية الأصيله وبعد ذلك يمكن أن يشير المفسر الى ما أشارت اليه الآيه من حقائق علميه ثابته بحيث يلتزم بمنهج المفسرين ومعاييرهم في تفسير كتاب الله ، ولا يخلط بين ماتهدى اليه الآيات من اشارات لبعض الحقائق وبين معنى الآيات كما فهمها السلف رضي الله عنهم .

أما في اعجاز القرآن فلا بأس بالتعرض للحقائق التي تتطابق مع كتاب الله بشرط أن لا نجبر العلوم الى الآيه ، ولا نجبر الآيه الى العلوم ، وبشرط أن تكون العلوم قد وصلت الى درجة الثبوت والصحه وارتقت الى درجة الحقيقة العلميه .

وسنوضح الضوابط التي ينبغي أن يلاحظها من تعرض للعلوم الكونية في القرآن بعد قليل .

---

دوافع البحث في الاعجاز العلمي في القرآن :-

أولا :-

لأن الكثير من المثقفين الثقافة الموجهاء والمزيفه ، يتصورون ان الدين والعلم مختلفات ، وأن كلا منهما مستقل عن الآخر .

وهذا الفهم المغلوط تسرب الى امتنا الاسلاميه من مخلفات الازمة الفكرية الحادة التي نشأت في اوروبا بين الكنيسه من جهة وبين العلم والعلماء من جهة أخرى ، حيث استحكم العداء بينهما ، واضطهدت الكنيسة العلماء وحرمتهم ، وقتلهم وذلك كله باسم الدين ففهم الناس ان الدين يعادي العلم ، ولم يعرفوا ان الكنيسه هي التي تعادي العلم لمصالح وأغراض وامتيازات تحرص عليها ، ومن ثم عمم الناس هذا التصور على كل دين أنه يعادي العلم حتى شطوا الاسلام بهذه التهمه ، وتلقف هذا الكلام الباطل اجيال من امتنا فقبلته وهي في حالة ضعف ، والضعيف يتقبل كل شيء من القوي بل ويقدسه .

لذا يجب تصحيح هذا الفهم الخاطيء ، وتغيير تلك الصورة المزيفه ، لنثبت أن العلم والدين في الاسلام صنوان متكاملان أصلا ، ومتحدان غاية ومنهجا لما فيه صلاح البشر .

وكيف يختلفان ، والدين من الله تعالى والعلم من علام الغيوب سبحانه ، من هنا قام فريق من الباحثين والعلماء بالاهتمام بهذا اللون من الدراسة نفيا للتهمة عن الاسلام .

---

ثانيا :-

ان المادية الملحدة تحاول بكل امكانياتها ان تنسي الانسان ربه وخالقه ، وان تصغر في نفسه وقلبه وفكره قيمة الرسل والرسالات وشرائع الانبياء ويساعد هذه المادية ويهيئ لها الاجواء ، شياطين أهل الاديان الباطلة ، الذين يخططون لتشويه حقيقة الاسلام في عقول وقلوب الناس من خلال بث بذور الالحاد والشبهات عن طريق النظريات الملحدة زاعمين فيها ان الانسان بعلمه الحديث ، وبما حققه من انجازات واكتشافات فانه قد عرف سر الحياة واكتشف حقيقة هذا الوجود وبامكانه ان يستغني عن الله سبحانه (١).

ومن هنا اتجه كثير من العلماء المعاصرين الى ملاحظة القضايا الدقيقة والحساسة التي تتراآى لهم من نتائج الابحاث والدراسات الحديثة ، والتي تثبت بلا ادنى شك ولا ريب ان هذا الكون له خالق عظيم ينظم أموره ، وان هذا الانسان كذلك مخلوق عجيب يدل على دقة صنع الله اللطيف الخبير . وأخرجوا هذه اللفتات والحقائق في مصنفات ، بعضها يهتم بتشريح الجسم البشري ، وبيان وظائف الاعضاء الدقيقة واظهار بديع صنع الله ودقة تكوينه (٢).

ثالثا :-

هناك هدف آخر يرمي اليه من صنف ويصنف في الاعجاز العلمي ، هو اعطاء المسلم المعاصر من قوة الحجة ، ومن الاسلحة العلمية الحديثة ، ما يستطيع أن يدعو به كل شارد عن باب الله ، وان يقيم الحجة على اعداء الله ممن يجحدون بآيات الله وان استيقنتها انفسهم ظلما وعلوا .

---

( ١ ) انظر كتاب ( الانسان يقوم وحده ) لجوليان هكسلي ) فقد زعم هذا الملحد ان الانسان سيستغني بالعلم الحديث عن الاله .

( ٢ ) انظر في ذلك كتاب ( الطب في محراب الايمان ) .
وكتاب ( خلق الانسان بين الطب والقرآن ) .

رابعا :-

ولقد شجع المهتمين بهذه الدراسة انهم أحسوا عند الكثير من شباب الامة الواعي والناهض رغبة ملحه في استجلاء معاني الآيات القرآنيه بفهم عصري جديد ، ورأوا انها ظاهرة تدعو الى الاستجابه اليها ،والحث على دوامها وتشجيعهـــا ، لارواء الظامئين من فيوض القرآن العذبه ، فدرسوا هذا الموضوع ، واخـــذوا يسجلون مالاحظوه من ظواهر علميه اخبر عنها القرآن ،بصورة دقيقة جـــاءت مطابقة لنتائج اكتشافات عدت في العلـم من المظائم والمهمات ، وقد سبق القرآن اليها منذ أربعة عشر قرنا من الزمان وسنشير الى أمثلة على الاعجاز العلمي فيما يلي :-

أمثلة على الاعجاز العلمي في القرآن :-

١ - انفصال الأرض عن السماء :-

قال تعالى : (أولم ير الذين كفروا ان السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ... )(١)

يقول ابن كثير عند شرحه للآيه : ( يقول الله تعالى منبها على قدرته التامه وسلطانه العظيم في خلق الأشياء وقهره لجميع المخلوقات ( أولم ير الذين كفروا ) أي الجاحدون للالهية العابدون معه غيره ألم يعلموا أن الله هو المستقل بالخلق المستبد بالحكـــم فكيف يليق أن يعبد معه غيره أو يشرك به سواه ؟ .

( كانتا رتقا ) أي كان الجميع متصلا بعضه ببعض متلاصق متراكم بعضه فـــوق بعض في ابتداء الامر ،ففتق هذه من هذه ،فجعل السموات سبعا والأرضين سبعـــا ، وفصل بين السماء الدنيا ،والأرض بالهواء ، فاطرت السماء وأنبتت الأرض .

---

( ١ ) سورة الانبياء / ٣٠ ..

وعن ابن عباس أنه قال : كانت السماء رتقا لا تمطر ، وكانت الأرض رتقا لا تنبت[1].

النظرة العلمية الحديثة :-

يتفق نص ومعنى هذه الآية مع احدث النظريات في نشأة الأرض والسماء ، وذلك انهما كانتا في أول الامر ملتصقتين داخل السديم الذى يحويهما ثم انهما انفصلتا نتيجة انفجارات شديدة حدثت داخل السديم في الآية بعد ان كانتا مرتوقتين أى متصلتين بعضهما ببعض .

الأدلة العلمية :-

ويستدل العلماء ذلك بأن في الشمس ( ٦٧ ) عنصرا من عناصر الأرض البالغة ( ٩٢ ) عنصرا . ومن ناحية أخرى لاحظ العلماء ان النيازك والصخور والأتربة القريبة التى حصل عليها العلماء من الفضاء الخارجي تحتوى على ما هو شائع على وجه الأرض[2].

أفيكون في قدرة أحي منذ خمسة عشر قرنا ان يدرك الكون وخفاياه بهذه الدقة العلمية ، وفي وقت كان الناس لا يعرفون شيئا عنها ؟ اللهم لا . الا بالوحي .

٢ - الحاجز العجيب بين المياه في المحيطات والبحار والانهار :-

قال تعالى : ( مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان ، فبأى آلاء ربكما تكذبان )[3] .

رأى المفسرين : خلق الله تعالى البحرين العذب والمالح ، يتجاوران وتتماس سطوحهما وبينهما حاجز من قدرة الله ، لا يطغى أحدهما على الآخر فيمتزجان .

---

( ١ ) تفسير ابن كثير جـ٥ / ٣٧٣ .

( ٢ ) انظر ( القرآن واعجازه العلمي ) ٦١-٦٢ ، و ( روح الدين الاسلامي ) عفيف طبارة ٤٩ ط ٠ / ١٨ .

( ٣ ) سورة الرحمن ( ١٩-٢٠ ) .

وقال آخرون : ان المقصود بالبحرين هنا الانهار والبحار ، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى ( وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج ، وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا )(١) .

النظرة العلمية :-

تشير هذه الآيه الى نعمة الله على عباده ، وهي عدم اختلاط مياه البحار المتجاوره ، بل جعل بينهما قانونا ثابتا يتحكم في العلاقة بينهما من حيث الكثافه والملوحه ، وخصائص الماء الاخرى ، وبما فيهما من احياء مائيه ، كان بين كل بحر وآخر حاجزا غير ظاهر للعيان ، لم تقبه يد انسان ، ولكن اقامه يد الرحمن .

كذلك فان من عجائب قدرة الله تعالى انه جعل ماء النهر لا يؤثر في ماء البحر فيغير ملوحته ، كما لا يؤثر ماء البحر في ماء النهر ، لأن النهر الذى يصب في البحر يكون عادة مستواه اعلى من مستوى سطح البحر .

وتدل المشاهدعلى أن مياه الامازون الذى يصب فى البحر الاطلسي تندفع مسافة ( ٢٠٠ ميل ) في المحيط حافظة لعذوبتها طول هذه المسافه ، وفي الخليج العربي وجد تعيون من الماء العذب تفيض داخل ماء الخليج بماء عذب .(٢)

٣ - تكوين الانسان من التراب والماء ، وتفصيل مراحل حياته :-

قال تعالى : ( ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين )(٣) .

في هذه الآيه بين الله جل جلاله ان اصل تكون الانسان كان من طين . فقد خلقه الله تعالى من خلاصة استخرجت من طين الأرض ، وهذا منطبق على خلق آدم أبي البشر عليه السلام .

( ١ ) سورة الفرقان / ٥٣ .
( ٢ ) القرآن واعجازه العلمي ٦٣-٦٤ .
( ٣ ) سورة المؤمنون / ١٢ .

كما أن الآيات شاهدة على تكوين ذرية آدم من عناصر الأرض التي منها الطين أيضا ، لان اغذيته متولدة عن التربة في الجملة وذلك بالغذاء الذى تنبته الأرض ويأكله الانسان فالعناصر التي يتكون منها الجسم الانساني هي عناصر تحتويها التربة الأرضية ،اذ الطين يتكون من تراب وماء ، وهذا مابرهنت عليه التحاليل العلمية الحديثة ، وصرح به العلماء المختصون ومنهم( الليكسيس كاريل ) اذ قال :-

( اننا مصنوعون من تراب الأرض بالمعني الحقيقي لهذه الكلمة )[١].

ثم في الآية التي تليها ذكر الله تعالى مراحل خلق الانسان ؛ اذ يقول سبحانه ( ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ،ثم خلقنا النطفة علقة ،فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ،ثم أنشأناه خلقا آخر ،فتبارك اللهأحسن الخالقين )[٢].

وهذه المراحل التى ذكرها القرآن هي نفس المراحل التي حددها العلم الحديث ، بعد نشوء علم الاجنة التشريحي وتقدم وسائله في العصر الحديث[٣].

فسبحان علام الغيوب .

٤ ـ الماء اصل جميع الكائنات الحيه :-

قال تعالى ( وجعلنا من الماء كل شيء حيّ أفلا يؤمنون )[٤].

يقول المفسرون : ان الماء هو أصل الاحياء .

وروى ابن كثير عن ابي هريرة رضى الله عنه انه قال : قلت يارسول الله :انى اذا رأيتك طابت نفسي وقرت عيني ،فانبئني عن كل شيء ،قال ( ص ) :كل شيء خلق من ماء[٥].

---

( ١ ) ( الانسان ذلك المجهول ) ( الليكسيس كاريل ) صفحه / ٧٦-٧٧ .
( ٢ ) سورة المؤمنون ١٣-١٤ .
( ٣ ) روح الدين الاسلامي ـ عفيف طباره / ٦٢-٦٣ .
وانظر كتاب( خلق الانسان بين الطب والقرآن ـ د . محمد على البار ) .
( ٤ ) سورة الانبياء / ٣٠ .
( ٥ ) تفسير ابن كثير جـ٥ / ٣٣٣ .

النظرة العلمية الحديثة :-

يقرر العلماء في تفسير هذه الآية الكريمة ، أن الماء يدخل في بناء أى جسم حي ،اذ هو في الحقيقة قوام حياته .

فالماء في نظر العلم هو المكون الاصلي في تركيب مادة الخلية ، والخلية هي وحدة البناء في كل شيء حي ،نباتا كان أو حيوانا .

كما أن علم الكيمياء في ابحاثه الحديثه ، قد أثبت ان الماء عنصر لازم ،وفعال في كل ما يحدث من التحولات والتفاعلات التي تتم داخل الاجسام .

فهو اما وسط ، أو عامل مساعد ، أو داخل في هذا التفاعل ، أو ناتج عنه . فالماء عنصر اساسي في تكوين اى شيء حي .(١)

٥ - القرآن واكتشاف علم البصمات :-

قال تعالى ( أيحسب الانسان أنلن نجمع عظامه ، بلى قادرين على ان نسوى بنانه )(٢) .

يقول المفسرون المعني : أيحسب الانسان بعد أن خلقناه من عدم ان لن نجمع مابلي وتفرق من عظامه ؟ بلي ؛ اننا نقدر على أن نسوى أطراف اصابعه الصغيره ونجعلها كما كانت قبل الموت فكيف بالعظام الكبار ؟!! .

---

( ١ ) القرآن واعجازه العلمي ٨٥ .

( ٢ ) سورة القيامه ٣-٤ .

النظرة العلمية :-

تدل عبارة تسوية البنان على معنى لم يكشف العلم سره الا بعد نزول الآيه بأكثر من الف سنه ، حينما عرف علميًا أن لكل انسان بصمة خاصة به ،تختلف فيها اتجاهات خطوطها ،اختلافا واضحا بين فرد وآخر ،وبين جميع البشر ،وقد استخدم الانسان هذه الاختلافات في تحقيق الشخصيه عن طريق البصمات ، ما أمكن من التعرف على الاشخاص حالة وقوع جرائم بترك الجناه فيها بصماتهم على أى شيء تناولوه أو لمسوه .(١)

٦ - الرياح تلقح النباتات والسحب :-

قال تعالى ( وأرسلنا الرياح لواقح ،فأنزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما أنتم له بخازنين )(٢) .

المفسرون يقولون :-

المعنى لقد أرسلنا الرياح حاملة بالامطار ،وحاملة بذور الانبات.

النظرة العلمية :-

تبين هذه الآيه اعجازا علميا غاية في الدقه والاحكام فهي تدل على ان الرياح اثناء هبوبها تحمل في طياتها حبوب اللقاح التي تأخذها من زهره ،لتلقي بها في مبيض زهرة اخرى ،فيكون على اثر ذلك التلقيح بين النباتات .

كما أن الرياح علاوة على ذلك تحدث تلاقحات بين السحب المكهربه بالسلب والايجاب ، فينتج عن ذلك البرق والرعد والمطر، كما قال تعالى : ( ألم تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق -أى المطر- يخرج من خلاله )(٣) .

---

( ١ ) القرآن واعجازه العلمي / ١٠٩ ، ومناهل العرفان في علوم القرآن ، للزرقانى جـ١ / ١٩ .

( ٢ ) سورة الحجر / ٢٢ .

( ٣ ) سورة النور / ٤٣ .

والمطر عند ما يسقط على الأرض يخصبها ويحيي مواتها ، وهذا هو التلقيح بأوسع معانيه في الكون ، تحدث عنه القرآن حديث العارف البصير فسبحان علام الغيوب .(١)

تلك كانت أمثله على الأعجاز العلمي في القرآن وهي مجرد اشارات فقط ، ومن اراد التوسع فليراجع ماكتب في الموضوع .

ان هذه الحقائق العلمية الدقيقة التي وردت في كتاب الله لتدل بلا ادنى ريب انها من عند الخالق العظيم سبحانه فتزيد المؤمن ايمانا ويقينا بانه على الحق ، وتكون ان شاء الله براهين معروضه لمن لم يؤمن بعد فتقام عليهم الحجه ويعلموا أنه الحق .

ملاحظات على الباحثين في الاعجاز القرآني :-

هناك ملاحظات على من يتوجهون الى دراسة العلوم الكونيه ومطابقتها بما ورد في القرآن الكريم ارى ان الفت النظر اليها :-

الملاحظة الاولى :-

أن بعض الباحثين يحاولون أن يحملوا القرآن على نظرياتهم ، فيحملونه مالا يحتمل ، ويرهقون الفاظه بالتأويل .

فالواجب عليهم ان يفهموا معاني القرآن وآياته كما تبين الفاظه ، ووفق الراجح من أقوال المفسرين في المسائل التي يتعرضون لها . ولا يصح لنا ان نترك ظاهر مايدل عليه القرآن ونتجه الى تأويله ، الا اذا كان الظاهر يحتمل التأويل وله قرائن وادله من

---

(١) المصدر السابق ١٣٣ .
وكتاب لماذا أنا مؤمن . جمال الدين الفندى ٢٤ - ٤ .

اللغة والشرع ، ويمكن أن يحمله النص من غير تعسف ولا خروج بالآيات الى غير معانيها الاصليه التي تفهم من لغة العرب ، وان لا يتعارض المعنى معارضة حادة مع مضمون آية أخرى أو حديث صحيح ويستحيل الجمع بينهما تحت اى قاعدة شرعيه ، .

وأخيرا يجب على من يتعرض لتفسير معنى آية في كتاب الله ، ان يخضع لقواعد التفسير المتفق عليها من احكام العموم والخصوص ، والاطلاق والتقييد وغيرها (١) .

الملاحظة الثانية :-

احيانا يأتي هؤلاء الباحثون بنظريات لم تكن قد تحررت بعد من الشك والنظر وقد تتغير ، ولا يصح ان يبقى القرآن تتردد معانيه باختلاف النظريات .

فالواجب ان ندرس ما في القرآن على أنه حقائق ، فما وافقه من العلوم قبلناه ، أما النظريات التي لم تثبت بعد ، فلا داعي لمقابلتها بما ورد في كتاب الله ، واقحام الكتاب الكريم في مجالات غير ثابته يعني تعريضه في حالة ثبوت فساد تلك النظريه العلميه الى التكذيب من قبل الجهلة ، فينبغي ان ننزل كتاب الله وآياته عن هذه الابحاث .

الملاحظة الثالثه :-

ان لا نجعل حقائق القرآن وآياته موضع نظر أو اختبار ، بل الواجب أن ندرس الكون والعلوم الواردة في القرآن على انها حقائق ثابته هي مواضع التسليم من المؤمن بالله تعالى وبالقرآن ، فالايمان بالقرآن يوجب الايمان بكل ما اشتمل عليه .

واننا بمراعاة هذه الملاحظات ، يمكننا بهذه الدراسة العميقة الواعية المسلمة بحقائق القرآن ان نفتح مغاليق في العلم ، ونكتشف الحقائق الكونيه بهدايه من القرآن

---

( ١ ) انظر كتاب ( فكرة اعجاز القرآن ص ٤٤٧ ) .

على أنه المرشد وليس التابع ولا الخانع ، وكتاب الله هو الحق والصدق لانه من عند علام الغيوب الذى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، وهو كتاب الله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها(١) الخالق لكل شيء والعالم بكل شيء .

والمطلوب ان نوجه هذه الدراسات لتقوية ايمان الاجيال المسلمة فنصبغ كتب العلوم والاحياء وغيرها بالصبغة الايمانية لتتجلى قدرة الخالق المبدع في كل شيء ، وتصبح كل حقيقة علمية تشهد لله بالوحدانية ليتربى النشيء على هذه الروح الايمانية .

ثم نستغل هذه الدراسات كذلك في دعوة غير المسلمين للدخول في الاسلام عن طريق هذا السلاح الفعال ، سلاح العلم وكيف انه يهدى الى الايمان بإنه عليم حكيم يفتقر كل الكون وكل الخلق اليه سبحانه كما شهد بذلك علماء الطبيعة ، الذين غاصوا في اعماق العلوم ، وتوغلوا في اسرار المادة فخرجوا بنتيجة هامة سجلها أحدهم بقوله :-

(ان كل ذرة من ذرات هذا الكون تشهد بوجود الله ، وانها تدل على وجوده حتى دون الحاجة الى الاستدلال بان الاشياء المادية تعجز عن خلق نفسها . . )(٢) .

وبعد فكتاب الله تعالى لا يزال كنزا مصونا ، زاخرا بالعلوم والمعارف ، وما عرف الخلق الا قطرات من بحاره العظيمة ، ولا غرابة في ذلك فالقرآن كلام الله ، وكلامه صفته القديمة سبحانه ، وكلام الله لا ينتهي ، فهذا القرآن لا تفنى غرائبه ، ولا تنقضي عجائبه ولا يشبع منه العلماء ولا يرتوى منه الحكماء ، فنسأل الله تعالى ان يعلمنا ما ينفعنا وان ينفعنا بما علمنا وان يزيدنا علما .

---

(١) انظر كتاب المعجزة الخالدة - لمحمد ابى زهرة ٢٣ ٥-٢٤ ٥ ط. دار الفكر . وكتاب مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني جـ١/ ٥٦٨ ، ط. دار الحياء التراث العربي - بيروت .

(٢) من كتاب ( الله يتجلى في عصر العلم ) لنخبة من العلماء الامريكيين ص٤١ ط. مؤسسة الحلبي وشركاه - القاهرة .

## ـ المبحث السادس ـ

## الوجه السادس من أوجه الاعجاز في القرآن

## الاعجـــــــــــاز العـــــــــــددي

وهذا الوجه من وجوه الاعجاز القرآني ، هو وجه حديث لم يظهر الا في نهاية القرن الرابع عشر الهجري (١) .

وقد بين المهتمون بدراسة الاعجاز القرآني من الناحية العددية ، ان الغرض من النظام العددي الذي يقدمونه هو دراسة الاعجاز عن طريق مادي في جميل شغل بالمادة ، ولا يؤمن بحقائق المعجزات الا من هذا الطريق ، ولا يفهم الا لغة الحسابات والارقام .

ويقول هؤلاء الباحثون ان القرآن الكريم يتميز من ضمن ما يتميز به .. بالتساوي والتوازن والتناسق العددي الذي يعجز عن مثله الانس كل الانس ، والجن كل الجن بل الانس والجن معا ، افلا يكون قطعا وصدقا وحقا ويقينا انه وحي الله المنزل على خاتم رسله وأنبيائه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اللهم بلى .

ومن أهداف المهتمين بهذه الدراسة : ان يتعمق الايمان بالله جل جلاله ، عن طريق اثبات وجه جديد ببيان الاحكام العجيب والدقة البالغة في العد الحسابي الدقيق الذي يشمل ورود كلمات أو اسماء معينه ، أو معاني معينه ، مساويه لما يقابلها من المعاني أو الاسماء في العدد كما سنرى في الامثلة بعد قليل .

---

(١) لكن ظهر في كتب القدامى اشارات وبعض اهتمامات باحصاء وعد الحروف أو الآيات ومراعاة التناسب والاعجاز من خلالها .
انظر مثلا كتاب ( اعجاز القرآن ) للباقلاني ص ٤٤-٤٥ . فقد اشار الى هذا التناسب والدقه العجيبه في حروف فواتح السور .

أمثلة على الاعجاز العددي في القرآن :-

من نتائج تلك الدراسات ان خرج الباحثون بنتائج دقيقه وعجيبه حقا فمثلا : (الدنيا ) تكررت في القرآن الكريم قدر ما تكررت ( الآخره ) والشياطين تكررت قدر ما تكررت الملائكه .

يقول عبد الرزاق نوفل : ( لقد تكررت الدنيا في القرآن الكريم( ١١٥ ) مره ، وذلك بمثل قوله تعالى ( وما الحياة الدنيا الى متاع الغرور )[١].

وتكررت الآخره بنفس العدد أي( ١١٥ ) مره ،وذلك في مثل قوله تعالى ( ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخره )[٢] وذلك رغم عدم اجتماعهما في اكثر من ( ٥٠ ) آيه في مثل قوله تعالى : ( وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخره ولا تنس نصيبك من الدنيا )[٣].

وانفردت الدنيا في آيات ،والآخره في آيات أخرى ، ورغم ذلك فانه يتساوى عدد مرات كل منهما ( ١١٥ ) مره للدنيا و( ١١٥ ) مرة للآخره في كل آيات القرآن الكريم[٤].

كذلك نرى من نتائج البحث في الاعجاز العددي :

انه تساوى عدد مرات ورود لفظ( الشيطان ) وعدد مرات ورود لفظه (الملائكه ) في القرآن .

فقد تكرر لفظ الشيطان والشياطين ( ٨٨ ) مره .

أما الملائكه والملك ، فقد وردت كذلك ( ٨٨ ) مره .

ويتساوى عدد مرات ورود الفاظ الملائكه عليهم السلام ،مع عدد مرات ورود لفظ الشياطين .

---

( ١ ) آل عمران / ١٨٥ .
( ٢ ) سورة هود / ١٠٣ .
( ٣ ) سورة القصص / ٧٧ .
( ٤ ) الاعجاز العددي - لعبد الرزاق نوفل ص ١٥ ط ٣٠٠ .

كذلك لفظ الموت ومشتقاته تكرر ( ١٤٥ ) مره .

ملاحظات على الاعجاز العددي :-

١ - ان هذا الاعجاز الحسابي لا يمنع عن القرآن التحريف ، فلو قام مفرض بتبديل أماكن الحروف في الكلمة الواحده ، فجعل ( جهنّم ) مكان ( جذب ) فلا يتغير الاحصاء العددي ولكن التحريف يحصل . ولو نقلت ( حليم مكان حكيم ) من موضع الاولى الى موضع الثانيه ووضعت الثانيه في مكان الاولى لما تغير الاحصاء ، فلابد من ضابط ملائمة الفاصله لمعنى الآيه لمنع التبديل والتغيير .

٢ - يرى كثير من العلماء المعاصرين ان التبشير بدين الاسلام ، والدعوة الى العودة الى تطبيقه ، في اسلوب يكشف عن سمو معانيه ، وعظمة تشريعاته وصحة ما اشار اليه من الحقائق العلميه ، التي توافق العلم الحديث مما يرقق القلوب ويهز النفوس فتسلم الى بارئها ، أولى من هذا الاسلوب الحسابي والعد الحرفي الجاف (١) .

ان المناداة بالاسلام دين المساواه بين البشر ، وانه يدعو الى حريـــة الرأى والتعبير ، وبالاخاء والعدل بين الناس ولفت نظرهم الى عظمة الكون وحاجته الى الخالق العظيم اهم من النظام العددي .

لكن لا نريد ان نبخس الباحثين في هذا المجال حقهم ، وبارك الله فـــي جهودهم وكتب لهم الاجر في فتح ميادين جديده ، وآفاق حديثه تبرز هذا القرآن من لدن حكيم خبير ، ما داموا واعين ورعين ، وحذرين لمزالق القول في كتـــاب الله .

---

( ١ ) انظر فكرة اعجاز القرآن ٢٨١ .

## ـ المبحث السابع ـ

## الوجه السابع : الاعجاز النفسي أو التأثيري

تأثير القرآن في النفوس :ـ

ان تأثير القرآن في القلوب قد بلغ درجة عظيمة لم تحصل لكلام قبله ولا بعده قط.

ويظهر ذلك التأثر حين تلحق قلوب سامعيه ونفوسهم روعة وخشيه ،وتعتريهم هيبة واجلال ، لا خوف بطش مادى ،أو رغبة أو رهبة لمصلحة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم يمتلك من أسباب القوة أو السلطة بحيث يجبر العرب على الايمان بالقرآن والتصديق به ،ثم لم يكن عنده عليه السلام من المال أو المصالح المادية ما يغرى به ضعفاءهم ليصدقوا برسالته فما هو السر في ذلك اذن ؟.

انها الهيمنه التي يأخذ بها القرآن قارئيه ، ويستولى بها على سامعيه ، وهي سر مضمر في القرآن بجعل له كما قلنا الاثر القوى والسلطان الآسر على النفوس فيسرى فيها سريان الكهرباء في الاسلاك ، فلا تملك النفس الصافيه الاصيله الا أن تخر ساجدة لعظمة منزله سبحانه . استمع الى قوله تعالى فى سورة الاسراء : ( ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ، ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ، ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا )(١) .

أهمية هذا الوجه فى الاعجاز القرآني :ـ

هذا الوجه يعتبر من الوجوه الهامه والعظيمة من اعجاز القرآن الكريم ، وتزداد اهميته دراسته وابرازه ، نظرا لما أصيبت النفوس من جفاف في العصر المتأخر ،وما لحق القلوب من قسوة ،وما ران عليها من غلظة حين تقرأ القرآن فلا تتأثر به ولا تهتز وكأنها

---

(١) سورة الاسراء / ١٠٦-١٠٧.

تقرأ في صحيفة من الصحف أو مثل ذلك ، فالاهتمام بهذا الوجه واثارته ودراسته تطلعنا على الشعور الاصيل الصادق ازاء القرآن وسماعه من الذين عرفوا قيمة القرآن وقدروه قدره .

قال الخطابي مبينا ذلك :

( فاما في اعجاز القرآن وجها آخر ذهب عنه الناس ، فلا يكاد يعرفه الا الشاذ من آحادهم ، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس ، فانك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما أو منثورا ، اذا قرع السمع خلص الى القلب من اللذة والحلاوة في حال ومن الروعة والمهابة في اخرى ما يخلص من القرآن الذي تستبشر به النفوس ، وتنشرح له الصدور ، حتى اذا اخذت حظها منه عاد تعرتاه ، وقد عراها الوجيب والقلق ، وتغشاها الخوف والفرق ، تقشعر منه الجلود ، وتفزع له القلوب ، . . . . . يحول بين النفس وبين ضمراتها وعقائدها الراسخة فيها . . . ) .

ثم يقول رحمه الله : ( فكم من عدو للرسول صلى الله عليه وسلم من رجال العرب وفتاكها ، اقبلوا يريدون اغتياله وقتله ، فسمعوا آيات الله فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم ان يتحولوا عن رأيهم الأول وأن يركنوا الى مسالمته ويدخلوا في دينه ) (١) .

وبعض الكتاب يسمي هذا الوجه من الاعجاز القرآني ( الاعجاز النفسي ) وذلك لما يجدونه من فعل القرآن واثره في النفس البشرية ، والبعض سماه ( الاعجاز التأثيري ) (٢) .

أمثلة لما يصنعه القرآن في النفوس :-

والمستعرض لتاريخ الناس مع هذا القرآن العظيم يجد الامثلة الكثيرة جدا على مدى تأثيره في القلوب ، وفعله في النفوس البشرية ، واليك بعض الامثلة :-

---

( ١ ) رسالة ( بيان اعجاز القرآن ) للخطابي ضمن ثلاث رسائل في الاعجاز / ٧٠ .

( ٢ ) بينات المعجزة الخالدة / ٣٨٥ .

١ - قصة عتبه بن ربيعة : كانت مثالا واضحا على ذلك :-

روى ابن كثير في تفسيره قال : "لما قام عتبه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا من المشركين ، ليفاوض رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمره ، فعرض عليه الملك والمال والطب ، ليكف عن دعوته ويترك هذا الامر ، ظنا منه ان الداعيه الاول صلى الله عليه وسلم جاء طامعا في ملك العرب ، أو يريد مالا ، أو أن الجن استحوذت عليه ، فلما انتهى عتبة من عروضه ومغرياته تلك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : افرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم قال فاستمع مني : قال : افعل . قال : بسم الله الرحمن الرحيم ( حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ، بشيرا ونذيرا فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون )[1] .

ثم مضى رسول الله عليه الصلاة والسلام فيها وهو يقرؤها عليه ، فلما سمع عتبه انصت لها ، والقى يديه خلف ظهره معتمدا عليها يستمع منه ، حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فسجد ، ثم قال " قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فانت وذاك " .

فقام عتبه الى اصحابه فقال : بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به ، . . . الى آخر القصة[2] .

فواضح تأثير القرآن على عتبة حتى لقد عرف القوم هذا التأثر من وجهه ، ثم من موقفه الذى اعظم فيه امر القرآن ودعا قريشا الى ترك محمد صلى الله عليه وسلم ثم احتال : عتبه لصرف الناس عن القرآن فقال : ان هذا الا سحر يؤثر ، ذلك ان زعماء الشرك قد ادركوا وشعروا بان القرآن له سلطان على القلوب لا يغلب ، وأحسوا روعته وعظمته ، فكانوا يستخفون من الناس ويسترقون اليه ليلا .

---

( ١ ) سورة فصلت / ١-٤ .

( ٢ ) تفسير ابن كثير جـ٤ / ٩٠ باختصار من أولها وآخرها .

ولما رأوا آثاره في من آمن بحيث يلمسون سرعة تغير المؤمنين الجدد من تأثير آيه أو آيات معدودات أو سور قليله اذا خالطت بشاشته القلوب ، فتنقاد الى الحق نفوسهم التي كانت وكرا للخرافات والافكار الجاهليه ،ولتصبح تنافح عن الاسلام وتفدى هذا الدين واتباعه بكل ماتملك ، .

أقول لما أدرك زعماء الشرك شدة خطر القرآن على سلطانهم ونفوذهم فما انتزع منهم عبيدهم ومرؤسيهم ورجالهم ونساءهم ، حاولوا ان ابعاد الناس عنه وتنفيرهم من سماعه وطلبوا التشويش عليه وعلى قرائه كما حكى عنهم الله تعالى : ( وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون )(١) . وقد حصل ماتوقعوه فزاد المقبلون على الاسلام بتأثير القرآن ولنرى هذا المثال .

٢ - وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كان أشد الناس عداء للاسلام وأذى للمسلمين ، وكان المسلمون في مكه آخر مايتصورنه ان يؤمن هذا الغليظ القاسي القلب الذى بغضي أكثر وقته مخمورا يتردد على الحانات يعاقرها ، ولقد عبر أحد المسلمين المهاجرين الى الحبشه حين مر بهم عمر وهو بعد على شركه ،فلمست زوجة ذلك المهاجر رضي الله عنه من عمر رقة اخبرت عنها زوجها رضى الله عنهما .

فعلق على ذلك قائلا : اطمعت في اسلامه ؟ قالت: " نعم . قال : فلا يسلم الذى رأيت حتى يسلم حمار الخطاب .

فلما شاء الله تعالى لعمر الهداية هيأ له اسبابها ،فغضى متوشحا سيفه ليقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما تطهر وقرأ في بيت اخته فاطمة بنت الخطاب قوله تعالى : ( طه . ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى ،

---

( ١ ) سورة فصلت / ٢٦ .

تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى (١) . فلم يلبث ان دخل الاسلام صدره وخبت قلبه للحق ،واستجاب لنداء الايمان فعبر عن هذا الشعور قائلا ( ما أحسن هذا الكلام وأكرمه (٢) . ثم عز الاسلام به في مكه واعز الله بالاسلام وأكرمه رضي الله عنه .

٣ - وقصة اسلام زعيمي الاوس والخزرج سعد بن معاذ وأسيد بن حضير رضى الله عنهما دليل كذلك على اثر القرآن (٣) .

٤ - وهذا الجبير بن مطعم رضي الله عنه يروى أول ما وقر الاسلام فى قلبه حيث قال : ( سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور ، فلما بلغ هذه الآيه ( ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون ،ام خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون ، أم عندهم خزائن ربك ام هم المسيطرون ؟ ) (٤) . قال كاد قلبى ان يطير للاسلام (٤) .

٥ - ولما سمعته الجن لم تتمالك ان قالت " انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ... " (٥) .

٦ - ولما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فى الموسم على النفر الذين جاءوا للحج من المدينة ، آمنوا به وعادوا الى ديارهم فاظهروا الاسلام ، فلم يبق بيت من بيوت الانصار الا وفيه قرآن حتى روى عن بعضهم انه قال : " فتحت الامصار بالسيوف ،وفتحت المدينة بالقرآن (٦) .

---

( ١ ) سورة طه / ١ - ٤ .

( ٢ ) سيرة ابن هشام / جـ١ / ٣٦٤ ،وانظر الاصابه فى تمييز الصحابة لابن حجر عند ترجمة عمر أو فاطمه .

( ٣ ) انظر سيرة ابن هشام جـ١ / ٤٣٦ .

( ٤ ) سورة الطور / ٣٥-٣٧ ، والحديث رواه البخارى جـ٦ / ١٧٥ .

( ٥ ) سورة الجن / ١-٢ .

( ٦ ) الشفاء - للقاضي عياض جـ١ / ٢٧٣ ، و( بيان اعجاز القرآن ) للخطابى / ٧١ .

موقف المؤمنين من القرآن :-

وأما المؤمنون فلا تزيدهم هيبة القرآن وروعته الا انجذابا اليه ، فتهش له قلوبهم وتطمئن ، وتستبشر به وترتاح .

قال تعالى ( الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ، ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد )(١) .

ويزيد المؤمنين ايمانا ويقينا وتصديقا :-

( انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون )(٢) .

فتأثير القرآن ونفاذه يستحيل ان تتحصن دونه القلوب ، كيف ذلك وهو لو انزل على صم الجبال لصدعها وهدها من شدة هيبته وجلالة قدره وعظيم أثره .

( لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله . . . )(٣) .

وحتى من لم يعرف معانيه ولا يعلم تفسيره ، يعتريه من الخشوع والسكينة مالا يوصف :-

فهذا الفضيل بن عياض رحمه الله مسلم ، كان قاطع طريق يسلب المال ويسفك الدماء ، ذهب ذات ليلة ليتلصص على امرأة فسمع داخله قارئا يقرأ قوله تعالى :

( الم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم ، وكثير منهم فاسقون . . )(٤) .

فاهتزت نفسه ، وانتفض مارآن عليها من غبار الغفلة والضياع ، فعرف ربه وعرف نفسه ، وتاب وحسنت توبته حتى غدا من كبار الصالحين المقتدى بهم في الزهد والورع .

---

( ١ ) سورة الزمر / ٢٣ .
( ٢ ) سورة الانفال / ٢ .
( ٣ ) سورة الحشر / ٢١ .
( ٤ ) سورة الحديد / ١٥ ، وانظر قصة توبة الفضيل في كتاب ( سير أعلام النبلاء ) للذهبي جـ٨ / ٣٧٣ ، مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الاولى / ١٤٠٢هـ .

من وجوه الاعجاز الأخرى في القرآن :-

وقد عد جماعة من العلماء في اعجازه وجوها كثيره مثل :-

١ - منها أن قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الانكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى اذا أعيد ،وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويؤنس بتلاوته في الأزمات .

٢ - ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه ،وتقريبه على متحفظيه ، قال تعالى : ( ولقد يسرنا القرآن للذكر ) وسائر الأمم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجمّاء على مرور السنين عليهم ،والقرآن ميسر حفظه للعامه في أقرب مده .

٣ - ومنها مشاكلة بعض أجزائه بعضا ،وحسن ائتلاف أنواعها والتئام أقسامها وحسن التخلص من قصة الى أخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه ، وانقسام السوره الواحده الى أمر ونهي وخبر واستخبار ،ووعد ووعيد ، واثبات نبوة وتوحيد ، وتفريد وترغيب وترهيب الى غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلل فصوله ،والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته وقل رونقه وتظلمت ألفاظه (١) .

ثم من أهم وجوه اعجازه تأليف قلوب العرب واصلاح أحوالهم وتوحيد صفوفهم تحت لواء الاسلام .

وصدق الله اذ يمتن على عباده بتأليف قلوبهم على الهدى وتوحيدهم على الحق ( وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم ) (٢) .

وصدق الله اذ يقول ( ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ) (٣) .

---

( ١ ) انظر الشفا - للقاضي عياض - جـ١ / ٢٧٦ - ٢٨٠ .

( ٢ ) سورة الانفال / ٦٣ .

( ٣ ) سورة النساء / ٨٢ .

## - الفصل الرابع -

## أحوال الناس مع القرآن الكريم

## من خلال سورة الاسراء

وفيه مبحثان :-

المبحث الأول : احوال المؤمنين مع القرآن .

المبحث الثاني : أحوال الظالمين والكافرين معه .

## ـ المبحث الأول ـ

## أحوال المؤمنين مع القرآن الكريم

أولا : القرآن شفاء للمؤمنين .

ثانيا : القرآن رحمة للمؤمنين ، وهو خسارة على الكافرين .

ثالثا : موقف اهل العلم من القرآن .

أ ـ انهم يكون لسماع القرآن .

ب ـ يخرون للاذقان سجدا .

جـ ـ يزيدهم خشوعا وايمانا .

تمهيد :-

الناس مع كتاب الله عز وجل صنفان :-

صنف آمن به وصدقه ، وصنف كذب به واتخذه ظهريا .

ولهؤلاء وهؤلاء مع القرآن أحوال ومواقف . ذكر جانب منها في سورة الاسراء .

وسنبدأ في هذا المبحث ببيان أحوال المؤمنين وموقفهم من القرآن .

ثم سنتحدث في المبحث التالي عن موقف الكافرين منه .

## - المبحث الأول -

## أحوال المؤمنين مع القرآن الكريم

أولا : القرآن شفاء للمؤمنين :-

قال تعالى في سورة الاسراء :-

( وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ) ٨٢ .

يقرر الحق جل جلاله انه ينزل من هذا القرآن ما فيه الشفاء والرحمة للمؤمنين ، وأنه هلاك للظالمين والكافرين .

وقد دلت الآيه على أن القرآن يشتمل على مجموعة أمور :-

أولها : الشفاء للمؤمنين . وثانيها : الرحمة للمؤمنين .

وثالثها : الخسارة والهلاك للكافرين .

أما انه شفاء للمؤمنين :-

فقد قسم العلماء الادواء والامراض الى قسمين : ظاهرة وباطنه ،أو جسمانية وروحانية وبالتالي فان القرآن الكريم شفاء من العلل الظاهره والباطنه ،أو الجسميه والروحيه .

أما كونه شفاء من الامراض الظاهره :-

فان قراءته بصدق ويقين ، تدفع كثيرا من الامراض الجسمانيه ، ويدل على ذلك حوادث كثيره ، قرئ فيها القرآن على مرضى ، بصفاء نفس واخلاص فيشفون باذن الله .

من ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم للصحابى الذى رقى لديغا بفاتحة الكتاب فبرئ باذن الله ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم ( وما أدراك انها رقيه ) .

والقصة كما رواه الامام مسلم بسنده الى أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه : ( ان ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانوا فى سفر ، فمروا بحيّ من أحياء العرب فاستضافوهم ، فلم يضيفوهم ، فقالوا لهم ، هل فيكم راق ، فان سيد الحيّ لديغ أو مصاب فقال : رجل منهم : نعم ، فاتاه ، فرقاه بفاتحة الكتاب ، فبرئ الرجل ، فاعطي قطيعا من غنم ، فابى ان يقبلها ، وقال : حتى اذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم .

فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ، فقال : يارسول الله ، والله ما رقيت الا بفاتحة الكتاب ، فتبسم وقال : وما أدراك انها رقيه ، ثم قال : خذوا منهم واضربوا لي بسهم معكم . . .)[1] .

اما كونه شفاءه من الامراض الباطنة والروحانية :-

قال الخازن في تفسيره : فانها تنقسم الى نوعين :-

الأول : الاعتقادات الباطله .

والثاني : الاخلاق المذمومه .

---

( ١ ) انظر شرح النووى لمسلم جـ ١٤ / ١٨٧ .

أما الاعتقادات الباطله :-

فيقصد بها الاعتقادات الفاسده في الذات والصفات والنبوات ، والقضاء والقدر والبعث بعد الموت .

والقرآن كله مشتمل على دلائل الحق فى هذه الاشياء ،وابطال المذاهب الفاسده ، فلاجرم كان القرآن شفاء لما في القلوب من هذا النوع .

الثاني :-

وهي الاخلاق المذمومه ،فالقرآن مشتمل على التنفير منها ، والارشاد الى الاخلاق المحموده ، والاعمال الفاضله ، فثبت ان القرآن شفاء من جميع الامراض الباطنه والظاهره (١) .

وهو بحق شفاء يذهب مافي القلوب من أمراض الشك والنفاق ، والزيغ والميل والاهواء .

قال ابن القيم في كتاب ( الطب النبوى ) حرف (قرآن)

قال تعالى ( وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ... ) . والصحيح أن ( من ) حرف لبيان الجنس ، لا للتبعيض " يقصد في هذا المقام " وقال تعالى : ( يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور (٢) ) .

فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبيه والبدنيه ، وادواء الدنيا والآخره ، وماكل أحد يؤهل ولا يوفق للاستشفاء به ،واذا أحسن العليل التداوى به ووضعه على داءه ، بصدق وايمان وقبول تام ، واعتقاد جازم ،واستيفاء شروطه ، لم يقاومه الداء أبدا ، وكيف تقاوم الادواء كلام رب الأرض والسماء ، الذى لو أنزل على الجبال لصدعها

---

(١) تفسير الخازن -جـ٤/١٤٦ ، وتفسير الرازى جـ٢١/٣٤-٣٥ .

(٢) سورة يونس / ٥٧ .

أو على الأرض لقطعها ، فما من مرض من أمراض القلوب والابدان الا وفي القرآن سبيل للدلالة على دوائه ،وسببه والحمية منه ،لمن رزقه الله فهما في كتابه ، وقد علم ان الارواح متى قويت ،وقويت النفس والطبيعه ، تعاونا على دفع الداء وقهره )(١).

وفي كتابه اغاثة اللهفان ذكر كذلك ان القرآن علاج لادواء القلوب .

ثانيا : القرآن رحمة للمؤمنين :-

قال الطبري : ( لان المؤمنين يعطون بما فيه من فرائض الله ، ويحلون حلاله ، ويحرمون حرامه ،فيدخلهم بذلك الجنه ،وينجيهم من عذابه ، فهو لهم رحمة ونعمة من الله انعم بها عليهم )(٢).

وهو بحق رحمة للمؤمنين بما فيه من الاحكام والشرائع النافعه واللازمه لامر معاش الناس ومعادهم والتي تتجلى فيها رحمة الرحمن الرحيم .

ورحمة بما يناله قارؤه وحافظه ، ومتدبره من الثواب الجزيل الذى يكون سببا لرحمة الله ومغفرته ،ومن شملته رحمة الله فهو الفائز الناجي .

قال ابن كثير ( وهو ايضا رحمة يحصل فيها الايمان والحكمة ،وطلب الخير والرغبة فيه ، وليس هذا الا لمن آمن به وصدقه واتبعه ،فانه يكون شفاء في حقه ورحمة ، واما الكافر الظالم لنفسه بذلك فلا يزيد سماع القرآن الا بعدا وكفرا والآفة من الكافر لا من القرآن)(٣).

كما قال تعالى : ( قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ،والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر ، وهو عليهم عمى ،اولئك ينادون من مكان بعيد )(٤).

---

( ١ ) الطب النبوى ص ٢٧٢ . دار الكتب العلميه - بيروت .
( ٢ ) تفسير الطبرى جـ٥ / ١٧٨ . " " " "
( ٣ ) تفسير ابن كثير جـ٥ /
( ٤ ) سورة فصلت / ٤٤ .

وقال تعالى ( واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول : ايكم زادته هذه ايمانا ؟ فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون ، واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم ، وماتوا وهم كافرون ) (١) .

وأما كونه خسارة وهلاكا للكافرين :-

قال العلماء : لان البدن غير النقي كلما غذوته تزده شرا ، فلا يزال سماع القرآن يزيد المشركين غيظا وحنقا ، ويدعوهم ذلك الى ارتكاب الاعمال القبيحة (٢) .

( ولا يزيد الظالمين الا خسارا ) :-

لأن الظالم لا ينتفع به ، فكان رحمة للمؤمنين وخسارة للكافرين المعرضين .

وقيل لان كل آية تنزل يتجدد لهم تكذيب بها فيزدادون خسارا .

قال قتادة : لم يجالس القرآن أحد الا قام عنه بزيادة أو نقصان قضاه الذي قضى ( شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ) (٣) .

وذلك ان الظالمين جزاء بغيهم وعنادهم ، طبع الله على قلوبهم ، وهم في الدنيا محرومون من هدى القرآن فهم خاسرون ومنوعون من استرواح عبيره الصادق ، ونسيمه الذي ينعش بل يحيي النفوس والعقول والقلوب ، فتعيش في اقياء ظلاله كأنها في جنة الخلد تتنسم عبيرها وهي بعد في دنيا الناس .

والظالمون محرومون كل هذا الخير ، وهم مع ذلك في غيظ وقهر من استعلاء المؤمنين ، وهم في عنادهم وكبريائهم يشتطون في الظلم والعناد وهم في الدنيا

---

( ١ ) سورة التوبه ١٢٤ ، ١٢٥ .

( ٢ ) تفسير النيسابوري جـ ١٥ / ٧٩ .

( ٣ ) تفسير الخازن جـ ٤ / ١٤٧ .

مغلوبون من أهل القرآن فهم خاسرون وفي الآخرة لهم سوء المصير ، فيخسرون أيضا ،ولذا فخسارتهم فادحة في الدارين .

وأخيرا فلنترك التعبير لصاحب الظلال يوضح حالة المؤمنين مع القرآن في لوحه فنيه بديعه : ( وفي القرآن شفاء ، وفي القرآن رحمة ،لمن خالطت قلوبهم بشاشة الايمان ، فاشرقت وتفتحت لتلقي مافي القرآن من روح ،وطمأنينه وامان .

وفي القرآن شفاء من الوسوسه ،والقلق والحيره ،فهل يصل القلب به ، فيسكن ويطمئن ويستشعر الحمايه والامن ،ويرضى فيستروح الرضى من الله ،والرضى عن الحياه والقلق مرض ، والحيرة نصب والوسوسة دمار ومن ثم هو رحمة للمؤمنين .

وفي القرآن شفاء من الهوى والدنس والطمع والحسد ونزغات الشيطان ،وهي من آفات القلب تصيبه بالمرض والضعف والتعب ، وتدفع به الى التحطم والبلى والانهيار ،ومن ثم هو رحمة للمؤمنين .

وفي القرآن شفاء من الاتجاهات المختله في الشعور والتفكير ،فهو يعصم العقل من الشطط ويطلق له الحريه في مجالاته المثمره ،ويكفه عن انفاق طاقاته فيمالا يجدى ويأخذه بمنهج سليم مضبوط ،يجعل نشاطه منتجا ومأمونا ،ويعصمه من الشطط والزلل وكذلك هو في عالم الجسد ينفق طاقاته في اعتدال بلا كبت ولا شطط ،فيحفظه سليما معافى ويدخر طاقاته للانتاج المثمر ومن ثم هو رحمة للمؤمنين .

وفي القرآن شفاء من العلل الاجتماعية التي تخلخل بناء الجماعات ،وتذهب بسلامتها وامنها وطمأنينتها ،فتعيش الجماعه في ظل نظامه الاجتماعي ، وعدالته الشامله في سلامة وأمن وطمأنينه ومن ثم هو رحمة للمؤمنين ...(١) .

---

(١) في ظلال القرآن جـ٤ / ٢٢٤٨ .

موقف أهل العلم وحالهم مع القرآن :-

قال تعالى ( قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ،ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا . ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا ) الآيات( ١٠٨-١٠٩ ) من الاسراء.

هدد الله تعالى قريشا على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله آمنوا به أو لا تؤمنوا . أى قل يامحمد لهؤلاء الضالين القائلين لك ( لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ) آمنوا بهذا القرآن الذى لو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله فلن يقدروا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ومعينا ، أو لا تؤمنوا ،فان ايمانكم به لا يزيده كمالا وعدم ايمانكم به لا ينقصه شيئا .

فهو أمر من الله تعالى لرسوله ان يجبههم بالحق ،ويدع لهم ان يختاروا طريقهم ان شاءوا آمنوا وان شاءوا لم يؤمنوا ، وعليهم تبعة ما يختارون لانفسهم .

ويضع الله عز وجل امام انظارهم نموذجا من تلقي الذين اوتوا العلم من قبله من اليهود والنصارى المؤمنين بهذا القرآن . أى ان لم تؤمنوا فقد آمن من هو خير منكم ،وهم العلماء الذين قرأوا الكتب السابقة ،وعرفوا الوحي والنبوه ،وتمكنوا من التمييز بين الحق والباطل ، وقرأوا صفتك ،وصفة ما انزل عليك في تلك الكتب السابقة .

وقد حوت الآيات مجموعة من الآداب التي صدرت من أهل العلم والفضل احتراما للقرآن : وهى :-

انهم يخرون للاذقان سجدا .

انهم يخرون للاذقان يبكون .

يقول سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا . وانه يزيدهم خشوعا .

أما أنهم يخرون للأذقان ساجدين :-

فهم اذا سمعوا القرآن لا يملكون أنفسهم بل يخرون سجدا لربهم العظيم الذى أنزل هذا القرآن ،ولم يقل ( يسجدون ) بل قال : يخرون للأذقان وكرر الخرور مرتين .

قال العلماء : كرر الخرور لاختلاف السبب .

فان الأول : لتعظيم الله تعالى وتنزيهه .

والثانى : للبكاء بتأثير مواعظ القرآن ،ولمزيد خشوعهم وشدة تأثرهم (١) .

وكونهم يخرون للأذقان : فيها للعلماء آراء :-

الأول : قال الزجاج : الذقن مجمع اللحيين ،وكلما يبتدىء الانسان بالخرور الى السجود فأقرب الأشياء من الجبهه الى الأرض الذقن .

الثانى : ان الأذقان كنايه عن اللحى ، والانسان اذا بالغ عند السجود في الخشوع والخضوع ربما مسح لحيته على التراب ،فان اللحية يبالغ في تنظيفها ، فاذا عفرها الانسان بالتراب فقد أتى بغاية التعظيم (٢) .

أما أن يزيدهم خشوعا :-

فان سماع القرآن يلين القلوب ،ويرطب العيون ،ويزيد الايمان واليقين بعظمة منزله وقدرته ، فيعرفون أقدارهم فيخشعون لله الواحد .

أما / أنهم يسبحون الله : ويقولون سبحان ربنا انه كان وعد ربنا لمفعولا :-

فهم ينزهون الله ويعظمونه ويوقرونه سبحانه على قدرته التامه ،وأنه لا يخلف الميعاد ، وتنطلق ألسنتهم بما خالج قلوبهم من احساس بعظمة ربهم ،وصدق وعده

---

( ١ ) الضياء في تفسير الاسراء ٣٢٣ .
( ٢ ) تفسير الرازى جـ٢١ / ٦٩ .

الذى وعد به في الكتب المنزله ،بأن يرسل رسولا وينزل عليه كتابا ، فقد تم الوفاء بهذا الوعد الصادق .

أما البكاء : فان القرآن يهز نفوسهم فيوطب عيونهم ،وتفيض صدقا وخضوعا لله تباركت أسماؤه ،وتصديقا برسوله وكتابه .

قال في الظلال : "انه مشهد مصور لحالة شعورية غامره ،يرسم تأثير هذا القرآن في القلوب المتفتحه لاستقلال فيضه ، العارفة بطبيعته وقيمته بسبب ما أوتيت من العلم قبله"(٢).

وقال القاسمي : " دلت نعوت هؤلاء ومدحهم بخرورهم باكين على استحباب البكاء والتخشع ،فان كل ما حمد فيه من النعوت والصفات التي وصف الله تعالى بها من أحبه من عباده يلزم الاتصاف بها ، كما أن ماذم منها فمن مقته منهم يجب اجتنابه"(٣).

وفي هذا اشارة الى أن هذا القرآن لا يقدره قدره ،ولا يعرف فضله الا من انتفع بعظيم واحسن الاستماع اليه ، وان اصحاب العقول والنهى وأهل العلم والمعرفه ، هم أقرب الناس الى هذا القرآن وأكثرهم معرفة به ، وأصدقهم نظرا اليه وعرفانا بفضله ، وصدق الله تعالى اذ يقول : ( انما يخشى الله من عباده العلماء )(٤).

وهناك اشارة اخرى هي تسفيه اهل مكه لاعراضهم عن القرآن الذى جاءهم فردوه ومن ناحية أخرى هو تحريض لهم على المبادرة الى هذا الخير فيأخذونه قبل أن يسبقهم أهل الكتاب اليه .

---

( ١ ) في ظلال القرآن جـ٤ / ٢٢٥٤ .
( ٢ ) في ظلال القرآن جـ٤ / ٢٢٥٤ .
( ٣ ) تفسير القاسمي جـ ١٠ / ٤٠١٠ .
( ٤ ) سورة فاطر / ٢٨ .

استحباب البكاء عند سماع القرآن وتلاوته :-

وقد جاء في مدح البكاء من خشية الله تعالى أحاديث كثيرة منها :-

١ - روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "عينان لا تمسهما النار ، عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله"(١).

٢ - وأخرج مسلم والترمذي والنسائي عن ابي هريرة قال : قال صلى الله عليه وسلم "لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ، ولا يجتمع على عبد غبار في سبيل الله ، ودخان جهنم"(٢).

٣ - واخرج ابن جرير وابن المنذر وغيرهم ، عن عبد الأعلى التميمي انه قال : "ان من أوتي من العلم ما لم يبكه لخليق ان قد أوتي من العلم مالا ينفعه ، لان الله تعالى نعت اهل العلم ، فقال " ويخرون للاذقان يبكون"(٣).

بكاء الرسول صلى الله عليه وسلم عند سماع القرآن وقراءته :-

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم "اقرأ علي سورة النساء : قلت أوليس عليك انزل ؟ قال : بلى ، ولكن أحب أن أسمعه من غيري ، فقرأت عليه حتى بلغت ( فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ) فغمزني رسول الله بيده فنظرت فاذا عيناه تهملان ، ( وفي رواية أخرى تدمعان )"(٤).

---

( ١ ) رواه الترمذي جـ٣/ ٩٦ ، باب فضائل الجهاد .
( ٢ ) رواه الترمذي جـ٣/ ٩٣ وقال حسن صحيح وأحمد جـ٢ / ٢٥٦ .
( ٣ ) تفسير الطبري جـ١٥/ ١٨٢ .
( ٤ ) رواه البخاري جـ٨/ ٢٥٠ ، ومسلم جـ٢ / ١٩٥ ، وأحمد ١/ ٣٨٠ .

وفي قوله تعالى ( يبكون ) قال القرطبي :-

( في هذا دليل على جواز البكاء في الصلاة من خوف الله تعالى ، أو على معصية في دين الله ، وان ذلك لا يقطعها ، ولا يضرها .

ذكر ابن المبارك عن حماد ، عن ثابت البناني عن مطرف عن ابن الشخير عن أبيه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيز كازيز الرجل من البكاء ، وفي كتاب أبي داود ، وفي صدره ازيز كازيز الرحى من البكاء )[1] .

وذكر الغزالي في الاحياء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :( " اذا قرأتم سجدة سبحان ، فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا ، فان لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه ) وانما طريق تكلف البكاء ، ان يحضر قلبه الحزن ، فمن الحزن ينشأ البكاء .

ووجه احضار الحزن أن يتأمل مافيه من التهديد والوعيد ، والعواثيق والعهود ، ثم يتأمل تقصيره في أوامره وزواجره ، فيحزنه لا محالة ويبكي .

فان لم يحضره حزن وبكاء ، كما يحضر ارباب القلوب الصافية ، فليبك على فقد الحزن والبكاء فان ذلك أعظم المصائب "[2] .

---

( ١ ) تفسير القرطبي جـ ١/ ٣٤٢ .

( ٢ ) احياء علوم الدين - للغزالي - ١/ ٢٧٧ .

## ـ المبحث الثاني ـ

## أحوال غير المؤمنين مع القرآن

١ ـ يزدادون نفورا واعراضا وكفرا .

٢ ـ جعل الله بينهم وبين القرآن حجابا مستورا .

٣ ـ ينفرون من كلمة التوحيد .

٤ ـ يتسمعون للقرآن سرا .

٥ ـ يهزأون بالقرآن ويطلقون التهم على الحق وأهله .

### أولا : يزدادون كفرا واعراضا ونفورا :ـ

قال تعالى : ( ولقد صرفنا في هذا القرآن من كل مثل فابى أكثر الناس الا كفورا ) الآية ٨٩ .

قال ابن كثير : " اى بينا لهم الحجج والبراهين القاطعه ،ووضحنا لهم الحق وشرحناه وبسطناه ومع هذا ( فابى أكثر الناس الا كفورا ) اى جحودا للحق وردا للصواب "(١) .

والتصريف في الأصل : صرف الشيء من جهة الى جهة .

وصرّفنا معنـــــاه : بينا وكررنا ، والتشديد فيه للتكثير والتكرير .

أى ولقد بينا وكررنا ضروب القول في القرآن من الامثال والعبر والحكم والحجج والمواعظ ،والقصص والاخبار والاوامر والنواهي وغيرها .

والهدف من ذلك البيان هو أن يتعظوا ، ويعتبروا ،ويتدبروا بعقولهـــم ، ويتفكروا فيه حتى يقفوا على بطلان ما يقولون .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٥ / ١١٥ .

ومع هذا التصريف والتبيين فما يزيدهم الا تباعدا عن الحق حيث لم يتفكروا بعقولهم ،ولم ينظروا النظر الصحيح الموصل الى الحق ، فبقوا على اعتقادهم الفاسد أن القرآن سحر وكهانه وشعر واساطير الاولين ،ولم يتحولوا عن زعمهم الباطل ان لله شريكا وبنات ،فازدادوا عن الحق بعدا .

وكان الثوري اذا قرأ هذه الآيه قال : ( زادني الله لك خضوعا ما زاد أعدائك نفورا )[1] .

وقوله تعالى في سورة الاسراء : ( ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا )[2] .

كذلك يبين الحق جل جلاله انه مع البيان والتصريف والتذكير ، ترى الظالمين والكافرين يزدادون نفورا كلما سمعوا هذا القرآن .

نفورا من العقيدة التي جاء بها ، ونفورا من القرآن ذاته خيفة ان يغلبهم على عقائدهم الباطله والفاسده التي يتمسكون بها .

ثانيا : جعل الله بين الكافرين وبين القرآن حجابا مستورا :-

قال تعالى ( واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا ) - ٤٥ - .

الحجاب والحجب : المنع من الوصول الى الشيء والمراد الحاجب .

المستور : اى الساتر كما جاء ( ماء دافق ) اى مدفون .

---

( ١ ) انظر تفسير النيسابوري جـ ١٥/ ٤١ والضياء في تفسير الاسراء ١٦٢ .

( ٢ ) سورة الاسراء / ٤١ .

معنى الآيه :-

تعددت أقوال المفسرين في معنى الآية لاختلافهم في معنى الحجاب المستور .

قال القرطبي في معناها ثلاثة أقوال :-

الأول :-

أن المعنى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين منكرى البعث واليوم الآخر حجابا يحجب قلوبهم عن فهم القرآن والانتفاع به ، لانهم يعرضون عن قراءة الرسول ، ويتغافلون عن سماع القرآن مما يحول بينهم وبين ان يصل اليهم شيء مما يقرأ فكأن بينك وبينهم حجاب ساتر .

فقد تواصوا بذلك كما قال تعالى ( وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ... )(١) .

وقال مجاهد : ( والغوا فيه ) يعني بالمكاء والتصفير والتغليط في المنطق على رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ القرآن .

فقد روى انه عليه الصلاة والسلام ، كان اذا قرأ القرآن قام عن يمينه رجلان وعن يساره رجلان آخران من ولد قصي : يصفقون ويخلطون عليه بالاشعار .

الثاني :-

ان الحجاب المستور الذي يكون بين الرسول وبين منكرى البعث والجزاء عند قراءة القرآن هو الجهل ، وعمى القلب ، فانه يحجب قلوبهم ان يفهموا ما يقرأ عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبالتالي لا ينتفعون به ، عقوبة من الله على كفرهم .

الثالث :-

من المفسرين من ذهب الى أن معنى الآيه ( واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين ) اى جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخره كابي جهل وأم جميل

---

( ١ ) سورة فصلت / ٢٩ .

زوجة أبي لهب ، وغيرهم حجابا ساترا لك عنهم فلا يرونك .(١)

ورجح القول الاخير ابن جرير الطبري .(٢)

وقال ابن كثير ( حجابا مستورا ) بمعنى ساتر ، وقيل : مستورا عن الابصار فلا تراه ، وهو مع ذلك حجاب بينهم وبين الهدى ،واخرج أبو يعلى الموصلي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت :

"لما نزلت ( تبت يدا أبي لهب وتب ) ، جاءت العوراء أم جميل ولها ولوله ، وفي يدها فهر ( حجر ) وهي تقول ( مذمما ) ابينا ودينه قلينا وأمره عصينا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وأبوبكر الى جنبه ، فقال أبوبكر رضي الله عنه ، لقد أقبلت هذه واني أخاف ان تراك ، فقال صلى الله عليه وسلم انها لن تراني وقرأ قرآنا اعتصم به منها وقرأ ( واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا ) قال فجاءت حتى قامت على أبي بكر ،فلم تر النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا أبا بكر : بلغني ان صاحبك قد هجاني ، فقال ابوبكر : لا ورب هذا البيت ما هجاك ،قال : فانصرفت وهي تقول لقد علمت قريش اني بنت سيدها ) .(٣)

هذه الآيات يستتر بها من العدو :-

قال اهل العلم : كان النبي صلى الله عليه وسلم يستتر من المشركين بآيات :-

الأولى : التي في الكهف ( انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا ... ) .(٤)

الثانيه : التي في سورة النحل (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم )(٥)

( ١ ) تفسير القرطبي جـ ١٠ / ٢٧٠ .
( ٢ ) تفسير الطبري جـ ١٥ / ٩٣ .
( ٣ ) تفسير ابن كثير جـ ٥ / ٧٩ ،ومجمع الزوائد للهيثمي جـ ٧ / ١٤٤ .
( ٤ ) سورة الكهف / ٥٧ .
( ٥ ) سورة النحل / ١٠٨ .

الثالثه : التي في الجاثيه ( افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوه..) (١) .

والرابعه : اول سورة ( يس ) ( الى قوله ... وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون ) (٢) .

والخامسه : هذه الآية في سورة الاسراء ( واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخره ... ) .

قال القرطبي : ( ولقد اتفق لي ببلاد الاندلس مثل هذا وذكر انه هرب من العدو فاتبعوه حتى اقتربوا منه جلس في فناء من الأرض لا يستره منهم شيء وهو يقرأ أول سورة ( يس ) وغير ذلك من القرآن ، فاعمى الله ابصارهم عنه ولم يروه (٣) .

ثالثا : الكافرون ينفرون من ذكر كلمة التوحيد :-

قال تعالى ( وجعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا ،واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا ) الاسراء ( ٤٦ ) .

أن يفقهوه : لئلا يفهموه ويفقهوه .

أكنّـــه : اغطيه واحدها كنان ، وهو الغطاء الذي يكن فيه الشيء .

والكـــن : ما يحفظ فيه الشيء جمع اكنان ، ويقال كننت الشيء كنّا جعلته في كن .

الوقـــر : الصمم والثقل ، في الآذان المانع من السماع .

والمعنى : أننا جعلنا بمقتضى حكمتنا في الاضلال والهدايه ،على قلوبهـــم أغطيه ، كراهة أن يفهموا القرآن على حقيقته ،وفي آذانهم صمما ، فلا يسمعونه

---

( ١ ) سورة الجاثيه / ٢٣ .
( ٢ ) سورة يس / ٩ .
( ٣ ) تفسير القرطبي جـ ١ / ٢٧٠ .

سماع انتفاع ،لانهم اسرفوا في العناد والمكابره ،وقد بين الله تعالى في مواقع اخرى سبب الحيلولة بين القلوب وبين الانتفاع به ،وانه هو كفرهم ، فجازاهم الله على كفرهم بطمس البصائر ، وازاغة القلوب والطبع والختم والاكنه المانعة من وصول الخير اليها ،كقوله تعالى : ( فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم )[١] .وقوله ( بل طبع الله عليها بكفرهم )[٢] . وقوله ( ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به أول مره )[٣] وقوله سبحانه ( في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا )[٤] وغير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى .

وفي هذه الآية الكريمه رد واضح على القدريه مجوس هذه الامه ،الذين قالوا ان الشر لا يقع بمشيئة الله ، بل بمشيئة العبد ، فاثبتوا للعبد ارادة مستقله عن ارادة الله سبحانه وتعالى علوا كبيرا عن ان يقع في ملكه شيء ليس بمشيئته .

قال تعالى ( ولو شاء الله ما اشركوا ) وقال ( ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها) وقال سبحانه (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ) الى غير ذلك من الآيات[٥] التي تثبت ان الله تعالى شاء لهم الضلال والكفر اي ان ذلك قد تعلق بمشيئته العامه وهي الارادة الكونية القدريه ، دون الارادة الامرية الدينيه ،فالله تعالى لا يحب لعباده الضلال ولا يأمرهم بالفحشاء ،ولا يرضى لعباده الكفر ،لكنه سبحانه وتعالى علم في الازل انهم غير مؤمنين ولو جئتهم بكل آيه ،فانهم سيطغون فعدهم الله في طغيانهم يعمهون ،وما ظلمهم الله ولكن انفسهم كانوا يظلمون .

وقوله تعالى : ( واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا ) . يبين الله عز وجل ان نبيه صلى الله عليه وسلم اذا ذكر ربه وحده في القرآن بان قال :

---

( ١ ) سورة الصف / ٥ .
( ٢ ) سورة النساء / ١٥٥ .
( ٣ ) سورة الانعام / ١١٠ .
( ٤ ) سورة البقره / ١٠ .
( ٥ ) انظر أضواء البيان ـ للشنقيطي ـ جـ٣ / ٤٣٥ .

(لا اله الا الله ) ولى الكافرون على ادبارهم منزعجين ، وبغضا لكلمة التوحيد ، وبغضا من للعقيدة التي تحويها ، ومحبة في الاشراك والوهم والترهات التي يتمسكون بها .

قال ابن كثير : ( اى اذا وحدت الله في تلاوتك فقط ( لا اله الا الله ) ادبروا راجعين . ونفورا :- جمع نافر كقعود من قاعد . وقيل مصدر نفر ينفر .

كما قال تعالى ( واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة )(١)

قال قتاده : ( ان المسلمين لما قالوا لا اله الا الله انكر ذلك المشركون ، وكبرت عليهم ، فضاقها ابليس وجنوده ، فابى الله الا أن يمضيها ويعليها وينصرها ، ويظجها على من ناوأها ، انها كلمة من خاصم بها فلج ومن قاتل بها نصر )(٢) .

رابعا : المشركون يتسمعون للقرآن سرا :-

قال تعالى : ( نحن أعلم بما يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا ) الآيه ٤٧ من الاسراء .

مسحورا : من السحر على الراجح .

وقيل السَّحر وهو الرئه . كما قال الشاعر :-

( ونسحر بالطعام وبالشراب ) أى نغذى . والمعنى رجل يأكل(٣) .

وقال أبو عبيده :- معناه أن له سَحْرا اى رئه فهو لا يستغنى عن الطعام والشراب ، فهو مثلكم ، وليس بملك .

وتقول العرب للجبان انتفخ سَحْره ولكل من أكل أو شرب من آدمي وغيره مسحور(٤) .

---

( ١ ) سورة الزمر / ٤٥ .
( ٢ ) تفسير ابن كثير جـ٥ / ٨٠ ، والطبرى جـ١٥ / ٦٧ .
( ٣ ) الطبرى جـ١٥ / ٩٩ ، وابن كثير جـ٥ / ٨٠ .
( ٤ ) البحر المحيط لأبي حيان جـ٦ / ٤٤ مطابع النصر الحديثه - الرياض .

يخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بما يتناجى به كفار قريش حين جاءوا يستمعون قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم سرا من قومهم بما قالوا أنه مسحور ، يأتيه رئي من الجن بالقرآن الذى يقرأ عليه .

سبب النزول :-

روى ابن اسحق عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى أنه حدث :-

(أن أبا سفيان بن حرب ، وأبا جهل بن هشام ، والأخنس بن شريق خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي بالليل في بيته ، فأخذ كل واحد منهم مجلسا يستمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا ، حتى اذا جمعتهم الطريق تلاوموا ، فقال بعضهم لبعض ، لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لا وقعتم في نفسه شيئا ، ثم انصرفوا ، حتى اذا كانت الليلة الثانية ، عاد كل رجل منهم الى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى اذا طلع الفجر تفرقوا ، وجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قاله أول مرة ثم انصرفوا .

حتى اذا كانت الثالثة ، أخذ كل رجل مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى اذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعتهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض ، لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود ، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا .

فلما أصبح الأخنس بن شريف أخذ عصاه ثم خرج حتى أتا أبا سفيان بن حرب في بيته فقال : أخبرني يا أبا حنظله عن رأيك فيما سمعت من محمد ، فقال : يا أبا ثعلبه والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها .

فقال الاخنس : وأنا والذى حلفت به . قال ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته ، فقال : يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ . قال : ماذا سمعت ؟ قال تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، اطعموا فاطعمنا ، وحملوا فحملنا ، واعطوا فاعطينا ، حتى اذا تجاثينا على الركب ، وكنا كفرسي رهان ، قالوا منا نبى يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك هذه ، والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه . قال : فقام عنه الاخنس وتركه (١) .

( وهكذا كان القوم تتأثر بالقرآن قلوبهم ، فيصدونها ، وتجاذبهم اليه نفوسهم فيما بينهم وهكذا كانوا يتناجون بما أصاب قلوبهم من تأثير القرآن ، ثم يأتمرون على عدم الاستماع اليه ، ويتواصون على ذلك ، ثم يغلبهم التأثر به ، فيعودون ، ثم يتناجون من جديد حتى يتعاهدوا على عدم العوده ، ليحجزوا انفسهم عن هذا القرآن المؤثر الجذاب الذى يخلب القلوب والالباب.

ذلك ان عقيدة التوحيد التي يدور عليها هذا القرآن ، كانت تهددهم في مكانتهم وفي امتيازاتهم وفي كبريائهم ، فينفرون منها .

ولقد كانت الفطرة تدفعهم الى التسمع والتأثر والكبرياء تدفعهم عن التسليم والاذعان ، فيطلقون التهم على الرسول صلى الله عليه وسلم ، يعتذرون بها عن المكابرة والعناد (٢).

الاستهزاء بالقرآن واطلاق التهم على الحق وأهله :-

قال بعض المفسرين : ان المشركين كانوا يهزأون بالنبى صلى الله عليه وسلم عند استماعهم للقرآن ، فنزل تهديدا لهم وتسلية له صلى الله عليه وسلم قائلا سبحانه : نحن

---

( ١ ) تفسير ابن كثير جـ٥ / ٨١ ، وسيرة ابن هشام جـ١ / ٣١٥ ، ٣١٦ .

( ٢ ) في ظلال القرآن جـ٤ / ٢٢٣١ .

أعلم بالحال التي يستمعون القرآن بها ، وهي الهزء والاستخفاف . فالمشركون حين يستمعون الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهم يستمعون اليه هازئين لا جادين ، ونحن أعلم بما يتناجون به ويتشاورون فيما بينهم من التكذيب والاستهزاء ، وقول بعضهم أنه ساحر ، وقول آخرين ما تتبعون الا رجلا مسحورا فقد اختلط عليه عقله وزال عن حد الاستواء .

ولما مثلوه بالشاعر والساحر والمجنون ، قال تعالى ( انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ) ٤٧ . أى تأمل وانظر أيها الرسول كيف مثلوا لك الامثال ، وشبهوا لك الاشباه ، فقالوا عنك تارة انك مجنون ، وتارة انك ساحر ، وتارة شاعر ، فضلوا عن طريق الصواب في جميع ذلك ، فلم يستطيعوا طريقا الى الهدى أو الحق أو حتى الظن الذى تقبله العقول السليمة وتصدقه ، لا أصل الظن ، فقد فعلوا ما قدروا عليه ، وقيل لا يستطيعون مخرجا لمناقضة كلامهم بعضه لبعض.(١)

وهكذا يفعل اهل الباطل وجنود الشيطان في كل زمان ومكان مع الحق وأهل الحق ودعاته يكيلون لهم التهم ويطلقون الاوصاف التي تنفر العوام عنهم ، كل ذلك خوفا على امتيازاتهم التي سرقوها في غفلة من الامة ، وعلى حين غرة من الزمان ، وهي صفة اتفق وان حصلت في كل أمة مع رسولها ، حتى وكأنهم تواصوا على خطة واحدة وتآمروا على الحق لاطفاء نوره كما قال تعالى (كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون اتواصوا به بل هم قوم طاغون )(٢) ولكن الله غالب على أمره وناصر دينه ومؤيد دعاته .

اسباب الاعراض عن القرآن والكفر به :-

رأينا في أول البحث كيف ان الفحول من بلغاء العرب قد اسلموا واخلصوا الايمان ، وانه لما ثبت لهم اعجازه تركوا معارضته على الرغم من عنف التحدى واستمراره .

---

(١) الضياء في تفسير سورة الاسراء / ١٧٦ .

لكن من اصر منهم على الكفر بعد أن اتضحت له دلائل الايمان ، واعجاز القرآن فان الكفر والاعراض في هذه الحال ، له اسباب أخرى خارجة عن قيام ادلة الاعجاز ، بل تقوم على الكبر والعناد واتباع الهوى أو الجهل والتعصب الاعمى للآباء والاجداد .

قال الباقلاني في ( اعجاز القرآن ) :-

(ان القوم لم يذهبوا عن الاعجاز ، ولكن اختلفت احوالهم فكانوا بين جاهل ، وجاحد ، وبين كافر نعمه وحاسد ، وبين ذاهب عن طريق الاستدلال بالمعجزات ، وحائر عن النظر في الدلالات ، وناقص في باب البحث ، ومختل الآلة في وجه الفحص ، ومستهين بامر الاديان ، وغاو تحت حبالة الشيطان ، ومقذوف بخذلان الرحمن ، وأسباب الخذلان والجهالة كثيرة ، ودرجات الحرمان مختلفة ) .

ثم يذكر أمثلة على من صدق في ايمانه واستجاب للحق من الفصحاء والشعراء فقال : ( هلا جعلت بازاء الكفرة مثل "لبيد بن ربيع العامري" في حسن اسلامه ، وكعب بن زهير ، في صدق ايمانه ، وحسان بن ثابت ، وغيرهم من الشعراء والخطباء الذين أسلموا ، على ان الصدر الاول ما فيهم الا نجم زاهر ، أو بحر زاخر ، وقد بينا ان لا اعتصام الا بهداية الله ، ولا توفيق الا بعصمة الله ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء )[1] .

---

( ١ ) اعجاز القرآن للباقلاني ٣٠٤-٣٠٥ ، والآية ( ٤ ) من سورة الجمعة .

# خَاتِمَةُ البَحْثِ

## - نتائج البحث -

لقد خرجت من دراستي للعقيدة في سورة الاسراء بمجموعة من النتائج جديرة بالتسجيل ، ويمكن تلخيصها فيما يلي :-

أولا :-

اهتمت السورة اهتماما واضحا بتوحيد الله عز وجل في ربوبيته وألوهيته ، وبينت بعضا من مظاهر هذه الربوبية في الكون ،وفي حياة الناس .

ودلت على تفرد الله تبارك وتعالى في خلقه وملكه بلا شريك ،وردت على معتقدات الجاهليين في نسبتهم الشريك والنظير والولد لله سبحانه وردت على منكرى البعث واليوم الآخر ،وقررت التوحيد بالأدلة العقلية ،والكونية ، وبتقرير نعم الله وفضائله على البشر .

ولقد جاءت أدلة التوحيد في السورة ،وأساليب الدعوة الى اخلاص العبادة لله ونبذ عبادة ماسواه ،جاءت سهله وفي غاية من الوضوح واليسر بحيث يفهما المسلم غير المتبحر في علوم أصول الدين أو المتعمق في علم الكلام والفلسفة .

فهو لا يحتاج الى فلسفة معقدة غريبة عن طبيعة هذا الدين الميسر الواضح ، ولا يحتاج الى فكر جدلي جاف بعيد عن طبيعة عقيدتنا الواضحة السمحه .

ان أدلة القرآن في اثبات الربوبيه ،ورد شبهات المعاندين والزام الناس وتقريرهم بضعفهم وافتقارهم الى خالقهم ووجوب افراده بالتوجه والعبادة ،تناسب جميع فئات الناس ، وهي ملائمة للفطره ،وهي طريقة عليه لا تكتفي بمجرد النظريات

والتقريرات ،وهي ترد على كل المخالفين مهما كان تفاوتهم في المستوى الفكرى أو العلمي .

فطريقة القرآن في عرض التوحيد وقضاياه ومسائله لهي كالغذاء الطيب والماء الزلال الذين ينتفع بهما كل الناس ، واما طريقة المتكلمين والفلاسفة فهي كالدواء الضار الذى قد ينتفع به آحاد الناس لكن يتضرر به الاكثرون .

ذلك واضح في السورة أشد الوضوح وأسفره ،وان في ذلك اثباتا وتدعيما للفكرةالتي تدعو الى أخذ العقيدة من الكتاب والسنة مباشرة ، وتربية النفـــوس والعقول والقلوب على هداها ،فان فيها الهدى والنور ،والله عز وجل قد أنـــزل هذا القرآن يهدى للطريقـة التي هي أقوم ،فأقوم الطرق وأصدقها وأقصرها هـي الوصول الى النفس الانسانيه مباشرة ،بما عرض الله تعالى في القرآن من الادلـة القريبـة السهلة الفهم والهضم ثم التمثل .

فالله تعالى الذى خلق البشر وربأهم بنعمه وفضائله هو وحده العليم الخبير بما يصلح لهم من مناهج الهداية أو أساليب التربية والاصلاح وصدق الله اذ يقول ( الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ) سورة الملك/ ١٤ .

وبذا نستطيع أن نلخص أهداف السورة الاولى ومقاصدها الاساسيه ،بأن هدفها هو ترسيخ العقيده وتعميق الايمان وأركانه في النفس البشريه وفي المجتمع الاسلامـــ حيث نزلت السورة في فترة حرجه وحساسـه في عمر البعثة النبويـة وهي أواخر العهد المكي حيث كان الله تعالى يعد الفئة المؤمنـة لمرحلة الهجرة وما فيها من جهاد شاق ومرير ، وقد جاءت المواضيع الاخرى من قصص وأمثال وأدلة وبراهين لتدعيم الهدف العام وتثبيته في القلوب .

لقد دارت السورة حول محور واحد هو بيان ما يجوز في حق الله تعالى وما لا يجوز أن يوصف به الله تعالى ، ثم الناس بعد ذلك اما مهتدون لهدى الله فهم الموحدون ، واما اعداء للتوحيد والموحدين ، ولكل من الصنفين عاقبة تناسبه وتليق به اما جنة واما نار .

ثانيا :-

ظهرت شخصية الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وابرز الله تعالى مكانته وفضله في ثنايا السورة وذلك في ما يلي :-

١ - بتسليته بحادث الاسراء والمعراج ، فبعد أن ضاقت نفسه صلى الله عليه وسلم بصدود قومه وعنادهم واساءتهم اليه والى دعوته واتباعه ، جاءت رحلة الاسراء والمعراج اكرام من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم واحتفاء من الملائكة والانبياء عليهم السلام بمقدمه الكريم واشعره ربه تعالى انه ان تخلى عنه أهل الأرض فان أهل السماء من أشرف خلقه واكرمهم كلهم معه وكلهم يحتفي به ، مما شرح صدر الرسول صلى الله عليه وسلم وازال عن نفسه الضيق ، وفي ذلك اشارة كذلك الى ان ساعة النصر والفرج تأتي بعد اشتداد المحنة والعسر لكن بالالتجاء الى الله تعالى ليأتي منه الفرج واليسر .

٢ - تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم بما ذكر له من حال أهل العلم من أهل الكتاب والذي اذا سمعوا القرآن يعرفون فضله ويقدرونه قدره ، وينزهون ربهم حق التنزيه ، وهذا تسرية له عن عناد قومه السفهاء غلاظ الاكباد وان الذي يعرف الفضل اهل الفضل وأولوا العلم والنهي .

٣ - ظهر الاهتمام والاحتفاء برسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال الخطاب المباشر له بلفظ ( قل ) في الخطاب الموجه اليه مثل ( قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا ) وقل جاء الحق وزهق الباطل ، وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق ، قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق . . . ، قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ، قل لو كان معه آلهة كما يقولون . . ) وغيرها مما ورد في السورة ، فكان لهذا الاحتفاء به صلى الله عليه وسلم أكبر الاثر في التسرية عنه وتثبيت فؤاده صلى الله عليه وسلم بما توحي به هذه الجملة من قرب المخاطب من المتكلم عز وجل وانه ليس ببعيدا عنه .

٤ - تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم لما طلب قومه الخوارق ، فضرب الله له مثل موسى عليه السلام حيث أتاه الله تعالى آيات وخوارق مساوية لما طلبه أهل مكه ، ولكنها لم تنفعهم ولم يؤمنوا بسببها بل كذب بها فرعون وقومه فاهلكهم الله ثم أمره الله تعالى أن يسأل ذرية بني اسرائيل عن ذلك الحادث ليصدقوه ويثبتوه .

وكذلك ذكره بما طلبه قوم صالح عليه السلام من الآية الخارقة وهي الناقة العظيمة العجيبة ومع ذلك لم يؤمنوا بل قتلوها فاهلكم الله ، فان المعجزات لا تنشيء الايمان في القلوب الجاحدة .

٥ - برز في السورة مقام الرسول ( صلى الله عليه وسلم السامي ، وشرفه العالي حيث وصفه الله تعالى بالعبودية ( سبحان الذي أسرى بعبده ) وجاء هذا الوصف بالعبودية لما خرق الله تعالى له المألوف وارقاه الى درجة لم يبلغها ملك مقربولا نبي مرسل ومع ذلك الزمه صفة العبودية ، واضعا في ذلك التصور

الوسط والسليم لأنبياء الله تعالى ، وواضعا الضوابط حتى لا يغلوا الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم فيرفعونه عن مستوى البشر كما غلت النصارى في عيسى عليه السلام ، ولهذا أمره تعالى أن يعلن للناس أنه بشر وأنه لا يعلم الغيب ولا يملك الخوارق الا باذن ربه سبحانه ( قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا ) فنظرة أهل الحق الى الانبياء الكرام هي نظرة وسط فلا تغلو فيهم وترفعهم فوق المستوى الذي جعلهم الله تعالى فيه ) ولا تحط من أقدارهم أو تنزلهم عن المستوى العظيم الذي اصطفاهم الله له وأكرمهم به كما فعلت اليهود بأنبيائهم عليهم السلام .

ثانيا :-

أوحى الله تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم وأمته طريق بلوغ الاهداف العالية ، والوصول الى المقامات المحمودة بأمور :-

١ - بأمره بالتهجد وقيام الليل تضرعا وتذللا للخالق الواحد ، وأداء الصلوات في أوقاتها المحددة وبالذات صلاة الفجر ( ان قرآن الفجر كان مشهودا ) ، وأشار الى أن الالتزام بالعبادات العظيمة ، والتضوع اليه سبحانه بالنوافل هو الطريق الى رضوان الله وهو الوسيلة لزيادة الايمان وللتغلب على تيار المادية الجارف .

٢ - علم الله تعالى ان استعداد السلطان انما هو من ملك الملوك سبحانه ، وان النصير والمعين الوحيد هو الله وحده لا شريك له ، وعلم تعالى هو والمؤمنين الداعين اليه من بعده ان يثقوا بالحق ، وان يجهروا بكلمة الحق وان لا يحفلوا بالباطل مهما انتفخ ، ولا بسلطانه مهما علا ، فان الحق ثابت منتصر ، وان الباطل زاهق وهالك ومندحر .

( وقل رب ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ، وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ) .

٣ - حذر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم من الركون الى الجاهلية والكفر بعض الشيء لان التنازل عن بعض المبادىء ولو كانت قليلة صغيرة يجر الى التنازل عن المبادىء الكبيرة في النهاية :-

( ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا . اذاً لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ) .

فبداية الانحراف والتنازل عن الحق درجة واحدة ولكن النهاية وخيمة والعياذ بالله .

ثالثا :-

بين الله تعالى في سورة الاسراء بعض سننه الجاريه في الجماعات والامم وهي أن من استقام على هدى الله ، وصدق في اتباعه لأنبيائه ورسله عليهم السلام ، فان الله تعالى معينه وناصره وهاديه للتي هي أقوم ومورثه الأرض ومكن له فيها بعد أن يزيل حكم الطغيان والظلم ، كما فعل مع بني اسرائيل حيث مكنهم من ديار آل فرعون وأورثهم ارضهم وديارهم لما كانوا مطيعين لنبيهم موسى عليه السلام ملتزمين شرع الله تعالى .

وهي سنة جاريه وقانون الهي مطرد لا محالة . لكن سنة الله تعالى تكون من يعمل ويأخذ للنصر وللعز وللحياة الكريمة اسبابها من الاستقامة والطاعه ، ولا تكون مع من يتخاذل ويتمرد على أحكام الله تعالى ولذا فان بني اسرائيل لما فسقوا في الأرض ، وأفسدوا فيها وقتلوا الانبياء والدعاة الى الحق ، وناصبوهم

العداء مكن الله تعالى منهم ومن دولتهم كفار المجوس العتاة الغلاظ وجرت سنة الله بهلاك العاصين المفسدين الظلمة ( فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ) .

ومع ذلك فقد رسمت السورة للمذنبين المنهزمين طريق اقالة العثرات وازالة النكسات بان يعودوا الى رحاب الله ليرحمهم ويتوب عليهم (عسى ربكم أن يرحمكم )وباحسان العمل والسلوك السليم ( ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها ) .

وأوضحت السوره كذلك ان من سنته تعالى فى البشر ان الترف مؤذن بهلاك الامم وان المعاصي تزيل النعم ،فاذا عم الترف تبعه الفسوق ،فتحللت الامم وترهلت الشعوب فحقت عليها سنة الله وأصابها الدمار :-

( واذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ) .

فوجود الترف المطغي ،دليل على أن الامة قد تخلخل بناؤها وسارت في طريق الانحلال ولم تحافظ على نعم الله بل استعملتها فيما يغضبه تعالى ،فعمتها سنةالله لانها ان (الامه ) مسؤولة عن وجود المترفين فيها ولم تضرب علي أيديهم بل مكنتهم من تسنم ظهرها وقيادة زمامها .

رابعا :-

ركزت السورة كذلك على القرآن الكريم واهتمت به اهتماما بالغا فردت شبهات الناس حوله في كونه نزل منجما ، وردت على شبهة امكان الاتيان بمثله بأنه معجز خارق على الدهر ،وهو آية تتحدى الناس في كل زمان ومكان حتى تقوم الساعة ( قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ) .

وقد صرف الله تعالى فيه من طرق الاستدلال ووسائل الاقناع والتثبيت ، ووجوه الاعجاز ما يثبت بحق انه من عند الله تعالى ، لذا وجب على المسلمين في كل زمان أن يدافعوا عن قرآنهم ، وأن يحصنوا أجيالهم بالعلم الصحيح وبالثقافة السليمة التي تحكنها من رد كيد الاعداء والحاقدين والطاعنين على مختلف الجبهات والميادين والتخصصات .

خامسا :-

أبرزت السورة طبيعته النفسية اليهودية التي لا تهوى الا الافساد ولا ترتاح الا بالتمرد والعصيان ، فان تلك الامة لم ترع حق الله تعالى ، ولم تحترم انبياءه الكرام بل عدت عليهم وقتلتهم . فهم لا يرعون عهدا ولا يحترمون ذمة ولا ينفع معهم الا الحل الشرعي الوحيد والذي استخدمه الرسول صلى الله عليه وسلم في بني قريظة ، وان من أغبى الغباء أن نظن أنهم يحترمون عهدا أو يعترفون بصلح .

فاذا عرفت الامة عدوها على حقيقته ، ودرست جذور فكره ، ومقومات سلوكه وخططه ، وأهدافه ووسائله في القديم والحديث ، فانها تكون بذلك قد حظت الخطوة الاولى في الطريق الى النصر .

ويبقى عليها اتخاذ الخطوة التالية ، الا وهي الاعداد المناسب لحجم المعركة وضخامتها وشراسة العدو .

ثم التخطيط لبناء أجيال مؤمنة وتربيتها تربية قرآنية صافية تماما كما فعل صلاح الدين الأيوبي رحمه الله عندما هيأ الامة للجهاد واعدله عدته المادية والايمانية فتم له النصر والفتح والتحرير بتوفيق الله .

سادسا :-

أبرزت السورة قيمة المسجد الاقصى وفلسطين حيث ربطت بين المسجد الحرام والمسجد الاقصى ، وربطت ذلك بعقيدة المسلمين ، فحري بالمسلمين أن أرادوا الحفاظ على المسجدين الشريفين في الحجاز ، وان يحرصوا على تخليص المسجد الثالث الأسير لأن التفريط في حماية وحفظ بقعة من أقدس بقاع المسلمين يجر الى التفريط والتخاذل عن حماية كل شيء يملكه المسلمون لان ما يتصل بدين المسلم وعقيدته هو أعز ما يملكه المسلم فاذا فقده فقد فقد وجوده ومقومات حياته ، وكلنا يعلم أطماع قادة اليهود في أعز بلاد المسلمين وحنينهم الى أمجاد أجدادهم في يثرب وخيبر ، والعاقل من اتعظ بغيره .

فما على الامة ان أرادت استرجاع كرامتها السليبة ومقدساتها الاسيرة الا أن تعود الى الله تعالى فتنصره في نفسها وفي مجتمعها وفي كل مرافق حياتها وان تتضرع اليه ليرحمها ولتكون أهلا لنصر الله ولتكون بحق خير أمة أخرجت للناس .

والله الهادي الى سواء السبيل ،،،

المدينة المنورة في : ١٥ ربيع الأول ١٤٠٦هـ .

# فهرس الآيات

## ـ فهرس الآيات الواردة في السورة ـ


| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة الفاتحة :ـ** | | |
| الحمد لله رب العالمين . | ١ | ٣٤ |
| **سورة البقرة :ـ** | | |
| في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا . | ١٠ | ٤٧٦ |
| وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا | ٢٣ | ٤١١ ، ٤٧٩ |
| واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة | ٤٧ | ١٧٥ |
| واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون | ٥٠ | ٣٣٧ |
| واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر | ٦٠ | ٣٣٧ |
| واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا | ١٢٣ | ١٧٣ |
| ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب | ١٣٢ | ٢٦٠ |
| فلا تضربوا لله الأمثال | ١٤٠ | ١٠٨ |
| يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر | ١٨٥ | ٤٢٠ |
| واذا سألك عبادي عني فاني قريب | ١٨٦ | ٩٣ |
| ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله | ٢٣٥ | ٢٦ |
| يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم ( من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ) . | ٢٥٤ | ١٧٣ |
| من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه | ٢٥٥ | ١٨٧ |
| آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون | ٢٨٥ | ٢٥٩ |
| ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا | ٥٨ | ٢٧١ |
| **سورة آل عمران :ـ** | | |
| قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم | ١٢ | ٤١٣ |
| قال رب اني يكون لي غلام وقد بلغني الكبر | ٤٠ | ٣٢٣ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء | ٦٤ | ١٦١ |
| وله أسلم من في السموات والأرض | ٨٣ | ١٤٤ |
| ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه . | ٨٥ | ٢٦١ |
| ان أول بيت وضع للناس للذى ببكـــــة | ٩٦ | ٢٧٦ |
| ضربت عليهم الذلة أينما ثقفـــوا | ١١٢ | ٤١٣ |
| وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور | ١٨٥ | ٤٤٩ |
| ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل | ١٩٠ | ١٤٥ |
| الذين يذكرون الله قياما وقعودا . . . | ١٩١ | ١٤٥ |
| ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته | ١٩٢ | ١٧٥ |
| ربنا اننا سمعنا منادا ينادى للايمان | ١٩٣ | ١٩٦ |
| **سورة النساء :-** | | |
| والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم | ٣٣ | ٢٦ |
| ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء | ٤٨ و ١١٦ | ٦٠-٦١ |
| ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب | ٦٠ | ٤٥٧ |
| من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها | ٨٥ | ١٦٩-١٧١ |
| بل طبع الله عليها بكفرهـــم . | ١٥٥ | ٤٧٦ |
| لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه | ١٦٦ | ٨٦ |
| يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكـــم | ١٧٤ | ٣١٦ |
| **سورة المائدة :-** | | |
| ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة | ٢١ | ٢٧٣ |
| يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة | ٣٥ | ١٩٣ |
| وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديـــه | ٤٨ | ٢٦١ |
| انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنـــــه | ٧٢ | ٦١ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين | ٨٣ | ١٩٦ |
| ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان . | ٨٩ | ٢٦ |
| **سورة الأنعام :-** | | |
| ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا | ٩ | ٨٣ |
| قل انما هو اله واحد وانني برئ مما تشركون . | ١٩ | ١٦١ |
| قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب . | ٥٠ | ٣٢٧ |
| قل ان هدى الله هو الهدى | ٧١ | ٣٤ |
| ولو أشركوا لحبط عنهم ماكانوا يعملون | ٨٨ | ٦٠ |
| ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مره | ١١٠ | ٤٧٦ |
| واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله . | ١٢٤ | ٣١٧ |
| قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي | ١٦٢ | ٦٠، ٢٠٦ |
| **سوره الأعراف :-** | | |
| فعقروا الناقه وعتوا عن أمر ربهم | ١٧ | ٣٣٢ |
| أعبدوا الله مالكم من اله غيره . | ٥٩ | ٢٥٩ |
| أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم | ٦٩ | ١٤٦ |
| واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد | ٧٤ | ١٤٧ |
| وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك | ١١٧ | ٣٣٧ |
| وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى | ١٦٠ | ٣٣٧ |
| واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامه | ١٦٧ | ٣٠٧ |
| واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظله . | ١٧١ | ٣٣٨ |
| ولله الأسماء الحسنى فأدعوه بها . | ١٨٠ | ٨٩، ١١٥ |

| الآيه | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة الأنفال :-** | | |
| انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم . | ٢ | ٤٢٦ |
| واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا | ٣١ | ٣٣٧ |
| وأعدوا لهم ما استطعتم من قوه | ٦٠ | ٣١١ |
| وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ... | ٦٣ | ٤٥٧ |
| **سورة التوبة ( براءة ) :-** | | |
| يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم . | ٣٢ ، ٣٣ | ٤١٠ ، ٢٢٣ |
| لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ماعنتم . | ١٢٨ | ١٩١ |
| **سورة يونس :-** | | |
| أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل . | ٢ | ٧٩ |
| قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به | ١٦ | ١٥٢ |
| قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك | ٣١ | ٣٣ |
| وماكان هذا القرآن أن يفترى من دون الله | ٣٧ | ٣٨١ |
| أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله | ٣٨ | ٣٧٨ |
| يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم | ٥٧ | ٤٦٢ |
| ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون | ٦٢ | ٣٢٠ |
| وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا | ٨٤ | ١٩٨ |
| فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة ... | ٨٥ | ١٩٨ |
| ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا ... | ٨٨ | ٣٣٧ |
| قد أجيبت دعوتكما | ٨٩ | ٣٣٧ |
| ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون | ٩٦ | ٣٥٢ |
| قل انظروا ماذا في السموات والأرض | ١٠١ | ١٤٣ ، ٤٣٢ |

| الآيه | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة هود :-** | | |
| أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله | ١٣ ، ١٤ | ٣٧٨ |
| تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك | ٤٩ | ٤٠٨ |
| ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخره | ١٠٣ | ٤٤٩ |
| وكلا نقص عليك من أنباء الرسل | ١٢٠ | ٣٩٧ |
| **سورة يوسف :-** | | |
| لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب | ١١١ | ٣٠٦ |
| **سورة الرعد :-** | | |
| ان الله لا يغير ما بقوم حتي يغيروا ما بأنفسهم | ١١ | ٣٥٩ |
| قل افتخذتم من دونه أولياء لا يملكون .... | ١٦ | ٣٢٥ |
| كذلك يضرب الله الحق والباطل | ١٧ | ٤٠٩ |
| **سورة ابراهيم :-** | | |
| قالت رسلهم أفي الله شك ... | ١٠ | ٣٢(٧٩ ، ٨٠) |
| وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها . | ٣٤ | ١٤٦ |
| الحمد لله الذى وهب لي على الكبر اسماعيل واسحٰق | ٣٣٩ | ٤٩ |
| **سورة الحجر :-** | | |
| انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون | ٩ | ٤١٤ ، ٣٣٣ ، ٨٥ |
| وأرسلنا الرياح لواقح | ٢٢ | ٤٤٤ |
| **سورة النحل :-** | | |
| ولقد بعثنا في كل أمه رسولا أن أعبدوا الله ... | ٣٦ | ١٣٣ |
| فلا تضربوا لله الأمثال | ٧٤ | ١٠٨ |
| أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم | ١٠٨ | ٤٧٤ |

| الآيه | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة الكهف :-** | | |
| وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا | ٤ | ٦٧ |
| مالهم به من علم ولا لآبائهم | ٥ | ٦٧ |
| انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه | ٥٧ | ٤٧٤ |
| قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي انما . . | ١١٠ | ٦٢،١٦١ |
| **سورة مريم :-** | | |
| قالت أنّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر | ٢١ | ٣٢٣ |
| هل تعلم له سميا | ٦٥ | ١٠٨ |
| لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا | ٨٧ | ١٧٢ |
| وقالوا اتخذ الرحمن ولدا . | ٨٨ | ٦٧ |
| تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض . . . | ٨٩ | ٦٧ |
| وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا . | ٩١ | ٦٧ |
| وكلهم آتيه يوم القيامه فردا . | ٩٥ | ٦٧ |
| **سورة طٰه :-** | | |
| طٰه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى | ١-٤ | ٤٥٥ |
| قالوا ياموسى اما أن تلقي واما أن نكون أول من ألقى | ٦٥ | ٣٢٨ |
| يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن . | ١٠٩ | ١٧٢ |
| يعلم مابين أيديهم وما خلفهم | ١١٠ | ١١٠ |
| **سورة الأنبياء :-** | | |
| لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا . | ٢٢ | ١٣٧ |
| لا يسأل عما يفعل وهم يسألون | ٢٣ | ٥٢ |
| وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي . | ٢٥ | ١٣٣ |

| الآيه | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ولا يشفعون الا لمن ارتضى | ٢٨ | ١٨٧ |
| وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون | ٣٠ | ٤٤٢ |
| قلنا يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم | ٦٩ | ٣٢٣ |
| ونجيناه ولوطا الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين | ٧١ | ٢٦٠ ،٢٧٣ ،٢٧١ |
| وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير | ٧٩ | ١٤٤ |
| كما بدأنا أول خلق نعيده | ١٠٤ | ٧٣ |
| ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر | ١٠٥ | ٣١٠ - ٤١٦ |

سورة الحج :-

| | | |
|---|---|---|
| انه يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنه . | ٣١ | ١٦٠ ،٦٤ |
| ولينصرن الله من ينصره | ٤٠ | ٤١٦ ،٣١١ |
| الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة | ٤١ | ٣١١ |
| ذلك بأن الله يولج الليل في النهار .. | ٦١ | ١٤٢ |
| ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه . | ٦٢ | ١٤٢ |

سورة المؤمنون :-

| | | |
|---|---|---|
| ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين | ١٢ | ٤٤٣ |
| فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين | ٢٨ | ٤٩ |
| أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون | ٤٧ | ٧٩ ،٨٠ |
| ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله | ٨١ | ١٣٧ |
| قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون | ٨٤ | ٣٣ |
| قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير | ٨٦ | ٣٣ |

سورة النور :-

| | | |
|---|---|---|
| ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه . | ٤٣ | ٤٤٤ |
| وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم | ٥٥ | ٤١٥ |

| الآيـه | رقم الآيه | الصفحة |
|---|---|---|
| ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقـه | ٩٢ | ٤٠٥ |
| **سورة الفرقان :-** | | |
| الذى له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا . | ٢ | ١٥٦ |
| واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا . | ٣ | ١٥٦ |
| أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون | ٤٣ | ٦٥ |
| وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات | ٥٣ | ٤٤١ |
| واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن | ٦٠ | ١٦١ |
| **سورة الشعراء :-** | | |
| ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية | ٤ | ٣٤٤ |
| قال فرعون وما رب العالميـــــن | ٢٣ | ٥٩ |
| **سورة النمل :-** | | |
| فلما رآها تهتز كأنها جان ولى | ١٠ | ٣٢٩ |
| وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم | ١٤ | ٥٩ |
| وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده | ١٥ | ٤٩ |
| **سورة القصص :-** | | |
| وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيـه | ٧ | ٤٠٥ |
| وجاء رجل من أقصى المدينه يسعـى | ٢٠ | ٢٦٨ |
| فذانك برهانان من ربـك | ٣٢ | ٣١٦ |
| قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا | ٧١ | ١٤٢ |
| وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخره . . . | ٧٧ | ٤٤٩ |
| **سورة العنكبوت :-** | | |
| أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم | ٥١ | ٣٦١ |

| الآيه | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة الروم :-** | | |
| آلم غلبت الروم في أدنى الأرض | ١-٦ | ٤١٢ |
| ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله | ٦-٥ | ٢٩١ |
| وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده | ٢٧ | ٧٣ |
| فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله | ٣٠ | ٢٥٨ ، ١٣٥ |
| **سورة لقمان :-** | | |
| " ان الشرك لظلم عظيم " | ١٣ | ٦١ |
| ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله | ٢٥ | ٣٣ |
| ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة | ٢٨ | ٧٣ |
| **سورة الأحزاب :-** | | |
| يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا | ٤١ | ١١٥ |
| ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين | ٥٤ | ٣٣ |
| ان الله وملائكته يصلون على النبى | ٥٦ | ٢٠١ |
| **سورة فاطر :-** | | |
| ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد | ١٦ | ٧٥ |
| انما يخشى الله من عباده العلماء | ٢٨ | ٤٦٨ |
| الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن | ٣٤ | ٥٠ |
| **سورة يس :-** | | |
| وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا . . . | ٩ | ٤٧٥ |
| وآية لهم الليل نسلخ منه النهار . . . | ٣٧ | ١٤٢ |
| لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر | ٤٠ | ١٤٢ |
| وضرب لنا مثلا ونسي خلقه | ٧٨ | ٧٤ |

| الآيـة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| قل يحيها الذى أنشأها أول مره ، | ٧٩ | ٧٤ |
| أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر . . . | ٨١ | ٧٦ |
| فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون | ٨٣ | ٧٤ |
| **سورة ص :-** | | |
| أجعل الآلهـة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب | ٥ | ١٣٣ |
| **سورة الزمر :-** | | |
| ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا . . . | ٣ | ٢٠٣ |
| الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها | ٢٣ | ٣٨٨، ٤٥٦ |
| قل لله الشفاعة جميعا . . . | ٤٤ | ١٧٢ |
| واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب . . . | ٤٥ | ٤٧٧ |
| ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت | ٦٥ | ٦٠ ، ١٦٠ |
| **سورة غافر :-** | | |
| لمن الملك اليوم لله الواحد القهار | ١٦ | ١٧٢ |
| ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع . | ١٨ | ١٧٥ |
| **سورة فصلت :-** | | |
| حٰم تنزيل من الرحمن الرحيم | ١-٢ | ٤٥٣ |
| وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن . . . | ٢٦ | ٣٨٧، ٤٧٣، ٤٥٤ |
| قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء | ٤٤ | ٤٦٣ |
| **سورة الشورى :-** | | |
| ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . | ١١ | ٥٤، ٨٩، ١٥٨ |
| **سورة الزخرف :-** | | |
| وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ؟ | ٣١ | ٨٠ |

| الآيه | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة الجاثيه :-** | | |
| أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله . . . | ٢٣ | ٤٧٥ |
| وقالوا ماهي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا . . | ٢٤ | ٥٩ |
| فلله الحمد رب السموات والأرض رب العالمين . | ٣٦ | ٣٤ |
| **سورة الاحقاف :-** | | |
| أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض . . | ٣٣ | ٧٦ |
| **سورة محمد :-** | | |
| ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم . | ٧ | ٣١١ ، ١٥٩ ، ٤١٦ |
| وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم | ٣٨ | ٧٥ |
| **سورة الفتح :-** | | |
| لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق . | ٢٧ | ٤١٢ |
| هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق | ٢٨ | ٤١٠ |
| **سورة الذاريات :-** | | |
| وفي أنفسكم أفلا تبصرون . | ٢١ | ٤٣٢ |
| **سورة الطور :-** | | |
| أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون | ١٥ | ٣٨٩ |
| فليأتوا بحديث مثله | ٣٤ | ٣٧٩ |
| أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون . | ٣٦ | ٤٥٥ |
| **سورة النجم :-** | | |
| وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى . | ٣ ، ٤ | ١٠٩ |
| ألكم الذكر وله الأنثى تلك اذا قسمة ضيزى . | ٢١ ، ٢٢ | ٦٧ |
| وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا . | ٢٧ | ١٧٢ ، ١٨٤ |

| الآيه | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة القمر :-** | | |
| اقتربت الساعه وانشق القمر | ١ | ٣٥٣ |
| أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءه . | ٤٣ | ٤١١ |
| **سورة الرحمن :-** | | |
| مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان . | ١٩ ، ٢٠ | ٤٤٠ |
| **سورة الحديد :-** | | |
| ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم . | ١٥ | ٤٥٦ |
| لقد أرسلنا رسلنا بالبينات. | ٢٥ | ٣١٧ |
| **سوره الحشر :-** | | |
| والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ... | ١٠ | ٣٠١ |
| **سورة الصف :-** | | |
| فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم . | ٥ | ٤٧٦ |
| **سورة التغابن :-** | | |
| ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات . | ٦ | ٧٩ |
| زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا . | ٧ | ٦٦ |
| **سورة الطلاق :-** | | |
| ومن يتق الله يجعل له مخرجا . | ٣ | ٤١٦ |
| **سورة الملك :-** | | |
| الذى خلق سبع سموات طباقا | ٣ | ٤٣٢ ، ١٣٨ |
| **سورة القلم :-** | | |
| سنسمه على الخرطوم . | ١٦ | ٤١٢ |

| الآيه | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| سورة الحاقة :- | | |
| خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه . | ٣٠-٣١ | ٤٠٦ |
| ولو تقول علينا بعض الأقاويل . | ٤٥ | ٨٣ |
| سورة الجن :- | | |
| قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا . | ١ | ٤٥٥ |
| سورة القيامه :- | | |
| أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه . | ٣-٤ | ٤٤٣ |
| فاذا قرآناه فأتبع قرآنه . | ١٧ | ٣٦٥ |
| سورة النازعات :- | | |
| يقولون أئنا لمردودون في الحافره . | ١٠ | ٧١ |
| أئذا كنا عظاما نخره | ١١ | ٧١ |
| قالوا تلك اذن كرة خاسره | ١٢ | ٧١ |
| فاذا هم بالساهره | ١٤ | ٢٧١ |
| أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها | ٢٧ | ٧٥ |
| سورة التكوير :- | | |
| وما تشاؤون الا أن يشاء الله . | ٢٩ | ١٥٣ |
| سورة الطارق :- | | |
| والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع | ١-٢ | ٤٠٦ |
| سوره الأعلى :- | | |
| سنقرئك فلا تنسى الا ماشاء الله . | ٧ | ١٥٢ |

| الآيـه | رقمهـا | الصفحة |
|---|---|---|
| سورة التين :- | | |
| والتين والزيتون وطور سينين . | ١-٣ | ٢٧١ |
| سورة البينـه :- | | |
| ان الذ ين كفروا من أهل الكتاب والمشركين . | ٦ | ١٨٧ |
| الاخلاص :- | | |
| قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد . | كلهـا | ١٠٨ |

## فهرس الأحاديث والآثار الواردة في الرسالة


| الحديث | الصفحة |
|---|---|
| ١ - أأشد غفر رأسي أو أعقده | ٢٦ |
| ٢ - آية العز ( وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ) | ٥٢ |
| ٣ - أتعجبون أن تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى | ٢٤٤ |
| ٤ - أتي بالبراق ليلة أسرى به طجما مسرجا | ٢٦٣ |
| ٥ - أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل | ٢٢٨ |
| ٦ - احتبس علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة | ٢٤٩ |
| ٧ - أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر | ٦٢ |
| ٨ - أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامه | ١٨٨ |
| ٩ - اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان رسوله | ١٧٠ |
| ١٠ - اذا بلغت الحدود السلطان فلعن الله الشافع والمشفع | ١٧١ |
| ١١ - اذا كان يوم القيامه كنت امام الأنبياء | ١٦٧ |
| ١٢ - أعددت ستا بعين يدي الساعة: موتي . . . | ٢٩٠ |
| ١٣ - اقرأوا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه . | ١٨٥ |
| ١٤ - اللهم أنت ربي لا اله الا أنت خلقتني وأنا عبدك . | ٢٠٠ |
| ١٥ - اللهم اني أجبت دعوتك وصليت فريضتك | ٢٠٠ |
| ١٦ - اللهم اني أسألك بأني أشهد أن لا اله الا أنت . | ١٩٨ |
| ١٧ - اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك نبي الرحمة | ٢٠٦ |
| ١٨ - اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا | ٢٨٠ |
| ١٩ - اللهم لا اله الا أنت المنان بديع السموات والأرض | ١٨٩ |
| ٢٠ - أما اثنتين فقد أعطيهما وأنا أرجوا أن يكون قد أعطى الثالثه | ٢٧٧ |
| ٢١ - امضيت فريضتي وخففت على عبادي | ٢٢٨ |
| ٢٢ - أنا أغنى الشركاء عن الشـــــرك | ١٦٠ |

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| ٢٣ - أنا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة . | ١٨٢ |
| ٢٤ - أنا أول الناس يشفع في الجنة . | ١٨٢ |
| ٢٥ - يقول الله تعالى ( أنا خير الشركاء . . . . . | ٢٢ |
| ٢٦ - أن التوراة كلها في خمس عشرة آية من سورة بني اسرائيل | ٧ |
| ٢٧ - ان الرسول صلى الله عليه وسلم مر على قوم وهم وقوف على دواب | ٥٦ |
| ٢٨ - ان الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل الضفدع | ٥٦ |
| ٢٩ - ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله . | ٣٣٣ |
| ٣٠ - ان الله اصطفى ابراهيم بالخلة وموسى بالكلام . | ٢٤٤ |
| ٣١ - ان الله يخرج قوما من النار بالشفاعة فيدخلون الجنه | ١٧٧ - ١٨٢ |
| ٣٢ - ان الناس يصيرون يوم القيامة جثا | ١٦٦ |
| ٣٣ - ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح | ٥٠ |
| ٣٤ - ان أنيسا أخا أبي ذر ذهب الى مكة ثم عاد . | ٣٨٩ |
| ٣٥ - الانبياء اخوة علات وفي رواية أخوة لعلات | ٢٥٩ |
| ٣٦ - انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم | ٣٥٣ |
| ٣٧ - ان عمر بن الخطاب كانوا اذا قحطوا استسقى بالعباس | ٢٠٧ |
| ٣٨ - ان لله تسعة وتسعين اسما . | ١١٨ |
| ٣٩ - ان ناسا من اصحاب رسول الله (ص) كانوا في سفر . . | ٤٦١ |
| ٤٠ - انها ستكون هجرة بعد هجرة ينحاز الناس الى مهاجر ابراهيم | ٢٧٥ |
| ٤١ - انه سأله أحد أصحابه مرافقته في الجنه . | ١٨٩ |
| ٤٢ - انه كان يقرأ كل ليلة ببني اسرائيل والزمر | ٦ |
| ٤٣ - انهن من العتاق الأول وهن من تلادي | ٧ |
| ٤٤ - الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله | ٢٨ |
| ٤٥ - الايمان بضع وستون شعبة . . . | ٢٨ |

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| ٤٦ - بينما انا نائم في الحطيم وربما قال في الحجر . . . | ٢٢٤ |
| ٤٧ - ثم سلوا لي الوسيله فانها منزلة في الجنه . | ١٩٤ |
| ٤٨ - ثم يؤذن للملائكة والنبيين والشهداء | ١٨٤ |
| ٤٩ - ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله | ١٨٢ |
| ٥٠ - جاء ثلاثة نفر قبل ان يوحى اليه وهو نائم في المسجد | ٢٣٧ |
| ٥١ - خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتي الجنه | ١٨١ |
| ٥٢ - دخلت على رسول الله (ص) وعظمت ناقتي بالباب | ٩٣ |
| ٥٣ - دعوة المسلم لاخيه بظهر الغيب مستجابه | ٢٠١ |
| ٥٤ - رآه النبي (ص) أي رآى ربه تعالى | ٢٤٦ |
| ٥٥ - رب اشعث أغبر مدفوع بالابواب | ٢٠٥ |
| ٥٦ - سأل أهل مكه النبي (ص) ان يجعل لهم الصفا ذهبا | ٣٣١ |
| ٥٧ - سألت رسول الله (ص) اى الذنب عظم عند الله | ١٦١ |
| ٥٨ - سألت رسول الله هل رأيت ربك | ٢٤٦ |
| ٥٩ - ستكون هجرة بعد هجرة فخيار الناس . . . | ٢٧٥ |
| ٦٠ - شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي | ١٧٧ |
| ٦١ - الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته | ١٨٤ |
| ٦٢ - صلينا مع رسول الله (ص) نحو بيت المقدس | ٢٧٦ |
| ٦٣ - الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامه | ١٨٥ |
| ٦٤ - عجلت ايها المصلي ، اذا صليت فقعدت فاحمد الله | ٢٠٢ |
| ٦٥ - عليك بالشام فانها خيرة الله من أرضه | ٢٨٠ |
| ٦٦ - عينان لا تمسهما النار | ٤٦٩ |
| ٦٧ - فجاءني جبريل عليه السلام بآناء من خمر وآناء من لبن . | ٢٥٧ |
| ٦٨ - فلو ثم لأريتكم قبره (كنت) | ٢٧٧ |

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| ٦٩ - فيقال يا محمد ادخل من امتك من لا حساب عليه | ١٨٣ |
| ٧٠ - قال تعالى : شفعت الملائكة وشفعت النبيون | ١٧٨ |
| ٧١ - قالوا يارسول الله وأين هم قال ببيت المقدس وأكناف | ٢٢٤ |
| ٧٢ - قام فينا رسول الله (ص) بخمس كلمات | ٢٤٦ |
| ٧٣ - كل مولود يولد على الفطره | ٢٥٨ |
| ٧٤ - كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل | ٥٦ |
| ٧٥ - لئن أنتم انتهتم اذ ناب البقروتبا يعتم | ٢٧٥ |
| ٧٦ - لا أحصي ثناء عليك انت كما أثنيت على نفسك | ١٢٢ |
| ٧٧ - لا ألفين أحدكم يأتي يوم القيامه على . . . | ١٨٦ |
| ٧٨ - لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين | ٢٧٤ |
| ٧٩ - لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجـــــد | ٢٧٥ |
| ٨٠ - لا تشركوا بالله شيئا ولا تزنوا | ٣٣٨ |
| ٨١ - لا تقوم الساعه حتى تقاتلوا اليهود | ٣٠٨ |
| ٨٢ - لا يلج الناس رجل بكى من خشية الله | ٤٦٩ |
| ٨٣ - لم تحبس الشمس على أحد الا يوشع بن نون | ٢٨٨ |
| ٨٤ - ما أصاب أحد قط هم ولا حزن | ١٢١ |
| ٨٥ - ما تقرب الى عبدي بمثل اداء ما افترضت عليه | ٢٠٢ |
| ٨٦ - ما من نبي من الانبياء الا وأوتي من الآيات ما مثله . . . | ٢٢٢، ٣٦٨ |
| ٨٧ - مثلي ومثل الانبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتا | ٣٦٠ |
| ٨٨ - من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت | ١٨٩ |
| ٩٠ - من أصابته فاقه فانزلها بالناس لم تسد فاقته . | ١٥٨ |
| ٩١ - من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب | ٣٢٥ |
| ٩٢ - من أهل بحجه أو عمره من المسجد الاقصى | ٢٧٧ |

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| ٩٣ - ٩٣ - من سبح في دبر كل صلاة | ٥٠ |
| ٩٤ - من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا | ٢٠٢ |
| ٩٥ - من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا | ٦٢ |
| ٩٦ - من قال حين يسمع النداء | ١٨٨ |
| ٩٧ - من هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة | ٢٠٢ |
| ٩٨ - هل رآى محمد ربه ؟ قالت عائشة : قد قف شعري مما قلت | ٢٤٣ |
| ٩٩ - هو المقام الذى اشفع لامتي فيه | ١٦٦ |
| ١٠٠ - هي رؤيا عين أريها رسول الله (ص) ليلة اسرى به | ٢٣٧ |
| ١٠١ - والصلاة في المسجد الاقصى بخمسمائة صلاة | ٢٧٦ |
| ١٠٢ - واعلم أن الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء | ١٥٣ |
| ١٠٣ - وأنا أريد أن أخرج الى قريش فاخبرهم بما رأيت | ٢٥٣ |
| ١٠٤ - وان تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة | ٢٠٢ |
| ١٠٥ - وقال الثالث اللهم اني استأجرت اجراء | ٢٠٠ |
| ١٠٦ - ولا يثبت على لأواء الحديبة | ١٨٨ |
| ١٠٧ - يابني عبد مناف لا أملك لكم من الله شيئا | ١٨٦ |
| ١٠٨ - يارسول الله ان ابا طالب كان يحوطك وينصرك | ١٨٣ |
| ١٠٩ - يارسول الله اني اكثر الصلاة عليك . . . | ٢٠١ |
| ١١٠ - يارسول الله اي مسجد وضع في الأرض أولا | ٢٧٦ ، ٢٨٢ |
| ١١١ - ياعمر والله لو كان موسى حيا لما كان له . . | ٩١ |
| ١١٢ - يافلان اذا أويت الى فراشك فقل . . . . . | ١٩٦ |
| ١١٣ - يجمع الله المؤمنين يوم القيامة | ١٨٠ |
| ١١٤ - يخرج قوم من النار بشفاعة النبي محمد (ص) . | ٧٧ |
| ١١٥ - يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم | ٧٦ |
| ١١٦ - يقول الله تعالى اني خلقت عبادي حنفاء | ١٣٥ |
| ١١٧ - يقولون ربنا اخواننا كانوا يصلون معنا | ١٨٥ |

# المصادر والمراجع

## - فهرس المصادر والمراجع -


| اسم الكتاب | المؤلف | الطبعه |
|---|---|---|
| الاتقان فى علوم القرآن | جلال الدين السيوطي | الهيئة المصرية العامة للكتاب . |
| أحاديث الاسراء والمعراج | رفعت فوزى عبد المطلب | مكتبة الخانجي |
| ✓أحكام القرآن | أبوبكر بن العربي | دارالكتاب العربى - بيروت |
| اختيار الأولى فى شرح حديث الملأ الأعلى . | للحافظ بن رجب الحنبلى | |
| أرض الاسراء والمعراج | الشيخ أسعد بيوض التميمي | نشر وزارة الاوقاف الاردنيه |
| الاسراء والمعراج | محمد أبوشهبه | ط.الاولى دار الطباعة المحمدية . |
| أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن . | محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى . | |
| الاعتقاد | للبيهقى | المطبعة العربية/باكستان |
| الاعجاز العددى فى القرآن | عبد الرزاق نوفل | ط٢ . دارالشعب/مصر |
| الاعجاز فى دراسات السابقين | عبد الكريم الخطيب | ط.الاولى دار الفكر العربى / ١٩٧٤ |
| اعجاز القرآن | للباقلانى | تحقيق أحمد صقر ط. ٤ |
| اعجاز القرآن والبلاغه النبويه | مصطفى صادق الرافعى | دارالكتاب العربى/بيروت |
| اعلام الساجد بأحكام المساجد | للزركشي | تحقيق أبوالوفا المراغي / القاهره . |
| اعلام الموقعين عن رب العالمين | ابن قيم الجوزيه | مطبعة منير الدمشقى / القاهره . |
| (الله) يتجلى فى عصر العلم | نخبة من العلماء المريكيين | |
| (الله) جل جلاله | سعيد حوى | دارالدعوه - بيروت |
| (الله) جل جلاله | عباس محمود العقاد | |

| اسم الكتاب | المؤلف | الطبعه |
|---|---|---|
| الأُنس الجليل في تاريخ القدس والخليل . | مجيرالدين الحنبلي | دار الجيل |
| أهداف كل سورة ومقاصدها | د . عبد الله شحاته | الهيئة المصرية العامة للكتاب . |
| الأيمان طريقنا الى النصر | محمد نمر الخطيب | |
| ( حرف الباء ) | | |
| البحر المحيط | لابي حيان الاندلسي | مطابع الرياض الحديثه |
| البداية والنهاية | اسماعيل بن كثير | مكتبة المعارف بيروت ط٢ سنة ١٩٧٧م |
| البرهان في علوم القرآن | بدر الدين الزركشي | دار المعرفة / بيروت |
| بصائر ذوى التمييز | مجد الدين يعقوب الفيروز الفيروزآبادي . | تحقيق محمد علي النجار ١٣٨٣هـ . |
| بلادنا فلسطين | مصطفى مراد الدباغ | |
| بهجه النفوس وتحليها | لابن أبي جمرة | ط . الاولى ١٣٥٣هـ . |
| بيان اعجاز القرآن | أبوسليمان محمد بن محمد الخطابي . | دار المعارف ـ مصر . |
| بينات المعجزة الخالده | حسن ضياء الدين عتر | ط . الثانيه ـ القاهرة . |
| ( حرف التاء ) | | |
| تأملات في سورة الاسراء | د . حسن باجوده | دارالاعتصام ـ القاهره |
| تاج العروس | محمد مرتضى الزبيدى | دار مكتبة الحياة ـ بيروت . |
| تاريخ البلاذرى | للبلاذرى | |
| تاريخ بنى اسرائيل من اسفارهم | محمد عزت دروزه | المكتبة العصرية/بيروت |
| تاريخ القدس | د . شفيق جاسر | دارالمشير/عمان ١٤٠٤هـ |

| اسم الكتاب | اسم المؤلف | الطبعة |
| --- | --- | --- |
| تاريخ الواقدى | للواقدى | |
| التذكره في أحوال الموتى والآخره . | للقرطبى | مكتبة الكليات الازهرية |
| تطور الاعجاز فى دراسات السابقين | د . عمر الملا حويش | مطبعة الامه |
| تفسير أبي السعود | لابي السعود | مكتبه عبد الرحمن محمد |
| تفسير الخازن | علاء الدين الشهير بالخازن | ط . الثانيه شركة مصطفى البابى الحلبى ١٣٧٥ هـ . |
| تفسير الرازى المسمى مفتاح الغيب . | محمد بن عمر الرازى | مطبعة التزام لمحمد |
| تفسير الطبرى المسمى جامع البيان عن تأويل القرآن | أبوجعفر بن جرير الطبرى | شركة مصطفى البابى الحلبى وأولاده . |
| تفسير القرآن العظيم | اسماعيل بن كثير | تحقيق عبد العزيز غنيم وزميله . دار الشعب القاهره |
| تفسيرسورة الاسراء | عبد الله محمود شحاته | الهيئة المصرية العامة للكتاب . |
| التفسير القرآني للقرآن | عبد الكريم الخطيب | دار الفكر العربى |
| التفسير والمفسرون | محمد حسين الذهبي | ط . الثانيه دار الكتب الحديثه ـ القاهره |
| تفسير المنار | للشيخ رشيد رضا | دار المنار ط . الاولى |
| تفسير النيسابورى | للامام النيسابورى | تحقيق ابراهيم عطوه |

| اسم الكتاب | اسم المؤلف | الطبعة |
|---|---|---|
| التوحيد | لابن خزيمه | دار الكتب العلمية/بيروت |
| التوسل أنواعه وأحكامه | ناصر الدين الالباني | المكتب الاسلامي |
| التوصل لحقيقة التوسل | محمد نسيب الرفاعي | ط. الاولى بيروت ١٣٧٤ |
| الجامع لأحكام القرآن | للقرطبي الانصاري | دار التراث العربي |
| الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح | لابن تيميه | مطابع المجد التجارية |
| حاشية الصاوى | للامام الصاوى | دار احياء الكتب العربيه |
| حياة محمد | محمد حسين هيكل | مطبعة مصر |
| خاتم النبيين | محمد أبوزهره | دار الفكر العربى |
| خطط المقريزى | تقي الدين المقريزى | دار التحرير ـ القاهرة |
| الدين الخالص | صديق حسن خان | مطبعة المدني ـ مصر |
| الدين | محمد عبد الله دراز | |
| الرسالة التدمريه | لابن تيميه | ط. الثانيه المكتب الاسلامي |
| الرسالة الشافيه فى الاعجاز | عبد القاهر الجرجاني | دار المعارف ـ مصر |
| الرسل والرسالات | عمر الاشقر | مكتبة الفلاح /الكويت |
| روح الدين الاسلامي | عفيف طباره | |
| روح المعاني | للالوسى البغدادى | دار احياء التراث العربى |
| الروض الانف | للسهيلي | دار الفكر للطباعة/مصر. |
| زاد المسير في علم التفسير | لابن الجوزى | المكتب الاسلامى |
| زاد المعاد فى هدى خير العباد | لابن قيم الجوزيه | تحقيق محمد حامد الفقى |
| سنن ابن ماجه | لابن ماجه | ترتيب محمد فؤاد عبد الباقى. |
| سنن ابي داود | ابوداود السجستاني | |

| اسم الكتاب | اسم المؤلف | الطبعة |
|---|---|---|
| سنن النسائي | للنسائي | دار احياء التراث العربي |
| السيرة النبوية | لابن هشام | ط. الثانية ١٣٧٥ تحقيق مصطفى السقا وزميليه. |
| شرح الزرقاني على المواهب اللدنية | للقسطلاني | دار المعرفة - بيروت. |
| شرح الطحاوية | محمد ابن أبي العز الحنفي | المكتب الاسلامي |
| شرح النووي على مسلم | محيي الدين النووي | دار الفكر - بيروت ط. الثانية ١٣٩٢هـ. |
| الشفا في أحوال المصطفى | القاضي عياض | دار الفكر - بيروت. |
| صحيح ابن خزيمة | محمد بن اسحق بن خزيمة | |
| صحيح البخاري (الجامع الصحيح). | أبو عبد الله البخاري | دار احياء التراث العربي. |
| صحيح الترمذي | للامام الترمذي | تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان. |
| صحيح مسلم | مسلم بن الحجاج النيسابوري | منشورات القسم التجاري بيروت. |
| صفوة التفاسير | محمد علي الصابوني | دار القرآن الكريم. |
| الضياء في تفسير سورة الاسراء | محمد أبو النور الحديدي | مطبعة الامانة / ١٣٩٢ |
| الطب النبوي | ابن قيم الجوزية | دار الكتب العلمية / بيروت. |
| عروبة القدس في التاريخ | محمد أديب العامري | المطبعة العصرية / بيروت |
| العقائد الاسلامية | سيد سابق | مطبعة حسان ط٣. |
| العقيدة الاسلامية وأسسها | عبد الرحمن الميداني | دار القلم - دمشق. |
| العقيدة الاسلامية | عبد الغني عبود | ط. الاولى - دار الكتاب العربي. |

| اسم الكتاب | اسم المؤلف | الطبعة |
| --- | --- | --- |
| عقيدة التوحيد في القرآن | د . محمد أحمد ملكاوي | ط . الاولى دار ابن تيميه . |
| عقيدة المؤمن | أبوبكر الجزائري | مكتبة الكليات الازهريه |
| علاقة صفات الله بذاته | د . راجح الكردي | ط . الاولى دار العدوى عمان . |
| العلو للعلي الغفار | للذهبي | المكتبة السلفية ـ المدينة المنوره . |
| عون المعبود في شرح سنن أبي داود . | شمس الحق آبادي | ط . ٢ المكتبة السلفية |
| فتح الباري شرح صحيح البخاري | لابن حجر العسقلاني | المطبعة السلفية |
| الفتح الرباني في ترتيب مسند أحمد الشيباني | أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي | ط . الاولى ١٣٧١هـ . |
| فتح القدير | محمد بن علي الشوكاني | دار المعرفة |
| الفتوحات الالهية | للعجلي (الجمل) | مطبعة الاستقامة ـ القاهرة |
| الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان . | لابن تيميه . | |
| فقه السيره | محمد الغزالي | ط ٦ تحقيق الشيخ ناصر الدين الالباني . |
| فقه السيره | محمد سعيد رمضان البوطي | دار الفكر . ط . الخامسه |
| فكره اعجاز القرآن | نعيم الحمصي | مؤسسة الرساله ط ٢ . |
| في ظلال القرآن | سيد قطب | دار الشروق |
| قاعدة جليله في التوسل والوسيله . | لابن تيميه | المطبعه السلفية |
| القاموس المحيط | للفيروزآبادي | دار المعرفه ـ بيروت |
| القدس الخالده | عبد الحميد زايد | الهيئة المصريه العامة للكتاب . |

| اسم الكتاب | اسم المؤلف | الطبعة |
|---|---|---|
| القدس الخالدة | محمد أديب العامرين | |
| القرآن واعجازه العلمي | محمد اسماعيل ابراهيم | ط. دار الفكر العربي . |
| قصص الانبياء | اسماعيل ابن كثير | دار الكتب الحديثه |
| الكامل في التاريخ | عز الدين ابن الاثير | دار صادر - بيروت |
| الكشاف عن حقائق الكتاب العزيز | للزمخشري | دار المعرفه - بيروت |
| الكواشف الجليه في معاني الواسطية | عبد العزيز السلمان | ط. السابعة عشره ١٤٠٢هـ |
| لسان العرب | لابن منظور | دار صادر |
| لسان الميزان | لابن حجر العسقلاني | مؤسسه الاعلمي - بيروت |
| لوامع الانوار البهيه | أحمد السفاريني | ط٢ مؤسسة الخافقين ١٤٠٢هـ. |
| مجموع الفتاوى | شيخ الاسلام ابن تيميه | مكتبة النهضة الحديثه |
| مختار الصحاح | للرازي | دار الكتاب العربي |
| المسلمون وقضية فلسطين | أبوالحسن الندوي | الطبعه الثانيه |
| مسند أحمد | للامام أحمد بن حنبل | ط. الثانيه المكتب الاسلامي / ١٣٩٨ هـ. |
| معارج القبول بشرح سلم الوصول | لحافظ حكمي | نشر دار الافتاء السعودية . |
| معالم في الطريق | سيد قطب | الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابيه ١٣٩٨. |
| المعجزة الكبرى ( القرآن ) | محمد أبوزهره | دار الفكر العربي . |

| اسم الكتاب | اسم المؤلف | الطبعة |
| --- | --- | --- |
| معجم البلدان | ياقوت الحموى | دار صادر |
| مفتاح دار السعادة | لابن القيم | دار الكتب العلمية - بيروت . |
| المفردات غريب القرآن | للراغب الاصفهاني | المطبعة السلفية |
| مقالات الاسلاميين | أبوالحسن الاشعرى | تحقيق محيي الدين عبد الحميد . دار صادر . |
| مقدمة ابن خلدون | عبد الرحمن خلدون | مطبعة التقدم/ مصر |
| الملل والنحل | عبد الكريم الشهرستاني | تحقيق عبد العزيز الوكيل . مؤسسة الحلبي وشركاه . |
| مناقب الشافعي | للبيهقي | الطبعة الاولى - تحقيق السيد أحمد صقر - مكتبة دار التراث / القاهرة . |
| مناهل العرفان | محمد عبد العظيم الزرقاني | دار احياء التراث العربي . |
| من روائع القرآن منهج ودراسات | محمد سعيد رمضان البوطي<br>محمد الامين الشنقيطي . | مكتبة الفارابي - دمشق |
| محمد نور الاسلام | محمد نحر الخطيب | مكتبة الحياة - بيروت . |
| ميزان الاعتدال | محمد بن أحمد الذهبي | تحقيق محمد علي بجاوي دارالمعرفة / بيروت . |

| اسم الكتاب | اسم المؤلف | المطبعة |
| --- | --- | --- |
| النبوات | شيخ الاسلام ابن تيمية | مكتبه الرياض الحديثه |
| النهاية في غريب الحديث والاثر . | ابن الاثير الجزرى | تحقيق محمود محمد الطناحي - شركة عيسى البابى الحلبي . |
| هذا الدين | سيد قطب | الاتحاد الاسلامي للمنظمات الطلابيه |
| وعد الله واسرائيل | عبد الحميد جوده السحار | |
| الوحي المحمدى | محمد رشيد رضا | |
| اليهود بين الدين والتاريخ | صابر طعيمه | ط١ سنه ١٩٧٢م. |

# فِهرِس المَوضوعَاتِ

## - فهرس الموضوعات


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| **الجوانب الاعتقادية في سورة الاسراء** | |
| شكر وتقدير | أ |
| مقدمة البحث | ب |
| أهمية دراسة العقيدة | |
| دوافع البحث | |
| منهجي في الرسالة | |
| خطتي التفصيلية . | |
| مباحث تمهيدية بين يدي سورة الاسراء | ١ |
| المبحث الأول : تعريف بالسورة وأسمائها | ٢ |
| الرد على من أنكر تسميتها بسورة بني اسرائيل | ٣ |
| تاريخ نزول السورة | ٦ |
| فضل سورة الاسراء | ٦ |
| مكان نزولها وعدد آياتها | ٧ |
| خصائص السورة | ٩ |
| المبحث الثاني : سورة الاسراء وجذور القضية الفلسطينية | ١١ |
| علاقة السورة بسورة النحل . | ١٢ |
| المبحث الثالث : موضوعات السورة ومحتوياتها | ١٤ |
| المبحث الرابع : العقيدة في سورة الاسراء | ١٦ |
| اجمال جوانب العقيدة في السورة | ١٧ |
| المبحث الخامس : معنى العقيدة لغة واصطلاحا | ٢٦ |
| الباب الأول : توحيد الربوبية والأسماء والصفات | ٢٩ |
| الفصل الأول : تنزيه الله تعالى من خلال السورة . | ٣٠ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| المبحث الأول : معنى توحيد الربوبية لغة واصطلاحا | ٣١ |
| تنزيه الخالق سبحانه عند غير المسلمين | ٣٥ |
| مذاهب الناس في التنزيه | ٣٦ |
| أسباب الغلط في التنزيه والضلال فيه | ٣٨ |
| تنزيه الله سبحانه عن صفات النقص والسوء وعن مشابهة المخلوقين . | ٣٩ |
| المبحث الثاني : التنزيه من خلال سورة الاسراء بلفظ التسبيح | ٤٠ |
| ورود لفظ سبحان في السورة ووجه وروده | ٤٣ |
| المبحث الثالث : حمده سبحانه وتعالى | ٤٦ |
| الفرق بين الحمد والمدح والشكر | |
| فضل حمد الله تعالى ومكانته | ٤٩ |
| التنزيه بصيغة التكبير ومناسبة وروده في السورة | ٥٠ |
| تنزيه أهل السنة تنزيه شامل لرب الكون | ٥٣ |
| تسبيح غير العاقل هل هو على الحقيقة أم تسبيح دلالة | ٥٥ |
| الفصل الثاني : الرد على اعتقادات المشركين وتنفيذها | ٥٧ |
| المبحث الأول : نسبة الشركاء الى الله تعالى . | |
| تعريف الشرك لغة وصورة . | ٥٨ |
| الشرك في الربوبية والألوهية | ٥٩ |
| خطورة الشرك الأكبر | ٦٠ |
| الشرك الأصغر وخطورته | ٦١ |
| عجز الآلهة المدعوة من دون الله | ٦٣ |
| عاقبة الشرك بالله في الدنيا وفي الآخرة . | ٦٤ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| المبحث الثاني : نسبة البنات والولد الى الله تعالى | ٦٦ |
| تخبط المشركين في ذلك وضلالهم | ٦٧ |
| نسبة الولد والبنت الى الله تعالى جريمة عظيمة | ٦٨ |
| المبحث الثالث : انكار المشركين للبعث واستبعادهم له . | |
| معنى البعث لغة واصطلاحا | ٦٩ |
| شبهة منكري البعث والرد عليها | ٧١ |
| رد السورة على منكري البعث | ٧٢ |
| الموضع الثاني : في الرد على منكري البعث | ٧٤ |
| تأكيد السورة لقضية البعث والجزاء | ٧٦ |
| المبحث الرابع : انكارهم للنبوة والرسالة الى البشر ومعجزة القرآن الكريم . | ٧٩ |
| شبهات القوم في انكارهم للرسالة الى البشر | ٨٠ |
| دحض شبهاتهم والاجابة عنها | ٨٢ |
| القرآن إشتمل على أمور خالدة لا تزول | ٨٥ |
| القرآن نزل بالحق محروسا لم يتطرق اليه شك | ٨٦ |
| الفصل الثالث : أسماء الله تعالى وصفاته وبيان منهج السلف . | ٨٨ |
| المبحث الأول : الاسماء والصفات ومسائل العقيدة عبر التاريخ | ٩٠ |
| أسلوب الرسول (ص) في الاجابة على مسائل العقيدة | ٩٢ |
| فهم الصحابة الكرام للتوحيد والاسماء والصفات | ٩٤ |
| مرحلة تكدر النبع واختلاط المصادر . | |
| المبحث الثاني : أسباب الاختلاف والخبط في مسائل العقيدة | ٩٨ |
| المبحث الثالث : معنى الأسماء والصفات لغة واصطلاحا وتصحيح اعتقادات المشركين ووجه كون الأسماء حسنى ، لا حسنة | ١٠٢ |
| علاقة أسماء الله وصفاته بذاته المقدسة | ١٠٤ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| المبحث الرابع : المنهج الذى رسمه القرآن لفهم الأسماء والصفات | ١٠٨ |
| المبحث الخامس : توضيح | ١١١ |
| آثار الايمان بأسماء الله وصفاته على النفس البشريه | ١١٥ |
| المبحث السادس : أحصاء أسماء الله الحسنى ومعناه وفضله ، وضبط العدد . | ١١٨ |
| أدب الدعاء بالأسماء والصفات | ١٢٠ |
| هل عدد آل (تسعه والتسعين ) يفيد الحصر . | ١٢١ |
| المبحث السابع : عرض للأسماء والصفات الوارده فى السوره | ١٢٣ |
| الباب الثانى : توحيد الألوهية من خلال السورة | ١٣٠ |
| الفصل الأول : تقرير التوحيد والدعوه اليه في السوره | ١٣١ |
| معنى توحيد الألوهيه . | ١٣٢ |
| المبحث الأول : تقرير التوحيد بالأدله العقليه | ١٣٦ |
| المبحث الثاني : نصب الآيات الكونيه | ١٤٠ |
| المبحث الثالث : تقرير التوحيد عن طريق التذكير بنعم الله | ١٤٦ |
| المبحث الرابع : تثبيت الله تعالى للقرآن فى صدر نبيه مع القدره على الذهاب به . | ١٥١ |
| المبحث الخامس : تقرير التوحيد عن طريق اثبات تفرده وتحكمه سبحانه فى شؤون الكون والخلائق بلا معقب . | ١٥٣ |
| المبحث السادس : الدعوه الى التوحيد في السوره | ١٥٨ |
| الدعوه الى التوحيد بأسلوب الحصر والقصر | ١٦٠ |
| أسلوب الأمر المباشر بتوحيده سبحانه | ١٦١ |
| الفصل الثاني :- | |
| المبحث الأول : ماهو المقام المحمود وآراء العلماء فى ذلك | ١٦٤ |
| المبحث الثاني : معنى الشفاعة لغه واصطلاحا | ١٦٨ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| أقسام الشفاعة | ١٦٩ |
| الشفاعه الدنيويه ، القسم الأول ، | ١٦٩ |
| الحث على الشفاعة الحسنه في الدنيا . | ١٧٠ |
| الشفاعة الاخرويه | ١٧١ |
| معنى الشفاعة المثبته ، والمنفيه | ١٧٢ |
| المبحث الثالث : أقوال الناس في الشفاعه | |
| نفاه الشفاعة وحجتهم ورد هـا | ١٧٤ |
| أهل السنة توسطوا في الشفاعه | |
| المبحث الرابع : شفاعات الرسول صلى الله عليه وسلم في الآخرة وعدد ها | ١٧٩ |
| الشفاعة العظمى ، والأحاديث الوارده فيها . | ١٧٩ |
| شفاعة الرسول (ص) في استفتاح باب الجنه | ١٨٢ |
| شفاعات غير النبي (ص) في الآخره . | ١٨٤ |
| شفاعة المؤمنين ، والصالحين ، والصيام والقرآن | ١٨٥ |
| المبحث السادس : قيود نوال الشفاعة في الآخره | ١٨٦ |
| الموعودون بالشفاعة . | ١٨٨ |
| حكمه الشفاعة | ١٨٩ |
| المبحث السابع : التوسل والوسيله | |
| شرح الآيه الوارده في الوسيله وسبب نزولها | ١٩٢ |
| معنى التوسل والوسيله لغه واصطلاحا | ١٩٣ |
| التوسل في مفهوم الصحابة | ١٩٤ |
| تعريف التوسل المشروع وغير المشروع | ١٩٥ |
| المبحث الثامن : أمثله على التوسل المشروع | |
| التوسل بالايمان . | ١٩٦ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| المتوسل الى الله بأسمائه وصفاته | ١٩٧ |
| التوسل بالأعمال الصالحه . | ١٩٨ |
| التوسل الى الله بالدعاء | ٢٠٠ |
| التوسل بحمد الله والصلاة على رسول الله (ص) | ٢٠١ |
| التوسل بأداء الفرائض والنوافل . | ٢٠٢ |
| المبحث التاسع : التوسل غير المشروع وصوره | ٢٠٣ |
| التوسل الى الله تعالى بذات المتوسل به | ٢٠٤ |
| التوسل بالجاه والحق والحرمه | ٢٠٥ |
| الاقسام على الله تعالى | |
| حديث الضرير ورد الاشكال حوله | ٢٠٦ |
| استسقاء عمر رضي الله عنه بالعباس ودلالته | ٢٠٧ |
| التوسل بالمقبورين | ٢٠٩ |
| الباب الثالث : في الاسراء والمعراج والأرض المقدسه | ٢١٠ |
| الفصل الأول :- | |
| المبحث الأول : مقدمات الاسراء والمعراج وحالة الرسول (ص) النفسيه | ٢١٢ |
| التجاء الرسول الى الله تعالى وتضرعه | ٢١٤ |
| المبحث الثاني : معنى الاسراء ، لغة واصطلاحا | ٢١٦ |
| معنى المعراج ، لغة واصطلاحا | ٢١٧ |
| ثبوت الاسراء والمعراج وأدلته من الكتاب والسنه | ٢١٨ |
| امكانية الاسراء والمعراج | ٢١٩ |
| المبحث الثالث : الأحاديث الوارده في الاسراء والمعراج | ٢٢٣ |
| روايه البخاري لقصه الاسراء والمعراج | ٢٢٤ |
| سدره المنتهى | ٢٢٧ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| سبب اختلاف الروايات في نقل قصة الاسراء والمعراج | |
| صلاة الرسول ( ص ) في بيت المقدس بالأنبياء | ٢٢٩ |
| المبحث الرابع : تاريخ الاسراء والمعراج وزمن وقوعه | ٢٢٨ |
| كم مرة وقع الاسراء والمعراج وآراء العلماء في ذلك | |
| وذكر الراجح في المسألة . | ٢٣٢ |
| المبحث الخامس : هل كان الاسراء والمعراج بالروح أم بالجسد ؟ | |
| وآراء العلماء في ذلك . | ٢٣٤ |
| الرأي الأول : أن الاسراء والمعراج كانا بالروح والجسد وأدلته . | ٢٣٤ |
| الرأي الثاني : أن الاسراء والمعراج كانا بالروح وأدلته . | ٢٣٥ |
| الرأي الثالث : أنه كان منامًا وأدلته والرد عليه | ٢٣٦ |
| الرد على رواية شريك . | ٢٣٧ |
| الرأي الرابع : ان المعراج كان بالروح فقط ، وأدلته والرد على ذلك . | ٢٣٩ |
| الفرق بين الرؤيا المنامية والروحية | ٢٤١ |
| المبحث السادس : هل رأى النبي ( ص ) ربه ليلة المعراج ؟ | ٢٤٣ |
| النافون للرؤية وأدلتهم . | ٢٤٣ |
| المثبتون للرؤية وأدلتهم . | ٢٤٤ |
| التحقيق في مسألة رؤية الرسول ( ص ) ربه ليلة المعراج . | ٢٤٥ |
| رؤية النبي ( ص ) ربه في المنام . | ٢٤٨ |
| المبحث السابع : الحكم والدلالات والعبر من الاسراء والمعراج | ٢٥٠ |
| الاسراء ، دروس للدعوة والدعاة . | ٢٥٠ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| الثقة بالحق والشجاعة في تبليغه | ٢٥٢ |
| الاسراء اختبار لصحة الايمان | ٢٥٣ |
| الاسراء والمعراج / دليل على كمال القدرة الالهية | ٢٥٥ |
| المعراج دليل على صفة العلو لله تعالى | ٢٥٦ |
| من دلالات الاسراء أن الاسلام دين الفطرة | ٢٥٧ |
| من حكم الاسراء . | ٢٥٨ |
| من دلائل الاسراء والمعراج / تكريم الله لرسوله صلى الله عليه وسلم . | ٢٦١ |
| اعلاء شرف النبي ( س ) . | ٢٦٢ |
| أمامة الرسول ( س ) للأنبياء في القدس | ٢٦٣ |
| حكمة المرور من بيت المقدس . | ٢٦٤ |
| ابراز قيمة المسجد الاقصى وربطه بالمسجد الحرام | ٢٦٦ |
| الفصل الثالث : عن المسجد الأقصى . | |
| المبحث الأول : التعريف بالمسجد الأقصى | ٢٦٨ |
| معنى المسجد الأقصى | |
| سبب تسميته بالأقصى | ٢٦٩ |
| أسماء المسجد الاقصى | ٢٧٠ |
| المبحث الثاني : فضائل بيت المقدس | ٢٧٣ |
| فضائل المسجد الأقصى في السنة | ٢٧٤ |
| المبحث الثالث : ماورد في فضائل الشام | ٢٨٠ |
| المبحث الرابع : تاريخ بناء المسجد الأقصى | ٢٨٢ |
| المبحث الخامس : القدس مسلمة موحدة عبر التاريخ . | ٢٨٤ |
| المبحث السادس : أخطاء بعض الكتاب عند الحديث عن تاريخ القدس | ٢٨٧ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| المبحث السابع : فتح بيت المقدس . | ٢٩٠ |
| الفصل الثالث : تحقيق في افساد بني اسرائيل في الأرض المقدسة وعقابهم . | ٢٩٢ |
| المبحث الأول : تفسير موجز للآيات الواردة في الافساد | ٢٩٢ |
| المبحث الثاني : من هم القوم المسلطون على اليهود | ٢٩٦ |
| أقوال المفسرين في التسليط الأول . | ٢٩٧ |
| أقوال المفسرين في التسليط الثاني | ٢٩٨ |
| المبحث الثالث : رأي آخر لبعض العلماء المعاصرين . | ٣٠٠ |
| خلاصة الكلام في المسلطين على اليهود . | ٣٠٢ |
| رأيي في الافساد الثاني . | ٣٠٢ |
| المبحث الرابع : المقصود من الآيات أخذ العبرة والعظة . | ٣٠٦ |
| المبحث الخامس: مبررات وحجج اليهود في استيلائهم على فلسطين | ٣٠٩ |
| الباب الرابع : في المعجزات :- | ٣١٢ |
| الفصل الأول : معجزات الأنبياء والمرسلين . | ٣١٣ |
| الآيات والمعجزات في سورة الاسراء . | ٣١٤ |
| المبحث الأول : تعريف الآية والمعجزة . | ٣١٥ |
| المبحث الثاني : في الكرامات والفرق بينهما وبين المعجزات | ٣١٨ |
| أمثلة للكرامات . | ٣١٨ |
| بين الكرامة والاستدراج | ٣٢٠ |
| الاستقامة أعظم كرامة . | ٣٢١ |
| المبحث الثالث : الآيات والخوارق جائزة عقلا وليست من المستحيلات | ٣٢٢ |
| ملاحظات هامة حول الكرامة والولاية | ٣٢٤ |
| المبحث الرابع : الآيات ليست من صنع الأنبياء | ٣٢٦ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| المبحث الخامس : آيات الأنبياء وملاءمتها لأزمانهم | ٣٢٨ |
| الفلاسفة يرون أن المعجزات هي من فعل الرسل . | ٣٢٩ |
| المبحث السادس : آية صالح عليه السلام | ٣٣١ |
| سبب نزول الآية . | ٣٣١ |
| المبحث السابع : آيات موسى وعاقبة المكذبين بها . | ٣٣٤ |
| ما هي الآيات التسع التي أعطيها موسى عليه السلام | ٣٣٥ |
| رأي آخر في الآيات التسع . | ٣١٨ |
| لماذا اختصت الآيات التسع بالذكر . | ٣٤٠ |
| المبحث الثامن : معجزات الرسول الخاتم (ص) في سورة الاسراء | ٣٤٤ |
| المبحث التاسع : اقتراح الآيات وطلبها من قبل قريش . | ٣٤٦ |
| صلة الآيات بما قبلها . | ٣٤٦ |
| مناسبة نزول هذه الآيات . | ٣٤٧ |
| المعنى الاجمالي للآيات | ٣٤٩ |
| تنزل تلك الاقتراحات وفسادها . | ٣٥٠ |
| تلك الاقتراحات تدل على الجهل بسنة الله وحكمته في الكون . | ٣٥٠ |
| المبحث العاشر : آيات الرسول ( ص ) الحسية . | ٣٥٢ |
| آيات الرسول (ص) الحسية صحيحه وثابته | ٣٥٤ |
| عدد الآيات الحسية للرسول ( ص ) . | ٣٥٥ |
| اعتناء العلماء والمحدثين بالآيات النبوية . | ٣٥٦ |
| المبحث الحادي عشر : دفع شبهة انتصار الدين بالمعجزات | ٣٥٧ |
| الفصل الثاني : معجزة القرآن الكريم | ٣٥٨ |
| المبحث الأول : حول معنى اعجاز القرآن ، وكونه المعجزة العظمى الخالدة . | ٣٦٠ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| القرآن هو المعجزة العظمى . | ٣٦١ |
| وجه كون القرآن المعجزة العظمى | ٣٦٢ |
| القرآن هو المعجزة الكبرى وليست الوحيدة | ٣٦٣ |
| المبحث الثاني : مسألة اعجاز القرآن ، أهميتها ، ونشأتها ، والتصنيف فيها . | ٣٦٥ |
| نشوء مسألة الاعجاز . | ٣٦٦ |
| مسألة الاعجاز عبر التاريخ . | ٣٦٨ |
| التصنيف في الاعجاز القرآني . | ٣٦٩ |
| أسباب تأخر التصنيف في اعجاز القرآن | ٣٧٠ |
| أول من صنف في الاعجاز . | ٣٧٢ |
| الاتجاهات التي أثرت في دراسة الاعجاز | ٣٧٣ |
| آراء الناس في الاعجاز . | ٣٧٥ |
| المبحث الثالث : القرآن والتحدي ودراسة آيات المعاجزة . | ٣٧٧ |
| التدرج في التحدي | ٣٧٨ |
| استمرار التحدي وبقاؤه | ٣٨١ |
| المبحث الرابع : الشبهات التي قامت حول اعجاز القرآن قديما وحديثا . | ٣٨٣ |
| جذور القول بالصرفه | ٣٨٥ |
| من هم القائلون بالصرفه | ٣٨٥ |
| نقض القول بالصرفه | ٣٨٦ |
| القسم الثاني : من المنكرين للاعجاز المستشرقون | ٣٩٠ |
| المبحث الخامس : نزول القرآن مفرقا والحكمة في ذلك . | ٣٩٣ |
| الحكمة في انزال القرآن منجما مفرقا | ٣٩٤ |
| المبحث السادس : وجوه الاعجاز في القرآن وآراء العلماء في ذلك | ٣٩٨ |

| الموضوع | الصفحات |
|---|---|
| الفصل الثالث : وجوه الاعجاز في القرآن الكريم . | ٤٠٣ |
| المبحث الاول : الوجه البلاغي في القرآن | ٤٠٤ |
| أمثلة على بلاغة القرآن | ٤٠٦ |
| المبحث الثاني : الوجه الثاني : الاخبار عن الغيب في القرآن | ٤٠٨ |
| أولا : الاخبار عن الغيب الماضي . | ٤٠٨ |
| ثانيا : الاخبار عن الغيب الحاضر . | ٤٠٨ |
| ثالثا : الاخبار عن الغيب المستقبل | ٤٠٩ |
| ٢ ـ اخباره عن مستقبل المسلمين . | |
| ٣ ـ اخباره المسلمين بدخول مكه . | ٤١٢ |
| المبحث الثالث : الوجه الثالث : الوفاء بكل ماوعد الله به في القرآن . | ٤١٤ |
| ١ ) الوعود القرآنيه المطلقه . | ٤١٤ |
| ٢ ) الوعود القرآنية المقيده بشروط | ٤١٦ |
| المبحث الرابع : الوجه الرابع : الاعجاز المنهجي | ٤١٧ |
| منهج تربوي فريد . | ٤١٨ |
| مظاهر المنهج التربوي | ٤١٩ |
| منهج شامل ومتكامل | ٤٢٢ |
| المنهج التشريعي الشامل يشمل القرآن والسنة كلها . | ٤٢٣ |
| الجانب الثالث من جوانب الاعجاز المنهجي | ٤٢٦ |
| هذه الآيات تحتوي على خلاصة الوصايا التي كانت في التوراه . | ٤٢٨ |
| المبحث الخامس : الوجه الخامس : الاعجاز العلمي في القرآن الكريم | ٤٣٠ |
| المقصود بالاعجاز العلمي | ٤٣٠ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| القرآن لا يتعارض مع العلم | ٤٣١ |
| بين الاعجاز العلمي والتفسير العلمي | ٤٣٢ |
| دوافع البحث في الاعجاز العلمي في القرآن | ٤٣٧ |
| أمثلة على الاعجاز العلمي في القرآن . | ٤٣٩ |
| ١ ـ انفصال الأرض عن السماء . | ٤٤٠ |
| ٢ ـ الحاجز العجيب بين المياه في المحيطات والبحار والأنهار . | ٤٤٠ |
| ٣ ـ تكوين الانسان من التراب والماء ، وتفصيل مراحل حياته . | ٤٤١ |
| ٤ ـ الماء أصل جميع الكائنات الحية . | ٤٤٢ |
| ٥ ـ القرآن واكتشاف علم البصمات . | ٤٤٣ |
| ٦ ـ الرياح تلقح النباتات والسحب . | ٤٤٤ |
| ملاحظات على الباحثين في الاعجاز القرآني . | ٤٤٥ |
| المبحث السادس : الوجه السادس : من أوجه الاعجاز في القرآن ، الاعجاز العددي . | ٤٤٨ |
| أمثلة على الاعجاز العددي في القرآن . | ٤٤٩ |
| ملاحظات على الاعجاز العددي . | ٤٥٠ |
| المبحث السابع : الوجه السابع : الاعجاز النفسي أو التأثيري | ٤٥١ |
| أمثلة لما يصنعه القرآن في النفوس . | ٤٥٢ |
| موقف المؤمنين من القرآن . | ٤٥٦ |
| من وجوه الاعجاز الأخرى في القرآن . | ٤٥٧ |
| الفصل الرابع : أحوال الناس مع القرآن الكريم من خلال سورة الاسراء . | ٤٥٨ |
| المبحث الأول : أحوال المؤمنين مع القرآن الكريم . | ٤٥٩ |
| أولا : القرآن شفاء للمؤمنين . | ٤٦٠ |
| ثانيا : القرآن رحمة للمؤمنين وهو خسارة على الكافرين | ٤٦٣ ـ ٤٦٤ |
| ثالثا : موقف أهل العلم وحالهم مع القرآن . | ٤٦٦ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| استحباب البكاء عند سماع القرآن وتلاوته | ٤٦٩ |
| بكاء الرسول (ص) عند سماع القرآن وقراءته | ٤٦٩ |
| المبحث الثاني : أحوال غير المؤمنين مع القرآن . | ٤٧١ |
| ١ - يزدادون نفورا واعراضا وكفرا . | ٤٧١ |
| ٢ - جعل الله بين الكافرين وبين القرآن حجابا مستورا . | ٤٧٢ |
| آيات يستتبع بها من الصدو . | ٤٧٤ |
| ٣ - الكافرون ينفرون من ذكر كلمة التوحيد | ٤٧٥ |
| ٤ - المشركون يتسمعون للقرآن سرا . | ٤٧٧ |
| الاستهزاء بالقرآن واطلاق التهم على الحق وأهله | ٤٧٩ |
| اسباب الاعراض عن القرآن والكفر به . | ٤٨٠ |
| نتائج البحث . | ٤٨٢ |
| الفهارس . | |
| فهرس الآيات القرآنيه . | ٤٩١ |
| فهرس الأحاديث الشريفة والآثار . | ٥٠٥ |
| فهرس المراجع والمصادر . | ٥١٠ |
| فهرس الموضوعات . | ٥١٨ |

## المبحث الأول -

## تفسير موجز للآيات الواردة في ذلك

قال تعالى : ( وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا . فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا . ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا .

ان أحسنتم احسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ، وليتبروا ماعلوا تتبيرا ،عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً الايات من ٤-٨ من سورة الاسراء .

علاقة هذه الآيات بما قبلها :-

في الآية الأولى من السوره - سبحان الذى أسرى بعبده ليلا - ذكر المسجد الاقصى وانه اليه كان اسراء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وان الله تعالى قد بارك حوله ، وفي هذه الآيات بيان ان المسجد الاقصى تعرض للاهانة والتخريب ، بسبب افساد بني اسرائيل واستكبارهم عن طاعة الله وظلمهم وبغيهم ، سلط الله عليهم عبادا أشداء جزاء وفاقا على انحرافهم .

وفي الآية الثانيه من سورة الاسراء - وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا - ذكر الله فيها انه آتى نبيه موسى عليه السلام التوراه هدى لبني اسرائيل .

وفي هذه الآيات ( وقضينا الى بني اسرائيل ) ، بيان ان بني اسرائيل يخرجون عن هدى التوراة ،ويتنكبون طريقها ويفسدون في الأرض.(١)

( قضينا ) .

للقضاء معاني أربعة في القرآن :(٢)

١ - بمعنى الخلق والاحداث كما قال تعالى ( فقضاهن سبع سموات ) .

٢ - بمعنى فصل الحكم كقوله تعالى ( والله يقضي بالحق ) .

٣ - وبمعنى الأمر كقوله سبحانه ( وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه ... ) .

٤ - وبمعنى الاخبار كقوله سبحانه ( وقضينا الى بني اسرائيل ... ) .

وهو هنا بمعنى الاخبار والاعلام ،اى اخبرناهم وأعلمناهم بما يكون من الأمر من انهم يفسدون .

وقضينا : يجوز أن تكون :-

١ ) وقضينا على بني اسرائيل .

٢ ) وعلى القراءة المشهورة وقضينا الى بني اسرائيل .

وعلى الرأى الأول : يكون الكتاب : هو الذكر الأول اى اللوح المحفوظ،(٣) وقضينا عليهم اى كتبنا عليهم .

وعلى الرأى الثاني : يكون القضاء بمعنى الاخبار والايحاء عن طريق الرسول . ويكون الكتاب هو التوراة.(٤)

---

( ١ ) الضياء في تفسير سورة الاسراء . د . محمد أبوالنور الحديدى / ٦٠ .

( ٢ ) تفسير الطوسي - المسمى بالتبيان - جـ٦ / ٤٤٨ ،وانظر المصدر السابق ( ٦١ ) .

( ٣ ) تفسير الطبرى جـ١٠ / ٩٤ - وزاد المسير جـ٥ / ٧ .

( ٤ ) انظر تفسير ابن كثير جـ٥ / ٤٣ ،وتفسير المراغي جـ١٥ / ١٢ والطبرى جـ١٥ / ٢٠ .

فالمعنى يكون : فاوحينا الى بنى اسرائيل فيما انزلنا فى التوراة على موسى فأعلمهم ،لتعصُنَّ الله ولتخالفن أمره مرتين ، وسيأتى تفصيل تلكما المرتين .

ومعنى (الأرض ) فى قوله تعالى ( لتفسدن فى الأرض) .

( أرض الشام وبيت المقدس وما والاها )(١) . وقيل (أرض مصر)(٢) والصحيح الأول .

ومعنى ( لتعلن ) : لتتكبرن عن طاعة الله ( فاذا جاء وعد . . ) : فاذا حان وقت العقاب الموعود به ، بأس : قوة وبطش ، فجاسوا خلال الديار : طافوا تشردوا وسط الديار . الكره : الدوله والغلبه . النفير : من ينفر مع الرجل من عشيرته وقومه . التتبير : الهلاك . ماعلوا : ماغلبوا واستولوا عليه من بلادكم . الحصير : والمحبس .

المعنى الاجمالى :-

ان الله تعالى اعلم بنى اسرائيل عن طريق الوحي ،انهم سيفسدون فى الأرض مرتين ، ويستعلون على الناس بالظلم والبغي ،ولما وقع ذلك منهم سلط الله عليهم اعداء أقوياء اعطوا فيهم السيف ، وسلب الأموال وسبي الذرية والنساء .

ولما تابوا ازال الله عنهم هذه المحنه ،واعاد لهم الدوله ،وامدهم بالأموال والبنين وجعلهم أكثر عددا مما كانوا ، ولكنهم عادوا الى عصيانهم وافسادهم ، والخروج عن احكام التوراه وقتل الانبياء فسلط الله عليهم من ازال دولتهم مرة أخرى فاعطوا فيهم السيف وسلب الاموال وجاسوا خلال الديار ،ودخلوا بيت المقدس وخربوه واذلوهم ودمروا ماغلبوا عليه من البلاد ، ثم أوعدهم على عصيانهم بالعقاب فى الآخرة بنار جهنم ،وبئست هي لمن عصى الله وخالف أمره وتعاليم دينه (٣) .

---

( ١ ) القرطبى جـ ١٠/ ٢١٤ ، وابن كثير جـ٥/ ٤٢ .

( ٢ ) زاد المسير جـ٥/ ٧ .

( ٣ ) انظر تفسير سورة الاسراء -عبد الله شحاته ص ٥٦-٥٩ ، والضياء فى تفسير سورة الاسراء / ٦١ .

## ـ المبحث الثاني ـ

## من هم القوم المسلطون على اليهود

ان المتتبع لتاريخ اليهود عبر القرون ، يجده حافلا بالعدوان وسفك الدماء ، ولقد سلط الله عليهم أعداءهم مرارا وتكرارا ، فكلما انحرفوا عن كتاب ربهم ، وظلموا في الأرض وافسدوا فيها كان التأديب وتقديم الاعوجاج ، وتمكين اعدائهم منهم ومن دونهم هو الجزاء الوفاق من الله عز وجل وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم كانوا يظلمون .

ولكن اشهر واظهر مرتين سلط الله عليهم فيها عدوهم كانتا بعد افسادتين عظيمتين ، صدرتا عن القوم وكان لهما تأثير حاسم في تغيير مجرى تاريخ القوم .

ثم ان المفسرين قد اختلفوا في هؤلاء المسلطين عليهم من هم ؟ ومن يكونون ؟ فهما افسادان من اليهود ، وتسليطان من اعدائهم .

الافسادان :ـ

الافساد الأول : كان قتلهم زكريا عليه السلام ، وقيل شعيا .

الافساد الثاني : قتلهم يحيى وقصدهم قتل عيسى عليهم السلام (١) .

وسبب قتلهم زكريا عليه السلام :ـ

انهم اتهموه بحبس عليها السلام ، وقالوا منه حملت ، فهرب منهم ، فانفتحت له شجرة فدخل فيها ، وبقي من رداءه هدبه ، فجاءهم الشيطان فدلهم عليه فقطعوا الشجرة بالمنشار وهو فيها (٢) .

---

(١) انظر القرطبي جـ١ / ٥ ٢١٥-٢١٨ ، وزاد المسير جـ٥ / ٨ ، والمراغي جـ١٥ / ١٤ .

(٢) زاد المسير لابن الجوزي جـ٥ / ٨ ، وقال الامام الطبري : ان المقتول هنا هو النبي شعيا عليه السلام وليس زكريا ، ونقل ذلك عن بعض أهل العلم . انظر الطبري جـ١٥ / ٢٧ .

ان ملكهم اراد نكاح امرأة لا تحل له ، قيل هي ابنة اخيه ،أو ابنته ، أو امرأة اخيه وكان ذلك غير جائز في شريعتهـــم ، . وقيل هي ابنة امرأته فنهاه عن ذلك النبي يحيى عليه السلام فحنقت عليه امها ، وعمدت الى ابنتها فزينتها وأرسلتها الى الملك حين يجلس على شرابه ،وأمرتها بأن تسقيه ، وان تتعرض له ،فان اراد ها على نفسها ، أبت حتى يؤتى برأس يحيى بن زكريا في طست ، ففعلت ذلك ،فقال الملك : ويحك سليني غير هذا فقالت: ما أريـد الا هذا ، فأمر ، فأتي برأسه والرأس يتكلم ويقول لا تحـــل لك لا تحل لك[١] .

اما المسلطون على اليهود :-

فهما تسليطان ، بعد كل افساد تسليط :-

التسليط الأول :-

وفيه أقوال : ( فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا ... ) .

١ - عن ابن عمر وقتاده انه جالوت الجزري ، وجنوده سلط عليهم أولا ثم ادبلوا عليه بعد ذلك[٢] وقتل داود جالوت ،واسس مملكة داود سنة ١٠٩٥ ق.م.

٢ - عن سعيد بن جبير : أنه سنحاريب ملك الموصل وجنوده .

٣ - وقيل انه بختنصر ملك بابل[٣] .

٤ - وقال ابن جرير هو ( صحابسين ) ملك البنط[٤] .

---

( ١ ) الطبري جـ ١٥ / ٣٢ ،وزاد المسير جـ ٥ / ٨ ،وقصص الانبياء لابن كثير ٣٦٩ .

( ٢ ) تفسير الطبري جـ ١٥ / ٢١ .

( ٣ ) تفسير ابن كثير جـ ٥ / ٤٤ ،والطبري جـ ١٥ / ٢٧ ،وتفسير سورة الاســـراء - عبد الله شحاته / ٦٤ .

( ٤ ) ابن جرير الطبري جـ ١٥ / ١٧ .

وذكر ابن الجوزى فى زاد المسير أن فى المسلطين أولا خمسة أقوال :-

١ - انه جالوت وجنوده .

٢ - انه بختنصر ملك الكلدانيين .

٣ - انهم العمالقة وكانوا كفارا .

٤ - انه سنحاريب ملك آشور .

٥ - أنهم قوم من أهل فارس ، وقيل انه سابور ذو الاكتاف (١) .

أما المسلطون ثانيا :-

( فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم ) .

فقيل : هو بختنصر ، وقيل انطياخوس الرومانى (٢) .

وبعد : فالراجح من أقوال المفسرين :-

ان المسلط عليهم فى المرة الأولى هو بختنصر البابلى وقد غزاهم ثلاث مرات سنة ٦٠٦ و ٥٩٩ و ٥٨٨ قبل الميلاد ثم ساعدهم قورش ملك الفرس سنة ٥٣٦ ق.م. فعادوا الى البلاد ، واعادوا بناء هيكلهم ودولتهم .

وان المسلط عليهم في المرة الثانية هم الرومان بقيادة ( تيطس ) سنة ( ٧٠ ) للميلاد وكان اذلالهم اشد وأنكى (٣) .

وبعد تيطس الروماني ، تفرق اليهود فى البلاد ولم يعد لهم كيان ولا دولة ، وهذا رأى علماء المسلمين ، اما عند اليهود وفي تواريخهم :-

---

( ١ ) زاد المسير جـ٥ / ٩ .

( ٢ ) المصدر السابق جـ٥ / ١١ .

( ٣ ) تفسير سورة الاسراء - عبد الله شحاته - ٦٦ .

فقد قال الشيخ المراغي في تفسيره ؛ والذى اثبته اليهود فى تواريخهم :-

" ان الذى اغار عليهم أولا وخرب بيت المقدس هو بختنصر ،وكان ذلك في زمن ارميا (١) عليه السلام ،وقد انذرهم ونهاهم عن الفساد وعبادة الاصنام فحبسوه في بئر وجرحوه .

وان الذى اغار عليهم ثانيا هو اسبيانوس قيصر الروم ،وبين الاغارتين نحو خمسمائة سنه (٢) .

رأى لبعض الكتاب المعاصرين :-

ان ماسمعناه من آراء العلماء وأقوالهم فى افساد اليهود ، وتسليط الله عليهم اعداءهم كانت نقلا عن المفسرين والعلماء القدامى ،وجزموا فى هذه الأقوال ان الافسادتين أو الفسادين قد حصلا قبل البعثه النبويه ،وبالتالى فان التسليطين قد حصلا وانتهيا قبل الاسلام .

---

( ١ ) قال ابن جرير فى تفسيره : ان ارميا هو اسم للخضر عليه السلام جـ ٥ ٣٦٨ .

( ٢ ) تفسير المراغي جـ ٥ / ١٥ .

## ـ المبحث الثالث ـ

## رأى آخر لبعض العلماء المعاصرين

لكن من العلماء والكتاب المعاصرين من رأى رأيا آخر (١) :-

ومفاده ان الافساد الثاني الذى قضاه الله على اليهود ، وسيترتب عليه تدميرهم واهلاكهم لم يحدث في العصور السابقه .

ذلك ان اولى الافسادتين حصلت ايام بختنصر البابلي فسلطه الله عليهم فشتتهم وأذال دولتهم ،ثم رجعوا الى فلسطين على يد قورش مؤسس الامبراطورية الساسانيه ،ولم يحدث منهم فساد منتشر أو ظاهر ،ولا ظلم غاشم أو ملك قاشم ، ولا علو في الأرض كما حدث ويحدث لهم الآن في فلسطين بل والعالم كله .

يقول الاستاذ السحار (٢) بعد استعراضه آراء المفسرين في الموضوع ،. . ولما لم أجد ايا من هذه التفاسير التي قرأتها تتفق مع الحقائق التاريخية الثابتة ، فقد عدت مرة أخرى اقلب صفحات التاريخ ،فوجدت ان اليهود قد عادوا مرة واحدة في تاريخهم الطويل الى القدس بعد ان حطمهم بختنصر ملك العراق اسرى الى بابل ، وكانت تلك العوده ايام ( قورش ) وقد ظلوا بها الى أن طردهم الرومان ،واستمروا مشردين في الأرض ، ولم يدخلوا بيت المقدس مرة ثانيه ، الا بعد العدوان الاخير ثم الاحتلال الاسرائيلى للارض المقدسة سنة ١٩٦٧م. ثم يقول ( ان الآيات لا يمكن ان تفسر الا بعودة بنى اسرائيل الى القدس ثم طردهم منها ليكون في ذلك اذلال لهم ،وامعان في الهوان ،وقد عادوا اليها هذه المره . . فوجب على المسلمين الاتحاد ليتبروا ماعلوا تتبيرا " .

---

(١) انظر كتاب تفسير سورة الاسراء ـ عبد الله شحاته ـ ص ٧٨ .

(٢) انظر ( وعد الله واسرائيل ) لعبد الحميد جوده السحار ،وكتاب (المسجد الاقصى ) لعبد اللطيف مشتهرى ( ١٢٠ ) ورسالة (أرض الاسراء والمعراج )للشيخ أسعد بيوض ، نشروزارة الاوقاف الاردنية .

وقد قال بهذا الرأى آخرون من العلماء المعاصرين (١) :

ويؤيد هذا الرأى قرائن كثيرة يمكن أن تتراءى للمتأمل فى الآيات وللمستقرئ لاحداث التاريخ والحاضر بدقة ، واهم هذه القرائن ان اليهود لم يحصل لهم منعه ولا كثره ولا علو فى الأرض ، ولا افساد هائل فى البلاد وعلى جميع الجهات السياسية والمالية والاقتصادية والفكرية مثل ما حصل لهم فى هذا العصر.

وان الذاهب الى فلسطين التي تحت ايديهم الآن سيرى بوضوح العلو الهائل والعمران الجبار الذى يقوم به يهود ،وهو مناسب للعلو المذكور فى قوله تعالى ( وليتبروا ماعلوا تتبيرا ) .

وانه لمن المؤكد ان اليهود لم يرجعوا الى فلسطين الا فى العصر الحديث فقد ظلت فلسطين وما حولها في ظل نور الاسلام وبيد المؤمنين ثلاثة عشر قرنا يستثنى من ذلك فترة استيلاء الصليبيين عليها والذى دام قرابة التسعين عاما فقط ، والله أعلم .

وعلى أى حال فان تلك الآراء محتطه ،ولا قطع بواحد منها حيث لم يرد نص صحيح من الكتاب أو السنه يحدد هوية هؤلاء القوم المسلطين ،أو الفترة التي وقع فيها التسليط ، وجل ماورد في ذلك آثار اسرائيليه .

قال ابن كثير : ووردت فى هذا آثار اسرائيليه لم أر تطويل المقام بذكرها لان منها ماهو موضوع من وضع بعض زنادقتهم ،ومنها ماقد يحتمل ان يكون صحيحا ،ونحن فى غنية عنه ولله الحمد (٢) .

---

( ١ ) انظر تفسير سورة الاسراء ص ٧٨ . وانظر : ( التفسير القرآني للقرآن ) لعبد الكريم الخطيب جـ٣/ ٤٥٣ .

( ٢ ) تفسير ابن كثير جـ٣/ ٢٥ .

خلاصة الكلام في المسلطين على اليهود :-

وبعد عرض الآراء التي قيلت في الافساد ، والتسليط الذى قضاه الله على بنى اسرائيل نخلص الى مايلى :-

١ - لم يصح عن الرسول صلى الله عليه وسلم في بيان المراد بالعباد الذين سلطوا على بنى اسرائيل أى حديث .

٢ - ان الافساد قد تكرر منهم ، وان المرتين المقصودتين في الآيات اتاهما أظهر مرتين وأكبرهما اثرا في تاريخ اليهود .

٣ - اختلفت انظار المفسرين والمؤرخين فيمن سلط على اليهود بحسب الاجتهاد الشخصى ، لكل مؤرخ أو مفسر لعدم وجود النص القاطع .

٤ - ولذلك فاني أرجح الرأى الثاني وهو القائل بان المرة الثانية لم تحن بعد واننا نحن الآن نعيش ونشهد الافساد الثانى والاعظم لليهود .

رأيى في الافساد الثاني ، والمسلطين على اليهود ثانيا :-

ان مجموع الدلائل التاريخية والقرائن التي بنى عليها الاستاذ السحار وغيره في ان الافساد الثانى لم يكن قد حصل واننا نحن الآن بصدده لهي قرائن وشواهد تستحق النظر والتأمل .

ان الله تبارك وتعالى اخبر أنه بعد ان عاد اليهود الى فلسطين بعد التسليط الأول انه أمدهم باموال وبنين وجعلهم اكثر نفيرا .

فمتى كان لليهود أموال أو أولاد يكونون جيوشا جبارة ويسيطرون على مرافق العالم .

ان الوضع الذى وصل اليها اليهود فى هذا العصر حالة لم يصلوا اليها قط فى تاريخهم الطويل .

اما الوضع العالمي لليهود فانه يعرف كل واع بصير ان ميزان النقد الدولى بايد يهم ،وان كبريات مصارف وبنوك ومؤسسات النقد العالمية تحت سيطرتهم ،وانهم يشرفون على ضبط قيمة العملات العالمية في دقة وخبث متناهيين تماما كما يتحكم الاخطبوط المتلف على فريسته ،، أو كسيطرة الخلايا السرطانية على الأعضاء الحيويه ، وكل ذلك لتكون نتيجته السيول الذهبية المتدفقة الى جيوب اليهود ومن ثم لتبنى بها دولتهم الستوطنات وتبنى بها ارقى ماتوصل اليه العقل البشرى من حصون الدفاع ووسائله الجويه والبريه والبحريه ، ثم تجاوز كل ذلك الى الاعداد الذرى ،والسباق النووى فقد استفاضت الاخبار ان اليهود يمتلكون قنابل ذريه وكانت جاهزه للعمل في حرب العاشر من رمضان سنه ثلاث وسبعين وتسعمائه والف لولا ان الرئيس الامريكى ( نيكسون ) سارع ووصل بين امريكا واسرائيل بجسر جوى انتقل عبره السلاح الامريكى وعدل كفة الحرب .

ومال اليهود هو الذى يحكم ويرسم السياسات فى الدول الكبرى فبالمال اليهودى ، يرفع اليهود من شاءوا من الرؤساء ،ويخفضون من شاءوا من الكبراء فى أكبر دولة في العالم وهي أمريكا .

---

لقد امتد نفوذ العصابة اليهودية الى أن يتحكموا في ( الكرملين ) مقره القيادة الروسيه ، والى البيت الأبيض مقر القيادة الامريكية ، .

من الذى يسير البيت الأبيض ؟ ومن الذى يحكم الكرملين ؟ انهم طعمة من اليهود وصلوا الى تلك المراكز الحساسه ، بتخطيط هائل وتسخير المال الذى يسحر العظماء ويستولى على الكبراء .

أما البنون والنفير اليهودى :-

فمتى كان اليهود أكثر نفيرا من هذا العصر ، ان روسيا والدول المحيطة بها تصب رجالها فى معسكرات اليهود ، وامريكا وأوربا كذلك حتى /(أثيوبيا يهود ) في افريقيا استقدم اليهود الى فلسطين وانضموا الى ابناء ملتهم .

فمتى حصلت مثل هذه الكثرة الهائلة فى الاموال اليهودية ، ومتى حصلت هذه الامدادات لبشريه الكبيرة من اليهود ، ومتى كان لهم حكم وسلطان بعد أن شتتهم ( تيطس ) الروماني سنة ( ٧٠ ) ميلاديه شذر مذر ، ولم يعد لهم كيان مجتمع ، ولا دولة تحكم ، ولا سلطان يصول ويجول فى الأرض بلا ضابط أو كابح الا فى هذا الوقت .

ان الافساد الاعظم ، والتخريب الفظيع والجرائم المنكره التي صدرت عن اليهود فى هذا العصر لهي الفساد المناسب لما عنته الآيات الكريمه من الفساد الثانى ، والذى ستشطه سنة الله الماضيه بالتسليط الثانى ، اما المسلطون هذه المره فهم المسلمون المؤمنون الصادقون .

نحن المسلمين اليوم الذين انتدبنا رب العزة لهذه المهمة ، والله تبارك وتعالى اختارنا لهذه الرساله العظيمه لازالة الافساد من الأرض وتطهيرها من رجس المفسدين .

وهل هناك أكبر من الفساد الذى صدر عن اليهود منذ بداية هذا القرن فمن الذى تآمر على الخلافة العثمانية ورسم الخطة لاسقاط الخلافة ومحو آثار الاسلام منها ؟ .

من الذى نهب الأرض ، وارتكب المذابح والجرائم بمساعدة الانجليز فى فلسطين ، ثم مايدور الآن فى لبنان من الذى عاث فى لبنان بالدمار والخراب وحرث المخيمات ، ولا زال كيده وسمه ينفث كل يوم بتآمر جديد ، وخطة خبيثة ضد المسلمين وجند فى كل ذلك الدمار صنائعه الباطنيين الملاحده .

هذا الكلام ليس كلام عواطف جياشه ، أو حماس وقتى ، انما هو الم صادر عن معاناة حقيقيه ، وشعور صادق ولعمرى ان ذلك لفساد فى الأرض كبير وظلم عظيم وان من ادنى مراتب الايمان ان يشعر القلب ويتألم ، هذا ان لم ينزف دما ، فانه ليس وراء ذلك من الايمان مثقال حبة من خردل .

اقول : ان الله تبارك وتعالى ، يدعونا هذه المره لنكون نحن الذين نزيل الظلم الواقع بالمسلمين ، ولا ن ننتصر لدين الله ومحارمه .

فكما اختار الله سبحانه بالامس عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليفتحها ، واختار صلاح الدين ليحررها ، فالله تعالى ينتدبنا اليوم ولينتدب كل صادق ان يبدأ باعداد العده وتبييت النية الصادقة وبعقد العزم على ان يكون من جند الله الذين سيكون على ايديهم الفتح والنصر المبين باذن الله .

## - المبحث الرابع -

## المقصود من الآيات أخذ العبرة والعظة

ان مقصود الآيات في هذا المقام هو بيان سنة من سنن الله تعالى في الأمم والجماعات حال صلاحها وفسادها ، وهذه السنة ماضية دون تبديل أو تحويل .

ثم انه لا يتوقف فهم معناها على تحديد أشخاص بعينهم سلطوا على اليهود ، بل المقصود انهم كلما أكثروا من المعاصي والجرائم ، وتمردوا على الله ورسله ، سلط الله عليهم اقواما آخرين ليؤدبوهم .(١)

وذلك لأن القرآن الكريم كتاب هدايه ، يذكر من القصة أو الحادثة التاريخية الجانب الذي يحقق العظة والعبره ، ولا يهتم دائما بايراد القصة كامله ، بل يلقي الضوء على جوانب معينه ، وهو العليم الحكيم سبحانه بما يلزم عباده ، وما يحتاجونه .

كما قال تعالى : ( لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب )(٢) .

فالقرآن الكريم قد أبهم اشخاصا وبلادا لانه لم ير فائدة كبيره تتعلق بذكرها ، ولو علم الله في ذلك فائده لنا لذكرها ، وحين ابهم سبحانه الاشخاص المسلطين على اليهود ، صار من واجب المؤمن أن يعرف ان هناك اشخاصا انتقموا من اليهود في تاريخهم ، واذا اراد بعد ذلك تحديد هؤلاء الاشخاص لجأ الى التاريخ الصحيح ، لا ليحكمه في معنى القرآن ، وانما ليستأنس به ولتكون له معرفة جانبيه لا تحكم على التفسير .

---

( ١ ) في ظلال القرآن جـ٤ / ٢٢١٤ ، وتفسير الرازي جـ٢ / ١٥٦-١٥٩ .

( ٢ ) سورة يوسف / ١١١ .